ديوان السليمانيات

(الجزء الأول)

(نحو شعر عربي أصيل هادف وبنّاء ومحترم)

حَنانيـــكَ قلبـــي العزيـــزَ الأبـــي! ورِفقـــاً بنفســـكَ يـــا كَـــوكبي!

نهايـــــة درب النفـــــاق أتـــــتْ فـــودّع ســـرابَ الخَـــؤون الغبـــي

وخَـــلِّ الـــدموعَ ، كفانـــا بُكـــا! وسَـــلِّ الضـــميرَ الكســـيرَ الأبـــي!

ترفـــقْ مـــلأتَ يَراعـــي أســـىً ففوجئـــتُ بـــالموقفِ المُرعِـــب!

الطبعة الأولى

1 نهاية الطريق

2 نـهاية الطريق

نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديـــوانُ السّـليمَانيـّات

(الجزءُ الأول)

نِـــهـايـة الطريـق

شِعرُ

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجعه الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدَوريات والجرائد

ومُراجعة ومُصحّحة ومُحَققة ومُنقحة ومَزيدة

4 نـهاية الطريق

5 نـهاية الطريق

6 نـهاية الطريق

ديوانُ السّليمانيات

(الجزء الأول)

نـهايـة الطريق

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجعه الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مجمعة من المجلات والصحف والدوريات والجرائد

8 نـهاية الطريق

إهداء

الحمد لله وكفى. والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد. أهدي هذا الديوان لكل إنسان صاحب فطرةٍ نقية ، وقلب صادق ، هذا بصفةٍ عامة. كما أهديه لكل موحدٍ صادق ، هذا بصفةٍ خاصة. وأهديه على وجه الخصوص والعموم معًا وبكل صدق لزوجتي ولولديَّ الحبيبين: عبد الله وعبد الرحمن. وتعد هذه هي بداية إخراجي لديوان شعري يجمع باقة من أشعاري ، فيجمعُ شتاتها ويلم شملها! فلماذا عنونت له بـ: (نهاية الطريق)؟ وكان الأولى والأحرى أن يكون الاسم: (بداية الطريق)! والحقيقة هي أن اسم هذا الديوان كان قد تأثر بظروفٍ مريرةٍ عشتها هنا في الغربة مع أسرتي المتواضعة: (زوج وزوجته وولدان)! ومن خضمّ الأحداث التي مررت بها هنا اشتُق اسم الديوان ومعظم قصائده. ولم أكن سباقاً إلى طباعته حتى يتم تنقيحه وتدقيقه وترتيبه بالطريقة التى أهوى وأتمنى. ولكن مجموعة من المعارف والأصحاب اقترحوا هذا ، ونزلت على رغبتهم. وقمت بنشر معظم قصائده في جريدة (الوحدة العربية) على مدى سنوات ثلاث ، وذلك في صفحة من صفحات الجريدة قد عنون لها بـ: (دوحة الوحدة الأدبية). وبعض القصائد تم نشرها في جرائدَ ومجلاتٍ أخرى. والحقيقة أن القصائد التي تنشر في الجرائد والمجلات السيارة تعتبر ملكاً للقراء من هواة هذه الجرائد وتلك الصحف وهاتيك المجلات. فأردنا أن نوثق المسألة أكثر ليكون هناك ديوان ينتظم هذه القصائد ، فكان ديوان: (نهاية الطريق). وإنما أعني بنهاية الطريق تلك النهاية التي اعتزمت اختطاطها في التعامل مع قوم أخطأت يوماً في إحساني الظن بهم ، إذ هم إلى القسوة والغلظة أقرب منهم إلى الشفقة والرحمة. وإنني أحتسب عند الله صبري عليهم وشعري فيهم. في كتاب (النهاية) لابن الأثير قوله: (الاحتساب في الأعمال الصالحة وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها. فاحتسب أعمالك كلها ، كفعل الطاعات والصبر على المكروهات والحركات والسكنات ، ليُحسب ذلك من عملك الصالح. إن الإنسان إذا نوى العمل الصالح ولكنه حبسه عنه حابس فإنه يكتب له الأجر ، أجر ما نوى. أما إذا كان يعمله في حال عدم العذر ، أي: لما كان قادراً كان يعمله ، ثم عجز عنه فيما بعد فإنه يكتب له أجر العمل كاملاً ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً. رواه البخاري).هـ. والحقيقة أن أغلب قصائد هذا الديوان (السليمانيات) والذي جزؤه الأول: (نهاية الطريق) وجزؤه الأخير هو: (وداعاً أيها القريض) قد استقت مناسباتها وأسباب كتابتها من الواقع! وحاولتُ جاهداً أن أتغاضى عن الأسماء والمسميات دفعاً للحرج من جهة ، ولكي تشمل القصيدة كل مناسبة وكل شخص يكون له ذات الأفعال والأقوال من جهة أخرى! وأيضاً اجتهدتُ في أن أصوغ قصائدي على كل بحور الشعر العربي أصيلها ومولدها ومقلوباتها! لتبلغ البحور بذلك أربعة وعشرين بحراً! وأضفت إليها جميعاً قصيدة وحيدة يتيمة على ما يسمى بشعر التفعيلة ، وهي قصيدة: (قراءة في أوراق الماضي)! وكان الداعي لها بكاء عيني بكل شعر عرفته البشرية! فجاء هذا اللاشعر عارضاً للتصانيف ليس إلا! وما يكون لي أن أغرم به أبداً! ومن هنا أقول للقارئ إن وُجِد في الديوان من خير فمن الله ، وإن وُجِد فيه من شر فمن نفسي والشيطان ، والله عز وجل منه برئ ورسوله. وأملي أن ينتفع به من أهديته إليهم. وأسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتنا (شاعراً وقارئين) يوم نلقاه. وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

10 نهاية الطريق

موضوع الغلاف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ، وبعد لقد اخترتُ هذا الغلاف عندما وقعت عيني عليه على أحد دفاتر الأولاد بينما كنت أدرسهم اللغة الإنجليزية ، فوجدته يناسِبُ النهاية التي أعنيها (نهاية الطريق) ، عندما وصل الملّاح إلى نهاية إبحاره بعد أن أحاطت به الجبال والتلال ، واستيقن أنه لا ملجأ من الله سبحانه إلا إليه ، وهي ذاتُ النهاية لي في التعامل مع أهل النفاق وإحسان الظن بهم. قال ابن عثيمين في (القول المفيد في شرح كتاب التوحيد) ما نصه: (إنه ينبغي للمسلم أن يكون همه وقصده في هذه الحياة تحقيق الغاية التي خلق من أجلها ، وهي عبادة الله تعالى ، والفوز برضى الله ونعيمه ، والنجاة من غضبه وعذابه ، وأن يحرص على أن تكون نيته في كل ما يأتي وما يذر خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى ، سواء في ذلك الأمور والعبادات الواجبة أم المندوبة ، أم المباحات ، أم التروك فحينئذٍ تتحول المباحات إلى عبادات ويثاب على تركه للمحرمات ، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة).هـ. وإن الذي يحدث من المحن لتدور قطب رحاه على الابتلاء في الله تعالى ولا شك! يقول الشيخ محمد المنجد عن البلاء: (البلاء الذي يقع بك أيها المسلم ـ عافاك الله منه ـ إنما هو نوع بلاء واحد ، وقد يكون بلاء بالمرض ، وهو من الابتلاءات الدنيوية ، أما البلاء الذي نزل بالإمام أحمد رحمه الله مثلاً ، فليس بلاءً واحداً ، وليس بلاءً في دنياه فحسب! وإنما هو بلاءٌ متعدد ، في الدين والدنيا ، فابتلي بالحبس والضرب والإهانة وتسليط أهل البدعة عليه واتهامه بالكفر وتهديده بالقتل ، كما ابتلي في دينه بمحاولة إرغامه على أن يتكلم بكلام أهل الضلال ، ولو أنه تكلم به لضل به خلق كثير ، ولانتصر أهل البدعة على أهل السنة ، ولكان عاراً لا تمحوه الأيام. كما ابتلي رحمه الله بالدنيا ، لما أتته وهي راغمة ، بعد أن سخر الله له أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله فرفع عنه المحنة وعن سائر الناس ، وانتصر لأهل السنة ، ورفع قدر الإمام أحمد ، وقرّبه واجتباه وحباه ، وكان يرسل إليه بالأموال وأنواع الطعام ، فكان الإمام أحمد رحمه الله لا يقرب شيئاً من ذلك ، ويفرّقه على الفقراء من أهل الحديث وغيرهم ، وشدد على أولاده في قبول شيء منه وعنف بعضهم لما قبل بعض ذلك وهجره ، وسد بابه دونه. قَالَ قُتَيْبَةُ بن سعيد: مَاتَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَمَاتَ الْوَرَعُ ، وَمَاتَ الشَّافِعِيُّ وَمَاتَتِ السُّنَنُ ، وَيَمُوتُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَتَظْهَرُ الْبِدَعُ. وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ قُتَيْبَةُ: إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَامَ فِي الْأُمَّةِ مَقَامَ النُّبُوَّةِ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: يَعْنِي فِي صَبْرِهِ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ). هـ. ويشهد الله تعالى أنني قاسيت في دار غربتي محناً تُذيب الجال الرواسي ، وتحملتُها جميعاً بكل صبر وإيمان واحتساب ورضا بقدر الله تعالى! أما ما كتبته من الشعر عن تلك المحن فكان من قبيل الترويح عن النفس والتنفيس عنها ، وذلك عندما فقدت الأنيس والجليس من بني البشر ، كما فقدت خيار الصحب والأصدقاء والآل على حدٍ سواء! ولم يكن هذا بالأمر اليسير! أن يُقلب لغريب في دار غربته ظهر المجن! فلا تكون الأرض بالتي تعرف ، ولا يكون الناس بالذين يألف! وعسى الله أنْ يتقبل مني ويتوب علي وعلى القراء ، آمين. ونسأل الله إن كان في علمه أننا سنبتلى ابتلاء ابن حنبل ، فليرزقنا ربنا تعالى صبر أحمد وثباته! ونسأل الله العفو والعافية! وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

12 نهاية الطريق

الافتتاحية

الحمد لله رب البرية ، الحمد لله هدانا لدين الحنيفية ، وأعلمنا عنها الكثير من دُرر أخبارها ، وأجلى مَيامِن أحكامها عن غرر آثارها. ومُؤيد مَن اقتَبس نور هدايته من مشكاة أنوارها ، ومُسدد مَن التمَسَ عِز حمايته من أزرق سنانها وأبيض بتارها ، ومُسهل طريق الجنة لمن اتبع مستقيم طريقها واهتدى بضياء منارها ، ومُذلل الهداية للذي يقتفي سرائر سيرها وسير أسرارها ، وأحمده على ما أولى من نعم قعد لسانُ الشكرعن القيام بمقدارها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادةً تبلغنا من ميادين القبول غاية مضمارها ، وتسوغنا من مشارع عز الرحمة أصفى مواردها وأعذب أنهارها ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي ابتعثه وقد طمَّتْ بحارُ الكفر بتيارها ، وطغتْ شياطينُ الضلال بعنادها وإصرارها ، وعتتْ طائفة الأوثان وعبدةُ الأصنام على خالقها وجبَّارها. فقام بأمره حتى تجلتْ غياهبُ ظلمها عن سنا أبدارها ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أسفر ليلُ جهلها عن صباح نهارها. صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه أمهات المؤمنين وصحبه الذين حازت نفوسُهم الأبية من مراضيه غاية أوطارها ، وفازتْ من سماع مقاله ، ورواية أحواله ورؤية جلاله بملء مسامعها وأفواهها بل وملء أبصارها ، وسلم تسليمًا كثيرًا. ثم أما بعد. فإننا إذ نفتتح هذا الديوان الشعري الحبيب «نهاية الطريق» فنشير إلى رحلة شاعره مع الشعر والشعراء ، والتي امتدت على مدى عَقدين كاملين مِنْ عُمري كشاعر ، قضيتُ جُلها في التقلب بين مختلف الثقافات ، وللثقافة الإسلامية النصيب الأكبر ولله الحمد والفضل. وإنني لأذكر جيدًا أنَّ رحلتي مع الشعر بدأتْ منذ كنتُ في وقت ليس بالبعيد ، بدأتُ وكنتُ في سن الرابعة عشرة من أيام الصبا ، وكنتُ في الصف الثالث الإعدادي: حيث كانت أول قصيدة أكتبها وعرضتها على أستاذي مدرس اللغة العربية بالمدرسة الأستاذ/ محمد عبد الحافظ ، بمدرسة مركز كفر سعد الإعدادية الثانوية ، ونصحني يوم قرأها بأنْ أقرأ كثيرًا ، وأجتهد في تعلم العَروض والتمكن مِن فن النحو والصرف ، والوقوف على الشيء الكبير من البديع والبيان وفقه العربية ، ومطالعة أشعار الآخرين من ذوي التجارب والخبرات. ومن يومها أصبح لي ولعٌ عاتٍ بكل الذي طلبه مني أستاذي ، وعكفتُ على عروض الشعر وبيانه وبديعه وطالعتُ الكثيرَ من أشعار الجاهلية مثل أشعار عنترة وزهير وكعب بن زهير والأعشى وامرئ القيس والسموأل بن عادياء ، وطالعت كذلك بعض أشعار النابغة الذبياني وغيره الكثير ، وكانت لي قراءة خاصة لأجِلَّاء الصحابة الشعراء من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمثال: حسان بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن رواحة وعلي بن أبي طالب وكعب بن مالك والخنساء ولبيد بن ربيعة وخالد بن الوليد والنابغة الجعدي وعبد الله بن الحارث وبجير بن زهير وغيرهم ، وقرأت بعض أشعار الفرزدق وجرير، وكذلك أشعار بشار بن برد وأبي نُواس والعباس بن الأحنف وأبي تمَّام والبحتري وابن الرومي والمتنبي وأبي فراس الحمداني ، وقرأتُ لكُتَّاب كثيرين كابن المقفع والجاحظ وابن العميد . وأثَّر في عاطفتي بشدة شعر حسان بن ثابت في إسلامه وأشعار أمية بن أبي الصلت. وحرصتُ على أنْ أكتبَ كما كان هؤلاء الأقوام يكتبون ، وإلا فلا شعر هنالك ولا شعراء. ولما تبلورتْ محبة الشعر في ذهني ، وملكتْ عليّ بعض أمري رُحْتُ أنتقي من عصرنا الحديث ما يناسب ما أعجبني من الشعر العربي الأصيل في عصور قوته وجماله ومجده الأصيل الأثيل. حتى برز على الساحة شعراء موحدون أمثال الدكتور الشاعر/ عدنان النحوي (حفظه الله ونصره وأيده بالحق) ، وأستاذنا الشاعر الدكتور/ عبد الرحمن صالح العشماوي (حفظه الله ونصره وأيده بالحق) ، والشاعر الكبير الدكتور/ أحمد

فرح العقيلان ـ رحمه الله تعالى ـ ، والشاعر الكبير الأستاذ/ مصطفي حمام ـ رحمه الله ـ وغيرهم ممن أثروا القارئ الموحد ، وأمتعوه بالشعر الطيب البناء الهادف. المهم أخذتُ أعتني ببناء القصيدة العربية الأصيلة ، فأنفعلُ تارة ، وأعطي نفسي الفرصة لأنْ أعرض الذي أكتبُ على أهل الذكر ممن يهمه الأمر من الشعراء والنحاة والمعنيين بالأدب صياغة ودراسة وتذوقًاً تارة أخرى. وكتبتُ قصائد شتى في مستهل عامي الخامس عشر والذي يليه غير أنني بعد سنين تراجعت عن جُلها ، لأنها لم تكن على المستوى الجيد الذي أحب ، لا من ناحية المضمون ولا من ناحية المبنى (لا مبنى ولا مغزى) ، وأخذ كثير من أهل النقد يذمّون ما أكتب إلى عهد قريب ، إلا أستاذنا الفاضل الدكتور/ الشربيني إبراهيم أبو طالب ـ الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وزميليه: الدكتور/ أحمد أبو العلا ، والدكتور/ محمد عبد البديع شريف ، فكان الواحد منهم يشجعني ويتابعني على الذي أكتب ، ناظرين لي على أنني بُرعُم في أول طريق الشعر على أي حال ، وأخذتُ أرسل بالذي أكتبه إلى المجلات العربية والعالمية أمثال: مجلة العربي ومجلة إبداع ومجلة فصول وغيرها. وكنت أعلق بعض هذه القصائد في صورة مجلات حائط بكلية الآداب بجامعة المنصورة بمصر حيث كنتُ أدرس فيها الأدب الإنجليزي (مجال تخصصي) ، وشجعني على ذلك وكان هو صاحب الفكرة الدكتور/ علي إبراهيم أبو زيد ، وكان يدرِّسنا الأدب العربي بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب ، في الفترة من1981م : 1985م. والحمد لله كنتُ محل احترامه ، وكان محل احترام الجميع ، وتابعه على ذلك الدكتور/ محمد رفاعي الذي كان يدرّسنا الشعر الإنجليزي ، ولكنه لم يستمر معي لحكمةٍ يعلمها الله. وأخذت أُغرم بالشعر يومًا بعد يوم ، ويشجعني الأصحاب والخلَّان والأهل. وكنت ولا أزال أجد في الشعر الصاحب والسلاح والشقيق والوسيلة. ولاحت فرصة ذهبية عندما فتحت «جريدة الوحدة العربية» ذراعيها حتى تستقبلني عبر صفحتها اليومية (دوحة الوحدة الأدبية). فنشرتُ بها مئات القصائد التي جادت بها المَلَكَةُ الشعرية بفضل الله عليّ. وكانت فاتحة خير وبادرة أمل يلوح في الأفق ، فاتجهتُ للكتابة الأدبية والنقد الأدبي ، ونشرتُ عبرالجريدة دراسة أدبية عن شعر عنترة بن شداد العبسي ، وأخرى عن شعر حسان بن ثابت الأنصاري ، وقراءات أخرى متفرقة في بعض الدواوين الشعرية ولله الحمد والمنة. وإنني لأرجو من كل قارئ لهذا الديوان أن يعذرني إذا لمس شيئًا من الضعف الفني أو التركيبي أو الإيحائي أو الصياغي. إن العمل في أوله ، ولعل فرصة آتية وشيكة تواتينا ، فنعيد طباعته ، ونعتني به أشد العناية ، ونهتم به أعظم الاهتمام ، فنقوّم مُعْوَجَّهُ ونصلح عَطبه. إن الديوان ما يزال في مرحلة إعداده ، وإنْ هي إلا عجلة ابن آدم تجني عليه فقط (خلق الإنسان من عَجل) ، (وكان الإنسان عَجولاً). وإنْ هي إلا وصية أستاذنا الدكتور/ صلاح الدين جاب الله الأجاوي ـ حفظه الله ـ والتي هي كلمتان فقط: (حُجّوا قبل أن لا تحجوا)! والمعنى المراد ليس الحج بل الطباعة والنشر. فها أنذا أمتثل وصية الدكتور ، وأبدأ بهذا الديوان البكر: (نهاية الطريق) ، عسى الله أن أرى له مستقبلًا مشرقًا ، وأن تتوالى بعده القصائد والدواوين. ولا أنسى يوم أخذني الدكتور صلاح ، وقدمني لرئيس التحرير بجريدة الوحدة العربية ، وهناك كانت البداية عندما رحَّب بي الأستاذ عبد الرزاق ، ذلك الأديب اللبناني الكبير. والحمد لله على كل حال. والله الهادي للحق والخير.

استهلال

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه. الحمد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ ولدًا ، ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وما كان معه من إله ، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه ، هو المستحق لجميع أنواع العبادة ، ولذا قضى ألَّا نعبد إلا إياه: (ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل ، وأن الله هو العلي الكبير). (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور). عالمُ الغيب والشهادة: الذي استوى في علمه ما أسرَّ العبد وما أظهر ، الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين). فالله سبحانه له العلم المطلق: (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها). (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟). (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى). (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى). (الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً). كيف لا وهو الذي خلق وقدر وهدى. رَحْمَنُ الدنيا والآخرة ورحيمُها: الذي كتب على نفسه الرحمة ، وهو أرحم الراحمين ، الذي غلبت رحمتُه غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين ، الذي وسعتْ رحمتُه كل شيئ ، وبها يتراحم الخلائق بينهم ، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين: (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ، إن ذلك لمحيي الموتى ، وهو على كل شئ قدير). الملك: الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، ولا شريك له في ملكه ولا معين. المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء وكذلك الإماتة والهداية وكذلك الضلال (ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين). لا رادَّ لقضائه ولا مضادَّ لأمره ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين). له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وإليه المصير. القدوس السلام ، الذي اتصف بصفات الكمال والجلال والجمال ، وهو سبحانه تقدس عن كل نقص ومحال ، وتعالى عن الأشباه والأمثال ، حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه (ليس كمثله شئٌ وهو السميع البصير). المؤمن: الذي أمّن أولياءه مِنْ خزي الدنيا ، ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية ، وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دارَ المُقامة في جنةٍ عالية. المهيمن: الذي شهد على الخلق بأعمالهم ، وهو القائم على كل نفس بما كسبتْ ، لا تخفى عليه منهم خافية ، (إنه كان بعباده خبيراً بصيراً). العزيز: الذي لا غالب له ولا مرام لجنابه ، الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة. وهو الذي يجبر كل كسير مما به ، المتكبر: الذي ليس ينبغي الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه ، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن نازعه صفة منها أُحِلَّ به غضبه ومقته وتدميره: (وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم). الخالق البارئ المصور: لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير: (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير ، خلق السماوات والأرض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم ، وإليه المصير). (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، إن الله سميع بصير). الغفار: الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا لأتاه بقرابها مغفرة. القهار: الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره. الوهاب: الذي كل موهوب وصل إلى خلقه ، فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه. الرازق: الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ما أنقص من فضله العزيز ، يرزق كل ذي قُوت قُوته ، ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيرًا متقنًا محكمًا ، يرزق من

هذه الدنيا من يشاء من كافر ومسلم ، أموالًا وأولادًا وأهلًا وخدمًا ، ولا يرزق الآخرة إلا أهلَ توحيده وطاعته. قضى ذلك قضاءً حتمًا مبرمًا ، وأشرف على الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم الحق والعمل الصدق والحكمة وتبيين الهُدى المستنير. الفتاح: الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم ، يفتح على هذا مالًا ، وعلى هذا ملكًا ، وعلى هذا علمًا وحكمة: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم). (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم). (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم). العليم: الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماضٍ وآتٍ وظاهر وكامن ومتحرك وساكن وجليل وحقير ، علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وكذا أرزاقهم وآجالهم ، ومَن هو من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين: (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) ، وما من جبل إلا ويعلم ما في وعره ، ولا بحر إلا ويدري ما في قعره (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) (ولله غيب السماوات والأرض ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، إن الله على كل شيء قدير). القابض الباسط: فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدره عليه ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم ، كل ذلك إليه ، إذ هو المتفرد وحده بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير. الخافض الرافع الضار النافع المانع المعطي: فلا رافع لمن خفضه ، ولا خافض لمن رفعه ، ولا نافع لمن ضره ، ولا ضار لمن نفعه ، ولا مانع لما أعطى ، ولا معطي لمن هو له مانع ، فلو اجتمع أهل السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع. المعز المذل: الذي أعز أولياءه المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وأيدهم بنصره المبين ببراهينه القوية المتظاهرة ، وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصَغار، وجعل عليهم الدائرة ، فما لمن والاه وأعزه من مذل ، وما لمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير. السميع البصير: لا كسمع أحد من الورى ، ولا كبصر أحد منهم ، القائل لموسى وهارون: (إنني معكما أسمع وأرى) ، فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه عزَّ وجَلَّ أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبًا ، وقد خاب من افترى ، (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير). الحكم العدل: في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولًا وفعلًا: (إن ربي على صراط مستقيم). فلا يحيف في حكمه عزَّ وجلَّ ولا يجور: (وما ربك بظلام للعبيد). (إن الله لا يظلم الناس شيئاً). (وما ظلمهم الله). الحكم العدل الذي حرّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا ، ووعد الظالمين الوعيد الأكيد وفي الحديث: «إنَّ الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلتْه» ، وكذلك في الآية: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد). وهو عزَّ وجلَّ الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئًا ، بل يحْصي عليهم حتى الخردلة والذرة والفتيل والقِطمير والنقير. اللطيفُ: بعباده معافاة لهم وإعانة ، وعفوًا ورحمة ، وفضلًا وإحسانًا ، ومن مَعاني لُطفه عزَّ وجلَّ إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة وتفصيلًا وإجمالًا ، وسرًّا وإعلانًا ، الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم ماذا عملوا؟ وكيف عملوا؟ وأين عملوا؟ ومتى عملوا؟ حقيقة وكيفية ومكانًا وزمانًا: (إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير). الحليم: فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب ، بل يعافيهم ويمهلهم

ليتوبوا ، فيتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم العظيم ، الذي يتصف بكل معنى يوجب التعظيم ، وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب ، خضع لعظمته وجبروته جميع العظماء ، وذل لعزته وكبريائه كل كبير. الغفور الشكور: الذي يغفر الكثير من الزلل ، ويقبل اليسير من صالح العمل ، فيضاعفه أضعافًا كثيرة ، ويثيب عليه الثواب الجلل ، وكل هذا لأهل التوحيد ، أما الشرك فإنه لا يغفره ولا يقبل معه من العمل لا القليل منه ولا الكثير. العلي: الذي ثبت له كل معاني العلو ، علو الشأن ، علو القهر ، وعلو الذات ، الذي استوى على عرشه ، وعلا على خلقه بائنًا من جميع المخلوقات ، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه ، وأخبر عنه رسوله الكريم في أصح الروايات ، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد وأهل العلم والبصيرة بلا نزاع بينهم ولا نكير. الكبير: الذي كل شيء دونه (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه). كما أخبر بذلك عن نفسه نصًّا بينًا محكمًا. الحفيظ: على كل شيء فلا يعزب عنه عزَّ وجلَّ شيء من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، الذي وسع كرسيهُ السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما ، حفظ أولياءه في الدنيا وفي الآخرة ونجاهم من كل أمر خطير. المغيث: لجميع مخلوقاته فما استغاثه ملهوف إلا نجاه ، الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، فنعم المولى ونعم النصير. الجليل: الذي جلَّ عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال وجمال ، الجميل الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال. الكريم: الذي لو أنَّ أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما يُنْقِص المِخْيط إذا أدخل البحر ، كما روى عنه نبيه ، ومن كرمه أنْ يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات والتقصير. الرقيب: على عباده بأعمالهم ، العليم بأقوالهم وأفعالهم. الكفيل: بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم ، المجيب: لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير. الواسع: الذي وسع كل شيء علمًا ، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلمًا ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون به علمًا. الحكيم: في خلقه وتدبيره ، إحكامًا وإتقانًا والحكيم في شرعه وقدره عدلًا وإحسانًا ، وله ـ عزَّ وجلَّ ـ الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ومَنَ أكبر مِنْ الله شهادة وأوضح دليلاً وأقوم برهانًا. فهو العدل: وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل ، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. الودودُ: الذي يحب أولياءه ويحبونه ، كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات ، المجيب الدعوات: يجيب دعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان ، وفي أي وقت من الأوقات كان ، فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تختلف عليه المطالب ، ولا تشتبه عليه اللغات ، وكذا لا تشتبه عليه الأصوات ، فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب وهو السِّتير. المجيدُ: الذي هو أهل الثناء كما مجّد نفسه ، وهو الممجّد على اختلاف الألسن وتباين اللغات ، بأنواع التمجيد. الباعث: الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، إنه هو الفعال لما يريد. الشهيد: الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفى بالله شهيدًا: (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)؟ هو الحق: وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير. القوي: المتين الذي لم يقم لقوته شيء ، وهو الشديد المحال. الولي: للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه ، وإذا أراد بقوم سوءًا فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ. الحميدُ: الذي ثبت له جميع أنواع المحامد ، وهل يثبُت الحمد إلا لذي العزة والجلال ، فله الحمد كما يقول وخيرًا مما نقول لا نحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، وكيف يحصي العبدُ الضعيفُ ثناءً على العلي الكبير المتعال العظيم. المُحصي: الذي أحصى كل شيء عددًا ، وهو القائل: (كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، إنا كنا فاعلين). ، (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين). المُبدئ المعيدُ: الذي قال وهو أصدق القائلين: (وهو

الذي يبدئ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه). وأنَّى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئًا ، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير. المحيي المميت: الذي انفرد بالإحياء والإماتة. فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها ، أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنًا أبدًا ، وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلَّام الحي الدائم الباقي الذي لا يموت ، وكل ما سواه زائل كما قال تعالى: (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام). القيوم: الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ، (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) ، فلا يحتاج إلى شيء ، وكل شيء إليه فقير. الواحد الأحد: الذي لا شريك له في ألوهيته ، ولا شريك له في ربوبيته ، ولا شريك له في أسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله ، لا ضد له ولا نظير ولا ند ولا شبيه ولا كفوَ ولا مثيل ولا عديل. الصمدُ: الذي يصمد إليه جميعُ الخلائق في حوائجهم ومسائلهم. فهو المقصود إليه في كل الرغائب والمستغاث به عند المصائب ، فإليه منتهى الطلبات ومنه يسأل قضاء الحاجات ، وهو الذي لا تعتريه الآفات ، وهو عزَّ وجلَّ حسبنا ونعم الوكيل ، فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده. وهو العظيم: الذي كمل في عظمته ، والحليم: الذي قد كمل في حلمه ، والعليم: الذي كمل في علمه ، والحكيم: الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في صفات الكمال ، ولا تنبغي هاتيكمُ الصفات لغير الملك الجليل تبارك وتعالى. القادر المقتدر: الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه على كل شيء قدير. المقدمُ المؤخرُ: بقدرته الشاملة ، ومشيئته النافذة على وفق ما قدره ، وسبق به علمه ، وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير. الأول: فليس قبله شيء ، والآخر: فليس بعده شيء ، والظاهر: فليس دونه شيء ، هكذا أخبر عنه البشير النذير. الولي: فلا منازع له ولا مضاد ، المتعالي عن الشركاء والوزراء وغير ذلك من النظراء والأنداد. البر: وصفًا وفعلًا وقولًا ، ومن بره المنّ على أوليائه بإنجائهم من عذابه ، كما وعدهم على ألسنة رسله أنه لا يخلف الميعاد ، التواب : الذي يرزق مَن يشاء بغير حساب ، وهو سبحانه وتعالى يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير. المنتقم: الذي لم يقم لغضبه شيء ، وهو الشديد العقاب والبطش والانتقام (إن بطش ربك لشديد ، إنه هو يبدئ ويعيد). (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام). العفو: بمنِّه وكرمه عن الذنوب والخطايا والآثام. وهو الرؤوف بالمؤمنين. ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينة ؛ ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الجاهلية إلى قِسط الإسلام ، ومن درك الأصنام والأوثان إلى ضياء التوحيد وإشراقات العقيدة في الله عزَّ وجلَّ ، ومن رأفته على عباده أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحِمام ، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير). مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويذل من يشاء ، ويعز من يشاء ، وربنا يعز لحكمة ويذل لحكمة لا يسأل عما يفعل ، بل يفعل ما يشاء ذو الجلال والإكرام والعزة والبقاء والملكوت والجبروت والعظمة وله الكبرياء. المقسط: الذي أرسل رسله بالبينات ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير. الجامع: لشتات الأمور ، وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد. الغني المغني: فلا يحتاج إلى شيء ، ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه مَعصيةُ العاصين من العباد ، وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى لهم عنه وعن بابه طرفة عين أو أقل من ذلك. وهو الكفيل: بهم رعاية وكفاية ، وهو الكريم الجواد ، وبجوده عمَّ جميع الأنام من

طائع وعاصٍ وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير. نورُ السماوات والأرض ومن فيهن ، كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به عبده ورسوله محمد ﷺ مستعيذًا به: «أعوذُ بنور وجهك الذي أَشْرَقَتْ له الظلمات ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرةِ أنْ يحلَّ بي غضبُك ، أو أنْ ينزلَ بي سخطُك لك العُتبى حتى تَرْضَى ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله». فبصفات ربنا تعالى نؤمن وبكتابه وسنة نبيه ﷺ نحكم وبحكمها نرضى ونسلم ، وإن أبى المُلحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه: (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير). الهادي: الذي بيده الهداية والإضلال ، فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى: (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً). (من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم). (قل إن هدى الله هو الهدى). (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير). (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير). البديعُ: الذي أبدع السماوات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال، الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ولا لآخريته زوال. الوارثُ: الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإليه عزَّ وجلَّ المَرجعُ والمآل ، فبإيجاده كل موجود وجد ، وإليه كل الأمور تصير. الرشيدُ: في كل أقواله وأفعاله ، فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم. الصبورُ: الذي لا أحدَ أصبرَ منه على أذى سمعه أو علمه أو رآه ، ينسبون إليه الولدَ ويجحدون أنْ يعيدهم بعد الموت ويحْييهم ، وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ، ثم هو يرزقهم ويعافيهم ، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ، وهم كذلك لم يبلغوا ضره فيضروه ، وإنما يعود نفعُ طاعتهم إليهم ، ووبال عصيانهم عليهم وحدهم ، واستغنى الله ، والله غني حميد: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم ، وذلك على الله يسير). لقد خطب قس بن ساعدة الإيادي - وكان على ملة إبراهيم عليه السلام - فقال: «أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعُوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا وقولوا ، وإذا قلتم فاصدقوا ، مَن عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آتْ ، مطر ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داجٍ ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبر وآثام ، إنَّ في السماء خبرًا وإن في الأرض عِبرًا ، يحار فيهن البصر ، مِهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور وبحار لا تفور ، ومنايا دوان ، ودهر خوان ، كحد النطاس ووزن القسطاس ، أقسم قس قسمًا ، لا كاذبًا فيه ولا آثمًا: لئن كان في هذا الأمر رضى ليكونن سخط! ثم قال: أيها الناس ، إن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه ، وهذا زمانه وأوانه». ثم قال: « ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون! أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ وفي بعض ألفاظها قال: شرْق وغرْب ، ويتم وحزب ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وإناث وذكور ، وبراري وبحور ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع وأشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ، ورب وأصنام ، لقد ضلَّ الأنام ، نشأ مولود ، ووأد مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغني ، ومحسن ومسيء ، تبًّا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل من عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والأولى. أما بعد ، فيا معشر إياد ، أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والأجداد؟ وأين العليل والعُواد؟ كل لهُ مَعاد. يقسم قس برب العباد وساطح المهاد ، لتحشرن على الانفراد ، في يوم التناد ، وإذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، ووعظ الواعظ

فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ. فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر ، في يوم الفصل وميزان العدل ، إذا حكم القدير وشهد النذير وبعد النصير وظهر التقصير ، فريقٌ في الجنة وفريق في السعير». ورحم الله قسَّ بن ساعدة الإيادي ورضي عنه وغفر له. ونحمد الله القدير على جزيل إنعامه ، ووافر أفضاله ، نشكره على جليل إحسانه ونواله ، وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفات كماله ونعوت جلاله ، وله الحمد على عدله قدرًا وشرعًا ، وله الحمد في الأولى والآخرة. وهو الحكيم في كل ما قال وأمر ونهى وشرَّع ، والخبير بعباده وبما يصلحهم في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم. ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق العلي الكبير ، تعالى في ألوهيته وربوبيته عن الشريك والوزير ، وتقدس في أحديته وصمديته عن الصحابة ، وعن الولد والوالد ، وعن الولي والنصير والمعين ، وتنزه تبارك وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفؤ والنظير ، وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالب والمعين ، والمشير والظهير ، وجلَّ في بقائه وديمومته وقيوميته عن المُطعِم والمجير. ونشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير ، المرسَل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهُدى المنير. بعثه الله عزَّ وجلَّ رحمة للعالمين ، وأنزل عليه كتابه المهيمن والنور المبين والهدى المستبين ، والمنهج المستنير. والشرك مضطرمة ناره ، طائر شراره ، مرتفع غباره ، لا مغير له ولا نكير فقام بالرسالة فبلغها خير تبليغ! وجاهد في الحق حق جهاده إعلاءً لكلمة الله الملك العلَّام ، حتى جاء الحق وزهق الباطل ، وحتى أدبر ليل الكفر والضلالة ، وانفجر فجر الإيمان والإسلام الحق ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وأشرقت أنواره ، ونكست راية الشرك وانكسرت شوكته وخمدت ناره ورمي بناؤه بالدمدمة والكسر والتحطيم والتدمير. صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه شموس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم ، وتابعيهم الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله: (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم). وعلى كل من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم ، وجعلنا الله من المقتدين بهم والمهتدين بهديهم والمتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما وبسيرهم نسير. وأشهدُ ألا إله إلا الله عليها أحيا وعليها أموت وفي سبيلها أعمل ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه خير نبي أرسله ، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد. فإن ديوان نهاية الطريق هو بعض عمري أضعه بين أيدي القراء الأحبة والقارئات الحبيبات من أهل التوحيد والإيمان ، والحقيقة أن هذا الديوان خلاصة تجربةٍ حقيقيةٍ عشتُها سنة بسنة ، بل شهرًا بشهر ، بل أسبوعًا بأسبوع ، بل يومًا بيوم ، بل ساعة بساعة ، بل دقيقة بدقيقة ، بل ثانية بثانية ، بل لحظة بلحظة ، بل طرفة عين بطرفة عين. عشته ألمًا وأملًا فرحًا وترحًا ، نفحات ولفحات ، محنًا ومنحًا. عشتُ في كل حرف من حروفه أنشد الخير وأندد بالشر ، أبتسم للقيم وأناغيها ، وأتجهم للرذائل في عالمنا وأعاديها ، أشرح وجهة نظري بكل صدق فني شعري أدبي وبكل عاطفة صادقة متألقة وبكل إحساس منفعل بنفحات الحقيقة الدافئة وبكل شعور دفعني إلى صياغته بكاءُ قلبي على ما آلت إليه أحوالنا وأحوال أمتنا في هذا الوقت المُعاش على هامش الحياة ، لقد عشت بداية الطريق ، وكنت أحسبه كما يحسبه كثيرون غيري مليئًا بالورود والرياحين ، بل كان الطريق مفروشًا بالدماء المُرة والأشلاء الدامية ، فأدركتُ أن سلعة الله غالية بصورة لا توصف قط. وأدركتُ أنَّ أمانة عندما عُرضت على السماوات والأرض والجبال ، فأبيْن أن يحملنها ، وأشفقن منها ، أدركتُ أن أمانة هذا شأنها لا بد وأن تكون عظيمة عظمة غيرَ متناهية ، وإنما حملها الإنسانُ لظلمه وجهله: (وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً). وكانت بداية طريقي بصحبة أهل ملتي ومن يتكلمون بلغتي وبكلماتي.

ففتحت لهم قلبي وأطلعتهم على الذي كتمته عن غيرهم ، وكانت المفاجأة الكبرى لي عندما تحول هؤلاء وما كنت أظن بهم سوى الخير إلي ذئاب وعقارب وحيات في جُثمان الإنس ، ليس سوى. وما صدَّقتُ فيهم الوشاة ، والله عزَّ وجلَّ ، يعلم. جمعني بهم اللقاء وتثبتُّ من الوشاية ومما يقال ، وذلك علي ألسنتهم هم فراجعتهم ، فلم ينكروا ، فصبرتُ وحلمتُ وفوضتُ أمري إلى الله واسترجعتُ وقلتُ جاهرًا شاديًا: حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا زلت أرددها إلى لحظتنا تلك ، وسوف أحيا أرددها إن شاء الله حتى ألقى الله ما دام في فمي لسان. من أجل هذه الاعتبارات وغيرها الكثير كانت قصائد: «نهاية الطريق» ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ويفعل ربي ما يشاء ، ولا يسأل ربنا عما يفعل وهم يسألون. وربي سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لبشر ممن خلق الخيرة. كانت قصائد: «نهاية الطريق» إشارات على الطريق ولافتات عليه لمن سلكه من بعدي ولمن سوف يسلكه إلى يوم القيامة: أكشف عبرها النقاب عن النفاق وأهله ، وأكشف الرياء والسُمعة والمفاخرة ، وأُبيّن للقوم حقيقة ما هم عليه ، وحقيقة ما كان ينبغي أن يكونوا عليه ، ولا أخاف في شيء من ذلك إلا الله ربي ورب السماوات والأرض رب العالمين ، ولا أبتغي من وراء ذلك إلا رضاه والجنة ، فلا أجرّح أحدًا ولا أذكر اسمًا ولا أنال من أحد. إنْ أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وإن أريد إلا بيان الحق قدر الذي أستطيعه فقط ، وإن أريد إلا إظهار حقائق أمور قد يُخْفَى معظم أحجامها على كثير من العامة والدهماء وسَواد الناس الأعظم. من أجل ذلك آثرتُ أنْ تكون القصائد كلها لُحْمة واحدة ونسيجاً موحداً لتخدم في أول المطاف وفي نهايته أمرًا واحدًا ألا وهو طريق الدعوة وسبيل المؤمنين ، فلم أعْنِ بالطريق أبدًا طريق العُشاق والمحبين كما قد يفهم البعض من عنوان الديوان ، ولكن أعني طريق كل مخبتٍ إلى ربه وموقن بلقائه وخائف من عذابه ، وراغب في نيل ثوابه وجنته ، إن مثل هذا الطريق يحتاج الكثير من القصائد ، وما كتبته وكتبه كذلك غيري من شعراء العقيدة ليس يعادلُ عُشر مِعشار ما ينبغي أن يكتب فيه وفي أهله وفي أعدائه طبعًا! هذا المقياس إذا وضعنا في الحسبان أنَّ شعراء الجاهلية المعاصرة لا يكفون أبدًا أبدًا عن الإفصاح عن هويتهم وكتابة الشعر القبيح الحقير الذي يندى لقراءته الجبين من كلام العشق المُسِف والدُعر الساقط الرديء الخبيث ، وكذلك شعراء المِلل والنِّحل من هنا وهناك من أصحاب العقائد المنحرفة عن سواء السبيل. وإنني بادئ ذي بدء أعتذر عن نزعة الحزن التي تغشى قصائد هذا الديوان ، وربما كانت هذه النزعة قاسماً مشتركاً في جُل ما كتبت من الشعر. والدكتور أحمد السعدي ينظر نظرتنا للحزن في مقال له يقول: (يتفق علماء الأصول على أنَّ شرعنا لم يقع به تكليف بما لا يُطاق ، فما لا قِبَلَ للمسلم بفعله لا يكون مأموراً به من الشارِعِ. و بناء على هذه القاعدة المتفق عليها نستطيع وبسهولة أن نقول: كل ما يقال عن عشق ممنوع وفرح مكروه وحزن واجب ونحو ذلك من أحكام تكليفية على العواطف البشرية أمر لا يصح في شرعة الله سبحانه. ذلك أنَّ الشعورَ انفعال لا قِبَلَ للمرء بدفعِهِ ، فكما أنَّ الإسلام لا ينهى عن الألم ولا يأمر باللذة لذاتهما ، كذلك لا ينهى عن الحزن ولا يأمر بالحبِّ لذاتهما. و كلُّ ما صورَتُهُ أمْرٌ بالعواطف و المشاعر فإنما المقصود منه المسببات أو المقدمات ونحو ذلك . فالأمر بحبِّ رسولِ الله صلى الله عليه و سلَّم ـ مثلاً ـ أمرٌ بما يُوصِلُ إليه ، وذلك مفهومٌ بالبداهة ؛ لأن الحبَّ ليس شيئاً يُفْعَلُ بمقدور الإنسان وإرادته المجرَّدة).هـ. وإذن فالحزن الذي يخيم على معظم قصائد هذا الديوان ليس مصطنعاً ولا متكلفاً! بل هو حزن طبيعي على أحوالي إن نظرتُ لنفسي! وحزن طبيعي إن أنا تجاوزت النظر إلى نفسي ، ونظرت إلى أحوال أمتي في مجموعها!

22 نهاية الطريق

زفراتُ العذراء الخجلى بين الغموض والبيان

(تزوجتْ أشيبَ راغبة ، ثم تطلعتْ للحرام. ولكن كيف وهي مؤمنة؟ فكانت زفراتُها لُغزًا من ألغاز النفس. فهل كان الخطأ خطأها أم خطأ الأشيب؟ قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً * يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ * وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) وقال: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ * وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا * إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِير) وقال: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ * أَفَلَا يَعْقِلُونَ) وقال: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا * وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ * وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ * إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ). وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا....) وقال: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا * وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ * وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون). ومن هنا كان عليه أن يرحم نفسه ويرحمها ويراعي مقتضى الحال! غير أنني تأثرتُ بالعروس أكثر!)

أَحَاسِيسٌ تُسَاوِرُنِي عِجَابُ ... وَقَلْبٌ فَوْقَ هَامَتِهِ الحِرَابُ

وَنَفْسٌ تَحْتَ مِطْرَقَةِ التَّدَنِّي ... وَذَاتٌ فِي جَوَانِحِهَا السَّرَابُ

وَرُوحٌ تَعْبُدُ الرَّحمَنَ صِدْقاً ... وَيعْصِمُهَا عَنِ العُهْرِ الكِتَابُ

وَعَاطِفَةٌ تُحَلِّلُ مَا تُلاقِي ... وَتَعْتِبُ ، ثَمَّ يطْعَنُهَا العِتَابُ

وَجِسْمٌ يشْتَهِي مِنْ كُلِّ شَيءٍ ... كَأَنَّ مُرَادَهُ شَهْدٌ مُذَابُ

وَعَينٌ تُبْصِرُ الشَّهَوات تَتْرَى ... ولا يُخْفِي مَكَامِنَهَا حِجَابُ

وَعَذْرَاءٌ تُحِبُّ الطُّهْرَ لَكِنْ ... تَدَاعَتْ حَوْلَ غُرْفَتِهَا الذِّئَابُ

تَبِيتُ اللّيلَ تَنْشُدُ شَطْرَ زَوْجٍ ... يُعَوِّضُهَا إِذَا نَبَحَ الكِلابُ

وَيُتْرِعُ عَيشَهَا وُدًّا وَحُبًّا ... ليهْجُرُهَا إِلَى الأَبَدِ العَذَابُ

مَتَى آوِي إِلَى زَوْجٍ أَلِيفٍ ... يوَدِّعُنِي إِذَا حَلَّ الضَّبَابُ؟

مَتَى ينْزَاحُ عَنْ قَلبِي غُمُوضٌ؟ ... مَتَى يا نَاسُ ينْقَشِعُ السَّحَابُ؟

لِمَاذَا تَحْطِمُ البَلْوَى طُمُوحِي ... وَيدْعُونِي إِلَى الدَّعْرِ الصِّحَابُ؟

لِمَاذَا لا أَرَى حَلاً لِلُغْزِي؟ ... أَمَا لِسُؤَالِ حَائِرَةٍ جَوَابُ؟

أَلا يوْمًا سَأَجهرُ بِالخَفَايَا ... وَسَوْفَ يُزَاحُ عَنْ جرْحِي النِّقَابُ

وَطَاعَةَ رَبِّيَ الرَّحْمَنِ أَوْلَى ... وَذَا حَقِّي ، وَلَو نَعَقَ الغُرَابُ

السُّمعة الدامية في دياجير التيه

(عندما تُلاك سُمعة بريء بألسنة حِدادٍ لا يرقب أصحابها في مُؤمن إلاًّ ولا ذمة ، فإن السمعة تئنّ وتبكي دمًا لا دموعًا. والغيبة والنميمة كبيرتان من كبائر الذنوب ، فالواجب الحذر من ذلك ، يقول الله سبحانه: (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) ، ويقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (رأيتُ ليلة أسري بي رجالاً لهم أظفار من نحاس يخدشون بها وجوههم وصدروهم ، فقلت: من هؤلاء؟ فقال جبريل: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم). هم أهل الغِيبة. ويُعرّف النبي الغِيبة بقوله: (ذكرك أخاك بما يكره). قيل: يا رسول الله إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته). فالغيبة في شريعتنا مُنكرة وكبيرة من كبائر الذنوب ، والنميمة أختها من الرضاعة ، يقول الله ـ جل وعلا ـ: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ*هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ). ويقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لا يدخل الجنة نمّام) ، ويقول بأنه رأى شخصين يعذبان في قبورهما ، وما يعذبان في كثير ، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة! فالواجب الحذر من مجالسة هؤلاء الذين يغتابون الناس ، ويعملون بالنميمة ، وإذا جلس المسلم معهم ، فلينكر عليهم ذلك ، ويحذرهم من مغبة ذلك ، وليخبرهم أن هذا لا يجوز ، وأنه منكر ، فإن تركوا وإلا فليقم عنهم ولا يجلس معهم ، ولا يشاركهم في الغيبة ، ولا في النميمة ، حتى لا يؤاخذ بجَريرتهم!)

تَعَـــاوَرَتِ الحِـــرَابُ مَـــعَ السُّـــيوفِ ... عَلَـــى رَجُـــلٍ عَـــنْ السُّـــوآى عَـــزُوفِ

فَوَاعَجَبًـــا تَـــدُورُ رَحَـــى المَنَايـــا ... عَلَـــى شَـــهْمٍ عَـــنِ الـــدُّنْيا عَفِيـــفِ!

ووااأَسَـــفِي عَلَـــى الخَلْـــقِ اسْـــتَبَدُّوا ... وَلاحَـــقَ كَيـــدُهُم عِـــرْضَ الشَّـــرِيفِ!

رَأَوْا فِـــي كُـــلِّ عِرْبِيـــدٍ هُمَامًـــا ... وَأَهْـــدَرَ ظَلْمُهُـــم حَـــقَّ الضَـــعِيفِ

وَأَمْسَـــى الجَـــوْرُ طَـــابَعَ كُـــلِّ حَـــيٍّ ... سِـــوَى مَـــنْ دَانَ بالـــدِّينِ الحَنِيـــفِ

فَحَقَّـــق مَـــا يرِيـــدُ اللهِ مِنـــهُ ... تَعَـــالَى اللهِ مِـــنْ رَبٍّ لَطِيـــفِ!

إِلَـــى الـــدِّينِ القَـــوِيمِ هَـــدَى أُنَاسًـــا ... فَعَاشُـــوا فِـــي تُقًـــى سَـــامٍ نَظِيـــفِ

وَبَعْـــدُ أَضَـــلَّ قَوْمًـــا عَـــنْ هُـــدَاهُ ... وَأَبْعَـــدَ عَـــنْهُمُ كُـــلَّ الصُّـــرُوفِ

وَأَغْـــدَقَ خَيـــرَهُ جَمًّـــا عَلَـــيهِم ... مِـــنَ النِّعْمَـــى حَـــوَى كُـــلَّ الصُّـــنُوفِ

فَلاكُـــوا العِـــرْضَ مَـــا الْتَزَمُـــوا بِشَـــرْعٍ ... وَفَجَّـــرَ لَـــوْكَهُم أَعْتَـــى نَزِيـــفِ

وَكَيـــدُ عُتُـــوِّهِمْ فِـــي الـــنَّفْسِ أَمْضَـــى ... يمِـــينَ اللهِ مِـــنْ وَقْـــعِ السُّـــيوفِ

دَيـــاجِيرُ التَّجَنِّـــي فِـــي البَرَايـــا ... تُمِيـــتُ الحَـــقِّ بِالكَـــذِبِ العَنِيـــفِ

وَتَمْحَـــقُ عِـــزَّةً يـــأوِي إِلَيهَـــا ... مُرِيـــدُ الحَـــقَّ فِـــي دُنْيـــا الزَّيـــوفِ

تَـــئِنُّ السُّـــمْعَةُ الشَّـــهْبَاءُ حُزْنًـــا ... وَيَنْفَعِـــلُ الجَـــوَى بَـــينَ الحُـــرُوفِ

عَلَـــى الأَعْـــرَاضِ تُهْتَـــكُ دُونَ حَـــقٍّ ... وَبَـــدْرُ الصِّـــدْقِ آذَنَ بِالخُسُـــوفِ

من ركام ظلمات القرن العشرين

(رأى الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو النساء بالبنطلونات فكتب أربعة أبيات ، جزء من ترجمتها: (هؤلاء النسوة حقًّاً منظرهن مخيف يلبسن أنابيب كالمداخن إنني لا أرضى بذلك). فماذا يرى المعاصرون في ظلمات القرن العشرين من النساء؟ وليكن معلوماً لكل المسلمين والمسلمات أن من خطايا النساء: خروجهن من بيوتهن فاتنات مفتونات على حال من التبرج بالزينة والطيب والتكشف وإظهار المفاتن والمخالطة الرجال ، والعُري البهيمي العجماوي السافر ، تسخط الله وتوجب غضبه وحلول نقمته ، والله يقول: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى). ويقول: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». رواه مسلم وغيره. ويُحَرّم خروج المرأة متزينة أو متعطرة إلى المسجد أو مجامع الناس: روى الإمام الدارمي في سننه عن أبي موسى: «أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فوجد القوم من ريحها ، فهي زانية ».)

رُوَيـــــدكَ صَـــــوْتُكَ هَـــــزَّ الحَيـــــاءْ ... فَهَـــــلْ سَـــــمِعَ القَـــــومُ هَـــــذَا النِّـــــدَاءْ؟

وَهَـــــل وَعَـــــتِ الجَاهِلِيـــــةَ مَـــــا ... جَهَـــــرْتَ بِـــــهِ فِـــــي خِضَـــــمِّ الغُثَـــــاءْ؟

تُخَالِفُنَـــــــا فِـــــــي عَقِيـــــــدَتِنَا ... وَفِـــــي دَارِنَـــــا ، ثُـــــمَّ تُزْجِـــــي الهِجَـــــاءْ

تُنَـــــدِّدُ بِـــــالعُهْرِ عَـــــمَّ الـــــوَرَى ... وَتَمْقُـــــتُ مَـــــا مَقَـــــتَ الأَتْقِيـــــاءْ

عَجِبْـــــتُ لِمَنْطِـــــقِ مَسْتَبْسِـــــلٍ ... يَثُـــــورُ لِمَـــــا قَـــــدْ أَتَتْـــــهُ النِّسَـــــاءْ

رُكَـــــامُ الضَّـــــلالِ غَـــــزَا أَرْضَـــــنَا ... وَقَـــــدْ غَـــــابَ عَـــــنْ خَافِقَيهَـــــا الضِّـــــيَاءْ

وَعَـــــمَّ الـــــدِّيارَ الفُجُـــــورُ الَّـــــذِي ... يُعَرْبِـــــدُ فِـــــي الـــــدَّارِ كَيـــــفَ يَشَـــــاءْ

ظَـــــلامٌ بَئِـــــيسٌ تَغَشَّـــــى الـــــوَرَى ... وَيُشْـــــهِرُ بِـــــالرَّغْمِ سَـــــيفَ العَـــــدَاءْ

لَـــــهُ جُعْبَتَـــــانِ لِمَـــــنْ صَـــــدَّهُ ... وَمَـــــنْ يَشْـــــتَهِيهِ وَلَـــــو بادِّعَـــــاءْ

سِـــــهَامُ الطَّواغِيـــــتِ فِـــــي جُعْبَـــــةٍ ... لِمَـــــنْ كَـــــانَ يَجْهَـــــرُ لَـــــوْ بِاسْـــــتِيَاءْ

وَأَمَّـــــا الَّـــــذِي بَـــــاعَ إِسْـــــلامَهُ ... فَجُعْبَتُـــــهُ أَتْرِعَـــــتْ بِالهَنَـــــاءْ

وَإِنِّـــــي لأَبْـــــرَأُ مِمَّـــــا أَرَى ... وَأَعْلِـــــنُ بُغْضِـــــي بِـــــدُونِ حَيَـــــاءْ

وَإِنَّ القَـــــرِيضَ لَيَشْـــــهَدُ لِـــــي ... وَبَعْـــــضُ الصِّـــــحَابِ غَـــــلاَ فِـــــي الثَّنَـــــاءْ

يُقِـــــرُّونَ بِالفِسْـــــقِ أَودَى بِنَـــــا ... إِلَـــــى أَنْ سَـــــرْبَلَتْنَا صُـــــنُوفُ الـــــبَلاَءْ

فَيَـــــا رَبِّ تُبْنَـــــا ، فَمَكِّـــــنْ لَنَـــــا ... عَسَـــــى اللهِ أَنْ يسْـــــتَجِيبَ الـــــدُّعَاءْ

الياسمينة

(أهدي هذه القصيدة لأم عبد الله. وأضمّخها بالياسمين عرفانًا بالجميل واعترافًا بالفضل. فأعتب تارةً ، وأشتكي تارةً أخرى من ألم الرحيل وعذاب الفراق ومحن البيْن. ألا إن الرحيل عذابٌ كله ، ولا يدرك ذلك إلا مَن ذاق لوعَة الرحيل. والذي يرحل عنه أولاده على رغم الأنف منه يتلظى بها أكثر. ويوم أن يكثُر الواشون وشاياتهم تزداد لوعةُ الرحيل أكثر. والياسَمين عطر جميل يُخففُ مِن لوعة الرحيل ، وأجملُ مِن ذلك أن تمتزجَ نضارةُ الياسمين بعذوبة الشعر! وعلى إثر رسالة أرسلتها لي أم عبد الله تعتبر الأولى بعد رحيلها أدركتُ كيف غير الوشاة قلبها وموازينها! والأصل أننا إذا تذكرنا الرحيل الأكبر (الموت) لما استهجنا الرحيل الأصغر! قال الخليفة عبد الملك بن مروان في مرض موته: ارفعوني ، فرفعوه حتى شم الهواء فقال:يا دنيا ما أطيبك! إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإن كنا بِك لفي غرور. وقيل له في مرض موته: كيف تجدك؟ فقال:أجدني كما قال الله: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ). وقال بعضهم: دخلنا على عطاء السلمي نعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقلنا له: كيف ترى حالك؟ فقال: الموت في عنقي ، والقبر بين يدي ، والقيامة موقفي ، وجسر جهنم طريقي ، ولا أدري ما يفعل بي ، ثم بكى.)

إيـــــهِ يـــــا أخْتِـــــي المَصُـــــونَةْ ... صَـــــابِرِي فَالصَّـــــبْرُ زِينَـــــةْ!

لَـــــمْ يعُـــــدْ لِلْعَـــــيشِ طَعْـــــمٌ ... فِـــــي تَلافِيـــــفِ الضَّـــــغِينَةْ

وَالإِبَـــــاءُ الحُـــــرُّ وَلّـــــى ... وَانْـــــزَوَى ينْعِـــــي خَدِينَـــــهْ

وَالحَيـــــاءُ العَـــــذْبُ يبْكِـــــي ... فِـــــي الـــــدُّجَى لَيـــــلَ السَّـــــكِينَةْ

وَانْـــــبِلاجُ الفَجْـــــرِ أَضْـــــحَى ... أَمْـــــرَ شَـــــكٍّ تُنْكِرِينَـــــهْ

بَـــــلْ أَنَـــــا المَقْتُـــــولُ غَـــــدْرًا ... فِـــــي الـــــدَّياجِيرِ اللّعِينَـــــةْ

إيـــــهِ ، يـــــا أُخْتَـــــاهُ رِفْقًـــــا ... وَانْظُـــــرِي نَفْسِـــــي الحَزِينَـــــةْ!

فِـــــي بِحَـــــارِ الشـــــوقِ مَاتَـــــتْ ... هَـــــذِهِ الـــــنَّفْسُ القَرِينَـــــةْ

ثُـــــمَّ رَاحَ المَـــــوْجُ يخْطُـــــو ... فَـــــوْقَ رُبَّـــــانِ السَّـــــفِينَةْ

وَالهُمَـــــامُ الشَّـــــهْمُ يرْنُـــــو ... لِلْيوَاقِيـــــتِ الحَنُونَـــــةْ

ضَـــــجَّ بالتَّـــــذْكَارِ عُمْـــــرًا ... إِذْ قَـــــلا الحَـــــادِي عَرِينَـــــهْ

كَيـــــفَ هَانَـــــتْ نَفْـــــسُ هَـــــذَا؟ ... كَيـــــفَ صَـــــارَ المَـــــوتُ دُونَـــــهْ؟

كَيـــــفَ قَـــــولِي لا تُبَـــــالِي ... صَـــــارَ زَوْجًـــــا تَجْهَلِينَـــــهْ؟

تَقْتُلِـــــينَ الشَّـــــوْقَ فِـــــي أَحْـــــ ... ـــــشَائِهِ ، بَـــــلْ تَقْتُلِينَـــــهْ

كُنْـــــتِ يوْمـــــاً نِعْـــــمَ زَوْجـــــاً ... كُنْـــــتِ بِـــــالتَّقْوَى مُعِينَـــــةْ

كُنْـــــتِ يوْمًـــــا نِعْـــــمَ خِـــــلاً ... كُنْـــــتِ يوْمًـــــا تَنْصَـــــحِينَهْ

كُنْـــــتِ فِـــــي دُنْيـــــاهُ نُـــــورًا ... كَـــــانَ دَمْعًـــــا تَذْرُفِينَـــــهْ

كَـــــانَ نَوْمـــــاً ، كَـــــانَ طَعْمـــــاً ... كَـــــانَ خَيـــــرًا تَحْمِلِينَـــــهْ

كَـــــانَ خِـــــلاّ ، كَـــــانَ زَوْجـــــاً ... كَـــــانَ رُوْحًـــــا تَأْلَفِينَـــــهْ

كَـــــانَ أمْسًـــــا ، كَـــــانَ يوْمـــــاً ... كَـــــانَ حُلْمًـــــا تَبْذِرِينَـــــهْ

كَـــــانَ فَرْحًـــــا ، كَـــــانَ شِـــــعْراً ... فِـــــي هُيـــــامٍ تَقْرَئِينَـــــهْ

كَـــــانَ جُرْحًـــــا ، كَـــــانَ شَـــــرْحاً ... كَـــــانَ نَبْتًـــــا تَزْرَعِينَـــــهْ

كَـــــانَ أهْـــــلاً ، كَـــــانَ سَـــــهْلاً ... كَـــــانَ كَوْنًـــــا تَعْلَمِينَـــــهْ

ثَـــــمَّ صَـــــارَ اليـــــوْمَ كَمًّـــــا ... مُهْمَـــــلاً لا تَعْرِفِينَـــــهْ!

أيـــــنَ عَهْـــــدُ الأمْـــــسِ زَوْجِـــــي ... صِـــــرْتُ زَوْجًـــــا تَكْرَهِينَـــــهْ؟

أيـــــنَ مَـــــا قَالَـــــتْ شِـــــفَاهٌ؟ ... أيـــــنَ عَبْـــــرَاتٌ سَـــــخِينَةْ؟

أيـــــنَ وَعْـــــدٌ قَبْـــــلَ وَعْـــــدٍ ... كُنْـــــتِ يوْمًـــــا تُظْهِرِينَـــــهْ؟

بُـــــحَّ صَـــــوْتِي مِـــــنْ بُكَـــــائِي ... وَانْمَحَـــــتْ ذَاتِـــــي المَتِينَـــــةْ

ضَـــــجَّ عَيشِـــــي مِـــــنْ عِتَـــــابِي ... مَاتَـــــتِ الـــــرُّوحُ المَصُـــــوْنَةْ

كَيـــــفَ هَـــــذَا الحَـــــالُ ســـــادتْ؟ ... أيـــــنَ أسْـــــوَارِي الحَصِـــــينَةْ؟

وَاحْتِمَـــــالِي لِلْمَنَايـــــا ... وَاصْـــــطِبَارِي تَعْرِفِينَـــــهْ

أضْـــــحَتِ الـــــنَّفْسُ تُعَـــــانِي ... فِـــــي أَسَـــــاهَا مُسْـــــتَكِينَةْ

إنَّنِـــــي أشْـــــكُو كَثِيـــــراً ... هَـــــذِهِ الـــــذَاتَ المَتِينَـــــةْ

كَيـــــفَ رَاحَـــــتْ تَحْتَـــــوِينِي ... هَـــــذِهِ الـــــذِكْرَى الطَّعِينَـــــةْ

وَالأسَـــــى فِـــــي القَلْـــــبِ يكْـــــوِي ... مِـــــنْ خِطَـــــابٍ تَكْتُبِينَـــــهْ

كُنْـــــتِ سَـــــيفًا لا يـــــدَاجِي ... فِـــــي فَـــــوَادِي تُشْـــــهِرِينَهْ

كُنْـــــتِ بِـــــالعَيشِ الَّـــــذِي ... وَلَـــــى وَجَـــــافَى مُسْـــــتَهِينَةْ

وَيـــــحَ قَلْبِـــــي مِـــــنْ فِـــــرَاقٍ! ... إنَّ رُوحِـــــي كَالسَّـــــجِينَةْ

كَيـــــفَ يـــــا رَبَّـــــاهُ تَحْيـــــا ... زَوْجَتِـــــي هَـــــذِي الرَّزِينَـــــةْ؟

ينْفُـــــثُ الشَّـــــيطَانُ سُـــــمًّا ... تَارِكًـــــا زَوْجِـــــي رَهِينَـــــةْ

أيـــــنَ يـــــا أخْتِـــــي حَنَـــــانٌ ... كُنْـــــتِ يومـــــاً تُظْهِرِينَـــــهْ؟
يهْتَـــــدِي بِـــــالنّورِ قَلْبِـــــي ... كَيـــــفَ يومـــــاً تُرْخِصِـــــينَهْ؟
ثُـــــمَّ أنّـــــتِ الآنَ دَوْمًـــــا ... لِلْبَرَايـــــا تَشْـــــتَكِينَهْ
تُشْـــــعِلِينَ النّـــــارَ عَمْـــــدًا ... هَـــــلْ وَفَـــــاءٌ تُحْرِقِينَـــــهْ؟
إنّنِـــــي ضَـــــمَّدْتُ قَلْبِـــــي ... بَاليوَاقِيـــــتِ الرَّصِـــــينَهْ
إنّنِـــــي بِـــــالعَزْمِ قَـــــدْ أثْـــــ ... ـــــقَلْتُهُ لا تَمْلَكِينَـــــهْ
ذَاكَ شِـــــعْرِي لَـــــيسَ يخْبُـــــو ... لَيسَـــــتِ التَّفْعِيـــــلُ دِينَـــــهْ
إنّمَـــــا أحْـــــزَانُ قَلْبِـــــي ... صُـــــغْتُهَا فِـــــي (الياسَـــــمِينَهْ)
إنّنِـــــي أمْضِـــــي أعَـــــانِي ... صِـــــدْقَ عَـــــزْمٍ تَعْهَدِينَـــــهْ
ذَاكَ شَـــــوْقِي قَـــــدْ تَنَـــــاءَى ... تَنْصِـــــبُ الـــــذِكْرَى كَمِينَـــــهْ
أيـــــنَ وَمْـــــضُ النّـــــورِ أخْتِـــــي؟ ... أيـــــنَ وَالآي المُبِينَـــــهْ؟
وَيـــــحَ قَلْبِـــــي مِـــــنْ شَـــــقَائِي! ... يَشْـــــتَكِي قَلْبِـــــي شُـــــجُونَهْ
مَـــــنْ يُلَبِّـــــي؟ مَـــــنْ يمِـــــيطَ السِـــــ ... ـــــتْرَ عَـــــنْ آهٍ دَفِينَـــــهْ؟
مَـــــنْ يُوَاسِـــــي؟ مَـــــنْ يُزِيـــــلَ الـــــ ... ـــــحُجْبَ عَـــــنْ جُـــــرْحٍ ثَخِينَـــــهْ؟
مَـــــنْ يقُـــــولَ الآنَ كَفّكِـــــفْ ... عَبْـــــرَةً هَـــــذِي ثَمِينَـــــهْ؟
إنَّ دَمْعًـــــا فِـــــي رَحِيـــــلٍ ... فِـــــي خِطَـــــابٍ تَطْلُبِينَـــــهْ
ذَاكَ أمْـــــرٌ لَـــــيسَ يُجْـــــدِي ... كَيـــــفَ – عَقْـــــلاً - تَرْغَبِينَـــــهْ؟
أنّ يـــــذُوقَ الحُـــــرُّ كَـــــأسَ الـــــ ... ـــــذُّلِّ قَهْـــــراً تَكْتُبِينَـــــه
ذَاكَ ظُلْـــــمٌ ، بَـــــلْ حَـــــرَامٌ ... كَيـــــفَ شَـــــرْعًا تَفْعَلِينَـــــهْ؟
مَـــــا سِـــــوَى مَـــــا قَـــــدْ كَتَبْـــــتِ الآ ... نَ يـــــؤْذِي يـــــا قَرِينَـــــهْ
فَاسْـــــمعِي لِلْجُـــــرْحِ جُرْحِـــــي ... تَقْرَئِـــــي مَـــــا تَشْـــــعُرِينَهْ
ثـــــم لا تُحْـــــري جوابـــــاً ... فـــــي وفـــــاءٍ تَصنعينـــــه
إنّنِـــــي أشْـــــكُو لِمَـــــاذَا ... كُـــــلُّ هَـــــذا يـــــا رَزِينَـــــهْ؟

جريدة الوحدة العربية في 1995/3/23م. الموافق22 من شوال1415هـ - (6789)

دموع الذكرى

(ابتهل الشاعر العباسي المعروف (العباس بن الأحنف) قائلاً يشكو الفراق ورحيل الأحبة:

أَرَى البَـينَ يشْـكُوه المُحِبُّـون كلهُـمُ فيـــا ربِّ قــرِّب دارَ كُــل حَبِيــبِ

أقول: إن الفراق فيه آلام وأوهام ، ومحن وإحن ، وعذابات وبلاءات ، لا يدركها إلا من عانى من الفراق. وإن الرحيل يخلف في نفس الراحل أسىً ، ويترك في نفوس من فارقهم حزنًا: (هذا إن كانوا فعلًا يحبونه). والذكريات تخفف من الألم نسبيًّا ، حيث يجد الإنسان فيها السلوى والعزاء. وأحلى الذكريات القريض. وأحلى القريض ما كان صادقا يخرج من القلب وترويه المشاعر!

وكنت قد فارقتُ الأحبابُ وفلذاتُ الأكباد والخلان ، وأصبحت فريسة للهواجس والأحزان ، وحاولت أن أتصبر وأتجلد ، ولكنَّ دموع الذكرى كانت أقوى مني ، والرجولة تأبى عليّ الجزع والهلع ، والإيمان نعمة كبيرة ، ومن يتصبر يصبره الله – تعالى - ومن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، والله المستعان على كل كرب. وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وإنما حاولتُ في هذه القصيدة أن أصوغ دموع الذكرى وآلامها شعراً! وواضح جداً أن آمالي وطموحاتي أكبر بكثير من عمري والله أعلم. وإن أخوف ما أخافه أن ينقضي العمر ولم أكن قد أنجزت عشر معشار ما أرجوه من هذه الحياة! ويهدد حياتي هاجس غريب أنني سوف آخذ معي جُل الذي كتبته معي إلى قبري! الأمر الذي يحدث لكثير من الشعراء منذ الأزل! ألا وإن الباعث على هذا الهاجس أن مئات القصائد لم تنشر إلى يومي هذا!)

أنَـــاجِي فِـــي الـــدَّياجِي ذِكْرَيـــاتِي وَأَسْـــكُبُ عَبْرَهَـــا فَحْـــوَى حَيـــاتِي

وَأَنْظُـــرُ عَـــنْ يمِينِـــي ، وَشِـــمَالِي وَأَمْعِـــنُ فِـــي التَّوَجُّـــعِ وَالشَّـــكَاةِ

وَأَرْقُـــدُ كَالقَتِيـــلِ عَلَـــى فِرَاشِـــي كَـــأَنَّ عَلَـــى الفِـــرَاشِ العَائِـــدَاتِ

وَأَرْقُـــبُ مِـــلءَ أَجْفَـــانِي سُـــهَادًا وَأَبْكِـــي فِـــي اللّيـــالِي ذِكْرَيـــاتِي

أَسَـــائِلُ فِـــي الـــوَرَى أيـــنَ حَيـــاتِي؟ فَـــلا خَبَـــرٌ هُنَالِـــكَ مِـــنْ عِـــدَاتِي

وَيهْـــرَبُ مِـــنْ أَمَـــامِي ضَـــوْءُ عَينِـــي فَـــأَنْكِرُ فِـــي المَهَـــاوِي أَمْنِيـــاتِي

وَأَكْـــتُمُ آهَتِـــي فِـــي جـــوف قَلْبِـــي كَـــأَنِّي مُولَـــعٌ بِتَأَوُّهَـــاتِي

وَآلَمَنِـــي بُكَـــائِي وَانْفِعَـــالِي وَأَنِّـــي مُفْعَـــمٌ بِتَحَسُّـــرَاتِي

أَخَبِّـــئُ فِـــي فُـــؤَادِي دَمْـــعَ رُوحِـــي وَتَعْصِـــفُ – بِالْمَطَـــامِحِ - أَمْسِـــياتِي

فَـــأَجْرِي خَلْـــفَ نَفْسِـــي لا أُبَـــالِي وَأَسْـــقُطُ فِـــي مَوَاخِيرِالرُّفَـــاتِ

وَكَـــمْ ضَـــلَّ الْهَـــوَى فِـــي الـــدَّربِ حَتَّـــى طَـــوَاهُ الـــوَهْمُ فِـــي ظِـــلِّ الإِمـــاتِ!

فَمَـــا اسْـــطَاعَ الفُـــؤَادُ لَـــهُ احْتِمَـــالاً ... وَعَـــانَى مِـــنْ تَهَاوِيـــلِ الشِّـــمَاتِ

وَلَـــمْ يطِـــقِ البَقَـــاءَ بِغَيـــرِ خِـــلٍّ ... وَلَـــمْ يصْـــبِرِ عَلَـــى أَلَـــمِ الثَّبَـــاتِ

إِذَا مَـــا الْمَـــرءُ عَـــانَى مِـــنْ فَـــرَاغٍ ... وَقَضَّـــى العُمْـــرَ فِـــي كَنَـــفِ المَـــوَاتِ

وَغَطَّـــى بِالـــدُّمُوعِ مُنَـــى بَقَـــاهُ ... وَبَـــالَغَ فِـــي التَّعَـــامِي والسُّـــكَاتِ

وَأَخْفَـــى فِـــي الـــوَرَى صِـــدْقَ التَّسَـــامِي ... وَأَظْهَـــرَ ذُلَـــهُ عِنْـــدَ الشَّـــتَاتِ

وَضَـــحَّى بِـــالنَّفِيسِ يرِيـــدُ حَـــلاّ ... وَأَبْـــدَى صَـــمْتَهُ عَبْـــرَ الحَتَـــاتِ

وَقَـــدَّمَ نَفْسَـــهُ يفْـــدِي الكسَـــالَى ... وَأَحْنَـــى ظَهْـــرَهُ أَكْـــلُ الفُتَـــاتِ

وَخَبَّـــأَ بِـــالثَرَى وَجْـــهَ التَّهَـــانِي ... وَأَمْضَـــى اللّيـــلَ فِـــي عَـــذْبِ السُّـــبَاتِ

سَـــتَطْوِيهِ الخُطُـــوبُ بِغَيـــرِ رِفْـــقٍ ... وَتَعْصِـــفُ بِالـــذَلِيلِ رَحَـــى الخَـــوَاتِ

وَتَـــذْرُوهُ الرِّيـــاحُ وَلا تُبَـــالِي ... وَيمْضِـــي فِـــي دَيـــاجِيرِ الفَـــوَاتِ

قِطَـــارُ العُمْـــرِ مَـــاضٍ لَـــيسَ يأسَـــى ... عَلَـــى المُسْـــتَهْزِئِينَ مِـــنَ المَـــوَاتِ

لَـــهُ فِـــي العَـــالَمِينَ دَلِيـــلُ سَـــيرٍ ... يـــدُلُّ عَلَـــى أَبَاطِيـــلِ النَّكَـــاتِ

وَإِنَّ النّـــاسَ فِـــي لَهْـــوٍ مُمِـــلٍّ ... وَآتٍ مَـــوْتُهُمْ إِصْـــرَ الفِـــلاتِ

فَخَبِّـــئْ ذِكْرَياتِـــكَ فِـــي الـــدَّياجِي ... وَحَـــاذِرْ مِـــنْ مُصَـــاحَبَةِ الهُفَـــاةِ

وَغَـــضَّ الطَّـــرْفَ عَـــنْ كَـــأسِ التَّـــدَنِّي ... وَلا تُعِـــرِ انْتِبَاهًـــا للغُفَـــاةِ

وَأَمْـــرُ اللهِ آتٍ لا يحَـــابِي ... سَـــوَاء فِـــي الضُّـــحَى أو فِـــي البَيـــاتِ

❁❁❁

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/6/26م. الاثنين 28 من محرم1416هـ.

عدد الوحدة العربية - في جريدة الوحدة رقم (6870)

بعض معاني الكلمات التي وردت في القصيدة

الإمات: جمع أمْت وهو المكان المرتفع. - **المَوات:** أي الذي لا روح فيه. - **السُّكات:** السكوت. - **الحَتات:** أي الجلبة والضجيج. - **الشِّمات:** أي الخائبون من الناس. - **الخَوات:** صوت الرعد. - **المَوات:** من مترادفات الموت في لغة العرب. - **الفِلات:** المراد المفاجأة ، ولما كانت المفاجأة تأتي بغتة ناسب في العربية أن ترادف مادة الانفلات التي تفيد مباغتة المفاجأة.

متشاعر أمام بريق المال

(كان شاعرًا محترمًا ، ثم تشاعر من أجل الدرهم فصار مستشعرا متشاعرًا مرذولاً. فكتبتُ له ولأمثاله من عبيد الدراهم هذه القصيدة. أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسولنا – صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض»! قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا» ، فقال رجل: أيأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي حتى ظننت أنه سينزل عليه ، ثم مسح النبي جبينه ، وقال: «أين السائل؟» ، فقال الرجل: ها أنا يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يأتي الخير بالشر ، لا يأتي الخير بالشر ، وإن هذا المال خضرةٌ حلوة ، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه ؛ فنعم المعونة هو ، ومن أخذه من غير حقه ؛ فهو كالذي يأكل ولا يشبع). أقول: لا ينبغي لصاحب المبدأ أن يحيد مهما كان!)

كَمْ سَفِيهٍ يضجُّ مِنْهُ القَرِيضُ! ... شِعْرُهُ مِنْ وَخْزِ النَّفَاقِ مَرِيضُ

بَاعَ بِالدِّينَارِ المَشَاعِرَ تَتْرَى ... لَيسَ فِيهَا مِنَ السَّجَايا وَمِيضُ

أَوَّلَ العَهْدِ بَاعَ بَيتًا فَبَيتًا ... وَالجِبَالُ هِي الحَصَى والقَضِيضُ

كَانَ بَدْرًا بَينَ البُدُورِ تَسَامَى ... فَتَدَنّى ، حَتَّى احْتَوَاهُ الحَضِيضُ

كَانَ نَسْرًا يجُوبُ كُلَّ فَضَاءٍ ... ثَمَّ أَوْدَى بِهِ الجَنَاحُ المَهِيضُ

ودّع اللّحْنَ ، والتَّرَانِيمُ بُحَّتْ ... وَانْبَرَى الصِّلُّ ، وَاسْتَقَالَ (الغَرِيضُ)!

ذَهَبَ المَالُ بِالمَعَالِي ، فَمَاتَتْ ... إِنَّ سَيفَ الدِّينَار سَيف عَضُوضُ

وَإِذَا بِالأَشْعَارِ لَفْظٌ وَشَكْلٌ ... دُوْنَ مَعْنًى بِهِ القَوَافِي تَفِيضُ

وَكَأَنَّ الأَجْرَاسَ غَابَ صَدَاهَا ... هَلْ أَتَاهَا مِنَ الرِّيَاءِ المَحِيضُ؟

فَهَوَتْ فِي قَاعِ النّشَازِ ، وَغَارَتْ ... وَنَعَاهَا لِلْمُنْشِدِينَ العَرُوضُ

وَغَدَتْ مِنْ كَرْبِ القَرِيضِ تُعَانِي ... أَثْخَنَتْهَا مِنَ الجِرَاحِ البِيضُ

تَعِسَ المَالُ ، كَمْ لَهُ مِنْ ضَحَايا! ... كَمْ لأَجْلِ المَالِ ضَاعَتْ فُرُوضُ!

وَالقَرِيضُ بِدُونِ صِدقٍ سَرَابٌ ... أو حَلِيبٌ مِنَ النِّفَاقِ مَخِيضُ

كَيفَ يحْيا بِالضِّدِّ والضِّدُّ عَبْدٌ؟ ... والنّقِيضُ لا يحْتَوِيهِ النّقِيضُ

كُلّ شِعْرٍ بِالصِّدقِ يُروَى فَيحْيا ... وَبِدُونِ الإِخْلاصِ شِعْرٌ بَغِيضُ

والقَرِيضُ الصَّدُوق لَيسَ يُبَارَى ... إِنّهُ شِعْرٌ طَيِّبٌ مُسْتَفِيضُ

الجميل الكئيب

(عندما لا يُقابل المعروف بالمعروف. ولا يُقابل الجميل بالإحسان ، يكتئبُ الجميل ويحزن المعروف. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: (اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء). رواه البخاري ومسلم. وعن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليسألني الشيء ، فأمنعه حتى تشفعوا فيه فتؤجروا). وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اشفعوا تؤجروا) النسائي وأبو داود. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره). قال أبو هريرة: (ما لي أراكم عنها معرضين ، والله لأرمين بها بين أكتافكم). الشيخان. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان). مسلم. ومن هنا جعلت من الإيمان! والأصل أن يرد المعروف والجميل بالمثل!)

ضَـــاقَ الْجَمِيـــلُ بِمَـــا الأَنْـــذَالُ قَـــدْ فَعَلُـــوا ... وَضَـــجَّ مِمَّـــا أَتَـــى الحُثَالَـــةُ السَّـــفَلُ

إِنِّـــي أُسَـــائِلُ مَـــنْ حَـــادُوا وَمَـــن جَحَـــدُوا ... فَضْـــلَ الكِـــرَامِ الأُلَـــى لِلْخَيـــرِ قَـــدْ عَمِلُـــوا

يـــا جَاحِـــدُونَ أَجِيبُـــوا عَـــنْ مُسَـــاءَلَتِي ... فِـــيمَ الْجُحُـــودُ ، وَهُـــم لِـــنَفْعِكُمْ بَـــذَلُوا؟

هُـــمُ الكِـــرَامُ ، وَأَنْـــتُم رَهْـــنُ خِسَّـــتِكُم ... لأَنَّهُـــمْ بِشَـــذَى المَعْـــرُوفِ مَـــا بَخِلُـــوا

كَـــمْ أَغْـــدَقُوا الخَيـــرَ فَـــوْقَ العِيـــرِ مُبْتَشِـــرًا ... وَذِي جَمَـــــائِلُهُم تَشْـــــكُو وَتَبتَهِـــــلُ!

إِذْ قَوبِلَـــتْ بِلَظَـــى النّكْـــرَانِ يحرقهـــا ... وَمُنْكِـــرُ الفَضْـــلِ مِـــنْ بَـــينِ الغُثَـــا رَجُـــلُ

طَاشَـــتْ مَـــوَازِينُ أَقْـــوَامٍ بِمَـــا كَسَـــبُوا ... فَلَـــمْ يعُـــدْ فِـــي الـــوَرَى يوْمًـــا لَهَـــا ثِقَـــلُ

حَتَّـــى رَأَيـــتُ الْجَمِيـــلَ العَـــذْبَ مُكْتَئِبًـــا ... وَكَـــانَ بِـــالأَمْسِ يشْـــدُو عِنْـــدَهُ الغَـــزَلُ

أَسْـــدَيتُهُ أَبْتَغِـــي وَجْـــهَ المَلِيـــكِ ، وَلَـــمْ ... أُرِدْ سِـــوَاهُ ، لِـــذَا سَـــمَا بِـــيَ الأَمَـــلُ

فَمَـــا نَـــدِمْتُ ، وَلا وَبَّخْـــتُ مَـــنْ عَقَـــرُوا ... رُوْحَ الـــوِدَادِ ، ولا قَرَّعْـــتُ مَـــنْ خَـــذَلُوا

وَلا أَلُـــومُ الأُلَـــى بَـــاعُوا عَلاقَتَنَـــا ... فَـــاللّومُ يُطْغِـــي الأُلَـــى فِـــي جَـــدِّهِمْ هَزَلُـــوا

أَنَـــا المَلُـــومُ ، وَأَسْـــتَحِقُّ مَـــا ارْتَكَبُـــوا ... وَيُضْـــرَبُ الآنَ بِـــي فِـــي الخَيبَـــةِ المَثَـــلُ

كَيـــفَ انْخَـــدَعْتُ بِأَلْفَـــاظٍ مُنَمَّقَـــةٍ ... فِيهَـــا النِّفَـــاقُ غَـــدَا تَـــذْرُّهُ الجُمَـــلُ؟

أَحْسَـــنْتُ ظَنِّـــي بِهِـــمْ ، وَهُـــمْ دَهَاقِنَـــةٌ ... يشْـــقَى الفُـــؤَادُ بِهِـــم ، وَتَكْثُـــرُ العِلَـــلُ

رَبَّـــاهُ عَـــوِّضْ طَعِينًـــا فِـــي صَـــحَابَتِهِ ... يـــا مَـــنْ عَلَيـــهِ - بِكُـــلِّ العَـــزْمِ - أَتَّكِـــلُ

ضريبة التصابي

(من أعجب ما علمت وطالعت قصة هذا الأشيب الذي قد فاق السبعين ، وتزوج بابنة العشرين بعد أن اشتراها من أبيها بالمال. ولم يكن يريد العفاف والتحصن - لتتحقق المودة والرحمة - بقدر ما كان يريد إرواء غريزته فقط. فهو العبث إذن ببنات الناس. فكابدتْ وأخذتْ تتطلع إلى سواه من أبناء عمرها. وكان على الأشيب المراهق أن يدفع فاتورة حساب التصابي! وعندنا حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تنتف الشيب فإنه نور المسلم ، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كتب الله له بها حسنة ورفعه بها درجة وحط عنه بها خطيئة). رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، ومن السنة تغيير الشيب بالحناء والحمرة والصفرة ونحوها ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم). رواه الجماعة. وعن أنس رضي الله عنه قال: (كنا نكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته). رواه مسلم. ولكن هذا لا يعني اللعب ببنات الناس وخداعهن باسم التصابي المكشوف!)

حَـــــلَّ المَشِـــــيبُ بِغُـــــدْوَةٍ وَرَوَاحِ ... فَـــــدهى الشَّـــــبَابَ وَصَـــــوْلَةَ الأَفْـــــرَاحِ

وإذَا التَّجَاعِيـــــدُ الكَئِيبَـــــةُ أَحْرَقَـــــتْ ... وَجْهًـــــا يُعَـــــانِي مِـــــنْ لَظَـــــى الأَتْـــــرَاحِ

وَالظَّهْـــــرُ عُرْجُـــــونٌ تَنَكَّبَـــــهُ الشَّـــــقَا ... وَعَلَـــــى الجَبِـــــينِ بَـــــدَتْ دِمَـــــاءُ جِـــــرَاحِ

وَالـــــرأسُ مِـــــنْ زَمَـــــنٍ كَمِثْـــــلِ ثَغَامَـــــةٍ ... كَاللَّيـــــلِ يخْنِقُـــــهُ سَـــــنَا الإِصْـــــبَاحِ

فِـــيمَ التَّصَـــابِي وَالمَشِـــيبُ جَنَـــى القُـــوَى ... وَمَضَـــى بِرَوْنَـــقِ بَأسِـــكَ الصَّـــدَّاحِ؟

لَعِبَـــــتْ بِعَقْلِـــــكَ غَـــــادَةٌ مَغْـــــرُورَةٌ ... حَتَّـــــى افْتَتَنْـــــتَ بِحُسْـــــنِهَا الوَضَّـــــاحِ

أَغْـــــرَاكَ ثَـــــوْبٌ تَرْتَدِيـــــهِ مُـــــزَرْكَشٌ ... وَطَغَـــــتْ عَلَيـــــكَ بِعِطْرِهَـــــا الفَـــــوَّاحِ

حَتَّـــــى رَأَيتُـــــكَ فِـــــي السَّـــــرَابِ ضَـــــحِيةً ... وَسِـــــلاحُهَا قَـــــدْ فَـــــاقَ كُـــــلَّ سِـــــلاحِ

وَتَـــــزَوَّجَ الشَّـــــيخُ المُسِـــــنُّ صَـــــبِيةً ... لِيُجِيـــــبَ هَـــــاجِسَ حُبِّـــــهِ المِلْحَـــــاحِ

وَإِذَا النّـــــوَادِرُ قَـــــدْ عَلَـــــتْ نَبَرَاتُهَـــــا ... وَالغِيـــــدُ بُحْـــــنَ بِخَـــــاطِرٍ لَمَّـــــاحِ

أَوَلَـــــيسَ أَشْـــــيبُنَا يُحَصِّـــــنُ فَرْجَـــــهُ؟ ... مَـــــا مِثْلُـــــهُ مِـــــنْ بَينِنَـــــا بِإِبَـــــاحِي

فَلِـــــمَ الإِدَانَـــــةُ ، وَالعَـــــرِيسُ وُقُودُهَـــــا؟ ... أَوَلَـــــيسَ لِلْتَشْـــــوِيشِ كَـــــبْحُ جِمَـــــاحِ؟

هَـــــذِي ضَـــــرِيبَةُ مَـــــنْ تَصَـــــابَى عَابِثًـــــا ... إِنَّ التَّصَـــــابِيَ مَعْقِـــــرُ الأَرْوَاحِ

فَلْيأْخُـــــذِ الأَشْـــــياخُ دَرْسًـــــا قَاسِـــــيًا ... وَرُمُـــــوزُهُ فِـــــي غَايـــــةِ الإِفْصَـــــاحِ

وَلِكُـــــلِّ عُمْـــــرٍ حُكْمُـــــهُ وَرِدَاؤُهُ ... طَبْعًـــــا ، وَإِنْ نَاقَشْـــــتَ كُـــــلَّ مُبَـــــاحِ

تغريدة في هجير الضياع

(حاولتْ أن تنتشل زوجها من قاع الرذيلة وشلة الوهم والضياع. ولكن بعد فوات الأوان. فكتبتُ على لسانها وهي تنصح لزوجها بالمعروف والحسنى ، وتناشده العودة إلى عش الزوجية الوارف الظلال! وهذه اليمنية فاطمة حسن (85 عامًا) رفضت الزواج منذ أن كان عمرها 15 عامًا ؛ لكونها تزوجت باليمني سعيد أحمد من أهالي مدينة الحُدَيدة - غربي اليمن ، وعاشت معه يومًا واحدًافقط ؛ لينتقل بعد ذلك إلى ربه بسبب غرقه في البحر وهي برفقته قبل 70 عامًا. ونقلت صحيفة الرأي الكويتية ، عن فاطمة: أنها رفضت كل العُروض للزواج بها وفاءً لوعدٍ قطعته على نفسها أمام عريسها قبل أن ينزل للسباحة بنصف الساعة ، وقبل أن يبتلعه البحر. وأضافت فاطمة أن البحر كان هائجاً ، وأنه قال لها سأنزل أسبح ، لكنها رفضت ذلك وقالت له البحر ليس مستقراً ، فرد عليها أنا متعود. ثم أضاف قائلاً لها مازحاً: أهم شيء تعديني أن لا تتزوجي من بعدي إن ابتلعني البحر ، فقالت له: والله لا ولن أتزوج من بعدك حتى لو تركتني أنت وطلقتني. والحقيقة أنها كانت جادة بكل ما تحمله الكلمة من معان! ومحال أن يكون مثل هذا في زماننا! وفعلت! وبقطع النظر عن جواز ذلك أو عدم جوازه ، لكنها وفت وبقيت بلا زواج وفاء لزوجها!)

رُوْحِـــي الفِـــدَاءُ ، فَعُـــدْ لَنَـــا يـــامَوْئِلِي ... وَكَفَـــى نُـــزُولاً لِلْحَضِـــيضِ الأَسْـــفَلِ

أَقْصِـــرْ ، فَنِصْـــفُ العُمْـــرِ وَلّـــى مُـــدْبِرًا ... إِنَّ اتِّبَـــاعَ الشَّـــرْعِ أَمْنَـــعُ مَعْقِـــلِ

دَعْ عَنْـــكَ مَـــا فَرَّطْـــتَ فِـــي تَطْبِيقِـــهِ ... مِـــنْ أَمْـــرِ رَبِّـــكَ فِـــي الزَّمَـــانِ الأَوَّلِ

وَدَعِ النَّـــدَامَى وَالسُّـــكَارَى والهَـــوَى ... وَاحْمِـــلْ كَلامِـــي اليـــوْمَ أَجْمَـــلَ مَحْمَـــلِ

إِنَّ النَّصِـــيحَةَ دَيـــدَنِي وَطَبِيعَتِـــي ... فَاسْـــمَعْ هُـــدِيتَ نَصِـــيحَتِي ، وَتَأَمَّـــلِ

إِنَّ الرِّفَـــاقَ عَلَـــى ضَـــياعِكَ أَجْمَعُـــوا ... لِيكُـــوْنَ عَيشُـــكَ مِثْـــلَ لَيـــلٍ أَلْيـــلِ

لَيسُـــوا بِشَـــيءٍ كَـــي نَقُـــوْلَ: عَلَـــى الهُـــدَى ... بَـــلْ شـــلّةٌ فَجَـــرَتْ ، وَأَخْبَـــثُ جَحْفَـــلِ

وَحَيـــاتُهُم كَـــأسٌ يلِيـــهِ مُخَـــدِّرٌ ... وَزِنَـــا يَـــرُوْجُ ، وَفِتْنَـــةٌ لا تَنْجَلِـــي

زَوْجِـــي الحَبِيـــب أَلا انْتَبِـــهْ لِشَـــقَائِهِم ... فَلَكَـــمْ طَعِنْـــتَ مِـــنَ العِـــدَا فِـــي مَقْتَـــلِ!

حَتَّـــى مَتَـــى كَيـــدٌ يـــرُوْحُ وَيغْتَـــدِي؟ ... وَإِلَـــى مَتَـــى حِيـــلٌ عَلَينَـــا تَنْطَلِـــي؟

أَعَجِـــزْتَ أَنْ تَحْيـــا تَقِيًّـــا مُؤمِنًـــاً ... يهْفُـــو إِلَـــى الجَنّـــاتِ أَكْـــرَمِ مَنْـــزِلِ؟

فَاعْمَـــلْ لَهَـــا لِتَكُـــوْنَ مِـــنْ أَصْـــحَابِهَا ... وَالأَمْـــرُ لَـــيسَ إِذَا اعْتَبَـــرْتَ بِمُعْضِـــلِ

تَغْرِيـــدَتِي هَـــذِي بِدَايـــةَ سَـــعْدِنَا ... وَهـــي السَّـــبِيل لِنُصْـــرَةِ المُسْـــتَقْبَلِ

هِـــي ظَلّـــةٌ تَمْحُـــو الهَجِيـــرَ ، فَجَازِهَـــا ... خَيـــرَ الجَـــزَا ، وَهِـــي الصَّـــبَاحُ المُنْجَلِـــي

لَفَـــحَ الضَّـــياعُ حَياتَنَـــا وَعِيالَنَـــا ... يـــا صَـــاحِ تُـــبْ ، وَعَلَـــى المَلِيـــكِ تَوَكّـــلِ

مصرع الحسد

(قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه البخاري ومسلم: «إيَّاكُم والظَّنَّ ، فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَديثِ. ولا تَحَسَّسُوا ولا تَجَسَّسُوا ولا تَنَافَسُوا ولا تَحَاسَدُوا ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا. وكونُوا عِبَاد الله إخوانًا كَمَا أمرَكُمْ. المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ ولا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى ها هُنَا ، التَّقْوَى ها هُنَا (ويشير إلى صدره) ، بَحْسب امْرِئٍ مِنَ الشَّرِ أنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسلِم. كُلُّ المُسْلِم على المُسْلِم حَرَامٌ دَمُهُ وعِرْضُهُ ومَالُهُ. إنَّ الله لا يَنْظُرُ إلى أجْسَادِكُم ولا إلى صُورِكم ولكن يَنْظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم». إن هذا الحديث جامع في ذم الحسد. والحقيقة اليقينية أنه ما عانى مجتمع على الأرض أكثر ما عانى من الحسد ، والذي منع إبليس من السجود لآدم هو الحسد ، ولو كان شيء سابق القدر لكانت عينُ الحاسد ، ألا وإن العين حق ، أدخلتِ الرجلَ القبر ، وأدخلتِ الجملَ القِدْر ، كما أخبر المصطفى (صلى الله عليه وسلم). وأسأل: لماذا الحسد والقسمة قسمة الله تعالى؟! لماذا الحقد والعطية عطية الله والبسط بسطه؟!)

نَـــارُ الحَسُـــوْدِ زَكَـــتْ فِـــي الـــدَّرْبِ تَشْـــتَعِلُ ... وَالحَـــقُّ فَـــوْقَ اللّظَـــى يطْفُـــو وَيَنْفَعِـــلُ

وَالنّـــاسُ مُحْتَضِـــرٌ ، أوْ فِـــي الأَسَـــى حُبِسَـــتْ ... أنّاتُـــهُ أرَقَـــاً ، أوْ فِـــي العَنَـــا وَجِـــلُ

لَكِنّمَـــا أمَـــلٌ فِـــي القَلْـــبِ يُسْـــعِدُنِي ... هَـــلا دَرَيـــتُم إذْنْ مَـــا ذَلِـــكَ الأمَـــلُ؟

إنَّ الحَسُـــوْدَ وَإنْ طَالَـــتْ سُـــلامَتُهُ ... لا بُـــدَّ فِـــي نَـــارِهِ يُطْـــوَى وَيشْـــتَعِلُ

فَالْغِـــلُّ حَارِقُـــهُ يوْمًـــا وَقَاتِلُـــهُ ... كَـــمْ ذَا رَأينَـــا الأَسَـــى فِـــي الغِـــلِّ يعْتَمِـــلُ!

أمَّـــا اللّئِـــيمُ فَلَـــنْ تَلْقَـــى لَـــهُ أمَـــلاً ... إلاّ وَقَـــدْ شَـــابَهُ الإفْـــلاسُ وَالخَلَـــلُ

جَرَّبْـــتُ مَـــنْ حَسَـــدُوا دَهْـــرًا وَمَـــنْ حَقَـــدُوا ... وَالقَلْـــبُ مِـــنْ فِعْلِهِـــم أوْدَى بِـــهِ الخَطَـــلُ

وَالعَـــينُ قَاتِلَـــةٌ ، وَاللهِ صَـــارِفُهَا ... لَكِنّمَـــا قَـــدَرٌ ، وَالمَوْعِـــدُ الأجَـــلُ

كَـــمْ ذَا اتَّقَيـــتُ ، وَلَـــمْ تَنْفَـــعْ مُحَـــاوَلَتِي! ... فَـــالعَينُ إنْ نَزَلَـــتْ لا تَنْفَـــعُ الحِيَـــلُ

إنْ شِـــئْتَ عَيشًـــا رَغِيـــدًا دُوْنَمَـــا حَسَـــدٍ ... لا تَتَّخِـــذْ حَاسِـــدًا خِـــلاً ، فَـــذَا خَبَـــلُ

لا يسْـــلَمُ المَـــرْءُ مِـــنْ عَـــينِ الحَسُـــودِ وَإنْ ... حَـــلَّ الكُهُـــوْفَ وَأضْـــحَى بَيتَـــهُ الجَبَـــلُ

وَاللهِ مُـــوْهِنُ كَيـــدِ الحَاسِـــدِينَ لَنَـــا ... وَحَسْـــبُنَا اللهُ مَـــنْ عَلَيـــهِ نَتَّكِـــلُ

❁❁❁

جريدة الوحدة العربية في يوم 1996/1/4م.

يوم الخميس12 من شعبان 1416هـ

عدد جريدة الوحدة العربية (7030).

كسوف الشمس

يقول الله -عزَّ وجلَّ -: (وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ).

إن شمس الهداية أشبه ما تكون بشمس الدنيا. فشمس الهداية تمحو ظلمات الضلال وحنادس الباطل ودياجير الكفر وغياهب العصيان. وكذلك شمس الدنيا التي في السماء تمحو الظلام الدامس فتنير الدنيا. عجيبٌ أنْ يصيبَ الشمسَ الكُسُوفُ الرهيبُ المذهل ، والناسُ لا تشعر ، وأعجبُ منه أنهم إذا شعروا ما جأروا وما استغاثوا وما استكانوا وما تضرعوا لربهم. ولقد أشرقتِ الشمس ذات يومٍ على جيلٍ مضى. واليوم تُشْرِقُ على جيلٍ حاضر فهل الشمسُ ذاتُ الشمسِ ، وهلِ الْجيل عَينُ الجيل وهلِ الْإشراقُ نفسُ الإشراق؟ والله لقد صدق من قال يرثي لحال الأمة وأهلها ويبكي لما أصابها من محن وكوارث أودت بها: (أما الخيام فإنها كخيامهم * لكن نساء الحي غير نسائها)! وعسى الله أن يأتي بالفتح لأمتنا هذي! وساعتها سيندمُ أهل الباطل أنهم ما كانوا مع المؤمنين في صراعهم ضد الباطل!)

يـــا شَـــمْسُ مَـــا هَـــذَا الكُسُـــوفْ ... فِـــي مَفْـــرِقِ الـــوَهْمِ الأَسِـــيفْ؟!

حَتَّـــى مَتَـــى يـــا شَمْسَـــنَا ... تَـــأوِي إِلَـــى الشِّـــعْرِ الرَّهِيـــفْ؟!

قَـــدْ غَـــابَ حَـــقٌّ ، وَاخْتَفَـــى ... خَلْـــفَ المَهَـــاوِي والـــدُّفُوفْ

نُـــوْرُ الـــدَّيَاجِي عَمَّنَـــا ... رُغْـــمَ الأَيـــادِي والأَنُـــوفْ

كَانَـــتْ لَنَـــا إِشْـــرَاقَةً ... وَاليـــوْمَ غَشَّـــاهَا الكُسُـــوفْ

مِـــنْ صُـــنْعِ مَـــنْ هَـــذَا الكَـــرَى ... يـــا شَـــمْسُ يـــا عِـــزِّي العَفِيـــفْ؟

غَـــابَ الضُّـــحَى ، وأتـــى الـــدُّجَى ... وَالْـــوَهمُ عَـــاتٍ والسُّـــيوفْ

وَالـــدَّارُ عَجَّـــتْ بِالعِـــدَا ... والظُّلْـــمُ يجْتَـــاحُ الضَّـــعِيفْ

حَتَّـــى مَتَـــى قَـــيحُ الأَسَـــى ... يطْفُـــو عَلَـــى الظِّـــلِّ الشَّـــرِيفْ؟

قَـــدْ زَاحَـــمَ النّـــوْمُ الهُـــدَى ... فَـــوْقَ الزَّوَايـــا وَالرُّفُـــوفْ

يرْثَـــو الهُـــدَى أَنْصَـــارَهُ ... يشْـــكُو الرَّزَايـــا وَالصُّـــرُوفْ

يـــا شَـــمْسُ لا خَـــوْفٌ عَلَـــى ... إِشْـــرَاقِكِ السَّـــامِي المُنِيـــفْ

❁❁❁

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/11/25م. السبت3 من رجب 1416هـ
في عدد جريدة الوحدة العربية (6998)

دعوة إلى التأمل

(يقول الله: (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض). (وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟). (أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ). وإذن فنحن مأمورون بالتأمل. « هناك حقيقة لا بد من ذكرها في مستهل هذه القصيدة. هذه الحقيقة سوف تُعين القَارئَ على فهْم المراد. إنَّ «أنا» لا تتأمل لشيطان ، وإنَّ شخصيةً لا تتأمل لميتة ، وإنَّ إنسانًا لا يتأمل لخواء ، وإن وُجدانًا لا يتأمل لعقيم ، وإنَّ خاطرًا لا يتأمل لرماد ، وإنَّ إحساسًا لا يتأمل لبلادة ، وإن عاطفة لا تتأمل لقسوة ، وإنَّ شعورًا لا يتأمل لفظاظة ، وإنَّ كِيانًا لا يتأمل لعَـدَم ، وإنَّ تفكيرًا لا يتأمل لخيـال ، وإنَّ فؤادًا لا يتأمل لحجر ، وإنَّ بصيرةً لا تتأملُ لضَياع ، وإنَّ بصرًا لا يتأمل لفراغ ، وإن عينًا لا تتأمل لعَمي ، وإنَّ سمْعًا لا يتأمل لصمَم ، وإنَّ قلبًا لا يتأمل لهواء ، وإنَّ عقلاً لا يتأمل لركام ، وإنَّ روحًا لا تتأمل لصخر ، وإنَّ نفسًا لا تتأمل لسراب ، وإنَّ ضَميرًا لا يتأملُ لهشيم.)

مَتِّـــعِ الـــنّفْسَ وَزِدْ فِـــي النّقَـــلِ ... وفُـــقَ شَـــرْعِ الله ، ثُـــمَّ ابْتَهِـــلِ

نَـــاظِرِ الأكْـــوَانَ ، سَـــبِّحْ رَبَّهَـــا ... أنْـــتَ مَنْسُـــوبٌ لِخَيـــرِ المِلَـــلِ

أنْظُـــرِ الأفْـــلاكَ فِـــي جَـــوْفِ السَّـــمَا ... كَيـــفَ تَجْـــرِي تَزْدَهِـــي فِـــي الحُلَـــلِ؟

وَارْقَـــبِ الأسْـــمَاكَ فِـــي نَهْـــرٍ جَـــرَى ... كَيـــفَ تَجْـــرِي سَـــاجِياتِ الغَـــزَلِ؟

مَـــازِحِ البَـــدْرَ الضَّـــحُوكَ ثَغْـــرُهُ ... وَامْـــنَحِ النّظْـــرَةَ بَعْـــضَ الوَجَـــلِ

دَاعِـــبِ الأشْـــجَارَ ، نَـــمْ فِـــي ظِلّهَـــا ... إنَّ ظِـــلَّ الـــدَّوْحِ بَعْـــضُ الأمَـــلِ

اِصْـــغِ لِلأمْـــوَاجِ ، غَـــازِلْ طَيفَهَـــا ... لا تَخَـــفْ مِنْهَـــا غَزِيـــرَ البَلَـــلِ!

وَارْمُـــقِ الطّيـــرَ البَـــدِيعَ سِـــرْبُهُ ... تَلْقَـــهُ عِطْـــرًا ، بِكُـــلِّ السُّـــبُلِ

صَـــافِحِ الشُّـــطْآنَ ، هَـــذَا ظِلّهَـــا ... يمْـــنَحُ النّشْـــوَةَ قَلْـــبَ الطّلَـــلِ

وَافْتَكِـــرْ فِـــي رَفْـــعِ رَبِّـــي للسَّـــمَا ... هَـــلْ تَـــرَى مِـــنْ فُرْجَـــةٍ أوْ خَلَـــلِ؟

ثُـــمَّ فِـــي هَـــذِي الرَّوَابِـــي سَـــبِّحَتْ ... وَاخْضِـــرَارِ الـــرَّوْضِ تَحْـــتَ الأسَـــلِ

وَابْتِسَـــامِ الشَّـــمْسِ فِـــي وَقْـــتِ الضُّـــحَى ... لَـــيسَ يُبْقِـــي فِـــي النّهَـــا مِـــنْ كَسَـــلِ

قِـــفْ حِيـــالَ الكَـــوْنِ وَارْقَـــبْ مَـــا حَـــوَى ... أزْهُـــرٌ تَحْيـــا بِـــرَأسِ الجَبَـــلِ

وَخَيـــالٌ يحْتَسِـــي نُـــوْرَ الهَـــوَى ... عَاشِـــقٌ يصْـــغِي لِصَـــوْتِ الخُطَـــلِ

وَجَمَـــالٌ يسْـــتَقِي ضِـــحْكَ الـــدُّنَا ... هَـــائِمٌ مِـــنْ قَلْبِـــهِ وَالمُقَـــلِ

وَصَـــفَاءٌ يرْتَـــوِي مِـــنْ دَوْحَـــةٍ ... نَـــاعِسٌ فِـــي حِضْـــنِهَا كَالحَمَـــلِ

وَهَـــوَاءٌ بَاسِـــمُ الثَّغْـــرِ غَـــدَا ... حَـــالِمَ الـــرِّيشِ كَمِثْـــلِ الحَجَـــلِ

وَنَسِـــيمٌ شَـــاقَهُ لَحْـــظَ النّـــوَى ... طَيّـــبُ الحُسْـــنِ نَـــدِي العَبَـــلِ

وَأَصِـــيلٌ ضَـــاحِكُ العِطْـــرِ دَنَـــا! ... رَائِـــعُ الحُـــبِّ كَبَحْـــرِ الرَّمَـــلِ!

وَنَهَـــارٌ يمْـــلأُ الـــنّفْسَ هَنَـــا ... طَيّـــبُ الـــذِّوْقِ كَمِثْـــلِ العَسَـــلِ

ثُـــمَّ يـــأتِي اللّيـــلُ يجْتَـــاحُ العَنَـــا ... دَاكِـــنَ الثَّـــوْبِ شَـــدِيدَ الـــذُهَلِ

ويـــواتي الفَجْـــرُ لَمَّـــاحَ الضِّـــيا ... يحْمِـــلُ الـــزَّادَ بَطِـــيءَ الخَجَـــلِ

وَسِـــنِي العُمْـــرِ تَمْضِـــي ، وَالسَّـــنَا ... مِثْلَمَـــا يمْضِـــي سَـــرَابُ الوَشَـــلِ

أَوْ كَنَبْـــتٍ شَـــبَّ فِـــي حِضْـــنِ الرُّبَـــا ... غَـــابَ عَنْـــهُ الشَّـــيبُ خَلْـــفَ القَبَـــلِ

غَـــابَ وَحْـــي الله ، ضَـــاعَتْ أُمَّـــةٌ ... فَتَأَمَّـــلْ فِـــي سَـــرَابِ النّقَـــلِ

فَـــوْقَ شَـــوْكِ الـــوَهْمِ سَـــارَتْ أُمَّتِـــي ... وَي كَـــأَنْ لَـــمْ تَعْتَبِـــر بالعُضَـــلِ!

فَتَأَمَّـــلْ فِـــي الـــوَرَى أَوْضَـــاعَهَا ... تَلْقَهَـــا نَـــاءَتْ بِعِـــبءٍ دَخِـــلِ

أَنْـــتَ مَخْلُـــوقٌ بِعَـــينٍ كَـــي تَـــرَى ... لَسْـــتَ فِـــي الـــدُّنْيا كَمِثْـــلِ الهَمَـــلِ

فَـــانْظُرِ العُمْـــرَ الّـــذِي وَلّـــى سُـــدَىً ... فِـــي كُهُـــوفِ الطّيـــفِ أَوْ فِـــي القَلَـــلِ

كُنْـــتَ فِـــي جَـــوْفِ الحَنَايـــا نُطْفَـــةً ... فَجَنِينـــاً نابضـــاً ذَا نُبُـــلِ

صِـــرْتَ طِفْـــلاً فَغُلامًـــا يافِعًـــا ... فَشَـــبَابًا ، يـــا لَـــهُ مِـــنْ رَجُـــلِ!

كَيـــفَ تَنْسَـــى عُمْـــرَكَ الرَّاحِـــلَ قَـــل؟ ... وَدِّعِ الأَمْـــسَ بِكُـــلِّ القُبَـــلِ

أَنْـــتَ مَخْلُـــوقٌ لأَسْـــمَى غَايـــةٍ ... تَعْبُـــدُ الـــرَّحْمَنَ حَتَّـــى الأَجَـــلِ

فَانشُـــدِ الـــذِّكْرَى بِكَـــوْنٍ نَـــاطِقٍ ... لامِـــعِ النّشْـــوَى كَبَـــرْقِ الخَضَـــلِ

وَتَأَمَّـــلْ فِـــي ينَـــابِيعِ الهُـــدَى ... فَهْـــيَ نُـــوْرٌ، مَـــا بِهَـــا مِـــنْ طَفَـــلِ

إِنّمَـــا الكَـــوْنُ كِتَـــابٌ مُشْـــرِقٌ ... فَتَأَمَّـــلْ تَنْـــفِ بَعْـــضَ الـــدَّخَلِ

وَكَـــذَا القُـــرآنُ فَـــانْظُرْ آيـــهُ ... تَجِـــدِ الفُرْقَـــانَ غَـــضَّ الرَّتَـــلِ

وَكِتَـــابُ الكَـــوْنِ بَـــرَّاقُ السَّـــنَا ... وَكِتَـــابُ الله عَـــذْبُ الأُكُـــلِ

خَلَـــقَ المَـــوْلَى بِحَـــقٍّ كَوْنَـــهُ ... ثُـــمَّ أَوْحَـــى الـــذِّكْرَ خَيـــرَ الرُّسُـــلِ

لا غِنَـــى لِلْكَـــوْنِ عَـــنْ قُرآنِـــهِ ... ذَلِـــكَ المَعْـــرُوْفُ مُنْـــذُ الأَزَلِ

فَكِتَـــابُ الكَـــوْنِ مُحْتَـــاجٌ إِلَـــى ... مَـــا حَـــوَى القُـــرآنُ للمُمْتَثِـــلِ

فِيـــــهِ التَّشْـــــرِيعُ عَـــــذْبًا سَـــــائِغًا! لَـــــذَّةً تَشْـــــفِي جَـــــوَى المُنْتَهِـــــلِ

وَبِـــــهِ التَّـــــارِيخُ دُرًّا نَاصِـــــعًا وَبِـــــهِ الأَنْبَـــــاءُ ذَاتُ المُثَـــــلِ

وَبِـــــهِ الـــــذِّكْرَى كَحِيـــــلٌ طَرْفُهَـــــا إِثْمَـــــدُ التَّـــــذْكِيرِ فَـــــوْقَ الكَحَـــــلِ

وَبِـــــهِ الجَنَـــــاتُ تُـــــوْوِي أَهْلَهَـــــا وَبِـــــهِ النِّيـــــرَانُ مَثْـــــوَى الجُعَـــــلِ

وَبِـــــهِ أَخْبَـــــارُ مَـــــنْ ذَا يهْتَـــــدِي وَبِـــــهِ أَخْبَـــــارُ أَهْـــــلِ الـــــدَّجَلِ

وَبِـــــهِ الأَرضُ جَمِيعًـــــا وَالسَّـــــمَا لا مِـــــرا فِيـــــهِ لأَهْـــــلِ الجَـــــدَلِ

إِنَّـــــهُ القُـــــرآنُ هَـــــدْيٌ (أَحْمَـــــدٍ) مَنْهَـــــلُ التَّقْـــــوَى وَيَنْبُـــــعُ الأَولِ

تَغْـــــدُ قُرآنًـــــا إِذَا طَبَّقْتَـــــهُ صِـــــرْتَ فِينَـــــا الشَّـــــهْمَ خَيـــــرَ المَثَـــــلِ

دَعْـــــوَةٌ هَـــــذِي لأَسْـــــنَى نَظْـــــرَةٍ فِـــــي كَـــــلامِ اللهِ ، هَيـــــا امْتَثِـــــلِ

ثُـــــمَّ فِـــــي قَـــــوْلِ النَّبِـــــي المُصْـــــطَفَى خَيـــــرِ مَخْلُـــــوقٍ ، وَتَـــــاجِ الرُّسُـــــلِ

ثُـــــمَّ فِـــــي كَـــــوْنِ الإِلَـــــهِ نَظْـــــرَةٌ تَـــــدْفَعُ الإِنْسَـــــانَ نَحْـــــوَ العَمَـــــلِ

لَـــــيسَ تُبْقِـــــي الـــــنَّفْسَ فِـــــي زلاّتِهَـــــا وَتقَـــــي المَخْلُـــــوقَ سُـــــوءَ الـــــدَّغَلِ

تَخْلَـــــعُ الأَوْبَـــــاشَ مِـــــنْ قَلْـــــبِ الفَتَـــــى كَيـــــفَ يهْـــــوَى المَـــــرْءُ أَهْـــــلَ السَّـــــفَلِ؟

كَيـــــفَ يرْضَـــــى العَـــــيشَ مَنْـــــزُوعَ الحَيـــــا؟ كَيـــــفَ يحْيـــــا فِـــــي جَحِـــــيمِ المَيَـــــلِ؟

كَيـــــفَ لا يـــــدْعُو إِلَـــــى إِسْـــــلامِهِ؟ كَيـــــفَ يسْـــــعَى فِـــــي دُرُوْبِ الفَشَـــــلِ؟

إِنَّمَـــــا الحَـــــقُّ حَيـــــاةٌ ، فَانْتَبِـــــهْ وَانْـــــأَ عَـــــن قَـــــوْمٍ غَفَـــــاةٍ عُثَـــــلِ

أَنْـــــتَ فِـــــي الأَكْـــــوَانِ بَـــــدْرٌ نَيـــــرٌ فَـــــأَنِرْ عَـــــيشَ الـــــوَرَى بِالشَّـــــعَلِ

وَتَأَمَّـــــلْ أُمَّـــــةً ضَـــــاعَتْ سُـــــدَى وَأَنَاخَـــــتْ ظَهْرَهَـــــا لِلضَّـــــلَلِ

سَـــــتَرَاهَا قَصَّـــــرَتْ فِـــــي دِينِهَـــــا وَبِهَـــــا الأَقْـــــوَامُ مِثْـــــلُ الرَّسَـــــلِ

إِنَّنِـــــي أَدْعُـــــوكَ ، فَاقْبَـــــلْ دَعْـــــوَتِي لا تَـــــرُمْ عَـــــنْ دَعْـــــوَتِي مِـــــنْ حِـــــوَلِ

❁❁❁

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/11/14م.
في يوم الثلاثاء 21 من جمادى الآخرة 1416هـ - والموافق14من نوفمبر1995م.
عدد جريدة الوحدة العربية (6989)

المساء الضرير

(كتب شعراء كثيرون تحت هذا العنوان (المساء) شعرًا. وأراهم قد ظلموا المساء الذي معناه إقبال الليل وإدبار النهار. نعم ، ظلموه ظلمًا مبينًا: إذ كتبوا عن العبث والتهتك والمجون. وقليلٌ من الشعراء مَن تناول في الكتابة عن المساء أو الليل قيام الليل أو قراءة القرآن أو حتى مُدارسة العلم والجلوس إلى العلماء. ولما أن طالعت أشعار هؤلاء لم أستغرب كثيرًا ، فكل شاعر يُغَلب معتقده في جُل أشعاره بقصد أو بدون قصد ، بنية أو بدون نية ، طوعًا أو كرهًا سرًّا أو علانية. فالمساء عند الشاعر العلماني الذي يؤله حضارة اللذة والمتعة هو ليل العشق الحرام والاستمتاع الدنيء الذي ليس بينه وبين مساءات وليالي يهود وأهل الصليب كبيرُ فرق. وأما الشاعر الموحد فالليل إذ يحِلُّ عليه يحلُّ ومعه مُتعة قيامه وقراءة القرآن فيه والخلو إلى الكتاب والشريط أو المتعة الحلال من مداعبة الأهل ومجاذبة أطراف الحديث والمزاح مع الأولاد والبنات الذين هم فلذات الأكباد وعدتنا ليوم غد وذخر الأمة جيل النصر المنشود المرتقب المأمول. وأكتبُ هذه القصيدة لأتحدث عن مساء أهل المجون من باب تحذير الناس من الشر ، ريثما تحين مناسبة أخرى لنتحدث عن ليل العاشقين. وأعني بالعشق عشق التكليف والأوامر الربانية والنبوية. ولست أعني أبدًا عشق النبي أو عشق الرب كما يذهب إليه أهل التصوف أو أهل التشيع أو أهل الزندقة. معاذ الله. إنه مساءُ العِشقِ والضَّياع. ذلك الذي أذهبَ رونقَ الكثيرين ، وفي نهاية طريقه وجدوا السرابَ والشقاء ولذا فهو ضريرٌ لا يرى. ويحزنُ المرءُ على شبابٍ وفُتوةٍ ورجولةٍ وفحولةٍ تضيعُ هباءً.)

تَـــرَانِيمٌ تُنَـــاجِي قَلْبِـــيَ الـــدَّامِي ... عَلَـــى أَنَّاتِهَـــا أَبْكِـــي الهُـــدَى السَّـــامِي

وَأَسْـــعَى فِـــي ظَـــلامِ اللّيـــلِ مُلْتَاعًـــا ... لَعَلَّـــي تَنْـــزَوِي فِـــي اللّيـــلِ أَحْلامِـــي

عَلَـــى الإِسْـــلامِ مَحْـــزُونُ النّهَـــى دَومًـــا ... أُحَـــابِي فِـــي دَيـــاجِي اللّيـــلِ آلامِـــي

وَأَجْـــرِي فَـــوْقَ هَـــامِ اللّيـــلِ لا أَغْفُـــو ... وَلَكِـــنْ هَـــلْ يُعِيـــدُ الجَـــرْيِ إِسْـــلامِي؟

وَقَرآنِـــي العَـــزَا ، والصَّـــبْرُ سُـــلْوَانِي ... فَيـــا هَـــذَا المَسَـــا أَبْصِـــرْ بِـــأَقْلامِي

يرَاعِـــي مَـــلَّ مِـــنْ دَمْعِـــي وَآهَـــاتِي ... وَقِرْطَاسِـــي تَعَنّـــى بِالأَسَـــى الطّـــامِي

وَلا خِـــلٌّ ، وَلا صَـــحْبٌ ، وَلا عَـــزْمٌ ... وَلَكِـــنْ فِـــي هُـــدَى المُخْتَـــارِ أَنْسَـــامِي

وَرَبُّ النّـــاسِ فَـــوْقَ العَـــرْشِ مَعْبُـــودٌ ... وَظَنّـــي أَنْ يُزِيـــلَ اللهُ أَسْـــقَامِي

فَـــإِنِّي قَـــدْ بَـــذَلْتُ الـــدَّمْعَ فِـــي رَبِّـــي ... وَلَـــمْ أَدْمَـــعْ لِلَيلَـــى أَوْ لِأَنْغَـــامِ

فَلَيلَـــى لا تُسَـــاوِي دَمْعَـــةً ذَرِفَـــتْ ... وَلُبْنَـــى عَهْـــدُهَا غَطّتـــهُ أَيـــامِي

سَـــلامًا يـــا مَسَـــاءَ الحُـــبِّ والنّجْـــوَى ... ضَـــرِيرٌ أَنْـــتَ عَـــنْ دِينِـــي وإِقْـــدَامِي

بِضَـــاعَاتُ الهَـــوَى فِـــي الـــدَّرْبِ لا تُعْلِـــي ... فَـــدَعْ عَنْـــكَ الهَـــوَى وَالْحَـــقْ بِـــأَعْلامِي

الوحدة العربية (6995) في يوم 1995/11/21م. الموافق 28من جمادى الآخرة1416هـ

اليراع الثائر

(إن القلم سلاح الأديب: شاعرًا كان أم ناثرًا أم ناقدًا يذود بقلمه عن مبادئه وقيمه وشريعته التي يؤمن بها. والقلم يمثل في حياتي صديقًا خلوقًا طيبًا أودعه أسراري وأفكاري. وبه أدون قصائدي وأعود فأنقحها وأضيف إليها أو أحذف منها. إنه القلم الذي له مكانةٌ في ديننا كبيرة جدًّا. ففي القرآن سورة باسمه ، ويقسم الله به في أخرى (ن والقلم وما يسطرون). والقسم هنا بالقلم وبما يكتب القلم. يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله – في تعليقه على سورة القلم ما نصه: (يقسم الله سبحانه بنون وبالقلم ، وبالكتابة ، والعلاقة واضحة بين الحرف (ن) بوصفه أحد الحروف الأبجدية وبين القلم والكتابة. فأما القسم بما هو تعظيم لقيمتها ، وتوجيه إليها ، في وسط أمة لم تكن تتجه إلى التعليم عن هذا الطريق ، وكانت الكتابة فيها متخلفة نادرة ، في الوقت الذي كان دورها المقدر لها في علم الله ، يتطلب نمو هذه المقدرة فيها ، وانتشارها بينها ، لتقوم بنقل هذه العقيدة ـ وما يقوم عليها من مناهج الحياة ـ إلى أرجاء الأرض ، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة. وما من شك أن الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمة).هـ. قال الأستاذ ملاد الجزائري عن مدى مسؤولية الكتابة بالقلم ما نصه: (للقلم كتابة نافذة إلى القلب. لأنه ينقل أفكار ومشاعر ورسائل الكاتب إلى عقل القارئ وقلبه ، ونجاحه وصيته يكمن في معايشة قضايا المجتمع والاستجابة بصدق لحاجات الناس على اختلافها. الحبر لا يتكلم سراً. الكتابة مسؤولية وأمانة ، فمن الغش أن نكتب للناس ما يفسدهم ويؤجج نار الفتنة بينهم وليعلم كل كاتب أنه مسؤول عما يكتب والله هو الرقيب عليه. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).هـ. وهناك أحاديث للنبي ﷺ تُبين بأن القلم أول ما خلق الله عزَّ وجلَّ. وما هذا كله إلا لإبراز مكانة القلم في ديننا. وما اقتنيتُ في حياتي شيئًا استكثرتُ منه للحد الذي وُجه إليّ اللوم من الآخرين مثل القلم والكتاب والشريط التسجيلي. إذ هذه جميعًا بوابتُنا أو نافذتُنا على العلم. يقول الكاتب تشارلز مورجان محدداً وظيفة القلم في يد الأديب والناقد ما نصه: (إن كانت الصنعة غرضاً في نفسها فإنها لا قيمة لها ، وهناك كثيرون يعلنون احتقارهم للرجل الذي يقضي شهراً في صياغة فقرة ، لأنهم عاجزون عن مثل صبره ، وأمثال هؤلاء النقّاد يقولون إن الصنعة المحكمة غرور وتنفخ. فهم يصيحون: هل يحسب زيدٌ من الناس أنه قد بلغ من خطر الشأن أن تختار كل كلمة من كلماته كما لو كان مصير العالم متوقفاً عليها؟ وهناك جواب سهل على ذلك. إن الصناعة المحكمة عمل من أعمال المتواضعين لا من أعمال المتكبرين. فالرجل المتكبر الغارق في أمور الدنيا يركن إلى نفسه ، يؤمن بحكمته ويستسلم لذكائه ، فهو يخط ما يتفق أن يكون في رأسه كما يرتجل خطيب الشارع من فوق برميله. أما الكاتب فهو يعلم أنه ليس بنفسه شيئاً ، إنما هو أداة ، وواجبه إتقان أدائه). هـ. يقول شكري عياد في كتابه «علم الأسلوب ـ مدخل ومبادئ» ما نصه: (إن معظم الشبان يحاولون ولو مرات معدودة في حياتهم كتابة نوع ما من أنواع الأدب ، كما يهتمون بقراءة بعض ما يقع منه في أيديهم. والقارئ الجيد يمكن أن يصبح منشئاً جيداً. والقارئ الرديء لا يكون إلا مُنشئاً رديئاً. وإذا انحطت قيمة الإنتاج الأدبي انحطت قيمة القراءة. وإذا تعلَّم قراء الأدب كيف يقرأون فلا بد لكتَّابه أن يتعلموا كيف يكتبون أو يكفوا عن الكتابة).هـ. فالعِلم إما مكتوب أو مسموع. والمكتوب منه بأي شيء كتب؟ إنه كتب بالقلم. وإذا أردت الاستدراك على أي كاتب أو الإضافة إلى ما كتب أو التعديل لما كتب فبأي شيء إنه بالقلم. وإذن فالقلم أداة عجيبة. ساعدني الله به كثيرًا على تدوين ما جاد الله به علي من الحق شعرًا أو نثرًا. وأعترف أنه ما كان من خير فيما كتبتُ بيراعي فمن الله عزَّ وجلَّ وحده. وما دوَّنتُ مِنْ سُوء أو شيء يخالف الشريعة الربانية فمن نفسي والهوى والشيطان. والله منه بريء. وثورة اليراع في قصيدتي هذي ثورة عاقلة تثور على الإقبال على الدنيا وتلوم من يفعل ذلك وتزجره. وتحبب إليه الخير. «وفي كلِّ يدٍ مُوَحِّدٍ يراع. والعِبرة بما سيكتب اليراع. ولقد تأتي فترة لا توجدُ لليراع فرصةٌ ليعبِّرَ عن قريحة صاحبه. فتثورُ دخائلُ نفسه ثم ينتهي إلى الانفجار...».

وكم بالقلم قامت حروب! وكم به أبرمت اتفاقيات سلام! وكم به خطت عقود زواج! وكم به خطت قسائم طلاق! وكم به دونت شهادات ميلاد! وكم به خطت شهادات وفاة! وكم به خطت أحكام بالبراءة على أناس! وكم خطت به أحكام بالإعدام على آخرين! والقلم في هذه الحالات كلها واحد ، ومداده واحد!)

حَنَانَيْـــكَ يـــا هَـــذَا المُعَنّـــى بِحِبْـــرِهِ ... أَنَـــا بَـــاذِلٌ دَمْـــعَ المِـــدَادِ وَأَسْـــرِهِ

أَتَبْكِـــي عَلَـــى مَجْـــدِ الحَنِيفَـــةِ وَالحِمَـــى؟ ... وَمَـــاذَا يفِيـــدُ الـــدَّمْعُ يكْـــوَى بِجَمْـــرِهِ؟

وَهَـــبْ أَنَّ قَلْبِـــي قَـــدْ تَضَـــمَّخَ بِالأَسَـــى ... فَهَـــلْ نَجْـــمُ هَـــذَا الكَـــوْنِ يزْهُـــو بِعِطْـــرِهِ؟

أَتَـــمَّ إِذَا شَـــمْسُ الحَقِيقَـــةِ أَخْمِـــدَتْ ... وَنِيلَـــتْ رُبُـــوْعُ الحَـــقِّ تَأسَـــى لِـــدَحْرِهِ؟

أَتَبْكِـــي الحِمَـــى والتَّضْـــحِياتُ شَـــحِيحَةٌ ... وَقَـــدْ سِـــيمَ جِيـــلُ النّـــورِ خَسْـــفًا بِأَسْـــرِهِ؟!

وَشَـــتَّانَ بَـــينَ الآهِ مِـــنْ قَلْـــبِ ثَـــائِرٍ ... جَسُـــوْرٍ ، وَبَـــينَ الآهِ مِـــنْ قَلْـــبِ مُكْـــرِهِ!

بَلَـــى إِنْ تُصَـــابِرْ يـــا يرَاعِـــي وَتَصْـــطَبِرْ ... فَعُقْبَـــى الصَّـــبُورِ النّصْـــرُ أَجْمِـــلْ بِنَصْـــرِهِ

وَهَيهَـــاتَ يعْلُـــو حَاقِـــدٌ فِـــي نُفُوْسِـــنَا ... فَصَـــدِّقْ ، ولا تـــركنْ إِلَـــى الـــدَّمْعِ أَخْفِـــهِ

طَعَـــامُ الأَبِـــي الصَـــبْرُ هَـــذَا خَلِيلُـــهُ ... وَإِنِّـــي اعْتَزَمْـــتُ الصَّـــبْرَ يُزْكِـــي بِمُـــرِّهِ

وَلَيـــلُ التَّـــرَدِّي طَـــالَ ، أَيـــنَ نَهَـــارُهُ؟ ... وَبَحْـــرُ الخُمُـــوْلِ الآنَ يطْغَـــى بِشَـــرِّهِ

أَلا يـــا يـــرَاعَ الشِّـــعْرِ رِفْقًـــا بِحَالِنَـــا ... ظَمِئْنَـــا فَأَعْطِينَـــا الحَمِـــيمَ بِحَـــرِّهِ

وَزَالَـــتْ- وَرَبِّـــي - رَايـــةٌ تَحْتَفِـــي بِنَـــا ... وَمِـــنْ غَيرِهَـــا سَـــادَ الظَّـــلامُ بِخُسْـــرِهِ

وَكَـــادَتْ تَمُـــوتُ الـــنّفْسُ حُزْنًـــا لِفَقْـــدِهَا ... وَهَـــذَا فُـــؤَادِي كَـــمْ بَكَاهَـــا بِشِـــعْرِهِ!

وَغَيـــرِي بِلَيلَـــى بَـــاتَ يشْـــكُو مُصَـــابَهُ ... وَيبْكِـــي عَلَـــى خَـــذْلِ العَشِـــيقِ وَهَجْـــرِهِ

وَينْفِـــقُ عُمْـــرًا فِـــي دَعَـــاوَى غَرَامِـــهِ ... أَلا يـــا عَشِـــيقًا يحْتَوِينَـــا بِـــزُورِهِ

أَلا فَالهُـــدَى أَوْلَـــى وَفِيـــهِ عَشِـــيقَةٌ ... هِـــي الـــزَّوْجُ فِـــي بَيـــتٍ تُغَنِّـــي بِشِـــعْرِهِ

فَكَفْكِـــفْ دُمُوعًـــا يـــا يرَاعِـــي ، وَعَافِـــهِ ... مِـــنَ الآهَـــةِ الثَّكْلَـــى تَجُـــولُ بِسِـــحْرِهِ

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/12/28م.

يوم الخميس 6من شعبان 1416هـ الموافق 28ديسمبر 1995م.

عدد جريدة الوحدة العربية (7025).

زورق العدم

(ألا إن العقلاء ، والعقلاء فقط ، هم الذين ينتصحون بنصائح سواهم من الناس. وأصدر القصيدة بموقف لجحا ثم أذكرها. كان جحا جالسًا على شاطئ نهر ، فجاء إلى الشاطئ الثاني عشرة عُميان. فاتفقوا وإياه على أن ينقلهم على ظهره واحدًا واحدًا لاجتياز النهر. ثم يدفعون له عن كل واحد درهمًا. فنقل تسعة إلى الشاطئ الآخر. ولما جاء دور العاشر شعر جحا بالتعب الشديد. فخيّره ، وطلب منه أن يعذره لعدم قدرته ، فليتصرف كما شاء! ولكنه أصر على أن يكمل هو في حال عجز جحا! فحمله وهو مُنهك القوى. حتى وصل إلى نصف النهر ولم يعد في إمكانه اجتياز النصف الثاني بحمله الثقيل. فرمى به في النهر. فجره التيار وقام رفاقه يصرخون ويعولون! فقال لهم: ولماذا هذا العويل والصراخ؟ كل شيء بحسابه ادفعوا لي تسعة دراهم ، والله يعوض علي في الدرهم العاشر هذا. إنني أكتب زورق العدم لمثل هذه النوعية من الناس من الألى لا ينتصحون ولا يقدرون مغبات الأمور ولا ينظرون في عواقبها ولو للحظات قليلة. « العاقلُ مَنْ وعظَهُ غَيرُهُ. غَيرَ أَنَّ التِّيهَ لا يبقِي عاقلاً إلا وقد لفحَهُ غبارُه. وقد استدار الزمانُ ، ودار الفلكُ دورتَه. وانقلبَ للكريم ظَهْرُ المجَنِّ. وكانت فتنةٌ عمَّ الأرضَ إعصارُها. وركبَ الجميعُ مَركبًا واحدًا. إلا زورقًا أبَى إلا أنْ يواجِهَ الفتنةَ وينطلقَ ضدَّ تَيارِها. لكنهُ لا يستطيع.)

أيـــا زَوْرَقًـــا فِـــي سَـــرَابِ العَـــدَمْ ... تَرَفَّـــقْ فَـــإِنَّ الهَـــوَانَ احْتَـــدَمْ

وَإِنَّ الكِـــرَامَ لَفِـــي غَابَـــةٍ ... تُظَلِلهَـــا عَائِـــدَاتُ النَّـــدَمْ

عَجِبْـــتُ لأَمْـــرِكَ مِـــنْ زَوْرَقٍ ... تُحِـــبُّ السَّـــرَابَ ، وَتَهْـــوَى العَـــدَمْ

أَتَضْـــرِبُ فِـــي التِّيـــهِ يـــا زَوْرَقِـــي ... وَفَـــوْقَ شَـــرَاعِكَ دُقَّ الأَلَـــمْ؟

أَتَحْمِـــلُ قَوْمًـــا إِلَـــى حَـــتْفِهِمْ؟ ... أَلا إِنَّهَـــا أَزْمَـــةٌ فِـــي القِـــيمْ

فَتَحْمِـــلُ أَمًّـــا بِأَشْـــجَانِهَا ... وَتَحْمِـــلُ شَـــيخًا بَـــرَاهُ الهَـــرَمْ

وَجِـــيلاً تَعَبَّـــدَ إِفْلاسَـــهُ ... وَمَـــنْ لَـــيسَ يَجْـــرِي عَلَيـــهِ القَلَـــمْ

تَكِيـــلُ لَهُـــمْ بِالمَصِـــيرِ الَّـــذِي ... بُلِيـــتَ بِـــهِ فِـــي سَـــرَابِ الـــنَّقَمْ

أَلا إِنَّ قَلْبَـــكَ ذُو رَحْمَـــةٍ ... حَنَانَيـــكَ رِفْقًـــا بِهَـــذِي الأُمَـــمْ

لَعَـــلَّ كَرِيمًـــا بِهِـــمْ يَحْتَمِـــي ... وَهَـــذَا الكَـــرِيمُ طَـــوَاهُ السَّـــقَمْ

فَعِـــرْهُ المَجَـــادِيفَ إِنْ رَامَهَـــا ... أَو انْزَلَقَـــت فِـــي البِحَـــارِ القَـــدَمْ

فَإِنَّـــا نَعِـــيشُ بِـــدُنْيا الهَـــوَى ... وَحَتْمًـــا تُبَـــاعُ وَتُشْـــرَى الـــذِّمَمْ

عَلَـــى الحُـــرِّ جِزْيَـــةُ حُرِّيَـــةٍ ... وَإِلاَّ سَـــيغْدُو بِهَـــا المُنْهَـــزِمْ

وَأَمَّـــا العَبِيـــدُ فَهُـــم سَـــادَةٌ ... فَتَعْسًـــا لَهُـــمْ فِـــي حَضِـــيضِ السَّـــأَمْ!

الوحدة العربية في يوم 1995/12/30م. (7026). الموافق 28من شعبان 1416هـ

المغرورة

(إحدى الساقطات في حمأة الغرور راحت تنظر إلى خلق الله وكأنها تُطل عليهم من كوكب آخر ، وكأنها خلقت من طينة أخرى غير الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام. «كلكم لآدم وآدم من تراب»! ففيم العُجب والخُيلاء والغرور إذن يا أصحاب النفخة الكاذبة والنعرة الممقوتة؟ إنني أطالب كل مغرور ومغرورة بأن يتأمل كل منهما نفسه ويسألها في صدق يقين أسئلة ثلاثة لا تزيد. وليتأمل الإجابات في التوِّ: (1) من أي شيء خُلقنا (من أين جِئنا)؟ (2) لماذا خلقنا؟ (3) إلى أين المصير؟ وعندها سوف ينقشع غروره. يقول الأستاذ جابر عبد الله ذاماً الغرور ما نصه: (ذكر الله الغُرور في سبعة وعشرين موضعاً قرآنياً ، وجاء على ذكره في مواضع عدة ، وفي قصص كثيرة أولها قصة إبليس وغروره الذي أخرجه من عالم السماء ، فخرج من الرحمة وسقط في غضب الله وسخطه ، فكان اسم إبليس من جنس فعله ، فأحد أسمائه هو الغَرور ، ولعل بعضنا لا يدرك أن الغرور درجات أعلاها التكبر ، وأدناها التهكم والاستهزاء وعدم قبول النصح. البعض لا يدرك أن الغرور تهلكة ، ونراه مغتراً بنفسه معتزاً بها في مواضع نهى الدين الحنيف عنها ، بل إن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عدَّها من الجاهلية. والغرور مرض نفسي ينتشر بسرعة رهيبة بين البشر في أقوالهم وأفعالهم وأسلوب حياتهم ، وتفاخرهم بما ليس فيه شيء من الفخر).هـ. ولا يزالُ الغُرورُ بصاحبِهِ حتى يجْعَلَهُ كالدمْية بين الناس ، لا يَخِفُّ لقِيمةٍ ولا يتحركُ لغاية. وأمَّا عن مغْرورة قصيدِنا فهي من نوعٍ آخر! وغرورها من نوع يتَشَفَّى في الخلق ويتعالى على الخالق! والله حاطِمُهُ يومًا!)

اِنْزِعِـــي الزيـــفَ ، وَكُـــوْنِي صَـــادِقَةْ ... وَاهْجُـــرِي الـــزُّوْرَ فَهَـــذِي بَارِقَـــةْ

وَاسْـــكُبِي الغِـــشَّ عَلَـــى نَـــارِ الجَـــوَى ... وَاحْرِقِـــي - بِالنّـــارِ - كَيـــدَ العَاشِـــقَةْ

وَاخْلَعِـــي عَنْـــكِ ادِّعَـــاءَاتِ الهُـــدَى ... أَنْـــتِ وَالشَّـــيطَانُ نَـــارٌ حَارِقَـــةْ

وَاقْطَعِـــي حَبْـــلَ التَّحَلِّـــي بِالحَيـــا ... فَالْحَيـــاءُ الحَـــقُّ شَـــمْسٌ نَاطِقَـــةْ

لا تُمَنِّـــي الـــنَّفْسَ نَجْـــوَى المُلْتَقَـــى ... إِنَّمَـــا النَّجْـــوَى زُيـــوفٌ مَاحِقَـــةْ

فَاسْـــتَرِيحِي مِـــنْ عَـــذَابٍ مُحْـــدِقٍ ... وَاسْـــتَفِيدِي مِـــنْ شُـــرُورٍ وَامِقَـــةْ

أَنْـــتِ مَـــنْ حَتَّـــى تُـــدَنِّي نَظْرَتِـــي ... يـــا غُـــرَابَ البَـــينِ كُـــوْنِي صَـــادِقَةْ

غَـــرَّكِ الشَّـــيطَانُ كَانَـــتْ فِتْنَـــةً ... وَاعْـــتَلاكِ الـــوَهْمُ كُنْـــتِ الآبِقَـــةْ

مِـــنْ هَـــوَاءٍ أَنْـــتِ أَدْنَـــى سِـــلْعَةٍ ... وَبِكُـــلِّ الزِّيـــفِ أَنْـــتِ النّاطِقَـــةْ

صَـــدِّقِي هَـــذَا اليـــرَاعَ المُجْتَبَـــى ... لا تَكُـــوْنِي لِمِـــدَادِي سَـــارِقَةْ

فِيـــكِ بَـــاتَ الزَّيـــفُ هَـــذَا طَابِعًـــا ... أَنْـــتِ فِـــي بَحْـــرِ الضَّـــيَاعِ الغَارِقَـــةْ

يـــا غُـــرُورًا غَـــرَّهُ إِفْلاسُـــهُ ... أَنْـــتِ بِالأَوْهَـــامِ حَقّـــا بَائِقَـــةْ

يـــا رَمَـــادًا غَـــرَّهُ نَـــوْمُ الهَـــوَا ... وَهَشِـــيمًا فِـــي الـــدَّيَاجِي العَالِقَـــةْ

يـــــا هَـــــوَاءً سُـــــمُّهُ أَوْدَى بِنَـــــا ... يـــــا مَـــــرَارًا فِـــــي حَيـــــاتِي الشَّـــــائِقَةْ

يـــــا قَيـــــودًا فِـــــي دُرُوبِ المُهْتَـــــدِي ... وَضَـــــبَابًا فِـــــي المَنَايـــــا السَّـــــاحِقَةْ

خَـــــلِّ عَنْـــــكِ الكِبَـــــرَ هَـــــذَا ، واسْـــــمَعِي ... لا تَكُـــــوْنِي فِـــــي السَّـــــرَابِ الوَاثِقَـــــةْ

مِـــــنْ تُـــــرَابٍ أَنْـــــتِ ، لا تَسْـــــتَكْبِرِي ... نَفْخَـــــةَ النّـــــوْرِ ، وَقَبْـــــلُ الدَّافِقَـــــةْ

ثُـــــمَّ غَطّـــــى الجَهْـــــلُ أَنْـــــوَارَ السَّـــــمَا ... بِنْـــــتُ حَـــــوَّاءٍ تَعَامَـــــتْ مَارِقَـــــةْ

نَالَهَـــــا الإِعْـــــرَاضُ دَهْـــــرًا ، فَـــــانْزَوَتْ ... ظَنّـــــتِ الإِفْـــــلاسَ نَعْمَـــــى لاحِقَـــــةْ

ثُـــــمَّ رَاحَـــــتْ تَرْكَـــــبُ المَـــــوْجَ الّـــــذِي ... صَـــــنَعَتْ مِنْـــــهُ الخَطَايـــــا نُمْرُقَـــــةْ

وَالضَـــــبَابُ المُـــــرُّ غَشَّـــــى أَرْضَـــــهَا ... وَاعْتَرَاهَـــــا الضَّـــــيمُ سَـــــادَتْ صَـــــاعِقَةْ

وَالصِّـــــحَابُ الـــــبُهْمُ أَشْـــــبَاهُ الـــــدُّمَى ... خَـــــذَلُوا وُدَّ الضَـــــحَايا الوَامِقَـــــةْ

قَتْـــــلُ الإِنْسَـــــانُ فِـــــيهِم والحَيـــــا ... قَـــــدْ تَمَـــــادَوا فِـــــي الـــــدُّرُوبِ النّاعِقَـــــةْ

وَصَـــــرِيعُ الـــــدُّعْرِ أَنْـــــتِ فِـــــي الـــــوَرَى ... وَأَسِـــــيرُ العِشْـــــقِ يبْكِـــــي الضَّـــــائِقَةْ

وَقَتِيـــــلُ الـــــرِّمْشِ مَجْنُـــــوْزُ الخُطَـــــا ... وَذَبِـــــيحُ الـــــزُّورِ يشْـــــكُو الفَاسِـــــقَةْ

آهِ مِـــــنْ زُورِكِ هَـــــذَا ، حَـــــارَنِي! ... أَنْـــــتِ فِـــــي التَّزْيِيـــــفِ حَقّـــــا حَاذِقَـــــةْ

وَظُهِيـــــرُ الحَـــــقِّ غَطّتْـــــهُ الـــــدِّمَا ... يشْـــــرَبُ القَتْـــــلَ بِـــــنَفْسٍ حَانِقَـــــةْ

وَصَـــــبَايا تَحْـــــتَ نِيـــــرَانِ العِـــــدَا ... فِـــــي البَـــــرَارِي والجِبَـــــالِ الشَّـــــاهِقَةْ

فِتْنَـــــةَ هَـــــذِي ، تُـــــدَنِي بَأْسَـــــنَا ... وَبَلِيـــــاتٌ تَـــــدَاعَتْ سَـــــاحِقَةْ

ذَهَبَـــــتْ ، وَاللهِ حَقّـــــا رِيحُنَـــــا ... بَعْـــــدَ أَنْ كَانَـــــتْ لِخَيـــــرٍ سَـــــابِقَةْ

وَاعْتَرَانَـــــا الضَّـــــيمُ ، بِئْنَـــــا سِـــــلْعَةً ... مَـــــا لَهَـــــا فِـــــي الأَرْضِ رُؤْيـــــا لائِقَـــــةْ

❁❁❁

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/9/26م

في يوم الثلاثاء 2 من جمادى الأولى 1416هـ 26 سبتمبر 1995م.

نُشرت القصيدة في عدد جريدة الوحدة العربية (6947).

ركام الضياع

(إنها المأساةُ والملهاةُ معًا ، عندما ينظرُ الإنسانُ فيجدُ مجدًا ضائعًا وقطِيعًا سادرًا في غَيه. ويرى جوهرًا غائبًا إلا مِنَ القراطِيس. ولا يستطيعُ إلا تمتماتِ الشَّفَاه. ويحاول أنْ يقْنعَ نفسَه أنه لا يعيشُ مع الوهم لكنَّهُ رغمَ أنفه. روى ابن ماجه (والحديث حسن) عن ابن عمر- رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «لَم تَظْهَر الْفَاحِشَةُ في قَومٍ إلَّا ظَهَرَ فِيهُمُ الطَّاعُونُ والأَوجَاعُ التي لَمْ تَكُنْ في أَسْلَافِهِم. ولَا نَقَصُوا المكْيَالَ والمِيْزَانَ إلا أُخِذُوا بالسِّنِينَ (أي: سنوات الجدب والقحط) وشدَّةِ المُؤنة وَجَوْرِ السُّلْطَان. ولَمْ يَمْنَعُوا زَكَاة أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعوا القَطْر مِنَ السماء ، وَلَوْلَا البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. ولَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله ولا عَهدَ رَسُولِه إلا سَلَّطَ عَلَيهم عَدُوَّهُمْ ، فَأَخَذَ بَعْضَ ما كانَ في أَيْدِيهِم. وإذا لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بكتَابِ الله إلّا جَعَلَ الله بأسَهُمْ بَيْنَهم». وروى الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تُعرض الفتنُ على القُلُوبِ كالحَصِير عُودًا عُودًا ، فأيُّ قلب أُشْرِبَها نُكتَ فيه نُكْتَةٌ سَوداءُ ، وأيُّ قَلبٍ أَنْكَرَهَا نُكتَ فيه نُكْتَةٌ بَيضَاءُ ، حتى تَصيرَ على قَلْبَينِ: على أَبْيضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دَامَتِ السَّماواتُ والأرضُ ، والآخرُ أَسْوَدُ مرْبادًّا كَالكُوز مُجَخيًّا لا يَعْرِفُ معروفًا ولا يُنْكِرُ مُنْكرًا إلَّا ما أُشْرِبَ مِنْ هَوَاه». ويقول النووي في شرحه: (والمعنى أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية كان يتعاطاها ظلمةٌ ، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام. والقلب مثل الكوز. فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك). إنني أكتب (ركام الضياع) لمثل هذا الحال الذي أشار إليه حديثاه ﷺ. ضاع المجد وتطاول الأعداء الذين كانوا أصاغر بالأمس بكل ما تعنيه الكلمة ، كانوا أذلة يعطون الجزية بكل انكسار لأسيادهم المسلمين رغمًا عنهم وعن كبرائهم. وضعفتْ شوكة أهل الإيمان في الأرض بدرجة لا توصف أبدًا. واغتصبت الديار وانتهكت الحرمات وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ، وغَيرهُ الكثير ، كانتْ رُكامُ الضَّياع! تلك القصيدة التي أردتُ بها تشخيص الواقع!)

اللّيـــــــلُ طَالَـــــــتْ ظُلْمَتُـــــــهْ ... وَالـــــــوَهْمُ زَادَتْ قَسْـــــــوَتُهْ

وَالحُـــــــرُّ طَالَـــــــتْ غُرْبَتُـــــــهْ ... وَالعَبْـــــــدُ سَـــــــادَتْ فَرْحَتُـــــــهْ

تَعْلُـــــــو الهُـــــــدَى مَرْثِيَتُـــــــهْ ... تَطْغَـــــــى عَلَيـــــــهِ كَآبَتُـــــــهْ

تَبْكِيـــــــهِ دَوْمًـــــــا فِرْقَتُـــــــهْ ... كَيـــــــفَ اسْـــــــتُبِيحَتْ صَـــــــوْلَتُهْ؟

كَيـــــــفَ اسْـــــــتَحَالَتْ نُصْـــــــرَتُهْ؟ ... أَوْ كَيـــــــفَ زَالَـــــــتْ دَوْلَتُـــــــهْ؟

وَالخَيـــــــرُ طَمَّـــــــتْ غَيبَتُـــــــهْ ... وَالنُّـــــــورُ وَلَّـــــــتْ هَيبَتُـــــــهْ

وَالعَـــــــدْلُ رَاحَـــــــتْ سَـــــــطْوَتُهْ ... وَالحَـــــــقُّ مَـــــــرَّتْ جَوْلَتُـــــــهْ

وَالـــــــزُّورُ سَـــــــادَتْ زُمْرَتُـــــــهْ ... وَالظُّلْـــــــمُ رَاجَـــــــتْ صَـــــــنْعَتُهْ

وَالشَّـــــــرُّ عَمَّـــــــتْ مِحْنَتُـــــــهْ ... وَالكَـــــــوْنُ طَقَّـــــــتْ خَيبَتُـــــــهْ

فَاضَـــــــتْ رُكَامًـــــــا هَفْوَتُـــــــهْ ... هَاجَـــــــتْ- ضَـــــــيَاعًا- كَبْوَتُـــــــهْ

قَـــــــادَتْ قَطِيعًـــــــا سَـــــــادَتُهْ ... تَبْكِـــــــي دِمَـــــــاءً ذِلَّتُـــــــهْ

الوحدة العربية في يوم 1995/11/19م - (6993) 26من جمادى الآخرة 1416هـ

الحمامة الغريبة

(كانت تطيرُ مع سِربها تعمل وتجتهد ، وإذا بالشياطين ترمي بالحبِّ في الدرب. فأكلتْ رفيقاتُها وانخدعن بالحب ، ولم تأكل وبَقيت وحدَها شريفةً عفيفة ، وعاشت تدفعُ ثَمَنَ العِفَّة والشرف جُوعًا وتشريدًا. وعانت الحمامة من مكر السوء الذي أوقعها فيه المتخاذلون الشامتون. (استكباراً في الأرض ومكر السئ ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله). فالقرطبي رحمه الله يقول: (ومكر السيئ أي مكر العمل السيئ وهو الكفر وخدع الضعفاء ، وصدهم عن الإيمان ليكثر أتباعهم). وقال ابن كثير رحمه الله: (ومكر السيئ) أي: ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله ، (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله). أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم. وفصّل في ذلك ابن جرير فقال رحمه الله : (ومكر السيئ) وهو الشرك . وأضيف المكر إلى السيئ ، والسيئ من نعت المكر كما قيل إن هذا لهو حق اليقين). وقيل: إن ذلك في قراءة عبد الله (ومكراً سيئاً) ، وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر. وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير: (مكر السيئ) عطف على استكباراً بالوجوه الثلاثة ، وإضافة مكر إلى السيئ من إضافة الموصوف إلى الصفة مثل: عشاء الآخرة. وأصله: أن يمكروا المكر السيئ بقرينة قوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.)

بَكَـــتْ فِـــي دُرُوبِ القَـــوْمِ غَرْبَـــةَ مَنْـــزِلِ ... فَبَاتَـــــتْ تُعَادِيهَـــــا رِمَـــــاحُ التَجَمُّـــــل

وَضَـــاقَ الفَضَـــا عَـــنْ أَنْ يُجِيـــرَ حَمَامَـــةً ... وَضَـــاقَتْ بـــلادُ الأَرْضِ ، كُـــلٌّ بِمَعْـــزِل

وَضَـــاقَتْ قُلُـــوْبُ الصَّـــحْبِ لَـــمْ تَنْفَسِـــحْ لَهَـــا ... وَضَـــاقَتْ دِيـــارُ النّـــاسِ ، لَـــمْ تَتَحَـــوَّل

فَعَانَـــتْ غِيـــابَ الإِلْـــفِ وَالـــدَّارِ مَـــرَّةً ... وَلَـــمْ تَلْـــقَ فِـــي الـــدَّرْبِ المُنَـــى عَبـــرَ مَنْـــزِل

وَكَانَـــتْ تُحِـــبُّ القَـــوْمَ لَـــمْ تَنْخَـــدِعْ بِهِـــمْ ... وَلَكِـــــنّهُمْ فَـــــاهُوْا بِزِيـــــفِ التَعَلّـــــل

رَمَوْهَـــا بِغَـــدْرٍ ، لَـــمْ تُقَارِفْـــهُ لَحْظَـــةً ... وَهَـــا هُـــمْ بِكُـــلِّ الكَيـــدِ بَـــاءُوا بَمُعْضِـــل

وَإِنَّ الحِمَـــــى يهْفُـــــو إِلَيـــــكِ حَمَـــــامَتِي ... وَلَكِـــنَّ سَـــيفَ العَـــزْلِ فِـــي يـــدِ عُـــزَّل

فَـــلا تَسْـــبَحِي فِـــي التِّيـــهِ ، إِنَّ سَـــمَاءَهُ ... بِكُـــلِّ صُـــنُوْفِ الغَـــدْرِ عَجَّـــتْ ، فَـــأَجْمِلِي

وَأَنْـــتِ المُنَـــى يـــا ذِي الحَمَامَـــةُ صَـــدِّقِي ... فَـــلا تَقْرَعِـــي بَـــابَ اللّئِـــيمِ المُضَـــلَّل

❁❁❁

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/12/6م.

يوم الأربعاء 14من رجب 1416هـ الموافق: 6من ديسمبر 1995م.

عدد جريدة الوحدة العربية (7007).

مرارة الذكرى

(إن الذكريات التي يصنعها واقعٌ سعيد متفائل ليست أبدًا تشبه الذكريات التي تنتج عن واقع حزين منكوب. وكل إنسان له ولا شك ذكريات من النوعين: ذكريات حلوة وأخرى كئيبة سيئة. وأكثر الناس إحساسًا بالذكريات حلوها ومرها هُمُ الشعراء. وهذي قصائدهم في القديم والحديث تصف الذكريات السعيدة كما تصف الذكريات المريرة. فكم من شاعر رفعتْه الأحاديث عن الذكريات إلى أعلى عليين. وهو يلتزم في الحديث عن ذكرياته أدب العقيدة ويراقب الله تعالى (فكلماتُه وأشعارهُ من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفعه الله بها في الجنة في أسمى مقام). وعلى النقيض من ذلك كم من شاعر أطلق لشيطان شعره العنان فلم يلتزم أدب العقيدة وجعل الله أهون الناظرين إليه وانفلت من إسار الدين ورباط الإيمان وحبل الله المتين ، فصاغ الكلمات النابية العارية الخليعة الحقيرة في قالب شعري أوبقه في النار. (فكلماته وأشعاره من سخط الله وغضبه يهوي بها جميعًا في النار سبعين خريفًا) والعياذ بالله تعالى: (ألم الذكريات وذلك في الدنيا وعذاب الله في الآخرة). وإنني هنا أعاني ذكريات فراق أحبابي: زوجي وأولادي وقد رحلوا مضطرين إلى مصر عام 1992م. وذلك على إثر تمثيلية مدبلجة أبطالُها من الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا والله وحده المستعان على هذا الحال. ومن هنا رحتُ أعاني مرارة الذكرى. فمن قيام لليل لحد الإنهاك! والقراءة والاطلاع لشغل الوقت والعناء في ذلك!

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروها كأنهم تقالوها! فقالوا: وأين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أنتم الذين قلتم: كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني). وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه). عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا حبل ممدود بين الساريتين ، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: لا ، حلوه. ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضجع).مَا مِنْ شَاعِرٍ على الأرض إلا وقد تَعَذَّبَ في هَجِير الذكرى ، أو علَى الأقل نالهُ غُبارُ ذلك الهجير. ويزيدُ مِنْ ألم الذكرى وعذابها شَمَتُ الشَّامِتِين ، والليلُ عندما يأتي فله وَحْشَة. ويتمنى الواحد منا لو لم يبزغْ عليه فجرُ العذاب. ولكنْ: (لَيس كل ما يتمناهُ المرءُ يدركهُ!)

رَحَلَـــــتْ يشَـــــيعُهَا النّـــــوَاحْ ... وَذَهَبْـــــتُ أذْرَاجَ الرِّيـــــاحْ

حَمَلَـــــتْ حَقَائِـــــبَ زَادِهَـــــا ... عَزَمَـــــتْ عَلَـــــى قَطْـــــعِ البِطَـــــاحْ

وَتُرِكْـــــتُ وَحْـــــدِي أكْتَـــــوِي ... بِلَظَـــــى الفُـــــؤَادِ المُسْـــــتَبَاحْ

وَسَـــــمِعْتُ زَمْجَـــــرَةَ الجَـــــوَى ... فَهَتَكْـــــتُ أسْـــــتَارَ الصَّـــــبَاحْ

وَرَأيـــــتُ غَـــــدْرَ المُوْمِيـــــا ... وَشَـــــهِدْتُ تَخْمِـــــيشَ الجِـــــرَاحْ

وَعَلِمْـــــــــتُ أن لا مُلْتَقَـــــــــى ... وَالكَـــــرْبُ بَـــالَغَ فِـــي الصِّـــياحْ

وَتَحَـــــــدَّثَتْ كُـــــــلُّ الرُّبَـــــا ... وَاليـــــأسُ شَـــــارَكَنِي المـــــزَاحْ

وَالصَّـــــــبْرُ جَمَّـــــلَ وَاحَتِـــــي ... فَمَضَـــــى البُكَـــاءُ مَـــعَ النّـــوَاحْ

ذِكْـــــرَاكِ عِطْـــــرٌ فِـــي الـــدُّنَا ... يزْجِـــــي تَغَارِيـــــدَ الكِفَـــــاحْ

ذِكْـــــرَاكِ عُـــــرْسٌ فِـــي الـــذُرَى ... يـــــرْوِي أَسَـــــارِيرَ المَـــــرَاحْ

ذِكْـــــرَاكِ أَزْهَـــــارُ المُنَـــــى ... زُرِعَـــــتْ بِوَاحَـــــاتٍ مِـــــلاَحْ

ذِكْـــــرَاكِ نَـــــاقُوسُ الصَّـــــفَا ... إنْ فـــــي الغـــــدوِّ ، أو الـــــرَّوَاحْ

ذِكْـــــرَاكِ أَنْـــــوَارُ الهُـــــدَى ... تَسْـــــتَعْذِبُ الصِّـــــدْقَ الصُّـــــرَاحْ

يـــــا أُخْـــــتُ قَـــــدْ سَـــــخِرَ النّـــــوَى ... وَتَـــــرَيْنَ بِالأَنّـــــاتِ طَـــــاحْ

أيـــــنَ الّـــــذِي يحْمِـــــي الحِمَـــــى ... يمْحُـــــو شَـــــقَاءَاتِ الطّـــــلاَحْ

إِنَّ الـــــدُّجَى عَـــــمَّ الـــــوَرَى ... وَتَطَاوَلَـــــتْ فِينَـــــا الرِّمَـــــاحْ

وَالأَمْنِيـــــاتُ كَمَـــــا الـــــدُّمَى ... تَغْتَـــــالُ مَسْـــــرَى الارْتِيـــــاحْ

وَأَراكِ صَـــــــائِنَةَ الوَفَـــــــا ... وَبِـــــــرُغْمِ أَنَّ الغَـــــــدْرَ لاَحْ

تَبْـــــدُو عَلَيـــــكِ أَمَانَـــــةً ... تُلْقِـــــي عَلَـــــى الوَجْـــــهِ الصَّـــــلاَحْ

تَبْكِـــــي عَلَـــــى أَحْوَالِنَـــــا ... تَسْـــــتَنْطِقُ الصَّـــــمْتَ البَـــــوَاحْ

وَتُسَـــــائِلُ الأَيـــــامَ عَـــــنْ ... لُغْـــــزٍ يُغَشِّـــــيهِ الوِشَـــــاحْ

وَمَـــــرَارَةُ الـــــذِكْرَى سَتَحْـــــ ... ـــــبِسُهَا بِحُلْقُـــــومِ السَّـــــمَاحْ

فَيضِـــــيقُ قَلْبُـــــكَ بِـــــالهَوَى ... وَيزِيـــــلُ وَهْـــــمَ المُسْـــــتَرَاحْ

إِنِّـــــي المَـــــرِيضُ وَلاَ دَوَا ... بَـــــلْ لا لِقَـــــاءَ مَـــــعَ الصِّـــــحَاحْ

قَـــــدْ نَـــــاءَ بِـــــالْكَرْبِ النّهَـــــى ... كَـــــالطَّيرِ مَكْسُـــــورَ الجَنَـــــاحْ

واللهِ رَبُّـــــكِ قَـــــالَ فِـــــي ... قُرآنِـــــهِ القَـــــوْلَ الصُّـــــرَاحْ

لِتُجَاهِـــــدُوا ، لَكِـــــنْ هُنَـــــا ... لِـــــكَ مَـــــا عَلَـــــى المَرْضَـــــى جُنَـــــاحْ

الوحدة العربية 1995/6/5م.عدد (6864) - الإثنين21 من محرم1416هـ

من وحي الطفولة

(لا شكَّ أَنَّ الطفولةَ تُمثلُ مرحلةً ذهبيةً مِنْ عُمرِ الإنسان ، حيثُ إنَّ لها في الخاطرِ إيحاءاتٍ وإشارات! ويرحمُ اللهُ أيامَ كُنْتُ طِفْلًا. وعن دور الإسلام في رعاية الطفولة ، يبين لنا الدكتور عبد الفتاح إدريس مدى اهتمام الشريعة بالطفل ، فيقول ما نصه: (لا يُنكر دور الشريعة الإسلامية في العناية بالطفل ورعايته ، حتي قبل أن يأتي إلي الحياة ، فقد اهتمت بأمنه وهو نطفة في رحم أمه ، فحرمت الاعتداء عليه وهو في هذه المرحلة من مراحل تخلقه ، وأوجبت في الاعتداء عليه دِية. بل إن من فقهاء الشريعة من أوجب فيه القصاص إذا تيقن أن الاعتداء العمدي وقع عليه بعد النفخ ، ولم تبح الشريعة المباركة إجهاضه في أي مرحلة من مراحل تخلقه ، إلا إذا كان يمثل خطورة علي حياة أمه ، وقرر ذلك أطباء عدول ثقات لهم معرفة بالطب ، وعلة جوازه في هذه الحالة: أن الأم كانت سبباً في حياته فلا يكون الجنين سبباً في موتها! ولذا لم تبح الشريعة إجهاضه لسبب آخر غير هذا ، كالخوف من الفقر ، أو تنظيم النسل ، أو عدم القدرة علي رعايته ، أو وجود تشوهات خلقية به ، أو غير ذلك ، كما لم تبح التخلص منه ولو أتي من سفاح ، ولهذا أرجأ رسول الله صلي الله عليه وسلم إقامة الحد علي الغامدية وقد كانت حاملاً من سفاح ، حتي تضع حملها ، وحتي ترضعه إلي أن يبلغ الفطام ، فلما بلغه وجاءت بالصبي وفي يده كسرة خبز يقضمها ، أخذه منها فدفعه إلي رجل مسلم ، ثم أمر بها فرجمتْ ، ويدل علي حرص الشريعة علي تحقيق الأمن له جنيناً أنها رخصت للحامل أن تفطر في رمضان حفاظاً عليه إذا خافت أن تجهضه بسبب الصيام).هـ. وإذن فللطفولة ذكرياتها. وكنت سجلتُ شيئاً كثيراً عن طفولتي في قصيدة: {قراءة في أوراق الماضي}.)

إِيـــــهِ يـــــا وَحْـــــيَ الطُفُوْلَـــــةْ ... أَنْـــــتَ مِيعَـــــادُ الرُّجُوْلَـــــةْ

أَنْـــــتَ فِـــــي الآفَـــــاقِ نُـــــوْرٌ ... أَنْـــــتَ مِيثَـــــاقُ البُطُوْلَـــــةْ

كُلَّمَـــــا جَـــــدَّتْ خُطَـــــوْبِي ... جَـــــاءَتْ الـــــذِكْرَى الجَمِيلَـــــةْ

فَاسْـــــتَحَالَ الكَـــــوْنُ عِطْـــــرًا ... عَبْـــــرَ أَنْسَـــــامِ الفَضِـــــيلَةْ

يـــــوْمَ كَـــــانَ المَـــــرْءُ طِفْـــــلاً ... إِنَّهَـــــا الـــــذِكْرَى الأَصِـــــيلَةْ

كَيـــــفَ يَنْسَـــــى المَـــــرْءُ عُمْـــــرًا ... فِـــــي اليوَاقِيـــــتِ الجَلِيلَـــــةْ

إِنَّهَـــــا ذِكْـــــرَى الأَمَـــــانِي ... وَالأَغَارِيـــــدِ النَّبِيلَـــــةْ

ثَـــــمَّ هَـــــلْ يَنْسَـــــى فُـــــؤَادِي ... نِعْمَـــــةَ المَـــــوْلَى الجَزِيلَـــــةْ؟

إِنَّـــــهُ مَهْمَـــــا تَمَـــــادَى ... فِـــــي الأَضَـــــاحِيكِ الكَحِيلَـــــةْ

لَـــــيسَ يَنْسَـــــى شُـــــكْرَ رَبٍّ ... لَيسَـــــتِ النِّعْمَـــــى قَلِيلَـــــةْ

الوحدة العربية في يوم1995/4/5م - (6802) 5 من ذي القعدة 1415هـ

مهلاً يا ابن سلول

(لقد عانَى الصَفُّ الموحِّدُ منذُ فجرِ التاريخ مِنَ النفاقِ وأهله ، ولا يزال يعاني ، والنصرُ حليفُ الحقِّ والخيرِ لا محالة. واندحارُ النفاقِ أمرٌ يحتاجُ إلى وقت. أخبر زيد بن حارثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول عبد الله بن أبي ابن سلول (بأنه الأعز وأنه سيُخرج رسول الله من المدينة) ، فجاء فحلف كاذباً للنبي أنه ما قال ذلك ، قال زيد: فجلستُ في بيتي حتى أنزل الله تصديقي ، ألا وهو قوله تعالى: {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}. وطلب عمر الفاروق من النبي – صلى الله عليه وسلم - أن يقتل ابن سلول المنافق فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: إني أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وذلك لأن ابن سلول كان يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، فلما علم ابنه يعني عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الصحابي الأنصاري الجليل بمقولة أبيه ، قال للنبي – صلى الله عليه وسلم -: دعني أضرب عنقه ، فلم يأذن له النبي بقتل أبيه المنافق ، فقال هذا الصحابي: لقد صدق والله يا رسول الله ، أنتَ والله الأعز وهو الأذل!)

لَـــنْ تَخْـــدَعَ الـــدُّنْيا بِمَـــا قَـــالَ الفَـــمُ ... إِنَّ النِّفَـــاقَ عَلَـــى جَبِينِـــكَ مَعْلَـــمُ

مَهْمَـــا تَجَمَّلْـــتَ افْتَضَـــحْتَ عَلَـــى المَـــلا ... فَـــاكْبَحْ نِفَاقَـــكَ قَـــامَ قَـــوْمِي النّـــوَمُ

بِلِسَـــانِ أَهْـــلِ الصِّـــدْقِ عِشْـــتَ مُـــزَوِّرًا ... وَبِوَجْـــهِ أَهْـــلِ الحَـــقِّ كُنْـــتَ تُدَمْـــدِمُ

لَكِـــن عَلَـــى مَـــنْ يـــا تُـــرَى ذَا ينْطَلِـــي ... الحَـــقُّ فَـــوْقَ الزَّيـــفِ سَـــيفٌ يقْصِـــمُ

فَتَخَـــلَّ عَـــنْ لُغَـــةِ النِّفَـــاقِ فَإِنّهَـــا ... كَشَـــفَتْ بَوَاطِنَهَـــا عُقُـــوْلٌ تَفْهَـــمُ

وَفَضِـــحْتَ يـــا رَأسَ النِّفَـــاقِ وَأَهْلَـــه! ... أَنْـــتَ الـــدَّعِي ، وَأَنْـــتَ أَنْـــتَ الأَرْقَـــمُ!

مَهْمَـــا ادَّعَيـــتَ الخَيـــرَ أَنْـــتَ مُحَـــارِبٌ ... لِلْخَيـــرِ وَالـــدُّنْيا بِهَـــذَا تَعْلَـــمُ

مَهْمَـــا لَبِسْـــتَ مُسُـــوْحَ رُهْبَـــانٍ فقلـــ ... ـــبُكَ ظَـــاهِرٌ ، هُـــوَ بِالخِـــدَاعِ مُخَـــيَّمُ

وَلَـــئِنْ تَلَـــوْتَ الـــذِّكْرَ فِـــي سَـــمْعِ الـــوَرَى ... وَبِكُـــلِّ مَـــا قَـــالَ الهُـــدَى تَـــتَكَلّمُ

أَتُـــرَاكَ تَخْـــدَعُ مَـــنْ يرِيـــدُ هِدَايـــةً؟ ... أَتُـــرَاكَ سَـــوْفَ تُضِـــلُّ مَـــنْ قَـــدْ أَسْـــلَمُوا؟!

كَـــلاَّ ، فَغَايـــةُ مَـــا تَقُـــوْل دَقِيقَـــةٌ ... تَتَبَخّـــرُ النّغَمَـــاتُ فِيهَـــا والـــدَّمُ

مَـــا كَـــانَ مِـــنْ قَلْـــبٍ فَلِلْقَلْـــبِ انْتَهَـــى ... وَيكُـــوْنُ بَعْـــدُ هِدَايـــةً ، وَتَعَلّـــمُ

أَمَّـــا مِـــنَ الشَّـــفَتَينِ كَبِّـــرْ أَرْبَعًـــا ... مَـــا كَـــانَ مِـــنْ شَـــفَةٍ فَيسْـــمَعُهُ الفَـــمُ

لاكَـــتْ شِـــفَاهُكَ عِـــرْضَ أَنْـــدَى مُرْسَـــلٍ ... وَطَغَـــى نِفَاقَـــكَ واللظَـــى يـــتَحَمْحَمُ

وَنَفَخْـــتَ فِـــي الصَّـــرْعَى وَكَانَـــتْ فِتْنَـــةً ... عَمْيـــاءَ لا تُبْقِـــي ، وَلَيسَـــتْ تَـــرْحَمُ

حَتَّـــى إِذَا كَـــانَ الحَـــدِيثُ عَـــنِ النِّفَـــاقِ ... أَجَدْتَـــــــهُ ، إِنَّ النِّفَـــــــاقَ لأَظْلَـــــــمُ

وَذَكَـــرْتَ مِـــنْ خَبَـــرِ النُّبُـــوَّةِ جَانِبًـــا ... يـــا ابْـــنَ السَّـــلُوْلِ ، وَأَنْـــتَ نَـــارٌ تَضْـــرَمُ

وَكَـــذَا عَـــنِ التَّوْحِيـــدِ كَانَـــتْ جَوْلَـــةً ... مَـــا ذُلِـــكَ التَّوْحِيـــدُ يـــا ذَا الأَبْكَـــمُ!

وَنَقَلْـــتَ مِـــنْ خَبَـــرِ السَّـــمَاءِ إِلَـــى الـــوَرَى ... بَـــاتَ التَّكَسُّـــبَ بِالكِتَـــابِ المَغْـــنَمُ

وَالنَّـــذْلُ بَـــادٍ فِـــي الأَنَـــامِ عَـــوَارُهُ ... لَكِنَّمَـــا عَمِيـــتْ عُيـــوْنٌ نُـــوَّمُ

يـــا ابْـــنَ السَّـــلُوْلِ كَفَـــاكَ جُرْحُـــكَ غَـــائِرٌ ... وَالحَـــقُّ مَـــاضٍ رَغْـــمَ مَـــنْ يـــتَجَمْجَمُ

دَيَّـــانُ هَـــذَا الكَـــوْنِ فَـــوْقَ نِفَـــاقِكُمْ ... وَالصَّـــفُّ نَابِـــذُكُمْ ، وَدُوْنَـــكَ مَـــنْ عَمُـــوا

لَـــوْ كُنْـــتُ فِيمَـــا أَنْـــتَ فِيـــهِ تَرَكْتُـــهُ ... وَلَتُبْـــتُ لِلـــرَّحْمَنِ ، رَبِّـــي الأَكْـــرَمُ

وَوَهِمْـــتَ أَنْ تَقْـــوَى عَلَـــى إِخْـــرَاجِ أَعْـــ ... ـــظم مُرْسَـــلٍ أَنْـــتَ الـــذَّلِيلُ الأَظْلَـــمُ

فَـــانْظُرْ لِمَـــنْ رَبَّيْتَـــهُ مُسْـــتَأْذِنًا ... فِـــي حَـــزِّ جِيـــدِكَ ثَـــمَّ لا تَتَـــرَنَّمُ

فَـــإِذَا الحَبِيـــبُ يَقُـــوْلُ: لا ، كَـــيلا يَقُـــوْ ... لَ النَّـــاسُ يَقْتُـــلُ صَـــحْبَهُ ، يَتَشَـــرْذَمُ

يـــا ابْـــنَ السَّـــلُوْلِ لَـــكَ الجَحِـــيمُ تَسَـــعَّرَتْ ... تُصْـــلَى بِهَـــا ، وَهُنَـــاكَ يَـــوْمٌ أَيِـــوَمُ

فِرْعَـــوْنُ مُنْتَظِـــرٌ أَبِيَّـــا وَالوَزِيـــ ... ـــرَ كِلَيهِمَـــا وَأَبُـــو القَـــوَارِنِ أَشْـــأَمُ

وَأَرَاكَ أَسْـــفَلَهُمْ بِنَـــارِ جَهَـــنَّمٍ ... تَعِـــسَ النِّفَـــاقُ ، وَخَـــابَ قَـــوْمٌ خُـــوَّمُ

وَالكُـــلُّ مَعْـــرُوْضٌ عَلَـــى رَبِّ السَّـــمَا ... وَلَكُـــم جَمِيعًـــا ، يـــا عَمِيـــلُ جَهَـــنَّمُ

إِنْ لَـــمْ تَتُـــبْ عَمَّـــا جَنَيـــتَ لَـــكَ اللظَـــى ... وَمَصِـــيرُ مِثْلِـــكَ فِـــي القِيامَـــةِ أَوْخَـــمُ

وَلَـــئِنْ لَقِيـــتَ اللهَ تُـــوْذِي مَـــنْ هَـــدَى ... وَعَلَـــى رِجَـــالِ الحَـــقِّ أَنْـــتَ الضَّـــيْغَمُ

وَتَنَـــالُ مِمَّـــنْ أَسْـــلَمُوا فِـــي خِسَّـــةٍ ... كَـــي تُرْضِـــي الطَّـــاغُوْتَ يـــا ذَا الأَغْشَـــمُ

وَتَخِـــيطَ ثَوْبَـــكَ مِـــنْ عُـــرُوْقِ جُسُـــوْمِهِم ... وَعِصَـــابَةَ الفِرْعَـــوْنِ خَلْفَـــكَ تَظْلِـــمُ

فَـــأَرَاكَ قَـــدْ أَعْـــدَدْتَ نَفْسَـــكَ لِلـــرَّدَى ... وَلَـــئِنْ نَـــدِمْتَ فَـــإِنَّ ذَلِـــكَ أَحْكَـــمُ

وَلَـــئِنْ رَدَدْتَ مَظَـــالِمَ الأَقْـــوَامِ كُنْـــ ... ـــتَ عَلَـــى هُـــدًى ، يـــا غِـــرُّ هَـــذَا أَسْـــلَمُ

إِنِّـــي نَصَـــحْتُكَ وَالمُهَـــيمِنُ غَـــايَتِي ... وَأَقُـــولُ: دَرْبُ التَّـــوْبِ دَرْبٌ أَقْـــوَمُ

جريدة الوحدة العربية رقم (6948).

والصادر في الأربعاء 3 جمادى الأولى 1416هـ، الموافق: 27 سبتمبر 1995م

سُنبلة وقُنبلة ومُكحُلة

(سُنة لا تتخلف. اصطراعُ الحق والباطل. وأخطرُ مِنَ الباطلِ النفاقُ والعمالة. والنصرُ حليفُ الحق. صراع الحق والباطل قديم جديد! (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ). لقد كانت بداية الصراع بين الحق والباطل من زمن آدم عليه السلام: قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ). قالوا لنوح عليه السلام: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). وقالوا لهود عليه السلام: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ). وقالوا لصالح عليه السلام: (وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ). وقَالُوا: (يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا). وقالوا للوط عليه السلام: (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ). وقالوا لشعيب عليه السلام: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ). وقالوا أيضاً: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ). وقال إخوة يوسف: إ(ذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ). وقالوا لموسى الكليم: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ.) وإذن فاصطراع الحق والباطل سنة لا تتبدل ولا تتغير ، إلى يوم القيامة! وانتصار الحق كائن ولو بعد جولات من الصراع!)

حِـــرْتُ فِـــي الـــدُّنْيا وَكَانَـــتْ مُشْـــكِلَةْ ... دَاهَمَتْنِـــــي ، فَانْتَهَجْـــــتُ الحَوْقَلَـــــةْ

أَمْـــرُ هَـــذِي الخَلْـــقُ حَقّـــا هَـــالَنِي ... وَاحْتَـــوَانِي طَـــوْق هَـــذِي المَسْـــأَلَةْ

بِـــتُّ مِـــنْ أَمْـــرِ البَرَايـــا حَـــائِراً ... أَمْضُـــغُ الغَـــيظَ ، وَأَزْجِـــي الحَسْـــبَلَةْ

لَـــمْ أَكُـــنْ آسَـــى عَلَـــى أَحْـــوَالِهِم ... عِنْـــدَمَا تَعْنُـــو الخُطَـــوْبُ المُعْضِـــلَةْ

كُنْـــتُ فِـــي نَفْسِـــي الحَبِـــيسَ المُشْـــتَكِي ... فِـــي دُجَـــى نَفْسِـــي ، وَعِنْـــدِي مَقْتَلَـــةْ

ثُـــمَّ صَـــارَ العَـــيشُ فِيهَـــا مُقْفِـــراً ... وَغَـــدَتْ أَبْيَـــاتُ شِـــعْرِي مُثْكِلَـــةْ

تَبْـــدَأ القِصَّـــةَ هَـــذِي هَـــا هُنَـــا ... عِنْـــدَمَا أَبْصَـــرْتُ يوْمـــاً سُـــنْبُلَةْ

سَـــاقَهَا المَـــوْلَى إِلَـــى أَرْضِ العَنَـــا ... تَحْـــرُسُ الحَـــقَّ ، وَتَحْمِـــي البَسْـــمَلَةْ

تَكْشِـــفُ الزَّيـــفَ لِمَـــنْ يبْغِـــي الهُـــدَى ... وَتُثِيـــرُ الـــدَّرْبَ ، تُنْهِـــي المَهْزَلَـــةْ

تَبْـــذُلُ الـــنَّفْسَ لِيحْيـــا غَيرُهَـــا ... وَلَهَـــا فِـــي كُـــلِّ حِـــينٍ حَمْدَلَـــةْ

أَنْبَتَـــتْ كَـــمْ سُـــنْبُلاتٍ فِـــي الـــوَرَى ... وَطَيـــوْفُ النَّصْـــرِ كَانَـــتْ مُقْبِلَـــةْ

أَمَّلَـــتْ فِـــيهِنَّ خَيـــرًا مُغْـــدِقاً ... وَلِـــذَا خَاضَـــتْ غِمَـــارَ المَرْحَلَـــةْ

كَـــمْ تَعَنَّـــتْ وَاكْتَـــوَتْ فِـــي بَـــذْلِهَا ... تَبْتَغِـــي الأَجْـــرَ بِيـــومِ الزَّلْزَلَـــةْ!

لَـــمْ تَكُـــنْ تَبْكِـــي عَلَـــى مَجْهُودِهَـــا ... إِنّـــهُ فِـــي اللهِ عَـــالِي المَنْزِلَـــةْ

رغْـــمَ مَـــنْ كَـــادُوا لَهَـــا لَـــمْ تَكْتَـــرِثْ ... لَـــيسَ خَلْـــفَ الكَيـــدِ فَحْـــوَى مُذْهِلَـــةْ

أَمْـــرُ دَيـــانِ البَرَايـــا غَالِـــبٌ ... كَيـــفَ يخْشَـــى المَـــرْءُ دُنْيـــا مُبْطِلَـــةْ؟

ثُـــمَّ جَاءَتْهَـــا المَنَايـــا كَـــاللّظَى ... تَسْـــبِقُ الفَـــأسَ اللّعِـــينَ القُنْبُلَـــةْ

إِنّهَـــا فِـــي الأَصْـــلِ كَانَـــتْ سُـــنْبُلَةْ ... ثُـــمَّ جَاءَتْهَـــا العَطَايـــا مُقْبِلَـــةْ

كَـــي تَخُـــوْنَ الـــدِّينَ والتَّقْـــوَى مَعًـــا ... وَعَلَـــى الـــدَّرْبِ تَقِـــيءُ الهَيلَلَـــةْ

فَتَنَاسَـــتْ دَوْرَهَـــا فِـــي أَرْضِـــهَا! ... الهُـــدَى سِـــدْرٌ ، وَأَنْـــتِ الحَنْظَلَـــةْ

آثَـــرَت دُنْيـــا بِقَـــوْمِي تَزْدَهِـــي ... وَالأَمَـــانِي بَـــادَرَتْ بِالمِقْصَـــلَةْ

وَدَّعَـــتْ بِـــالأَمْسِ سَـــلْوَى عِزِّهَـــا ... وَتَعَالَـــتْ بِالـــدَّعَاوَى المُخْجِلَـــةْ

وَتَهَـــاوَتْ فِـــي حَضِـــيضِ النّـــارِ لَـــمْ ... تَكْتَسِـــبْ بَأسًـــا يُزِيـــلُ الخَلْخَلَـــةْ

أَحْرَقَـــتْ كَـــمْ سُـــنْبُلاتٍ حَوْلَهَـــا ... لَـــمْ تَـــذَرْ شَـــيئًا بِقَيـــدِ الأَنْمُلَـــةْ!

ثُـــمَّ رَاحَـــتْ تَشْـــتَكِي عِنْـــدَ الـــوَرَى ... تَصْـــحبُ الزَّيـــفَ ، وَتُزْجِـــي المُكْحُلَـــةْ

تُعْلِـــنُ التَّوْبَـــةَ إِذْ مَاتَـــتْ سُـــدىً ... هَـــلْ يعِيـــدُ الحَـــقَّ دَمْـــعُ الجَلْجَلَـــةْ؟

إِثْمَـــدُ التَّزْيِيـــفِ دَاجٍ فَـــاحِمٌ ... إِنَّ بَلْـــوَى الكُحْـــلِ هَـــذِي مُخْجِلَـــةْ

ضَـــاعَ بَـــأسُ الحَـــقِّ فِـــي كُحْـــلِ الهَـــوَى ... وَتَلاشَـــتْ فِـــي الصِّـــرَاعِ الحَرْمَلَـــةْ

رِحْلَـــةَ الحَـــقِّ انْتَهَـــتْ بِالقُنْبُلَـــةْ ... وَضَـــبَابُ الزَّيـــفِ خَلْـــفَ المُكْحُلَـــةْ

ثُـــمَّ بِيـــعَ النّـــوْرُ بَيعًـــا كَاسِـــدًا ... وَتَوَالَـــتْ- بَعْـــدَ هَـــذَا- السِلْسِـــلَةْ

مَـــنْ يحِـــبَّ الحَـــقَّ ينْصُـــرْ أَهْلَـــهُ ... إِنَّ سِـــرَّ الرَّمْـــزِ جَـــوْفُ السُّـــنْبُلَةْ

لَـــمْ أَكُـــنْ أَهْـــذِي ، وَلَكِـــن فِكْـــرَةٌ ... مَـــا حَـــوَتْ مِـــنْ أَي زُوْرٍ خَرْدَلَـــةْ

وَصِـــرَاعُ الحَـــقِّ – صِـــدْقًا - سُـــنّةٌ ... وَلَصَـــوْتُ الحَـــقِّ فِيهَـــا صَلْصَـــلَةْ

وَانْـــدِحَارُ الغَـــيِ حَـــتْمٌ لازِمٌ ... مَـــا عَلَـــتْ قَـــوْسٌ بِكَيـــلِ الأَزْمَلَـــةْ

لَـــنْ يكُـــوْنَ الحَـــقُّ غَنْمًـــا بَـــارِدًا ... يعْجِـــبُ البَـــاغِينَ أَهْـــلَ المَأْكَلَـــةْ

بَـــلْ لَـــهُ بَـــأسٌ يُجَلِّـــي عِـــزَّهُ ... وَرِيـــاحٌ بِالمَنَايـــا مُرْسَـــلَةْ

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/10/26م

الوحدة العربية: (6973) الخميس2من جمادى الآخرة1416هـ ، الموافق26أكتوبر1995م

الـدمـيـــة

(أرمز لهذي القصيدة بهذا العنوان المحير لولا أنه مضحك إذ الدمية إنما تمتحن ، وأعتى من امتحانها ذل الإنسان. إنه أحيانًا يكون للدُّمى من الاحترام والتقدير والتبجيل ما ليس للآدميين عند بعض البشر الذين لا يعرفون حقيقة أمر الدمية ولا حقيقة أمر الإنسان. إنني أكتب (الدمية) أشير بالرمز هنا إلى إنسان جعلته العمالات والخيانات والأحقاد دُمية بين الخلائق. وعسير جدًّا على إنسان كريم كان ذا شأن في الناس وَهَيبة ومكانة وشخصية ، يَعمل لها ألفُ حساب كل من هبَّ ودبَّ من ذوي البأس والنفوذ والكلمة والبطش ، فضلاً عن العامة والدهماء ، عسير عليه جدًّا أن يُمسخ مسخًا ويُهان إهانة وتُبعثر كرامتُه في دروب الفاسقين والساقطين ، إنها المأساةُ والملهاة معًا. (إن ربك لبالمرصاد). أقول:(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون). وأزيد: (استكباراً في الأرض ومكر السيء ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله). وعزائي أن الله يسمع ويرى ، وأنه عزَّ وجلَّ يثأر وينتقم لأوليائه كما يثأر الليث الحرب. وعسى الله أن تنتهي مرحلة الدمية وتعود كرامة المسلم. يحِسُّ كل إنسانٍ شَريفٍ بالهوان عندما ينزلُ نفسَهُ في غير منزلها ، ويرى الآخرينَ مِنْ حوله وقد حازوا ما كان يترقبه لنفسه! وجَنَوا ثمارًا كان هُو مِنْ أولِ غارسيها. فما المخرج من هذه السقطة؟ إنه قول الله: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض). فالطريق يمر بالقيم! يقول الأستاذ الفاضل عزام الحملاوي في وصف القيم وأصحابها ما نصه: (بيّن القرآن الكريم أهمية الأخلاق باعتبارها قاعدة أساسية يؤخذ منها وتُبنى عليها جميع الأحكام والقوانين ، فهي قاعدة البناء الراسخة التي تقوم عليها مبادئ الشريعة الإسلامية. فالأخلاق درع واقٍ من العواصف التي تتسبب فى انهيار المجتمع ، أو تحويله إلى مجتمع تحكمه الغرائز والشهوات ، وتسود فيه قوانين الغابة ، وهي أيضاً أساس صلاح المجتمع ، ووسيلة رادعة لمحاربة الفساد والانحراف ، لذلك أصبح من الضروري إعلاء منظومة القيم في مجتمعنا ، وتعاملاتنا السياسية والاقتصادية والإنسانية. لهذا أصبح هناك ضرورة لمراجعة قيمنا الدينية والوطنية والإنسانية لنتعرف على ما بقي منها ، وعلى ما تعرض للاختلال والعبث من أجل أن نعيد المكانة لمكارم الأخلاق ، ولتقوية أواصر المحبة والوفاء ، ونبذ الكراهية والحقد والبغضاء ، ولعل هذه المهمة أجدها سبباً من أسباب الأزمة السياسية التي تحتاج من أبناء الشعب الواحد الوقوف أمامها ، وإزالة آثارها السلبية العميقة التي أحدثت شرخاً اجتماعياً شديد الخطورة في المجتمع ، وعلى مستقبل الأجيال القادمة ، وليس عيباً أن نناقش هذه الأمور ، بل إن مناقشتها أصبح ضرورة من أجل تأمين مستقبل الأجيال القادمة).هـ. يقول أفلاطون: (معنى العقل وعمله تمييز الأشياء وتفصيلها. ومعنى الصدق وعمله ثبات الأشياء في مواضعها. ومعنى الجهل وعمله تلبيس الأشياء وتخليطها. ومعنى الكذب وعمله وضع الأشياء في غير مواضعها). وتقول أنديرا غاندي: (سلطة المال تشبه سلطة الحكم لا تعرف أبداً الأمان العاطفي. يحتاج صاحبها إلى أن يفلس ليختبر قلوب من حوله ، أن تنقلب عليه الأيام ليستقيم حكمه على الناس). ويقول معروف الرصافي: (أصبحت لا أقِيم للتاريخ وزناً ولا أحسب له حساباً لأني رأيته بيت الكذب ومناخ الضلال ومستقر أهواء الناس. إذا نظرت فيه كنت كأني منه في كثبان من رمال الأباطيل قد تغلغلت في ذرات ضئيلة من شذور الحقيقة). وربما يكون الرصافي على شئ من الحق لأن الذين يكتبون التاريخ في زمن ما يكتبونه على هوى من يعطيهم إلى أن يزول!)

دُمْيـــــةٌ فِـــــي كَـــــفِّ كُـــــلِّ مُعَرْبِـــــدٍ تَشْـــــكُو الجِـــــدَهْ

بَـــــلْ وَبَاتَـــــتْ فِـــــي مَهَـــــاوِي الكَـــــرْبِ هَـــــذَا مُفْـــــرَدَهْ

كَيـــــفَ هَانَـــــتْ؟ كَيـــــفَ ضَـــــاعَتْ فِـــــي الـــــدُّرُوْبِ المُزْبِـــــدَهْ؟

كَيـــــفَ عَانَـــــتْ فِـــــي جِرَاحَـــــاتِ العَـــــذَابِ المُوْقَـــــدَةْ؟
كَيـــــفَ جَفَّـــــتْ رُوْحُهَـــــا ، حَتَّـــــى تَلَظَّـــــتْ مُجْهَـــــدَةْ؟
صَـــــارِحِينِي كَيـــــفَ بَـــــينَ الغِيـــــدِ صِـــــرْتِ المُخْمَـــــدَةْ؟
إِنَّمَـــــا أَمْـــــرُ الـــــدُّمَى يبْكِـــــي ، وَتَغْـــــدُو مَفْسَـــــدَةْ
أَنْ أَرَى كُـــــلَّ الـــــدُّمَى فِـــــي دَرْبِهَـــــا مَسْتَأسِـــــدَةْ
لَكِـــــنِ الدُّمْيـــــةُ هَـــــذِي فِـــــي الأَسَـــــى مُسْـــــتَبْعَدَةْ
كُلَّمَـــــا اسْتَعْرَضْـــــتُ قَطْفًـــــا مِـــــنْ رُؤَاهَـــــا المُرْعِـــــدَةْ
ذَبَـــــحَ الخَـــــوْفُ يرَاعِـــــي ، وَكَـــــوَتْنِي المَجْلَـــــدَةْ
صـــــدقيني أنـــــتِ فـــــوق اليـــــأس ، كـــــوني جلمـــــدة
واســـــمعي الصِّـــــدقَ المغنَّـــــى فـــــي النفـــــوس الجَيِّـــــدة
صَـــــدِّقِينِي أَنْـــــتِ نُـــــوْرٌ فِـــــي الـــــدَّيَاجِي المُجْمِـــــدَةْ
أَطْفِئِـــــي المِصْـــــبَاحَ قَـــــدْ أَبْصَـــــرْتُ حِقْـــــدَ الأَفْئِـــــدَةْ
وَالأَمَـــــانِي مُقْـــــبِلاتٌ فِـــــي طُيـــــوْفِ المَوْعِـــــدَةْ
وَاحْـــــذَرِي الخُـــــوَّانَ وَالغُـــــدَّارَ ، صُـــــوْنِي المَحْمَـــــدَةْ
أَنْـــــتِ بَـــــينَ القَـــــوْمِ ذَاتٌ فِـــــي ضِـــــيَاهَا سَـــــيِدَةْ
دُمْيـــــةُ الأَحْـــــزَانِ يوْمًـــــا يرْفَـــــعُ البَـــــاغِي يـــــدَهْ
فَـــــاقْنَعِي بِـــــالعَيشِ حَتَّـــــى يـــــدْرِكَ الطَّـــــاغِي غَـــــدهْ
وَلَـــــكِ الأُخْـــــرَى ، وَلِلعَـــــادِينَ نَـــــارٌ مُوْصَـــــدَةْ
كُلَّهُـــــم شَـــــدَّ الرِّحَـــــال ، أَتَـــــى إِلَيـــــكِ عَلَـــــى حِـــــدَةْ
يبْتَغِـــــي حَـــــرْقَ الرَّشَـــــادِ ، وَبَعْـــــدُ رَدْمَ المَـــــوْرِدَةْ
يسْـــــتَحِلُّ الجَـــــرْمَ نـــــذْلٌ بِالـــــدَّعَاوَى المُسْـــــنَدَةْ
يـــــوزِعُ البَلْـــــوَى ، ينَـــــادِي فِـــــي السُّـــــيوفِ المُغْمَـــــدَةْ
لِيـــــرَى الدُّمْيـــــةَ هَـــــذِي عَـــــنْ قُرَاهَـــــا مُبْعَـــــدَةْ

الوحدة العربية (7010) 18من رجب 1416هـ ،10 ديسمبر1995م

في رثاء الشعر!

(لقد بكيتُ الشعر العربي في قصائد سبقتْ. وقمتُ فعلًا بنشرها في جريدة (الشروق) ، وكذلك في جريدة (الوحدة العربية) كذلك. وكنت سعيدًا إذ أثبتُّ لنفسي وللناس أن ميتًا نشيع جبرًا جنازته آسفين هو الشعر العربي الأصيل الذي ضاع واحتضر ، ثم زهقت روحه بين مطارق العلمنة الحاقدة ، والتخريب الذي يسمى شعر التفعيلة ، أو تفعيلة الشعر الذي هو التخريب بعينه ولا شك. هلك الشعر العربي الأصيل بسبب الدعوات التخريبية التغريبية المنفلتة من الدين واللغة ، المتمردة على القيم ، سواء كانت هذه القيم كتابًا أو سنة أو لغة. إنني أبكي الشعر العربي وأرثيه ، ويحزنني جدًا ـ وأنا رجل دُعِيت إلى الأمسيات المسماة زورًا وبهتانًا بالشعرية ، وحقًّا الشعر منها براء براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليه وعلى نبينا صلوات الله وتسليماته ـ يحزنني جدًّا هذه الضحالة التي لمست وهذا المستوى الفكري المترهل الذي وجدت. إن الشعراء الذين استمعتُ إليهم ليقطعون بأن أغلبهم ليست عنده فكرة ولا شبه فكرة عن الشعر أبدًا. والجمهور الذي كان ينبغي أن يُقيّم ويُقوّم هؤلاء بما كان يفترض أن يكون عنده من ملكة التذوق والسماع والنقد ولو من عامة دهماء ، هذا الجمهور يصفق للكل ـ ولا نجيز أبدًا التصفيق ؛ لأنه حرام ـ ولكن يعجب الجمهور فيعبر عن أسلوبية جاهلية في الإعراب عن إعجابه وهي التصفيق. إن استمع شعرًا ملتزمًا صفّق ، وإن لم يستمع إلا إلى الهراء والتهريج والتطاول على الله وشرعه وكتابه ونبيه وأوليائه. وأحتسبكِ عند الله يا شعر العرب المسلمين الموحدين. وأدعو الله أن يجمعنا بك ومن أنشدوك من أهل الإيمان في مستقر رحمته يوم القيامة. يقول الأستاذ محمد صابر عبيد في مقال له بعنوان: (الشعر في خطر) ما نصه: (حتى نصوصنا الإبداعية للأسف لا تخرج كثيراً في مساقاتها ومساراتها وأشكالها ومقولاتها وقوانينها الإبداعية عن هذه الدائرة شبه المقفلة (دائرة التقليد والمحاكاة). هذا هو سبب شغفنا العظيم بالكلام وولعنا الاحتفاليّ بالحديث عن أمجادنا الغابرة (ذخيرتنا التي لا تنضب) ، ورغبتنا الدفينة في النوم على أديم الأسرّة المستعملة مهما تغيّر لون قماشها ، وأخذ الوصفات الطبية الأبدية الساحرة للأجداد كي تشفي الأمراض كافة ، واستخدام عطور الآباء التي نفتن بها حبيباتنا ونجعلهن أكثر إخلاصاً لنا ، وانغماراً في غرامنا ، وانسحاقاً تحت وطأة ذكوريتنا التاريخية الفادحة حيث لا بديل لها. الشعر الذي يراه العربيّ سرّاً باطنياً من أسراره العميقة وأسطورة من أساطيره وحدثاً دائم الضرورة في مخيلته الناجزة ، هو أحد أشكال الزمن العربيّ وقد ظلّ طويلاً يُهيمن على مقدراته ويتلاعب بمصائره ، ويقوده إلى التفكير الأكاديميّ الجدّي بمستقبل هذا الطفل الخرافيّ المدلّل وهو لا يُجارى ولا يُنافس ، على الرغم من أنّ الشعر الحقيقيّ المعبّر عن إرادة الإنسان العصرية وعن وجدانه العميق الراهن هو مستقلّ بطبيعته وشكله وإرادته وقوّة تأثيره في الإنسان والطبيعة والأشياء والذات).هـ. ونشكر جداً الأستاذ محمد صابر على دقته! في دفاعه عن الشعر العربي ومناصراً للدكتور محمد عوض أستاذ الأدب العربي يقول الدكتور محمود البشبيشي منددا بالعلمانيين المفلسين والحداثيين الفاشلين نصياً: (أثار الباحث المفضال (الدكتور محمد عوض) مسألة الشعر الذي لا يجري على سنن واحد ، وكان موفقاً في تسميته (مجمع البحور) كما كان موفقاً في نقده وتجريحه حتى تركه هباءً تذروه الرياح. ولقد كانت صيحة (الدكتور) موفقة ، نبّهت رجال العربية إلى خطر داهم ينتظر الشعر العربي من هذه الدعوة الباطلة التي لم تعدم لها أنصاراً ، ولم تعتمد في قيامها على دليل ، لقد طالما صدّعت آذاننا بمثل هذه الدعوة ، فمن داع إلى التحرر من القافية ، إلى منادٍ بجمود الشعر العربي ، إلى طارح لأوزان العروض المأثورة ، إلى غير هذه النزعات الطائشة الغامضة ، وأخيراً فوجئنا بفكرة التحلل من وحدة البحور ، وقرض الشعر على غير نظام والسير فيه على غير هدى ، ولقد كنّا نشفق على الشعر ذلك التراث المجيد أن تعبث به المحاولات ، ثم يعود إلينا شيء من الطمأنينة ، اعتماداً على ما فيه من مناعة تقيه هذه الألاعيب ، غير أن دعاة هذه الفوضى الشعرية ما فتئوا يعاودون الكَرّة بعد الكَرّة ، يريدون أن يتسللوا في غفلة الرقباء إلى حمى الشعر فيستبيحوه ، فإذا تم لهم ذلك لجّوا في طغيانهم يعمهون ، وقضوا على أنصع صفحات الأدب العربي ، وأزهى رياضه ، وأنضر وجوهه ، ثم نعبت غربانهم على أطلاله ، وقطعوا ما بين حاضر الأمة وماضيها ،

وبنوا على أطلال ذلك الماضي المجيد ، ما خيلته لهم أهواؤهم من أمان وأحلام).هـ. وإنا لله وإنا إليه راجعون.
نظرتُ يمنةً ويسرةً ، فوجدتُ الهُرَاءَ يملأُ الأرحابَ وتزخر به العُبابَ. فاحتواني العجب العجاب ، وتأثرتُ بكل هذا ، وكانت هذه القصيدةُ بعد أنْ شَعَرتُ بموْتِ الشِّعْرِ. وكانت القاضية عندما استمعتُ إلى أحدهم: يهرفُ بما لا يعرف فبكيت الشعر والشُّعراءَ.)

بِشِـــــعْرِكَ أسْـــــقَمْتَنَا البَارِحَـــــةْ ... وَخَلّفْتَنَـــــا كَالـــــدُّمَى الكَالِحَـــــةْ

قَصَـــــائِدُكَ النّـــــاثِرَاتُ الأَسَـــــى ... عَلَـــــى القَلْـــــبِ كَـــــالجَمْرَةِ اللافِحَـــــةْ

صُـــــخُوْراً أرَاهَـــــا عَلَـــــى مَسْـــــمَعِي ... وَسِـــــكِّينَ هَـــــزْلٍ لَـــــهُ جَارِحَـــــةْ

تُـــــوَجِّجُ فِـــــي الـــــنّفْسِ إعْيَاءَهَـــــا ... وَتَتْرُكُهَـــــا فِـــــي الـــــدُّنَا صَـــــائِحَةْ

وَمَـــــا إنْ سَـــــمِعْتُ تَهَاوِيلَهَـــــا ... سَـــــخِرْتُ مِـــــنَ النّعْـــــرَةِ الصَّـــــادِحَةْ

لَقَـــــدْ أوْغَـــــرَ القَلْـــــبَ إفْلاسُـــــهَا ... عَجِبْـــــتُ لِسَـــــكْرَتِكَ الجَامِحَـــــةْ

وَقَـــــدْ حَيرَتْنِـــــي تَقَاسِـــــيمُهَا ... ذَهِلْـــــتُ لِفِكْرَتِـــــكَ الفَادِحَـــــةْ

وَأنْـــــتَ الـــــدَّعِي فَـــــلاَ شَـــــاعِرٌ ... هُنَالِـــــكَ أوْ نَظْـــــرَةٌ وَاضِـــــحَةْ

وَلا (عَنْتَـــــرٌ) خَلْـــــفَ هَـــــذِي الرُّبَـــــا ... وَلا (كَعْـــــبُ) أو ثَـــــوْرَةٌ رَاجِحَـــــةْ

وَلَـــــيسَ (امـــــرُؤُ القَـــــيسِ) بَـــــينَ الـــــوَرَى ... بِمَـــــا صَـــــوَّرَتْ رِيشَـــــةٌ نَافِحَـــــةْ

وَلَـــــيسَ (السَّـــــمَوْألُ) فِينَـــــا إذَنْ ... وَلا (قَـــــيسُ) أو أسْـــــوَةٌ صَـــــالِحَةْ

ولا (البُحْتُـــــرِي) فَيـــــا لَلأسَـــــى! ... ألا إنّهَـــــا الأزْمَـــــةُ الكَاسِـــــحَةْ

وَ(أعْشَـــــى) اليعَـــــارِب تَحْـــــتَ الثَّـــــرَى ... وَ(أخْفَشُـــــهُم) يـــــرْجِمُ السَّـــــادِحَةْ

وَجِيـــــلُ (تَـــــأبَّطَ شَـــــرًّا) مَضَـــــى ... وَتَبْكِـــــي (زُهَيـــــرًا) - كَـــــذَا - النّائِحَـــــةْ

وَجِيـــــلُ (ابْـــــنِ كُلْثُـــــومَ) لَمَّـــــا يعِـــــي ... بِمَـــــا فِـــــي المَهَـــــازِلِ مِـــــنْ رَائِحَـــــةْ

وَ(خَنْسَـــــاءُ) أعْرَابِنَـــــا تَشْـــــتَكِي ... وَتَتْلُـــــو بِعَبرَاتِهَـــــا الطّامِحَـــــةْ

لُهَـــــاثَ السَّـــــكَارَى وَهَـــــزلَ الـــــدُّمَى! ... قَصَـــــائِدَ فِـــــي عُرْبِنَـــــا نَابِحَـــــةْ

وَأمَّـــــا (الخَلِيـــــلُ) فَلَـــــمْ ينْفَعِـــــلْ ... لأنَّ الخُطَـــــوْبَ غَـــــدَتْ كَاشِـــــحَةْ

تَبَعْثَـــــرَ فِـــــي الـــــدَّربِ مَجْهُـــــودُهُ ... وَأوْزَانُـــــهُ تَمْـــــلأُ اللائِحَـــــةْ

وَلَـــمْ تَبْكِـــهِ العُـــرْبُ ، لَكِـــنْ بَكَـــى ... عَلَـــــى يعْرُبِيتِـــــهِ الرَّازِحَـــــةْ

وَلَـــمْ يكْتَـــرِثْ بِـــالهُرَاءِ الّـــذِي ... رَآهُ كَمَـــا الصَّـــخْرَةُ الوَاقِحَـــةْ

لأَنَّ الرَّذَالَـــةَ سَـــمْتُ الـــدُّنَا ... وَدَيـــدَنُ أَشْـــعَارِهَا الطّالِحَـــةْ

كَـــذَاكَ (المُبَـــرِّدُ) لَـــمْ يلْتَفِـــتْ ... لِتَـــيسٍ بَكَـــى نَعْجَـــةً نَاطِحَـــةْ

عَـــلاَمَ البُكَـــاءُ وَأَمْـــرُ الهُـــدَى ... تُـــدَبِّرهُ نَغْمَـــةٌ مَازِحَـــةْ؟

وَفِـــيمَ التَّشَـــاكِي وَجُـــلُّ الهَـــوَى ... تُسَـــطِّرُهُ فَرْصَـــةٌ سَـــانِحَةْ؟

وَتَسْـــطُو عَلَـــى كُـــلِّ آهَاتِـــهِ ... وَتَغْمُـــرُهُ النَّشْـــوَةُ الكَابِحَـــةْ

إِذَا كَـــانَ فِـــي القَلْـــبِ مِـــنْ آهَـــةٍ ... أَرَاهَـــا عَلَـــى حَالِنَـــا الكَادِحَـــةْ

فَيـــا شَـــاعِرًا حَيـــثُ لا شَـــاعِرٌ ... وَلَيسَـــتْ بِضَـــاعَتُهُ رَابِحَـــةْ

تَخَلَّـــلْ بِعِطْـــرِ القَـــرِيضِ الهَـــوَى ... وَدَعْـــكَ مِـــنَ السَّـــقْطَةِ المَالِحَـــةْ

فَـــإِنَّ السُّـــقُوطَ غَـــدَا سَـــمْتَكُمْ! ... وَعِلْـــمُ القَـــرِيضِ لَكُـــم فَاتِحَـــةْ

تَعَلَّـــمْ وَجَـــدِّدْ وَذَرَّ الشَّـــذَى ... وَنَقِّـــحْ قَصِـــيدَتَكَ اللاتِحَـــةْ

وَعَطِّـــرْ قُلُـــوبَ الـــوَرَى بِالهُـــدَى ... وَوَاظِـــبْ عَلَـــى الدَّرْبَـــةِ النّاجِحَـــةْ

وَأَمَّـــا الهُـــرَاءُ الّـــذِي سُـــقْتَهُ ... أَمَامَـــكَ فِـــي السَّـــهْرَةِ السَّـــابِحَةْ

فَتَكْفِـــي قَصِـــيدَةُ مِثْلِـــي لَـــهُ ... فَـــإِنِّي أَرَاهَـــا لَـــهُ شَـــارِحَةْ

تَعَقَّبْـــتُ مَـــا قَلَّتَـــهُ عَبْرَهَـــا ... كَغَادِيـــةٍ تَشْـــتَهِي رَائِحَـــةْ

عَلَـــى المُتَقَـــارِبِ سَـــطَّرْتُهَا ... وَلَمَّـــا تَكُـــن فِـــي الهَـــوَى نَازِحَـــةْ

وَأَجْـــرِي عَلَـــى اللهِ لا أَبْتَغِـــي ... مِـــنَ الغَيـــرِ مَنْفَعَـــةً لامِحَـــةْ

وَإِمَّـــا رَأَيـــتُ الهُـــرَا بَعْـــدَهَا ... أُوَاجِـــهُ بَاللهجَـــةِ الشَّـــارِحَةْ

وَلَسْـــتُ أَخَـــافُ ، وَفِـــيمَ الحَيـــا ... وَلَمَّـــا تَخَـــفْ جَوْقَـــةٌ فَاضِـــحَةْ؟!

رَمَتْنِـــي المَقَـــادِيرُ فِـــي نَحْـــرِكُمْ ... فَسَـــعَّرْتُ نَـــارِي مِـــنَ البَارِحَـــةْ

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/10/8م.

الوحدة العربية: (6957) يوم الأحد14من جمادى الأولى 1416هـ ، 8 من أكتوبر1995م.

سراب الهاوية

(روى مسلم وأحمد وغيرهما عن زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له إذ حادت به فكادت تلقيه. وإذا أقْبُرٌ ستة أو خمسة ، أو أربعة فقال: «مَنْ يعرف أصحاب هذه الأقبُر؟» فقال رجل: أنا. قال: «فمتى مات هؤلاء؟» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه». قال زيد: ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار». قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر». قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. فقال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن». قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجال». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال. بهذا الحديث النبوي العظيم أقدم لقصيدتي سراب الهاوية. قال الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ). وقال: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ). وقال: (فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ). وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). وقال: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ). وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال ، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (أكثروا ذكر هادم اللذات): يعني الموت. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال كان رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: (يا أيها الناس اذكروا اللَّه ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه! قلت: يا رَسُول اللَّهِ إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت! قلت: الربع؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك! قلت: فالنصف؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك! قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك! قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذاً تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: أخذ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل! وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك. رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: بادروا بالأعمال ، سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنىً مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مُفنّداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟! رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: خط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه ، وخط خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه فقال: هذا الإنسان ، وهذا أجله محيطاً به ، أو قد أحاط به ، وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخطوط الصغار الأعراض ؛ فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا! رَوَاهُ البُخَارِيُّ. إن الفتن التي نعيش قد ذهبت بالأخضر واليابس من القيم الأصيلة التي كان من المتصور أن تحيط بحياتنا وتسورها إحاطة السُّوار بالمعصم. إنه لم يعد فرق كبير بيننا وبين أمم أخرى على مقربة منا لا تؤمن بالله ولا بيوم الحساب. فخمورنا كخمورهم ، وفسقنا كفسقهم ، وشبابنا كشبابهم سمتًا وهديًا وشَعرًا وزيا وطبعًا وكلامًا ،

وشوارعنا كشوارعهم ، وترفيهنا كترفيههم ، وكذا بناتنا كبناتهم إلا من رحم الله. الحياة برُمَّتِها تكاد تشبه حياتهم في الظاهر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وإنها لنهايةٌ مفجعةٌ تلك التي ينتهي إليها كُلُّ عابثٍ يتركُ النورَ ويسيرُ في الظلام. ويتخبطُ ويتلبطُ ولا مُجِيبَ لآهاته. في النهاية سوى طابور الغُواة. وكم هو هَوانٌ بالنفسِ أنْ لَا ينْزلها صاحبُها منزلَها الذي أنزلها الله إياها. وكم هو ضياعٌ للقيم أنْ لَا يستفيق المرءُ لحاله وشأنه ، وأنْ لَا يستبينَ الدربَ قبلَ أنْ يزورَ الحتْف!)

أيـــا مَـــنْ سَـــعَيتَ إِلَـــى الغَانِيـــةْ ... يمِينًـــاً سَتَسْـــقُطَ فِـــي الهَاوِيـــةْ

وَتَنْـــدَمُ أَنّـــكَ لَـــمْ تَنْتَبِـــهْ ... وَتَبْكِـــي عَلَيـــكَ هُنَـــا البَاكِيـــةْ

وَأَنْـــتَ الضَّـــحِيةَ فِـــي عَـــالَمٍ ... يُعَـــانِي أَسَـــى الضَّـــرْبَةِ القَاضِـــيةْ

طَوَتْـــكَ الخُطُـــوبُ بِـــلا رَحْمَـــةٍ ... وَغَرَّتْـــكَ دُنْيـــا الهَـــوَى الخَاوِيـــةْ

وَأَثَـــرَ فِـــي القَلْـــبِ إِفْلاسُـــهَا ... فَـــذَاقَ الفُـــؤَادُ لَظَـــى الدَّاهِيـــةْ

تَيسَّـــرَ حَوْلَـــكَ كُـــلُّ الخَنَـــا ... فَكُنْـــتَ لَـــهُ أُذُنًـــا وَاعِيـــةْ

كَـــأَنَّ السَّـــرَابَ عَلَـــى مَوْعِـــدٍ ... مَـــعَ الكَـــأسِ وَالوَغْـــدِ والغَانِيـــةْ

سَـــرَابٌ تَجَـــاوَزَ عَقْـــلَ الفَتَـــى ... وَكَارِثَـــةً فَوْقَـــهُ طَاغِيـــةْ

وَرَاحٌ تُطَـــوِّقُ إِنْسَـــانَهُ ... وَنَـــارٌ عَلَـــى رَأسِـــهِ حَامِيـــةْ

وَإِنَّ المُـــدَامَ لأُمُّ الخَطَـــا ... وَأُمُّ الكَبَـــائِرَ والنّاصِـــيةْ

سَـــعَيتَ إِلَيهَـــا ، وَلَـــمْ تَعْتَبِـــرْ ... بِمَـــا حَـــوَتِ الكُتُـــبُ الهَادِيـــةْ

وإِنِّـــي لِأَمْـــرِكَ فِـــي حَيـــرَةٍ ... أَتَسْـــقُطَ فِـــي الـــدَّرْبِ كَالمَاشِـــيةْ؟

وَتَرْضَـــى الحَيـــاةَ بِغَيـــرِ الهُـــدَى؟ ... وَتَلْهَـــثُ خَلْـــفَ الـــدُّمَى البَالِيـــةْ؟

عَجِبْـــتُ لِأَمْـــرِكَ مِـــنْ ضَـــائِعٍ ... تَـــدُوْرُ مَـــعَ الـــبُهْمِ فِـــي السَّـــاقِيةْ

وَكُـــلُّ طَمُوْحِـــكَ فِـــي سَـــهْرَةٍ ... تُبَـــدِّدُ هِمَّتَـــكَ العَالِيـــةْ

وَأَتْقَنْـــتَ فَـــنَّ السُّـــقُوْطِ الّـــذِي ... طَـــوَاكَ مَـــعَ الصُّـــحْبَةِ الغَاوِيـــةْ

كِـــلابُ الهَشِـــيمِ عَلَـــيكُم عَـــوَتْ ... وَأَزتْكُـــمُ الضُّـــبُعُ العَاوِيـــةْ

جَـــرَيتُم وَرَاءَ السَّـــرَابِ الّـــذِي ... صُـــلِيتُم - سُـــدًى- نَـــارَهُ الضَّـــارِيةْ

وَلَـــمْ تَسْـــتَفِيقُوا لِمَـــا نَـــالَكُم ... وَلَـــمْ تُـــدْرِكُوا المِحْنَـــةَ العَاتِيـــةْ

يمِينًـــاً تَحَيـــرْتُ فِـــي أَمْـــرِكُم ... فمَـــا بَـــينَ بَـــاكٍ عَلَـــى جَارِيـــةْ

وَآخَـــرُ مِـــنْ آهَـــةٍ يشْـــتَكِي ... وَيلْعَـــنُ أَيامَـــهُ المَاضِـــيةْ

وَآخَـــرُ فِـــي حَلْقِـــهِ غَصَّـــةٌ ... مَـــنَ المُهْتَـــدِي ، وَمِـــنَ الزَّاوِيـــةْ

وَآخَـــرُ يهْـــذِي عَلَـــى عُمْـــرِهِ ... وَيبْكِـــي عَلَـــى الليلَـــةِ الحَانِيـــةْ

وَآخَـــرُ فِـــي الكَـــأسِ أَحْلامُـــهُ ... فَفِـــي قَعْرِهَـــا إِلفَـــهُ الغَالِيـــةْ

وَآخَـــرُ فِـــي الفِـــيلمِ تَفْكِيـــرُهُ ... يتَـــابِعُ قِصَّـــتَهُ الوَاهِيـــةْ

وَآخَـــرُ قَـــيسٌ صَـــرِيعُ الهَـــوَى ... وَأَفْقَـــدَهُ حُبُّـــهُ العَافِيـــةْ

فَلَـــيسَ بَنُـــو عَـــامِرٍ شُـــغْلَهُ ... فَلَيلَـــى هِـــي الدَّمْعَـــةُ السَّـــاجِيةْ

وَلَيلَـــى هِـــي المُنْتَهَـــى وَالمُنَـــى ... وَليلَـــى هِـــي الجَنَّـــةُ الدَّانِيـــةْ

وَلَيْلَـــى هِـــيَ المُبْتَغَـــى وَالحِمَـــى ... وَلَيْلَـــى هِـــيَ النَّشْـــوةُ اللّاهِيـــةِ

وَلَيلَـــى هِـــي الـــوَطَنُ المُشْـــتَكِي ... وَلَيلَـــى هِـــي النَّجْمَـــةُ العَانِيـــةْ

وَلَـــيسَ لِقَـــيسٍ سِـــوَى صَـــمْتِهَا ... وَإِرْهَاصَـــةِ الوَجْنَـــةِ القَاسِـــيةْ

أَيـــا مَـــنْ طَـــوَاكَ الهَـــوَى وَالمُنَـــى ... حَنَانَيْـــكَ فِـــي الخَيبَـــةِ الغَافِيـــةْ

خُلِقْـــتَ لِتَعْبُـــدَ رَبَّ الـــوَرَى ... وَهَـــذِي هِـــي الغَايـــةُ السَّـــامِيةْ

فَأَشْـفِقْ عَلَـى الـنَّفْسِ مِـنْ ظُلْمِهَـا ... وَصُـــنْهَا عَـــنِ الشَّـــهْوَةِ الفَانِيـــةْ

وَدَاوِ الفُـــؤَادَ بِـــبُغْضِ الهَـــوَى ... تَـــذَكّر مَصِـــيرَكَ لَـــوْ ثَانِيـــةْ

دَهَتْـــكَ الخُطُـــوبُ وَلَـــمْ تَعْتَبِـــر ... كَبَـــرْقٍ غَـــزَا اللّيلَـــةَ الشَّـــاتِيةْ

فَضَـــاعَتْ مَعَـــالِمُ دَربِ الفَتَـــى ... عَلَيـــهِ انْطَـــوَت لَيلَـــةً دَاجِيـــةْ

وَيوْمًـــاً يعُـــوْدُ إِلَـــى رُشْـــدِهِ ... فَـــإِنَّ الفَتَـــى شُـــعْلَةٌ زَاكِيـــةْ

عَسَـــى اللهُ أَن لا يطَـــوْلَ الـــدُّجَى ... عَلَـــى الفَـــذِّ فِـــي المِحْنَـــةِ الجَاسِـــيةْ

جريدة الوحدة العربية ، العدد رقم: (6956)

الصادر يوم السبت13 من جمادى الأولى 1416هـ. الموافق:7من أكتوبر لسنة1995م.

ملاحٌ في بحر الظلمات

(وأنا في الصف الثالث من المرحلة الإعدادية كتبتُ قصيدة تحمل ذات العنوان (ملاح في بحر الظلمات) ، فهل كبير فرق بين القصيدتين قصيدة اليوم ، وقصيدة الأمس؟ وحتى أجيب عن هذا السؤال لا بدَّ من استحضار أن كل قصيدة لها ظروف تأليف وصياغة تُناسب تلك الظروف ، وكلمات انتهتْ إليها قدرة الشاعر وموهبته. وإذن فالفرق كبير جدًّا بين القصيدتين. وكم أسفت لما وجدت البعض ينتحل ما كتبت عن نفسي لينسبه لنفسه ، فكانت قرصنة من نوع آخر! قال الأستاذ عمار محاميد تحت عنوان القرصنة الفكرية ما نصه: (التدرع بالخوف والنظر لبعد قريب أو بعيد كي نتجنب إحداثيات كل ما يثير التعب التفكري والمعنوي إذا حصل مكروه لسطر خرج للنور وعلى غرار ذاك أصبحت الظلمات تحاكيه بالنهب والسرقة الأدبية بكل أركانها. تجلس وتخط الحروف فوق سطورها وتنثر الأفكار نحو ينبوعها. ترسم بين لوحاتك كل جميل بطبيعتها غير المزيفة وتمطر على أعلامها كل استقلال لذاتك. وفجأة تجد أن التعب الذي غزاك قد لبس اسماً آخر دون كد. تجد كلماتك قد التصق بها اسم آخر ليس لك ولا يشبه اسمك. حتى اسمه قد ذاع وانتشر وختمت تحت رايته شاعر وكاتب. يا للأسف. قلها دوماً من يحب أن يكتب اسم ابنه على هوية آخر. أو ينتحل رداء لا يليق به. أيرتضي الخلق أن يلبس الباطل. أو النهر يعتلي فوق الجبال. لذا فإن السرقة الأدبية أي سرقة كانت. فهي لا تليق بالإنسانية ولا تنتمي للأدب أصلاً ، السؤال المطروح هنا ويتساءل به الكثيرون: لكن هل مراقب على النشر؟ هل من ناظر للسخريات الأدبية؟ هل من جمعية تنظر حول حروف التحميل؟).هـ. وقد يسأل سائل: ما بال هذا يسأل عن خصوصياته؟ ويجيب: إن الحُكم كان ينبغي أن يكون للنقاد. وأنا أوافق هذا السائل في الإطار العام للكلام ، وأخالفه في التفاصيل: إن أكبر ناقد لأشعار نفسه هو الشاعر نفسه. إن الكلمة لها وقعُها في فؤاده وجوارحه ومشاعره وعواطفه وأحاسيسه ، ونبضات الدم في عروقه قبل أن تُنقش على أي قِرطاس طالته يدُه ، وانصاع ليراعاته. هذا إن كان يكتب بقلبه وقلمه معًا ، إنَّ الشاعر هو أكبر ناقد لما يكتب من شعر. يحس بمواطن الضعف وخلل الأداء ، وخور الصياغة ؛ لأنه باختصار هو الذي صاغ بالقلب والقلم معًا. إنني اليوم حقًّا أكتبُ لقضية عشتُ من أجلها ، وأموت يومَ أموتُ في سبيلها ، إنها الدفاع عن القيم المستقاة من الوحيين الكتاب والسنة ، واللغة العربية وشعرها العربي الإسلامي الأصيل. بعكس حالي عام 1978م. أيام كنت في الثالث الإعدادي. كانوا مجموعةً مِنَ الملَّاحين يعملون معًا ، وفجْأَة عَمِلوا مع القراصِنَة ، وأبى ذلك الملَّاحُ إلا أنْ يسْبَح عَكْسَ التيار!)

أيهَـــا المَـــلاّحُ زِدْ فِـــي الاغْتِـــرَابْ ... إنَّ فُلْـــكَ الخَيـــرِ تَجْتَـــازُ السَّـــرَابْ

حَوْلَـــكَ الهَلْكَـــى فَـــلا تَعْبَـــأ بِهِـــم ... إنّمَـــا الهَلْكَـــى عَـــذَابٌ فِـــي عَـــذَابْ

ثُـــمَّ إنَّ الفُلْـــكَ لَـــنْ تَسْـــعَى بِهِـــم ... جَوْقَـــةُ الصَّـــرْعَى وَأَتْبَـــاعُ الـــذَبَابْ

كَيـــفَ تَرْجُـــو مِـــنْ نَـــدَامى يقْظَـــةً؟ ... فَـــارْحَمِ الأَمْـــوَاجَ مِـــنْ ذُلِّ المُصَـــابْ

إنَّ مـــاء البَحْـــرِ حَـــرْبٌ فَانْتَبِـــهْ ... وَجُنُـــوْدُ البَحْـــرِ تَسْـــعَى لا تَهَـــابْ

وَرِيـــاحُ البَحْـــرِ هَبَّـــتْ بِـــالأَذَى ... واللظَـــى يـــا صَـــاحِبِي غَطّـــى الرِّحَـــابْ

وَطَيـــــوْرُ البَحْـــــرِ خَانَـــــتْ جَوَّهَـــــا ... لا تُعَاتِبْهَـــــا فَمَـــــا أَقْسَـــــى العِتَـــــابْ!

وَرِفَـــاقُ الـــدَّرْبِ - فِـــي البَحْـــرِ - مَضَـــوا ... وَعَلَـــــي الشَّـــــاطِئِ قَـــــدْ غَنّـــى الخَـــرَابْ

وَنَسِـــــيمُ البَحْـــــرِ وَلّـــــى وَالصَّـــــدَى ... وَرِيـــــاءُ الصَّـــــحْبِ قَـــــدْ فَـــــاقَ السَّـــــحَابْ

وَتُـــــرَابُ البَحْـــــرِ أَضْـــــنَاهُ النّـــــوَى ... وَنِفَـــــاقُ الآلِ مِـــــنْ فَـــــوْقِ الصِّـــــعَابْ

وَشِـــــرَاعُ الفُلْـــــكِ غَشَّـــــاهُ الكَـــــرَى ... خُـــــذْ بِنَصْـــــلِ السَّـــــيفِ وَاضْـــــرِبْ بِـــــالحِرَابْ

لا تَسَـــــلّنِي عَـــــنْ تَغَارِيـــــدِ الهَـــــوَى ... لا تَسَـــــلّنِي عَـــــنْ تَـــــرَانِيمِ الشَّـــــبَابْ

لا تَسَـــــلّنِي كَيـــــفَ ضَـــــاعَتْ رِفْقَتِـــــي ... قَـــــدْ تَزِيـــــدُ الخَطْـــــبَ أَخْبَـــــارُ الصِّـــــحَابْ

لا تَسَـــــلّنِي عَـــــنْ حَبِيـــــبٍ ضَـــــائِعٍ ... صَـــــاحِ ، قَـــــدْ ضَـــــاعَتْ أَمَانِيـــــكَ العِـــــذَابْ

إِنْ تَكُـــــنْ فِـــــي اللهِ قَـــــدْ أَحْبَبْتَـــــهُ ... لا يُضَـــــيْعِ اللهُ حُبًّـــــا يُسْـــــتَطَابْ

إِنّمَـــــا فِـــــي الوَهْـــــمِ قَـــــدْ أَحْبَبْتَـــــهُ ... وَكَـــــذَاكَ الـــــوَهْمُ يَمْحُـــــوهُ الرَّبَـــــابْ

قَـــــدْ سَـــــأَلْتَ النّـــــاسَ سُـــــؤْلاً يـــــزْدَرَى ... فِـــــيمَ سُـــــؤْلٌ مَـــــا لَـــــهُ عِنْـــــدِي جَـــــوَابْ؟

فَاجْعَـــــلِ الإِسْـــــلامَ صَـــــحْبًا تَنْتَصِـــــرْ ... وَاجْعَـــــلِ السُّـــــنّةَ دِينًـــــا وَالكِتَـــــابْ

لا تُسَـــــوِّفْ تَوْبَـــــةً قَـــــدْ وَجَبَـــــتْ ... وَعَسَـــــاكَ - اليـــــوْمَ - تَحْظَـــــى بِـــــالثَّوابْ

أَكْـــــتُمِ الإِيمَـــــانَ تُصْـــــبِحْ بَطَـــــلًا ... صَـــــاحِ هَـــــذَا – اليـــــوم مِـــــنْ فَصْـــــلِ الخِطَـــــابْ

وَامْـــــضِ فِـــــي البَحْـــــرِ وَحِيـــــدًا لا تَخَـــــفْ ... حَيـــــثُ إِنَّ المَـــــوْجَ رَوَّتْـــــهُ الشِّـــــعَابْ

سَـــــوْفَ يصْـــــفُو الجَـــــوُّ يوْمًـــــا والحِمَـــــى ... مِـــــنْ جَمِيـــــعِ الـــــدُّوْدِ ، مِـــــنْ كُـــــلِّ الـــــذْئَابْ

وَيمُـــــوت الغَـــــدْرُ مَجْنُـــــوْزَ الخُطَـــــا ... ثُـــــمَّ لا يعْلُـــــو عَلَـــــى القَـــــوْمِ الغُـــــرَابْ

وَسِـــــتَارُ الظُلْـــــمِ يوْمًـــــا ينْطَـــــوِي ... ثُـــــمَّ لا تَعْـــــوِي - عَلَـــــى الـــــدَّرْبِ - الكِـــــلابْ

وَحَدِيـــــدُ السِّـــــجْنِ يُرْدِيـــــهِ الضِّـــــيا ... وَيعُـــــوْدُ العَـــــدْلُ مِـــــنْ بَعْـــــدِ الغِيـــــابْ

ثُـــــمَّ يعْلُـــــو الخَيـــــرُ قَوْمًـــــا زُلْزِلُـــــوا ... وَيسُـــــوْدُ الهَـــــدْي نَهْجًـــــا والصَّـــــوَابْ

أَيهَـــــا المَـــــلاّحُ إِنْ عَـــــمَّ الرَّخَـــــا ... فَاكْسِـــــرِ القَيـــــدَ ، وَعَجِّـــــلْ بِالإِيـــــابْ

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/10/26م.

يوم الخميس2من جمادى الآخرة1416هـ ، الموافق: 26 أكتوبر1995م.

عدد جريدة الوحدة العربية رقم: (6973)

اليتيم

(كانَ مِن قَدري أن أرى يتيمًا كلَّ يومٍ وأتحدثَ إليه. وذاتَ يومٍ جَرحتُ مشاعِرَهُ فاعتذرتُ إليه شعراً! وذلك بعد أن استعرضت ما لليتيم في ديننا من عظيم مكانة! قال تعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً). ولما أرضى أبو الدحداح اليتيم الذى جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم – يطلب شفاعته في نخلة على الحد الذى يفصل بين بستانه وبستان أحد المسلمين - بشره بالجنة ، فعن أنس – رضي الله عنه - عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة. أخرجه: أحمد وابن حبان والحاكم ، وقال: صحيح على شرط مسلم. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما - عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: أول من يأكل من ثمرة الجنة أبو الدحداح! أخرجه الديلمى. وأنا حاولت وصف شعوري شعراً عندما سألته: أين توقيع ولي أمرك؟)

كُلّمَـــــا أَمْعَنْـــــتُ فِيـــــهِ النّظَـــــرْ ... أَدْرَكَتْنِـــــي دَمْعَتِـــــي تَعْتَـــــذِرْ

لَـــــمْ أَكُـــــنْ أَدْرِي أَسَـــــى حَالِـــــهِ ... عِنْـــــدَمَا سَـــــاءَلْتُهُ مَـــــا الخَبَـــــرْ؟

فَأَجَـــــابَ السُّـــــؤْلَ يبْكِـــــي جَـــــوَى ... وَفِـــــرَاقُ الأَبِّ يكْـــــوِي النّظَـــــرْ

كَيـــــفَ يحْلُـــــو فِـــــي الـــــدُّجَى عَيشُـــــهُ ... دَامِـــــعَ العَينَـــــينِ يشْـــــكُو الغِيـــــرْ؟

يرْقَـــــبُ الأَطْفَـــــالَ فِـــــي حَسْـــــرَةٍ ... وَيغُـــــضُّ الطَّـــــرْفَ يُقْصِـــــي البَصَـــــرْ

يرْمُـــــقُ الفَرْحَـــــةَ فِـــــي أَنْسِـــــهِم ... ثُـــــمَّ يكْوِيـــــهِ السَّـــــعِيرُ الأَمَـــــرْ

كُلّمَـــــا ضَـــــاحَكْتُهُم لامَنِـــــي ... قَـــــالَ: مَـــــا فِـــــيكُم طِبَـــــاعُ البَشَـــــرْ

طَالَمَـــــا آذَيتُمُـــــونِي هُنَـــــا ... وَالأَذَى مَـــــنْ ذِكْـــــرِكُم يـــــدَّكِرْ

تَقْـــــرَأونَ الـــــذِّكْرَ ، لَكِـــــن عَمَـــــى ... وَكَـــــذَا الحِكْمَـــــةَ دُوْنَ العِبَـــــرْ

أَسْـــــوَتِي هَـــــذَا النّبِـــــي الّـــــذِي ... عَـــــاشَ فِـــــي اليـــــتْمِ اقْـــــرَأوا فِـــــي السِّـــــيرْ

فِـــــي ذَرَى الفَـــــرْحِ أَرَى جَمْعَكُـــــم ... وَأَنَـــــا فِـــــي اليـــــتْمِ أَنعِـــــي الصِّـــــغَرْ

أَسْـــــكُبُ الدَّمْعَـــــةَ فِـــــي كُرْبَتِـــــي ... وَأَبُـــــثّ القَلْـــــبَ شَـــــكْوَى الحَـــــذَرْ

أَنْـــــتُمُ اللاهُـــــونَ فِـــــي عَيشِـــــكُم ... وَلِمِثْلِـــــي الـــــدَّمْعُ بَعْـــــدَ الكَـــــدَرْ

بَيـــــنَكُم تَجْـــــرِي دُمُـــــوْعِي سُـــــدَى ... يـــــا قُلُوبـــــاً فِـــــي الحَشَـــــا كَـــــالحَجَرْ

كُلّكُـــــم يبْكِـــــي عَلَـــــى مَالِـــــهِ ... لا عَلَـــــى مِثْلِـــــي ، فَكُلّـــــي هَـــــدَرْ

سَـــــائِلُوا أَخْلاقَكُـــــم سَـــــاعَةَ ... حَاكِمُوْهَـــا ، إِنّهَـــا فِـــي خَطَـــرْ

لَـــوْ بِمَـــالٍ يشْـــتَرَى لِـــي أَبٌ ... بِعْـــتُ نَفْسِـــي ، بَـــلْ وَلَـــمْ أَنْتَظِـــرْ

كَـــي أَرَى فِـــي الـــوَرَى لِـــي أَبًـــا ... يمســـح الدَّمْعَـــةَ ، يمْحُـــو الضَّـــجَرْ

يبْعَـــثُ البَسْـــمَةَ فِـــي خَـــاطِرِي ... يحْتَـــوِينِي عَطْفُـــهُ فِـــي الغِيـــرْ

يشْـــتَرِينِي مِـــنْ كُرُوْبِـــي إِذَنْ ... يُخمـــد النـــار ، حتـــى الشَّـــرَرْ

يمْـــنَحُ القَلْـــبَ الصَّـــفَا وَالهَـــوَى ... وَيُسَـــلِّي الـــرُّوْحَ ، بَـــلْ وَالعُمُـــرْ

لَكِـــنِ الآبَـــاءُ لا تُشْـــتَرَى ... آهِ مِـــنْ دَمْـــعِ الأَسَـــى المُنْهَمِـــرْ!

أَشْـــمَتَ الأَعْـــدَاءَ يُتْمِـــي وَلا ... ذَنْـــبَ لِـــي ، إِنَّ المَنَايَـــا قَـــدَرْ

قِسْـــمَةَ المَـــوْلَى ، وَكُلِّـــي رِضـــاً ... سَـــوفَ لَـــنْ أَجْـــزَعَ ، بَـــلْ أَصْـــطَبِرْ

وَسَأَقْضِـــي العُمْـــرَ لا أَشْـــتَكِي ... وَعَلَـــى يُتْمِـــي أَنَـــا المُنْتَصِـــرْ

طَالَمَـــا عَـــذَّبْتُ نَفْسِـــي أَسَـــىً ... طَالَمَـــا عَانَيـــتُ طَـــوْلَ السَّـــهَرْ

طَالَمَـــا أَوْجَعْـــتُ نَفْسِـــي عَـــزَاً ... وَعَـــزَاءُ الـــنَّفْسِ مِثْـــلُ السُّـــعُرْ

آهِ لَـــوْ يـــدْرِي الـــوَرَى عَزْمَتِـــي ... لَـــرَأَوْا فِـــيّ (اليتـــيمَ الأَغَـــرْ)

رَبُّنَـــا المَـــوْلَى قَضَـــى أَمْـــرَهُ ... عَـــزَّ فِـــي عَلْيـــاهُ مِـــنْ مُقْتَـــدِرْ

أَيهَـــا الأَسْـــتَاذُ: كُـــنْ لِـــي أَبًـــا ... يجْتَبِينِـــي ، ثَـــمَّ بِـــي يفْتَخِـــرْ

إِنَّمَـــا الأَوْلادُ فِـــي أَنْسِـــهِم ... وَأَنَـــا رَهْـــنُ الأَسَـــى المُنْقَعِـــرْ

لا أَرَانِـــي مِـــثْلَهُم لَحْظَـــةً ... مَـــا لِمِثْلِـــي خَـــاطِرٌ مُعْتَبَـــرْ

فَحُبُـــوْرِي خَلَّـــفَ حُزْنِـــي انْـــزَوَى ... وَدُمُـــوْعِي بِـــالجَوَى تَنْحَـــدِرْ

فَـــارْحَمِ اليُـــتْمَ الَّـــذِي لَفَّنِـــي ... وَكَلامِـــي كَـــمْ بِـــهِ مِـــنْ دُرَرْ!

وَتَخَيَّـــلْ (عُمَـــرًا) فِـــي يُتْمِـــهِ ... عِنْـــدَمَا تُغْتَـــالُ أَو تُحْتَضَـــرْ

عَاقِـــلٌ مَـــنْ هَـــزَّهُ مَنْطِقِـــي ... وَفَتَـــىً فِـــي النَّـــاسِ مَـــنْ يزْدَجِـــرْ

الوحدة العربية: (6955) -11من جمادى الأولى 1416هـ ، 5من أكتوبر1995م.

آهة في صدري

(عندما يسُودُ الليلُ بظلمتهِ يشعرُ الإنسانُ أنْ لا نهار ، وعندما يسُود النهارُ بضوئه يشعرُ الإنسانُ أنْ لا ليل. فسُبحان مَنْ يكَوِّرُ الليلَ والنهار. قال النووي في رياض الصالحين: (باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة المراد به الحديث الذي يكون مباحاً في غير هذا الوقت وفعله وتركه سواء ، فأما الحديث المحرم أو المكروه في غير هذا الوقت فهو في هذا الوقت أشد تحريماً وكراهة. وأما الحديث في الخير كمذاكرة العلم وحكايات الصالحين ومكارم الأخلاق والحديث مع الضيف ومع طالب حاجة ونحو ذلك فلا كراهة فيه ، بل هو مستحب وكذا الحديث لعذر وعارض لا كراهة فيه وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على كل ما ذكرته).هـ. قال الألباني تعقيباً على كلام الإمام النووي في مقدمة تحقيقه لرياض الصالحين على كلام النووي رحمه الله في الرياض تعليقاً على السهر بعد العشاء: (ينبغي أن يقيّد ذلك بما إذا لم يترتّب على الحديث بعد العشاء إضاعة شيء من الواجبات العينية ، كالشاب مثلاً يسهر في دراسة العلم أو الاستعداد للاختبار إلى قريب من نصف الليل ثم ينام منهكاً ، فتفوته صلاة الصبح ، فمثل هذا السهر - ولو في طلب العلم - لا يجوز. لأن مثله كمثل كمن يبني قصراً ويهدم مصراً. وإنما عليه أن ينام مبكراً بعد صلاة العشاء ، ليستيقظ مبكراً لصلاة الصبح ، وليجعل دراسته بعدها ، وصدق رسول الله صلى الله عليه و سلّم إذ يقول: (بورك لأمتي في بكورها). قال ابن عثيمين في (شرح رياض الصالحين): (أحيا الليل: أي أحياه بالذكر والقرآن والصلاة والعبادة. وأيقظ أهله وشد مئزره: أيقظهم ليصلوا. وشد المئزر: أي تأهب تأهباً كاملاً للعمل لأن شد المئزر معناه أن يتأهب الإنسان للعمل ويتقوى عليه. وقيل معنى شد المئزر أنه يتجنب النساء لأنه يتفرغ للعبادة وكلاهما صحيح. فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتفرغ للعبادة في العشر الأواخر من رمضان ويحيي الليل كله بطاعة الله. فهذا من الجود بالنفس لأنه جود في حق الله عز وجل. والله هو الذي يمن على من يشاء من عباده. فإذا منّ عليك بالعمل فله المنة يمن عليك بالعمل أولاً ثم يمن عليكم بقبوله ثانياً).هـ. وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (ومتى كان السمر بلغو ، ورفث ، وهجاء ، فإنه مكروه بغير شك). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وَالسَّمَر بَعْدَه العشاء قَدْ يُؤَدِّي إِلَى النَّوْم عَنْ الصُّبْح ، أَوْ عَنْ وَقْتهَا الْمُخْتَار ، أَوْ عَنْ قِيَام اللَّيْل. وَكَانَ عُمَر بْن الْخَطَّاب يَضْرِب النَّاس عَلَى ذَلِكَ وَيَقُول: (أَسَمَرًا أَوَّلَ اللَّيْل وَنَوْمًا آخِرَهُ؟). وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في اللقاء الشهري: (وإذا أطال الإنسان السهر ، فإنه لا يعطي بدنه حظه من النوم ، ولا يقوم لصلاة الصبح ، إلا وهو كسلان تعبان ، ثم ينام في أول نهاره عن مصالحه الدينية والدنيوية. والنوم الطويل في أول النهار يؤدي إلى فوات مصالح كثيرة ، وقد جرب الناس أن العمل في أول النهار أبرك من العمل في آخر النهار ، وأنه أسد وأصلح وأنجح ، فإن البكور مبارك فيه ، وهؤلاء الذين يسهرون الليالي ، لا شك أنهم لا يستطيعون البقاء بدون نوم ، فلا بد للجسم من النوم ، وطول السهر يحول دون ذلك).هـ. وإنما عنيت ليل أمتنا البهيم ، فوازنت بين الليل وهذا الحال! ولاشكَّ أنَّ الليل قد طال ونتوقُ إلى النهار. ونسألُ الله نهارَ العِزِّ لأُمتِنا.)

رِيـــــاحُ مُصِـــــيبَتِي لَفَحَـــــتْ فُـــــؤَادِي ... وَنَـــــارُ تَحَسُّـــــرِي شَـــــجَبَتْ عِنَـــــادِي

وَبَاتَـــــتْ فِـــــي سَـــــرَابِ أَمْنِيـــــاتِي ... وَهَبَّـــــتْ فِـــــي الـــــدُّنَا رِيـــــحُ الفَسَـــــادِ

عَلَـــــى هَـــــذِي الحَنِيفَـــــةِ ، مَـــــا دَهَاهَـــــا ... تَعَرْقَـــــلَ سَـــــيرُهَا نَحْـــــوَ الرَّشَـــــادِ

وَأَنْظُـــرُ فِـــي الحَوَاضِـــرِ وَالبَيَـــادِي ... فَـــلا أَلْقَـــى سِـــوَى بَعْـــضِ الجَـــرَادِ

تَـــدَنّسَ كُـــلُّ شَـــيءٍ ، وَاعْتِقَـــادٍ ... وَبَـــاتَ القَـــوْمُ فِـــي جَـــوْفِ الرَّمَـــادِ

وَمَـــنْ يعْطِـــي كَمَـــنْ هُـــوَ لَـــيسَ يعْطِـــي ... كَـــأَنَّ النّـــاسَ أَشْـــبَاهُ الجَمَـــادِ

لَقَـــدْ فَتِنُـــوا ، وَتَـــاهُوا واسْـــتَكَانُوا ... وَبِيـــعَ الشَّـــهْمُ مِـــنْهُم فِـــي المَـــزَادِ

وَكَبَّرْنَـــا عَلَـــى مَـــنْ مَـــاتَ مِـــنْهُم ... وَأَعْلَنَـــتِ النَّسَـــا بَـــدْءَ الحِـــدَادِ

وَلَـــيسَ لِخَالِـــدٍ فِـــي القَـــوْمِ ذِكْـــرٌ ... كَـــذَا لَـــمْ يـــذْكُرُوا ضَـــبْحَ الجِيـــادِ

وَقَـــوْمٌ فِـــي حَضِـــيضِ التِّيـــهِ دَهْـــرًا ... وَلَمَّـــا يُـــدْرِكُوا طَعْـــمَ الجِهَـــادِ

فَـــلا نَسْـــتَبْعِدُ الإِفْـــلاسَ عَـــنْهُم ... وَيبْقَـــى سُـــؤْلُهُم يـــوْمَ المَعَـــادِ

أَنَـــا فِـــي مِحْنَتِـــي وَحْـــدِي أُعَـــانِي ... وَغَيـــرِي عَـــاثَ سُـــوْءًا فِـــي الـــبِلادِ

وَجِيـــلٌ فِـــي بَقَايـــا التِّيـــهِ يحْبُـــو ... كَـــأَنَّ التِّيـــهَ مَرْفَـــوْعُ العِمَـــادِ

وَمَـــا فِـــي التِّيـــهِ مِـــنْ نُـــوْرٍ لِقَـــوْمٍ ... وَإِنَّ التِّيـــــــهَ أَوْدَى بِالعِبَـــــــادِ

عَجِيـــبٌ أَنْ تَـــرَى الأَوْهَـــامَ تَسْـــعَى ... عَلَـــى قَـــدَمَينِ فِـــي قَـــوْمٍ شِـــدَادِ

وَأَعْجَـــبُ مِنْـــهُ أَنْ يتَقَلّـــدُوْهَا ... وِسَـــامًا فِيـــهِ أَشْـــرِعَةَ العَتَـــادِ

أَلا يـــا قَلْـــبُ دُوْنَـــكَ ضَـــوْءُ عَينِـــي ... فَمَـــا فِـــي الجِيـــلِ هَـــذَا مَـــنْ تُنَـــادِي

وَلَـــوْ - عِيـــرًا - تُنَـــادِي لاسْـــتَجَابَتْ ... فَصُـــنْ قَلَمًـــا تَسَـــرْبَلَ فِـــي المِـــدَادِ

وَخَفِّـــفْ ، دَمْعَـــةَ العَـــينِ اسْـــتَجَارَت ... وَإِنَّ صَـــرَاحَتِي جَرَحَـــتْ فُـــؤَادِي

وَضَـــمِّدْ بِالتَّصَـــبُّرِ مُعْضِـــلاتِي ... وَكُـــنْ مِـــنْ كُـــلِّ حَـــالٍ فِـــي حِيـــادِ

فَفِـــي قَـــدَرِ الإِلَـــهِ مُفَاجَـــآتٌ ... وَإِنَّ الخَيـــرَ مِـــنْ بَعْـــضِ المُـــرَادِ

وَمَهْمَـــا عَانَـــدَ الأَقْـــوَامُ جَهْـــلاً ... أَرَاكَ بِمَـــا تُنَـــادِي فِـــي سَـــدَادِ

وَإِنَّ الصَّـــبْرَ نُـــوْرٌ فِـــي الـــدَّياجِي ... وَمَـــا لِعَطَائِـــهِ لَـــكَ مِـــنْ نَفَـــادِ

وَأَرْضُ اللهِ وَاسِـــعَةٌ فَهَـــاجِرْ ... عَسَـــى تَنْجُـــو ، وَتَصْـــفَحُ لا تُعَـــادِي

وَرَبُّـــكَ نَاصِـــرٌ مَـــنْ يتَّقِيـــهِ ... وَخَيـــرُ الصَّـــبْرِ دَوْمًـــا فِـــي ازْدِيـــادِ

جريدة الوحدة العربية (6983). الثلاثاء14 من جمادى الآخرة 1416هـ . 7من نوفمبر1995م

في رثاء أريج الطفولة

(الطفولة حلم تراود الإنسانَ ذكرياتُه حتى يموت. والآن أرثي أريج طفولتي وأعيش هزيعًا من ذكرياتها الجميلة. يقول الدكتور عبد الفتاح إدريس في بيان مسؤولية الوالدين تجاه الطفل ما نصه: (إذا كان الشارع قد كفل للطفل حق النفقة له علي والده إلي أن يتمكن من كسب المال بنفسه. فقد أوجب الشارع علي الوالدين أن يعدلا بين أولادهما في العطف والرعاية والحنو والعطايا ، حتي لا توغر التفرقة بينهم في ذلك صدورهم ، أو تنشئ بينهم العداوة والبغضاء. وأوجب علي الوالدين أن يُعَلما أولادهما ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، ومن ذلك تعليمهم كيفية الطهارة والصلاة ، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ، صلي الله عليه وسلم ، قال: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر). بل إن الشارع حرّم علي الوالدين الدعاء علي أولادهما ، خشية أن يوافق الدعاء ساعة إجابة فيصيب الولد ما دُعي به عليه. إذ روي عن النبي ، صلي الله عليه وسلم ، أنه قال: لا تدعوا علي أنفسكم ، ولا تدعوا علي أولادكم ، ولا تدعوا علي أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم!).هـ.)

سَـــلامًا عَلَـــى طَيـــفِ الطّفُولَـــةِ عَـــاطِرًا ... وَمَرْحَـــى بِمَـــاضٍ بَـــاتَ بِالحُـــبِّ ذَاخِـــرا

هَزِيـــعٌ تَـــوَلّى مِـــنْ سَـــنَا العُمْـــرِ تَارِكًـــا ... شَـــبَابًا مِـــنَ الـــذِكْرَى بَهِيًّـــا مُغَـــامِرا

أَرِيـــجٌ مِـــنَ الأَزْهَـــارِ أَزْكَـــى نَضَـــارَةً ... يُسَـــلّي مِـــنَ المُلْتَـــاعِ قَلْبًـــا وَخَـــاطِرا

أَلا إِنَّ دُنْيـــا الطّفْـــلِ بِـــالعَطْفِ أَثْرِعَـــتْ ... وَتحْنَـــانُ قَلْـــبِ الطّفْـــلِ يخْتَـــالُ شَـــاعِرا

وَإِنِّـــي لأَبْكِـــي ذِكْرَيـــاتِ طُفُـــولَتِي ... وَأَلْـــتَمِسُ الـــذِكْرَى ، وَأَشْـــتَاقُ حَـــائِرا

وَتَعْصِـــفُ بِالإِحْسَـــاسِ غَائِلَـــةَ الجَـــوَى ... فَأَسْـــعَى وَحِيـــدًا مِـــنْ لَظَـــى العَصْـــفِ خَـــائِرا

وَأَرْثِـــي أَرِيجًـــا قَـــدْ تَمَضَّـــى زَهَـــاؤُهُ ... وَخَلّـــفَ جُرْحًـــا فِـــي الأَحَاسِـــيسِ غَـــائِرا

وَمَهْمَـــا بَكَـــى شِـــعْرِي دَمًـــا مَاضِـــيَ الصِّـــبَا ... فَهَـــلْ يرْجِـــعُ الـــدَّمْعُ السَّـــخِينُ المُسَـــافِرا؟

أَلا كُـــلُّ شَـــيبٍ ذَاقَ يوْمًـــا طُفُوْلَـــةً ... وَعَـــاشَ زَمَانًـــا كَـــانَ قَبْـــلُ مُسَـــامِرَا

وَلَـــمْ يفْتَكِـــر فِـــي الشَّـــيبِ يغْـــزُو حَياتَـــه ... وَيُصْـــبِحُ فِـــي هَـــذَا المَشِـــيبِ مُنَـــاوِرَا

وَلَـــمْ تُسْـــقِهِ هَـــذِي الحَيـــاةُ جَحِيمَهَـــا ... وَمَـــا عَكَّـــرَت بِالعَائِـــدَاتِ البَشَـــائِرَا

أَلا كُـــلُّ طِفْـــلٍ لِلكُهُوْلَـــةِ زَائِـــرٌ ... فَهَـــلاَّ رَأَينَـــا أَكْـــرَمَ الشَّـــيبُ زَائِـــرَا؟

إِذَا لَـــمْ نَصُـــنْ بِالهَـــدْيِ عَهْـــدَ طُفُوْلَـــةٍ ... لَقَـــدْ نَلْتَقِـــي شَـــيبًا مِـــنَ الفِسْـــقِ دَاخِـــرَا

وَكَـــمْ مِـــنْ كُهُـــوْلٍ يعْتَـــرِي الشَّـــيبُ جُلّهُـــم! ... فَمُنْـــتَكِسٌ يغْشَـــى الخَنَـــا وَالكَبَـــائِرَا

وَمُـــرْتَكِسٌ فِـــي حَمْـــأَةِ الخِـــزْيِ مَقْـــرِفٌ ... وَمُتَّبِـــعٌ هَـــدْيَ الرَّسُـــولِ مُفَـــاخِرَا

حييِّ المعلم ، جازه التبجيلا

(في تاريخ الأدب العربي ألقابٌ ومُسمّيات أُطْلِقَتْ على بعض مجموعات من القصائد الشعرية تعلقت بالحال ، أو المكانِ ، أو الزمان ، أو المناسبة ، أو الحدث. ففي العصر الجاهلي كانت المعلقات ، والطوْليات والحَوْليات ، والاعتذاريات. وفي العصر الأموي النقائض ، والهاشميات ، والنزاريات. وفي العصر العباسي كانت السيفيات ، والروميات ، والكافوريات ، واللزوميات. وفي العصر الذي سمي بعصر الدول كانت الثغريات ، وأيضًا الحِطينيات ، والقدسيات. وفي عصرنا الحديث كانت النوادر من بعض الشعراء سواء في جمال القصيدة أو طولها أو أهميتها أو صداها. مما حدا بكثير من الشعراء الآخرين أن يعارضوها ، أو ينسجوا على منوالها. ومن ذلك قصيدة الشاعر أحمد شوقي: (قم للمعلم) تلك التي كان لها صدىً كبير في زمانها وفي وقتنا الحاضر. ولعل مقدمة هذه القصيدة لا تتسع لمناقشة حال المعلم في الماضي والحاضر! إن آيات العلم في الكتاب العزيز تجاوزت الثمانمائة آية ، هذا فضلاً عن الآيات التي شملت الدعوة إلى العلم وإن لم تستعمل لفظه مثل مادة عرف وبان ورأى وغيرها ، وهي في أكثرها تعني العلم بأنواعه وفروعه من تكريم له وتمجيد لفضله وحض على اقتناصه وتكريم لأهله وتعظيم لعلم الله سبحانه خالق كل شيء. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. وَيُرْوَى عَنْ مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: (تَعَلَّمُوا العِلْمَ فإنّ تعلُّمَهُ لِلّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، ومُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، والبَحْثَ عنهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمَهُ مَنْ لا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأهْلِهِ قُرْبَةٌ ، وَهُوَ الأَنِيسُ في الوَحْدةِ ، والصاحِبُ في الخَلْوَةِ ، والدّلِيل على الدِّين ، والمُصَبِّرُ على السرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والوَزِيرُ عِندَ الأخِلاء ، والقَرِيبُ عندَ الغُرَباءِ ، وَمَنارُ سَبيلِ الجَنّةِ ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أقْوَامًا ، فيجعلُهُمْ في الخَيْرِ قَادةً سادةً هُدَاةً ، يُقْتَدَى بهم ، أَدِلّةً لِلْخَيرِ ، تُقْتَفَى آثارُهمْ ، وَتُرْمَقُ أَفْعالُهُمْ ، وَتَرْغَبُ الملائكةُ في خُلَّتِهِمْ ، وبأَجنِحَتِهَا تمْسَحُهُمْ ، وَكُلُّ رَطْبٍ ويابسٍ لهُمْ يَستغْفِرُ ، حَتَّى حِيتَانُ البَحْرِ وَهَوامُّهُ ، وَسِبَاع البَرِّ وَأَنْعامُهُ ، والسَّماءُ وَنُجُومُها ، لأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوب مِنَ العَمَى وَنُورُ الأبْصَارِ مِنِ الظُّلَمِ ، وَقوَّةُ الأبْدانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغُ بِهِ العَبْدُ مَنَازِلَ الأَبْرارِ والدَّرَجَاتِ العُلَى ، وَمُدَارَسَتُهُ بالقيام ، به يُطاع اللهُ عزَّ وجلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ ، وَبِهِ يُوَحَّدُ ، وَبِهِ يُمَجَّدُ ، وَبِهِ يُتَوَرَّعُ ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعرفُ الحَلالُ والحرامُ ، وهو إمامٌ والعَمَلُ تابعُهُ ، يُلْهَمُهُ السُعداءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِياءُ)هـ. يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس. ومن احترام المعلم أن: تبدأه بالسلام والتلطف في مناداته وعدم رفع الصوت عليه وتبجيله والإنصات إليه. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من حق العالم عليك أن لا تكثر عليه السؤال ولا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله ، مادام يحفظ أمر الله ، ولا تجلسن أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إليها. وقال أبو معاوية الضرير: استدعاني الرشيد إليه ليسمع مني الحديث ، فما ذكرت عنده حديثاً إلا قال: صلى الله وسلم على سيّدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ثم قمت لأغسل يديّ ، فصب الماء علىّ وأنا لا أراه ، ثم قال يا أبا معاوية: أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا. قال: يصب عليك أميرُ المؤمنين. قال: أبو معاوية فدعوت له. فقال: إنما أردت تعظيم العلم. كان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد ، وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام ، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ،

وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة. ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له: من أعز الناس؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين! قال: بلى ، إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه ولياً عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة! فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة ، فاعتذر الكسائي ، فقال الرشيد: لو منعتهما لعاتبتك ، فإن ذلك رفع من قدرهما. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ، ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء ، لم يورثوا ديناراً ، ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر). وسئل الإسكندر: لِمَ تُكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال: إن أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية. ومن علمني حرفاً صرت له عبداً. فاحترام المعلم دليل على حسن التربية وأصالة الخلق الطيب. ألا وإن أعظم طرق الجنة: العبادة والجهاد والدعوة إلى الله. وجماعها العلم. فإن تعلمه جهاد. وتعليمه دعوة. والمرء فيما بين التعلم والتعليم متعبدٌ لله. ثم إنه لا يكون جهاد إلا بعلم. لا بالسيف ولا بالقلم. ألم ترَ إلى قول الله تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين. فخاطبه بالنبوة إذِ النبوةُ أعلى درجات العلم. وكذلك الدعوة. لا تكون إلا بعلم. ولا تكون إلا على علم. ألم ترَ إلى قول الله تعالى: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة. فمن لا يعلم ، كيف يدعو؟! بل إلى أي شيء يدعو؟! والعبادة لا تختلف عن ذلك. وانظر وتفكر في قول الله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم). فإنه – سبحانه – لما أمرهم بالعبادة عرّفهم بالمعبود. ومعرفة المعبود تكون بالتعرف على آثاره ونعمه وعظيم منته على عابديه. ثم ختم الآية بقوله: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون). لأنكم إن فعلتم ذلك صرتم كمن لا يعلم. إذ إن عدم الانتفاع بمادة العلم هو عين الجهل. ثم إن العبادة مفتقرة – أشد الافتقار – إلى العلم من جهتين: جهةِ العلم بالمعبود. وجهةِ كيفية العبادة. فإذا فقدتِ العبادة العلمَ بالمعبود أفضت – في الغالب – إلى الشرك. وإذا فقدتِ العلم بكيفية العبادة أفضت – في الغالب – إلى البدعة. وكِلا الأمرين مفسدٌ للعبادة من أصلها. فالعلم جامع لكل خير. مانع من كل شر. ولا يكون هذا إلا إذا كان محصوراً بحدين: الإخلاصِ في أوله. والتوفيق في آخرِه. وفي الأخير أقول: العلم نور والجهل ظلام).هـ. يقول الشيخ محمد خير الطرشان تحت عنوان: (المعلم ومكانته في الدين) ما نصه: (يقول عليه الصلاة والسلام: إن الله عز وجل لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً. رواه أحمد. يرفض عليه الصلاة والسلام منهج الشدة والقسوة والعنف ، ويدْعُو إلى منهج التعليم ، وهو منهجٌ له علاقةٌ بالسلوك وتزكية النفس أولاً. ولما كان العلم منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أشار القرآن الكريم إلى مكانة المعلمين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإلى دَورهم في نقل هذه الرسالة وتعليمها إلى الناس أجمعين من خلال منهجين: منهجٌ قائمٌ على التعليم ، ومنهجٌ آخرٌ قائمٌ على التزكية. يقول سبحانه وتعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ). نلاحظ في هذه الآية أن الله تعالى قدّم التعليم على التزكية. وفي آية أخرى قدّم الله سبحانه وتعالى التزكية على التعليم في معرض امتنانه على هذه الأمة بأن أرسل لهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فقال: (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ). التزكية هي: منهجُ سلوكٍ نفسي وخُلقي على كل إنسان أن يتحلى به ، سواء كان معلماً أو متعلماً. ومهمة المُسلّكين

، والمربين ، والأنبياء ، والمعلمين ، والمدرّسين ، هي الجمعُ بين الأسلوبين معاً! أي أن يكونوا معلمين ومزكّين في الوقت نفسه ؛ بأن يحرصوا على نقل المعلومة إلى طلابهم والارتقاء بهم من مرحلة الجهل إلى مرحلة العلم ، ثم الانتقال بسلوك الطلاب إلى مستوىً أرقى مما كانوا عليه فيما مضى ، وهذا يُشعِر كل المربين والمعلمين بالمسؤولية العظمى والأمانة الكبرى التي حمّلهم إياها ربنا سبحانه وتعالى. ولقد حمّل اللهُ تعالى الإنسانَ الأمانة ، وعندما يُذكَر مصطلح الأمانة يتخيل كثير من الناس أنه ينحصر في مبلغٍ من المال يأخذه الإنسان ويكون وديعةً عنده ، أو قرض أخذهُ من زميل له أو صديق أو أخ فأصبح ديناً في حقه فهو أمانة. لكن هذا المفهوم مفهوم قاصر وخاطئ ، الأمانة هي: كل أمرٍ يُطالَب به الإنسان أمام الله وأمام العباد ، فلله تعالى علينا أمانات كثيرة وأولها الفرائض: الصلاة أمانة ، والزكاة أمانة ، والصوم أمانة والحج أمانة. والواجبات الأخرى التي فرضها الله علينا سبحانه وتعالى أمانة: كصلة الأرحام ، وبر الوالدين والإحسان إلى الجيران ، وإكرام الضيف أمانة. هناك أمانات أخرى تتعلق بالسلوكيات التي يتعامل الناس بها فيما بينهم: كالإخلاص في المودة والصحبة والعلاقة. والتعليم أمانة عظمى ، وهو من أعظم أنواع الأمانات ، فالمعلم مؤتمن على تقديم العلم النافع لطلابه وأبنائه وتلامذته. نحن كآباء نرى أو نسمع من أبنائنا في المدارس إهمالَ كثيرٍ من المعلمين وتقصيرهم وعدم إعطائهم حق هذه المهنة. أين هو المعلم الذي يُهمل مادته وتدريسه من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه؟! أين هو من تعليمه للأعراب الجفاة الغلاظ الذين كانوا يأتون إليه من أطراف البادية ، فيقول أحدهم أيكم محمد؟ بكل غلظة وكل فظاظة ، لا يحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتأدب بين يديه ، ومع ذلك يقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول له: علمني دين الله الذي أُنزل عليك ، فيجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه وبين يديه ، ويدنيه منه ، ويقربه إليه ثم يعلمه دين الله سبحانه وتعالى دون ملل أو تكبر أو ضجر منه. وإذن فمهنة التعليم والتدريس أمانة عظمى. وعلى هذا فإنك أيها المعلم قد ارتقيت منزلةً ذات شأن عظيم عندما أصبحت معلماً ومربياً ، وغدوت في القمة ، فحاول أن لا تكون من المقصرين أو المهملين في هذه المهمة العظيمة التي هي شرف كبير ، إذ به نلت درجة العلم ، وبلغت مصاف العلماء ، وأصبحت في منزلة كبيرة. والإسلام يحثنا على ضرورة تعلم الإنسان وارتقائه بنفسه وحرصه على أن يكون قدوة لطلابه إن كان مدرساً ، وشيء طبيعي أن يكون المعلم قدوة لطلابه ؛ لأنه حقيقةً في مقام الأب الروحي للطلاب ، فإذا كان الطلاب يرون آباءهم في البيت ساعات محدودة ، فإنهم يرون أساتذتهم في المدرسة ساعات أطول مما يرون آباءهم ، سواء كان هذا المتعلّم في المرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية ، أو حتى في الجامعية يتكون من خلال أفكار أساتذته ومعلميه ومربيه ومشايخه ، ويتأثر بهم ، ويتقلب على الطريقة التي ينقله إليها أساتذته ومعلموه).هـ. ومن هذا المنطلق راح أحمد شوقي يعلي من شأن المعلم في قصيدته المشهورة: (قم للمعلم). ونسج على منواله كثير من الشعراء من أهل زمانه من الذين يحترمون العلم والتعليم ويعتبرون المعلم صاحب رسالة لا وظيفة! وعلى النقيض من ذلك هناك المدرسة الطوقانية التي تخالف عن ذلك! وهذي قصيدة حافظ إبراهيم في المعلم – نوردها هنا على سبيل المثال - وهي غاية في الإتقان والسبك مثل شوقي تماماً:-

حَيّـــــاكُمُ اللهُ أَحْيُـــــوا العِلْـــــمَ والأَدَبـــــا إنْ تَنْشُـــــرُوا العِلْـــــمَ يَنْشُـــــرْ فـــــيكُم العَرَبـــــا

ولا حَيـــــــاة لكـــــــمْ إلاّ بجامِعَـــــــةٍ تكـــــونُ أمَّـــــا لطَـــــلاّبِ العُـــــلاَ وأبَـــــا

تَبْنِـــــي الرِّجـــــالَ ، وتَبنِـــــي كـــــلَّ شـــــاهِقَة مِـــــنَ المَعـــــالِي ، وتَبْنِـــــي العِـــــزَّ والغَلَبـــــا

ضَـــــعُوا القُلُـــــوبَ أساســـــاً لا أقـــــولُ لكـــــمْ ضَـــــعُوا النُّضـــــارَ فـــــإنِّي أصْـــــغِرُ الـــــذَّهَبا

وابْنُـــــوا بأكْبَـــــادِكُمْ سُـــــوراً لهـــــا وَدَعُـــــوا قيـــــلَ العَـــــدُوِّ فـــــإنِّي أعْـــــرِفُ السَّـــــببَا

ويختتم حافظ قصيدته في العلم والتعليم وواجبات المعلم بهذه الوصية الجميلة الخالدة التي تذكرنا بالتضمين القرآني البديع من إقراض الله قرضاً حسناً ليضاعفه الله أضعافاً كثيرة عنده سبحانه ، فيقول:

إن تُقرِضـــــوا اللّهَ فـــــي أوطـــــانِكُم فَلَكُـــــم أجـــــرُ المُجاهِـــــدِ طـــــوبى لِلّـــــذي اِكتَتَبـــــا!

وهذا شاعر يحمل على طوقان ويلومه على هجومه على شوقي ويخالف النظرية الطوقانية فيقول:

طوقـــــان يبكـــــي والسعـــــادة حولـــــه هـــــوِّنْ عليـــــك ، فلـــــيس ذا تحلـــــيلا

العلـــــم نـــــورٌ ، والمعلـــــم شمعـــــةٌ والحِمـــــل فـــــي التعليـــــم جـــــدّ ثقيـــــلا

أخطـــــأت يـــــا طوقـــــان فيمـــــا قلتـــــه شـــــوقي أميـــــرٌ لـــــن يكـــــون كســـــولا

لـــــو جـــــرّب التعلـــــيم شوقـــــي ساعـــــة لقضـــــى الحيـــــاة معلمـــــاً ودليـــــلا

واختـــــار أن يبقـــــى وجـــــرّ رفاقـــــه وتحولـــــوا عـــــن شغلهـــــم تحويـــــلا

ويختتم الشاعر قصيدته في الرد على طوقان بهذ التحذير الجميل الخالد الذي يجعلنا نحترم وجهة نظره من إنصاف الحق والوقوف بجانب المعلم المفترى عليه ليضاعف الله الأجر عنده ، فيقول:

عـــذراً فـــإني لـــن أكـــون بجانـــب (الطـــ ـــوقان) أيضـــاً لـــن أخـــون مُيـــولا!

وأما الشاعر عادل عبد الوهاب عبد الماجد فلقد رد على الشاعر إبراهيم طوقان في اعتراضه على شوقي رداً يلقي بالائمة على المحيطين بالمعلم والمسؤولين عنه وعن تردي أحواله فيقول:

العلـــــم لـــــيس بظـــــالم أو مـــــذنب إن لـــــم تجـــــد فـــــي طالبيـــــه نبـــــيلا

النـــــابغون النـــــابهون بعلمهـــــم تلقـــــاهمُ بـــــين الأنـــــام قلـــــيلا

يـــــا صـــــاحبي طلابنـــــا نجُـــــبٌ فـــــلا تحتـــــاج فـــــي تدريســـــهم تطـــــويلا

فـــإذا رميـــت الـــنص فـــي جـــو الســـما فهمـــــوه حتـــــى يصـــــرعوه قتـــــيلا

أمـــــا اللغـــــات فســـــيبويه إمـــــامُهم ورفاقـــــه أهـــــل القـــــرون الأولـــــى

ويختتم عادل عبد الوهاب عبد الماجد قصيدته في الرد على طوقان بهذا الثناء الجميل الطيب الذي يرغب ويزين مهنة التدريس والتعليم مثنياً على شوقي ، وجاعلاً تتمة بيته من شوقي ، فيقول:

يـــا مـــن يريـــد الافتخـــار وجدتـــه (كـــاد المعلـــم أن يكـــون رســـولا)!

ويحسن أن نلقي هنا نبذة عن الشاعر إبراهيم طوقان لنتعرف على قصيدته التي صارت مأوى وملاذ ومرجع كل من يريد النيل من المعلم والتعليم. وُلدَ الشاعرُ إبراهيمُ عبد الفتاح طوقان في قضاءِ نابلس بفلسطين سنة 1905م ، وهو ابن لعائلة طوقان الثرية. تلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الرشيدية في نابلس ، وكانت هذه المدرسة تنهج نهجاً حديثاً مغايراً لما كانت عليه المدارس في أثناء الحكم التركي ؛ وذلك بفضل أساتذتها الذين درسوا في الأزهر ، وتأثروا في مصر بالنهضة الأدبية والشعرية الحديثة. ثم أكملَ دراسَتَه الثانوية بمدرسة المطران في الكلية الإنجليزية في القدس عام 1919م ، حيث قضى فيها أربعة أعوام ، وتتلمذ على يد نخلة زريق الذي كان له أثر كبير في اللغة العربية والشعر القديم على إبراهيم طوقان. بعدها التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة 1923م ، ومكث فيها ست سنوات ، نال فيها شهادة الجامعة في الآداب عام 1929م. ثم عاد ليدرّس في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس. وانتقل للتدريس في الجامعة الأمريكية وعَمِلَ مدرساً للغة العربية في العامين (1931 – 1933م) ثم عاد بعدها إلى فلسطين. وفي العام 1936م تسلم القسم العربي في إذاعة القدس وعُين مُديراً للبرامجِ العربية ، وأقيل من عمله من قبل سلطات الانتداب عام 1940م. ثم انتقل إلى العراق وعملَ مدرساً في مدرسة دار المعلمين ثم عاجله المرض فعاد مريضاً إلى وطنه. كان إبراهيم مهزول الجسم ، ضعيفاً منذ صغره ، نَمَت معه ثلاث علل حتى قضت عليه ، اشتدت عليه وطأة المرض حيث توفي في مساء يوم الجمعة 2 أيار عام1941م. وهو في سن الشباب لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره. نشر شعره في الصحف والمجلات العربية ، وقد نُشر ديوانه بعد وفاته تحت عنوان: ديوان إبراهيم طوقان. وأنا متأكد من أن طوقان لو عاش ليري المدرستين: المؤيدة والمعارضة له في الحمل على شوقي لرجع! وأضرب على ذلك أمثله فهذه قصيدة محمد محمود مرسي التي ينتصر فيها لطوقان فيقول المطلع:

دَرَّ الأَمِيـــــرُ وَمَـــــا دَرَى بِزَمانِنَـــــا قَـــــمْ لِلْمُعَلِّـــــمِ وَفِّـــــهِ التَّبْـــــجِيلا

وَيَـــــزِيدُ دَرْدَرَةَ الْقَوَافِـــــي قَوْلُـــــهُ كَـــــادَ الْمُعَـــــلِّمُ أَنْ يَكُـــــونَ رَسُـــــولا

كَمُـــــلَ المُبَـــــدِّلُ يَـــــا أَمِـــــيرُ أَسُوقَـــــهَا عَلَـــــي أَفَـــــنَّدُ عَنْـــــهُ مَـــــا قَـــــدْ قِيـــــلا

فِـــــي عَصْـــــرِنَا دَعْـــــنِي أَذِيـــــعُ بِحَقِّـــــهِ قَـــــوْلًا يُـــــرَاوِحُ فِـــــي السَّـــــمَا سِجِّـــــيلا

قَـــــمْ لِلمُعَـــــلِّمِ وَفِّـــــهِ التَّبْـــــجِيلا كـــــاد المعلـــــم أن يُحَطـــــم جـــــيلا!

ويختتم مرسي قصيدته في تأييد طوقان مستغلاً جشع بعض المعلمين المعاصرين وطمعهم وممارساتهم التي تتنافى بالقطع ومهنة التربية والتعليم السامية فيقول:-

رَحِـــمَ اللّهُ المُعَلِّـــمَ كَمْ لَقِـــيَ مِـــنْ أَبٍ جَـــافٍ وَمِـــنْ أُمٍّ بَخِـــيلا!

روي عن الإمام أبو يوسف القاضي ، أنه توفي والده وهو صغير ، فربته أمه فحرصاً منها على مصلحة ابنها ، أدخلته عند خياط حتى يتعلم الخياطة ، ويحصل كل يوم على دانق (ريال واحد) ، وكان يذهب كل صباح إلى الخياط في الكوفة ، ورأى مجموعة من الطلاب قد تحلقوا عند أبي حنيفة ، فأعجب الإمام يوسف بالإمام أبي حنيفة ، فجلس في مجلسه ، ولم يذهب للخياط ، واستمر يومين على هذه الحالة ، فذهب الخياط لأمه فاشتكى من ابنها ، وقال لها بأنه سيقطع رزقه ، فذهبت له فوجدته في مجلس الإمام أبي حنيفة فأخذت الولد من أذنه لتخرجه ، فقال أبا حنيفة: يا امرأة إني أرى في ابنك عقلاً – ذكاء – فدعيه يطلب العلم فسيأتي عليه يوم يأكل الفالوذج بدهن الفستق (نوع من الحلوى) ، وهذه أكلة لا يأكلها سوى الخلفاء في ذاك الزمان ، فردت عليه: إنك شيخ خرف ، دع ابني هذا يكسب دانق كل يوم. وفي الغد رجع الإمام يوسف لمجلس الإمام أبي حنيفة ولم يذهب للخياط ، فسأل الإمام أبو حنيفة الإمام أبا يوسف: كم يعطيك الخياط؟ فقال: يعطيني دانقا كل يوم. قال له: أنا أعطيك ثلاثين درهماً. فكان من أنجب تلاميذ أبي حنيفة هو والشيبانى. فلما جاء زمن هارون الرشيد ، عُين أبو يوسف قاضي القضاة ، وجلس مرة مع الرشيد على مائدة الطعام ، فقدم له الرشيد مجموعة من الأطعمة ، ومنها الفالوذج بدهن الفستق ، فتحدرت من عيني أبي يوسف دمعتان ، فسأله الرشيد عن المناسبة ، فقص عليه قصته ، فقال الرشيد: رحم الله أبا حنيفة ، كان ينظر بعين عقله ، لا بعين رأسه ، حقاً إن العلم ليرفع صاحبه في الدنيا والآخرة. وقال الإمام أبو يوسف: لو كنت كما أرادت أمي ، لكنت خياطاً ، لكن شاء الله لي أن أكون عالماً أجالس الخلفاء ، وآكل على موائدهم. ولقد لعب عنصر الوقت والزمن دوراً كبيراً في حياة الأمام أبي يوسف! يقول المثل العربي: الوقت معلم من لا معلم له. ويقول المثل الصيني: من يجاملني هو عدوي ومن يلومني هو معلمي. ويقول سقراط: ماذا تريدونني أن أعلمه؟ إنه لا يحبني. ويقول أيضاً: ينبغي للعالم أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض. ويقول ابن القيم: علمت كلبك فهو يترك شهوته في تناول ما صاده احتراماً لنعمتك وخوفاً من سطوتك وكم علمك معلم الشرع وأنت لا تقبل. ويقول غوته: ليس أسوأ من معلم لا يَعْرِف سوى ما يجب أن يعرفه تلاميذه. ويقول الحسن البصري: إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتِبَ من الظلمة. ويقول يوليوس قيصر: الاختبار هو معلم كل الأشياء. ويقول أفلوطين: الاختبار معلم أخرس. ويقول غيروزيز: الوضوح هو فضيلة المعلمين. ويقول شيشرون: المعرفة فن و لكن التعليم فن آخر قائم بذاته. ويقول شبنجلر: من معلمي تعلمت الكثير ومن زملائي تعلمت أكثر ومن تلاميذي تعلمت أكثر وأكثر. ويقول المثل العربي: وكم من تلميذ فاق أستاذه! ويقول ليوناردو دافنشي: من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذاً تافهاً. ويقول فيلوكسين ألستيري: إن معلمينا هم الذين يعطوننا الطريقة لنحيا حياة صالحة. ودائما كنتُ أردد ولا أزال: تعطيك الجامعة مفاتيح العلوم ، فانطلق وافتح خزائن العلم لتتعلم ، ولا تظنن يوماً أن الجامعة أعطتك العلم كله! ويقول أحمد أمين: المعلم ناسك انقطع لخدمة العلم كما انقطع الناسك لخدمة الدين. ويقول فيصل الأول: لو لم أكن ملكاً لكنت معلماً. ويقول المثل العربي: من علمني حرفاً كنت له عبداً. وتقول الأستاذة منى

أحمد حول احترام المعلم وأنه واجب ينبغي تعليمه للأبناء ما نصه: (هل تعلم أنه حينما طالب القضاة في ألمانيا بأن تتم مساواتهم في الرواتب بالمعلمين ، ردت عليهم المستشارة أنجيلا ميركل مستنكرة بقولها الشهير:كيف أساويكم بمن علموكم؟! ولكن في عالمنا العربي حدثْ ولا حرج عن الانتهاك المادي والمعنوي لحقوق المعلمين من قبل جميع المحيطين بهم ، وثافية الأثافي أن علاقة الاحترام بين التلميذ وأستاذه أصبحت هي الأخرى يشوبها كثير من الخلل لتأخذ منحى غير الذي تعودنا عليه. فما تربينا عليه كان ببساطة شديدة يجسد بيت الشعر الشوقي: (قم للمعلم وفه التبجيلا ** كاد المعلم أن يكون رسولا). فحينما كنا نقف في الطرقات ونرى أحد معلمينا ، كنا نفضل الاختباء ، ليس خوفا ولكن ربما رهبة واحتراماً ، أما الآن فالصورة أصبحت مغايرة ، فانتشار وسائل التواصل الاجتماعي ناهيك عن الدروس الخصوصية التي قللت كثيراً من هيبة المعلم ومكانته أمام تلاميذه ، الذين يتصورون أن قيمة معلمهم تقاس بقدر ما يأخذه منهم نهاية كل شهر).هـ. ثم تنطلق في نصيحتها لكل أب مرب فتقول: (قم بتسليم ابنك بعض الورود ليعطيها لمعلميه ، وعرفه أن هذه هي صورة بسيطة للتعبير عن امتنانك لأنه سوف يقوم بمجهود كبير خلال العام ليساعدك على عملية التعلم ، وأعلمه أن الورود للجميع حتى للمعلمين ممن لا يستسيغهم الابن لسبب أو لآخر ، فجميعهم دون استثناء يستحقون التقدير. احكِ لابنك عن المهام الكثيرة التي يقوم بها المعلم ومدى تعبه من أجل توصيل المعلومات وتعليم الأبناء (ليس شرطا أن يكون هذا الكلام بمناسبة أو لسبب معين). اجعله يعي مشقة مهنة التعليم وادخل معه في حوار حول المهنة وتبعاتها ، وكمّ المشقة التي يتحملها المعلم لا لشيء سوى الثواب وقيمة المهنة التي يعشقها الكثيرون. قم بذكر مميزات وجدْتَها في المعلم أو المعلمة واذكرها أمام الابن (كأن تكون المعلمة دقيقة في ملاحظتها ـ كأن تكون قد تصرفت في موقف محدد بصورة جيدة). اسأل ابنك ما هي الأمور التي سوف يغيرها لو كان في محل المعلم الذي يشتكي منه ، واطلب منه تخيل أن يكون مدرساً لفصل بحجم فصله ، وذكره بحجم التحدي وحجم الاختلاف الناجم عن اختلاف التلاميذ وشخصياتهم مع ضرورة الالتزام ، أمام إدارة المدرسة ، بالانتهاء من تدريس المنهج المحدد في الوقت المحدد ، وكذلك ضرورة استيعاب النسبة الكبرى من التلاميذ. ما زال علينا كآباء أن نرسخ لدى أبنائنا قيمة التعليم التي لا تتجزأ عنها قيمة المعلم. فكلاهما مرتبطان ببعضهما البعض. ولا تسخر أبداً في أي وقت من الأوقات من أي معلم أمام الابن ، لأنه سوف يقلدك وسوف يعتبر الأمر عاديّاً وما يبدأ اليوم بصورة سخرية سوف يصل غداً للاستهزاء وسوف يتحول التعامل اللفظي الخفي للعلن ومن بعده من القول إلى الفعل المعبر عن عدم احترامه لمعلمه. ولا تعط لابنك الفرصة أبداً ليقيم معلمه بشكل غير لائق أو أن يتحدث عنه دون احترام ، بل اجعله يفهم أن احترام المعلم خط أحمر ، وإذا كانت له ملاحظات معتبرة فليتم التناقش حولها في سبيل الوصول إلى حل. (وأبرز مثال على ذلك عندما يأتي الابن ويشتكي من أن المعلم لا يعدل بين الطلبة أو يفضل الأذكياء ، قل له إن هذا الأمر خطأ ، وعلينا أن نعين المعلم على ملاحظة الأمر كأن يتحدث على انفراد مع المعلم ويحكي له كيف يشعر عندما يشعره بأنه ليس بمثل مستوى زملائه. ولا تعتبر تصرفاً خطأ قام به المعلم ـ أنه صواب ـ خوفاً من أن يقلل انتقادك من هيبة الابن لمعلمه! ولكن اشرح الأمر بهدوء ، فكلنا بشر والمعلم بشر ، والبشر يخطىء ويصيب ، وخطأ المعلم ليس نهاية العالم ، وشاركه أفكاراً بتحويل الموقف من سلبي إلى إيجابي)هـ. وأنا والحمد لله يا أستاذة منى لم أتلق الوردة خلال فترة تعليمي للغة الإنجليزية التي تجاوزت العقدين إلا من طالب واحد يدعى (فهد صديق أحمد نور العطار العوضي) في الصف الثامن الأمريكي ، وذلك في اليوم العالمي للمعلم! ولقد أهديت هدايا كثيرة من الطلاب ومن ذويهم ، ولكني أخص بالذكر الوردة الحمراء التي ذكرت! والأصل أن احترام

المعلم واجب أخلاقي وتربوي وجزء من كلمة أحد مدراء المدارس يقول فيها: (لطالما طالبنا المعلم بضرورة تطوير حسه المهني والأخلاقي من أجل تعامل راق مع طلابه ، وأوصاه الخبراء بضرورة أن يتبنى استراتيجية اللين والرفق والصبر مع التلاميذ ، ولا يميز بينهم في التعامل بتفضيل بعضهم على بعض وأن يتقرب منهم ويجتهد في معرفة ما تعترضهم من مشاكل في دراستهم ، والعمل جاهداً على حلها ومساعدتهم في تحقيق تحصيل دراسي جيد وجميل! والآن جاء دورك أيها الطالب المحترم ، في مطالبتك بمهمة جميلة تسديها لنفسك أولا قبل أن تسديها لمعلمك وهي الاحترام ، ففي احترام الآخرين عموماً احترام للذات وللنفس ، والاحترام يشيع المحبة ويشيع الاهتمام ، وبه تسود الأخلاقيات الحميدة ، فمن حسن خلقك أيها الطالب أن تحترم معلمك ، ليس تفضلاً منك ، بل واجب أخلاقي أولاً وقبل كل شيء). وتقول الأستاذة مروة محمود إلياس تحت عنوان الاحترام المتبادل بين الطالب والمعلم يطور العملية التعليمية: (العلاقة التى تبنى على الاحترام بين الطالب والمعلم في المدرسة تحسن من نفسية كل منهما وتساعدهما على تطوير العملية التعليمية بكل عام وعلى الحياة الدراسية بشكل خاص لكل منهما). وأما الدكتور محمد منصور استشارى الطب النفسى وعلاج الإدمان فيقول: (إن بناء العلاقة في مجتمعاتنا بين الطالب والمعلم على أساس من الثقة والاحترام المتبادل يمنع تطاول الطالب على معلمه ، ويكن به كل احترام يظهر في تصرفاته ، وكذلك احترام المعلم للطالب والصبر عليه وتقديم المعلومة له بشكل أكثر سلاسة ، فيه احترام لقدراته الذهنية ، يؤثر بالإيجاب على نفسية كل منهما. ألا وإن تبادل الاحترام يضفي جواً من الألفة في علاقة الطالب والمعلم فيتلاشى الضغط النفسي الواقع على كل منهما طوال اليوم الدراسي والذي بسببه تسوء العلاقة بينهما ويتناقص مستوى الطالب ويشعر المعلم بعدم القدرة على توصيل المعلومة بشكل جيد لكل الطلاب. فيا أيها المعلم أقم علاقة ود بينك وبين الطالب حتى يسود الهدوء النفسى ويتمكن كلّ منكما من التخلص من كل ما يقف حائلاً أمام تطور العملية التعليمية ، فالعلاقة بين الطالب والمعلم هي حجر الأساس في العملية التعليمية بالكامل).هـ. وفي جزء من خطبة للأستاذ قاسم أحمد الصامطي يقول: (رسالتي إلى كل معلم ومعلمة: أنتم تقومون بأعقد وأعظم مهمة ، إنها صناعة الإنسان ، وصياغة فكره ، وتهذيب نفسه ، وتطهير قلبه ، وتقويم فكره ، وتهذيب سلوكه. مسألة بها مفتاح التغيير في المجتمعات ، وفي سائر جوانب الحياة. إلى المعلمين والمعلمات: حتى يُدْرك من هم؟ وما هي مكانتهم؟ فنقول: أنتم المرفوعون المأجورون المرفوعون رتبة ، المأجورون ثواباً. والحقيقة أنه في الآونة الأخيرة كثرت الهجمات والاعتداءات على رجال التعليم من طرف التلاميذ! ففي كل يوم نسمع حادثة جديدة ، حتى وصل الأمر إلى إزهاق الأنفس ، إلى قتل المعلمين. ورسالتي إلى كل معلم ومعلمة: أنتم تقومون بأعقد وأعظم مهمة ، إنها صناعة الإنسان ، وصياغة فكره ، وتهذيب نفسه ، وتطهير قلبه ، وتقويم فكره ، وتهذيب سلوكه. فأنتم من بين معاشر أهل الإيمان مخصوصون بدرجة ومنزلة خاصة بالعلم. ثم استمعوا إلى حديث المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جملة أحاديث وافرة: من علم علماً فله أجر من عمل به ، لا ينقص ذلك من أجر العامل شيئاً. فكل كلمة ومعرفة وهدي تغرسه في القلوب والعقول والنفوس ، فيما ينبني عليه من عمل ، وما يؤثر من بعده من توجيه ؛ مسجل لك في صحيفة الأعمال ، فضلاً من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ومنة وكرماً ، وحثاً وحضاً وتشجيعاً وتحفيزاً. وأنتم كذلك الوارثون المورثون ، أنتم أربابها وأصحابها ، وأنتم أعظم المنتفعين بها بعد انقطاع الحياة: العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر. هكذا قال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وأما بعد انقطاع الحياة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من

ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له. ولئن كان هذا الحديث فيه قسم مباشر لأهل العلم ، في العلم الذي ينتفع به ، فإن أهل العلم قد قالوا: إن لهم في الحقيقة حظاً وافراً من ذلك كله ، فإن الصدقة التي يبقى أجرها ، إنما مبعثها التعليم على فضلها ، والإرشاد إلى أجرها ، فمن كان له ذلك العلم والتعليم ، فهو شريك فيما ينبني عليه من الصدقات والأوقاف والوصايا ، والولد الصالح إنما هو ثمرة في غالب الأحوال لذلك العلم والتربية والتزكية فإن أهل العلم حينئذ يكونون قد أخذوا بهذه الأمور كلها ، فما أعظم ما يخلفون وراءهم مما يعظم أجرهم ، ويصل أعمالهم بفضل الله - سبحانه وتعالى -. أيها المباركون: لقد سمعتم قبل أيام عن معلم يُقتل على يد أحد طلابه ، وآخر يعتدي على معلمه بالفأس ، وآخر.. وآخر.. اعتداءات لا تعد ولا تحصى ، لكن من ينصف هذا المعلم؟ إلى متى هذا التهاون في مكانة وحقوق المعلمين؟ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. إني لفي حالة أستشعر معها الحزن والكآبة للحال التي آل إليها وضع المعلم. فالمعلم - يا إخوتي – يُنتهر ، والمعلم - يا إخوتي – مُحتَقر ، والمعلم - يا إخوتي - مُسلَّطٌ عليه ، والمعلم - يا إخوتي - خاضعٌ لاستجواب هذا واستجواب ذاك ، والمعلم - يا إخوتي - لا يستطيع أن يأخذ حريته في تعليم الخير الذي يراه ، المعلم اليوم أصبح أداة لا أقول: رخيصة ولكنها مُسترخصة! المعلم اليوم لم يعد يُقَدّر ، المعلم اليوم لم يعد صاحب شرف في نظر كثير من الناس ، أين مكانة المعلم؟ لم يكن آباؤنا يقدمون على إهانة معلمينا ، لا أمامنا ، ولا من وراء أظهرنا ، اليوم أصبح بعض الآباء يستمتعون بإهانة معلمي أبنائهم على مرأى ومسمع منهم ، داخل المدرسة ، وربما داخل الفصل ، وهو ما لم يكن ممكناً تصديقه من قبل ، ولا حتى في عالم الخيال! كيف نطلب من التلميذ احترام معلمه ، بينما يكون قد رأى أباه ، وهو يكيل له شتى أنواع السباب والشتائم أمامه؟ ثمة من يقول: إن منظومة التعليم هي التي خلقت هذا الجو ؛ حينما أخذت تقلد أساليب واستراتيجيات الثقافة الغربية ، داخل منظومتها التعليمية قبل الآن ، فلا هي أتقنتها على النحو الغربي ، ولا استطاعت العودة إلى أسلوبها الشرقي الأصيل ؛ فتفلتت أزِمَّةُ الأمور من بين يديها ومن خلفها ومن فوقها ومن تحتها ؛ الأمر الذي فقدت معه ثقافتها الأصلية ، فقرارات تعسفية ضد المعلمين ، وهضم لحقوقهم ، ولا يستطيع المعلم أن يناقش أو يتكلم أو يطالب بحقه ، إلا عندما يطرح أرضاً. ليس هنالك عقوبات رادعة للطلاب الذين يعتدون على معلميهم ، وآخرها من العقوبات التي أقرت فصل الطالب شهرين ثم العودة ، هل هذه هي عقوبة الاعتداء على المعلمين؟ هل يعقل أن يهان المعلم الذي يحمل أسمى مهنة ، وهي مهنة الأنبياء والرسل وعلى أتفه الأسباب ، وأمام الملأ: يا قوم إن من علمني حرفا أخلصت له وداً؟! إن المعلم يبدأ عمله من الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، أي قبل أي موظف آخر سواء أكان في القطاع العام أو القطاع الخاص ، كثير من الناس يرى أن التعليم والتدريس من أسهل المهن! لا – والله - التدريس من أصعب المهن ؛ لأن التخاطب مع الناس أو الطلاب والعقول والفروق الفردية من قبل المعلم فيها من الصعوبة والمشقة الشيء الكثير ، والذين في الميدان التعليمي يعرفون معنى هذا الكلام ، بمعنى لو أعطينا مثالاً بسيطاً وطلبنا من أحد أولياء الأمور التصرف مع أولاده ، وإن كان عددهم ثلاثة فقط لصعب عليه السيطرة عليهم ، فما بالك بالمعلم الذي تحت يديه من عشرين إلى ثلاثين طالباً! ألا يستحق هذا المعلم الاهتمام بمشاكله ، وإرجاع هيبته وكرامته ، التي كانت محفوظة له في السابق؟! ولم نسمع من آبائنا عن معلم يهان ، أو حطت من كرامته ، في زماننا كنا ومازلنا نُكن للمعلم كل تقدير واحترام ، وكان لنا خير أب وأخ ، ولكن في هذا الوقت كل ما يأتي من قرارات تكون دائماً ضد المعلم لماذا؟ أيها المباركون: نحن بحاجة إلى إعادة النظر في تعاملنا مع الآخرين ، وبالأخص في تعاملنا مع

المعلمين ، مع المربين الناصحين ممن يضيئون لأولادنا طريق العلم والمعرفة والتربية ، ممن يخرجون الأجيال النافعة. وإن علينا إظهار قيمة المعلم في المجتمع ، وكذلك وسائل الإعلام وذلك بإظهار مكانة المعلم واحترامه. فالمعلم جدير بالاحترام ، جدير بالإكرام ، وإن تعجب فعجب قولهم في المجالس العامة فحينما يتكلم الناس اليوم عن المعلم ، عن راتبه وكثرته ، وعن إجازته وطولها. ولو حشر هؤلاء يوماً واحداً في مدرسة من المدارس لضاقوا ذرعاً ، ولابتغوا طريقاً للخروج مما هم فيه ، مع واقع الطلاب اليوم ، وسوء احترامهم. إذاً نحن الأساس في تجرئة أولادنا على معلميهم ، وانتقاصهم وتصويرهم أنهم ماديون نفعيون ، فهل نعي ذلك وندرك خطورة الواقع المأساوي الذي تعايشه مدارسنا اليوم من ضعف هيبة المعلم ، وقلة احترامه وتقديره من فئة من الطلاب ، فإلى الله المشتكى؟! ولا يمكن لنا من صناعة المستقبل ، وزراعة وغرس الأجيال القادمة ، إذا لم يقدر ويحترم المعلم).هـ. ويقول الأستاذ ماجد عبد القادر ما نصه: (كان احترام المعلم وتوقيره ، بل والخشية منه ، قبل عقود ليست بالبعيدة ، ظاهرة بارزة ، فهيبته لا تعدلها هيبة ويحظى بأقصى درجات الاحترام. ولكن للزمن قوانينه ، ومن الطبيعي أن يكون معلم الأمس مختلفاً عن معلم هذه الأيام ، كما أن الاستجابة للتقدم التقني والعلمي تفرض تحدياتها وتلزم بوجود طرائق جديدة في التعليم ونمط جديد من التعامل بين المعلم والطالب).هـ. ويقول التربوي حمد عويد: (في الزمان الأول كان الطالب لا يستطيع النظر إلى معلمه احتراماً وتبجيلاً ، وذلك على عكس ما نلحظه اليوم من عدم مبالاة الطلاب بالمعلمين ، بل وربما يضايق الطالب أستاذه إذا ما سار في طريق ، أو يمارس عادة التدخين أمامه بلا احترام. ويضيف عويد: لا نرى اليوم من يكرم المعلم ، بالرغم من أن المعلم (كاد أن يكون رسولاً) ، كما قال الشاعر شوقي ، ويتابع قائلاً: إننا نسمع بتكريم الشعراء والفنانين ، ولكننا لم نر يوماً أن هناك معلماً تم تكريمه من قبل دائرة أو منظمة ، على الرغم من انه لولا المعلم لما أصبح الشاعر شاعراً ولا الضابط ضابطاً ولا المهندس مهندساً ، فهو من علم أجيالاً بكاملها وأنار دروبهم).هـ. ويقول عضو مجلس محافظة صلاح الدين ، مزاحم مصطفى وهو تربوي سابق: (كنا أيام التلمذة حين نصادف أساتذتنا في الطريق ، نطرق رؤوسنا في الأرض خجلاً واحتراماً ، حتى أننا نظل مشغولين في البحث عن طريق آخر غير الذي يسلكه المعلم ، على العكس من طلاب اليوم الذين لا يأبهون للمعلم كثيراً ، حتى إن قسماً منهم قد لا يكن للمعلم الاحترام الذي كنا نكنه له أيام زمان. ويلفت مصطفى إلى أن الجيل الجديد لا يتنازل عن شيء من حقوقه ، فمهما حاولنا ، فلن نتمكن من فرض الاحترام لأي شخص ، ناهيك عن المعلم ، ما لم يقتنع هذا الجيل بأحقية هذا الشخص في الاحترام ، وإذن فالمعلم عليه أن يقنع الطالب بوجوب احترامه ، عندئذ سيجد الطالب رهن إشارته وطوع أمره).هـ. ويقول الناشط في المجتمع المدني رائد خطاب الجبوري: (كان المعلم قديماً ، يمثل عُملة نادرة ، ومن هنا كان تقدير الجميع له ولثقافته التي لم تأت من فراغ ، وكان أهل الطالب يسهمون في تكوين شخصية المعلم أمام أولادهم بزرع الرهبة منهم ، كي يواظبوا على دراستهم ، لذلك نجد أن جيل الأمس يخاف من معلمه ويحسب له ألف حساب).هـ. وأما المعلمة سُهى عبد المنعم شهاب فتقول: (إنه بالرغم من أن احترام الطالب لمعلمه واجب عليه ، إلا أنني أرى أن أهم شيء يقدمه الطلاب لمعلميهم ، هو تفوقهم في دراستهم ووصولهم إلى أعلى مراتب العلم ، وحينذاك نشعر أن جهودنا لم تضع سدىً ، واستطعنا أن نرقى بهم وبوطننا إلى أعلى مراحل التقدم العلمي والحضاري).هـ. فيما يقول مدير تربية محافظة صلاح الدين محسن برزان: (إن وقفة قصيرة حيال دور المعلم في المجتمع تجعلنا ندرك ضخامة الدور الذي يقوم به وعظم المسؤولية التي تقع على كاهله ، فالمعلمون هم بناة المجتمع ، وهم يعملون على إنارة العقول ، وبناء جيل يحمل اسم البلد ، ويرتقي به إلى أعلى درجات العلم).هـ. ويقول الأستاذ عبد

الله محمود: (عندما كنت تلميذاً في المدرسة كنت أرى المعلمين فيها كأنهم خلية نحل ، وكان هناك انضباط عال واحترام كبير بينهم ، مما ينعكس علينا كطلاب ، ولكن عندما ذهبت إلى إحدى مدارس المدينة لتسجيل ولدي ، وجدت المعلمين منشغلين بهواتفهم الجوالة ، بينما طلاب المدرسة يسرحون ويمرحون ، فتعجبت من منظر هذه المدارس في زماننا هذا ، مقارنة بمدارسنا سابقاً).هـ. ويعترف مدير مدرسة الحارة الجديدة الابتدائية في تكريت حيدر الطائي بوجود فوضى قائلاً: (نعم هناك فوضى في بعض المدارس ، وهذا يعود لمدير المدرسة ، فإذا كان مدير المدرسة قد فرض شخصيته فيها ، فإن المدرسة سوف تجدها منضبطة ، كإدارتها ، وعندما كنا جنوداً في الجيش ، تعلمنا أن الوحدة بآمرها ، وأنا أقول إن المدرسة بمديرها ، لأنه هو من يفرض احترامه لدى طلابه).هـ. وتسلط الناشطة شاهه دحام الجبوري الضوء على جانب آخر من الموضوع قائلة: (ربما تكون المدرسة عاملاً مكملاً لتربية الطالب ، لكنها لا تقوم بتربيته من الأساس ، فعلى الوالدين أن يحسنوا بناء هذا الأساس لأنه إذا لم يحترم الطالب والديه في المنزل ، فلا نتوقع أن يحترم المعلم. وإذا كان الطلاب الصغار هذه الأيام يشاهدون أفلام الأكشن على التلفاز وغرف الدردشة على الإنترنت ، ويشاركون في شريط الرسائل في القنوات الفضائية ، ويتعلمون أحدث الأساليب في المعاكسات من المسلسلات التركية والأفلام الغربية ، فإن هذا يعني أن كل هذه التقنيات الجديدة تختلف جذرياً في تأثيرها عن أيام السبعينات. وفي مقابل هذا ماذا نجد من أساليب تربوية حديثة في مدارسنا؟ لا شيء تقريباً! فما زالت مدارسنا تتبع النهج نفسه الذي كان فيه طلبة أيام زمان لا تتوفر لديهم كل هذه الوسائل ، وكان همهم الوحيد الكتاب والمدرسة والنجاح والتفوق ، لكي يحصل على وظيفة يصرف على عائلته منها).هـ. وأما ليث محمد سلمان من جيل المعلمين الشباب فيقول: (إن المعلمين ينبغي أن يكونوا أكثر مرونة مع الطلاب ، وأن ينزلوا إلى مستواهم ويحاولوا التعامل معهم كأصدقاء ، ويصححوا أخطاء الطالب بصورة مناسبة دونما تجريح. ونحن نعيش في زمن انقلبت فيه القيم ، ولهذا نجد أن هناك مجموعة من المدرسين الذين دخلوا هذا المجال مجبرين لا مختارين ، ما أدى إلى أن نرى عينات منهم لا تصلح لهذه المهمة ، فمنهم من هو سليط اللسان ، ومنهم من يضرب الطلاب ضرباً مبرحاً ، ومنهم من يأخذ الرشاوى من طلبته).هـ. ويقول الإعلامي براء العيسى: (إن أغلب المعلمين لا يرغبون في تدريس طلاب المرحلة الابتدائية ، لأن المعلم فيها لا يتواصل مع الطالب بل يصرخ في وجهه ويضربه ، وإنني أعرف معلماً كان يمسك الطالب من أذنيه ويرفعه عالياً في الهواء حتى يكاد يلامس المروحة ، فهل يتوقع المعلم بعد ذلك أن يجد من الطالب احتراماً؟ الجواب لا ، فهو قد يخاف منه ولكنه حتماً لن يحترمه. إن السلوك المزاجي هنا ربما يكون له دور كبير في تصرفات المعلم مع طلابه ، وينعكس ذلك على تصرفاتهم معه).هـ. وتقول المعلمة المتقاعدة سهام محمود: (إن الفترة التي يتدرب فيها المعلم على أساليب التدريس غير كافية ، كما أنها علمياً من وجهة نظري غير جيدة ، فلماذا لا تكون هناك اختبارات إلزامية للمعلمين ، كي نتعرف على مستواهم الحقيقي في العملية التعليمية ، ومقدار استحقاقهم لمهنة المعلم).هـ. ويقول صنع الله إبراهيم: (دخل حكيم على حكيم في منزله وهو متوحد فقال له : أيها الحكيم. إنك لصبور على الوحدة. فقال: ما أنا وحدى فمعى جماعة من الحكماء والأدباء يخاطبونني وأخاطبهم وضرب بيده على مجموعة من الكتب بجانبه وقال: هذا جالينوس يحاضر ، وهذا بقراط يناظر ، وسقراط يعظ ، وأفلاطون يجادل ، وهذا داوود يعلم.).هـ. ويقول جون لوك: أسهل على المعلم أن يَأمُر من أن يُعَلِّم. ويقول سي إس لويس: مهمة المعلم الحديث ليست أن يُخلي الأدغال ويمهدها ، بل أن يروي الصحاري. ويقول عبد الله بن عبد الكريم السعدون: المعلم الناجح هو أهم أعمدة بناء التعليم الناجح. ويقول أيضاً: إن التعليم بنوعيه الكمي والكيفي ، هو

الطريق إلى النهوض من مستنقع الجهل والتخلف ، والذي أهم عناصر نجاحه المعلم والمربي الناجح ، المحب لعمله ثم المنهج الذي يسهم في فتح العقول وشحذها لا برمجتها وتدجينها. ويقول الدكتور القرضاوي: إن المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة: إن المعلم هوالعمود الفقري في عملية التربية ، وهو الذي ينفخ فيها الروح ، ويُجري في عروقها دم الحياة ، مع أنه في مجال التعليم والتربية عوامل شتى ومؤثرات أخرى كثيرة من المنهج ، إلى الكتاب ، إلى الإدارة ، إلى الجو المدرسي ، إلى التوجيه أو التفتيش ، وكلها تشارك في التوجيه والتأثير بنسب متفاوتة ، ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم. ويقول الأستاذ محمد الغزالي: إن المعلم يترضاه تلامذته ، وليس هو الذي يترضى تلامذته. ويقول جبران خليل جبران: أيها المعلم ، سنكون خيوطًا في يديك وعلى نولك ، فلتنسجنا ثوباً إن أردت ، فسنكون قطعة في ثوب العلي المتعالي. ويقول علي الطنطاوي: (لا ، يا ولدي ، لا تحرص على هذه المهنة. اتركها إن استطعت فهي محنة لا مهنة. هي ممات بطيء لا حياة. إن المعلم هو الشهيد العفيف المجهول الذي يعيش ويموت ولا يدري به أحد ، ولا يذكره الناس إلا ليضحكوا على نوادره وحماقاته).هـ. ويقول الأستاذ أمين جلبي تحت عنوان: (المقومات الشخصية لمعلم القرآن الكريم وأثرها التربوي) ما نصه: (إن المعلم هو عماد الأمة وعليه المعول على بناء جيل قوي في إيمانه ، قوي في جسمه ، قوي في شخصيته ، وإن مكانة المعلم في الإسلام أرفع مكانة ، إنها مهمة الأنبياء والرسل (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة). وهذا المعنى وضحه نبينا عليه الصلاة والسلام (ولكن بعثني معلماً ميسراً). رواه مسلم وأحمد. ووردت معلماً نكرة لتعم كل أنواع وجنس التعليم ، يكفي للعلم تعظيماً وتشريفاً وحثاً عليه وعلى تأديته فضلاً عن التكليف به بأن نسبه الله لنفسه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم). بل إن منزلة التعليم مستمدة من قداسة مصدريته التي صبغه الله بها ، فالعلم هو الذي يقود حركة الأمم ويصوغ العقول والأفكار لذلك جاء الأمر الإلهي: (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون). فالمعلم الناجح هو الذي يؤثر في الناس ويغير من مسارهم وفق ما أراد الله ، لذا نحتاج إلى المعلم الذي يمتلك القدرة على إحداث ذلك التغيير ذي شخصية قوية لأن الحق لا ينتصر لوحده ما لم تكن وراءه نفس قوية تأخذ به تذود عنه ، فمعلم القرآن يتبوأ منزلة في الإسلام هي أسمى مكانة. (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). رواه البخاري. وما ذلك إلا للدور المنوط به فلا يمكن للمعلم أن يملك أدوات التأثير وهو ضعيف وأدواته قديمة غير متجددة ، إن الزمن الذي نحن فيه يحتاج إلى الأدوات الفعالة لإحداث التغيير. والمعلم المربي مطلوب منه أن يفهم طلابه ويعطيهم الحافز الأخروي والإيماني حتى يقدروا على مواصلة المسير بنجاح ، كما أن المعلم مطلوب منه أن يواجه هذا الزخم الهائل من الملهيات والمشغلات التي تصرف أذهان الطلاب عن القرآن وعن معالي الأمور ، وبقدر ضخامة المهمة التي أسندت للمعلم بقدر الحاجة إلى أن يتصف بصفات مؤهلة لذلك العمل ، فحيث كان الحديث عن الصفات الفطرية التي جبل عليها نتوقع أن يحوز المعلم على أرفعها مكانة وشأناً ، فلا يمكن أن يكون في المربي صفات فطرية مُنفرة طبعاً ومُقززة عُرفاً ، وحيث كان الحديث عن الصفات المعرفية التي ينبغي أن يعرفها عن واقعه الذي يعيش فيه ، نتوقع أن يطلع المعلم على ثقافات متنوعة حتى يكبر في عين طلابه ، فلا يمكن للمربي المعلم أن يجهل أساسيات معرفية في عصره حتى لا يتحول إلى أضحوكة يتندر بها الناس ، وحيث كان الحديث عن الصفات التربوية نتوقع أن يتصدر لها المعلم الناجح معرفة ودراسة وممارسة لأنها هي الميدان الحقيقي لعمله حتى يمكنه أن يدعو على بصيرة وعلى فهم نفسيات من يخاطب (خاطبوا الناس على قدر عقولهم) ، وحتى يكون قدوة حسنة على أرفع مستوى ليقبل التلاميذ عليه برغبة وشوق واحترام (إن

التناقض بين الكلام والعمل يهدم كيان الشخصية). فالمعلم يُعلم بعمله أضعاف أضعاف ما يعلم بعلمه ، فإذا خالف عمل المعلم ما يقول انهارت شخصيته في أعين طلابه ، وأساء المعلم إلى نفسه ولما يدعو ولدينه ، لذا ينبغي للمعلم (إذا وعد أن يوفى ، وإذا أوصاهم بشيء أن يبدأ بنفسه ، فإن حدثهم عن الصدق فليصدق ، وإن حدثهم عن التواضع فليتواضع ، وإن نصحهم بالهمة والعزيمة والجد والنشاط فليكن هو مثال ذلك ، شعلة تتوقد حركة واضطراباً). وقبل كل شيء ينبغي أن يطبق ما يقول حتى يقبل عند الله ، فالإيمان قول وعمل ، وأخيراً ينبغي للمعلم أن يقرأ ويسمع ويناقش ذوي الخبرة الواسعة ومن هم في الميدان العملي حتى يرتقي بشخصيته علماً وفهماً وتعليماً وتربيةً).هـ. والحقيقة أنه إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتِبَ من الظلمة. وإذا اعتمد الإنسان على نفسه يسد حاجته وإذا نظر إلى من عمل واجتهد ونفع نفسه وأهله فإنه يصبح قدوة لأبنائه فيحذون حذوه لأن أفضل معلم للأبناء هو الوالد والمعلم. والوضوح هو فضيلة المعلمين. فمن معلمي تعلمت الكثير ومن زملائي تعلمت أكثر ومن تلاميذي تعلمت أكثر وأكثر. إن معلمينا هم الذين يعطوننا الطريقة لنحيا حياة صالحة. وصدق من قال: مهمة المعلم الحديث ليست أن يُخلي الأدغال ويمهدها ، بل أن يروي الصحاري. وإذن فالمعلم الممتاز هو ذلك الذي لا يقتصر على إيصال المعارف إلى أذهان تلاميذه ، بل يضع لهم الخطط للدراسة بحيث يمكنهم أن يستغنوا عنه وأن يُعَلِّمُوا أنفسهم مستقلين مدى حياتهم. والمعلم الناجح هو أهم أعمدة بناء التعليم الناجح. والتكنولوجيا هي مجرد أداة فيما يخص تحفيز الأطفال وجعلهم يعملون معاً فإن المعلم هو الأهم. على المعلم ، والمرشد ، والمفكر. أن لا يقتصر على دلالة الناس على ما عليهم أن يفعلوه ، بل عليه قبل ذلك أن يقنعهم بأهمية ذلك ، ويقنعهم بخطورة تركه ، وخطورة التخلي عنه. وفي إجابة له عن سؤال من أحد المعلمين يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (المعلم في مدرسته مؤتمَن ، ومسئول على ما أؤتمن عليه ، مِن نصح الطلاب ، وتوجيههم ، والأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم ونفعهم ، كما جاء في حديث عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). رواه البخاري ومسلم).هـ. وفي تحقيق صحفي حول هيبة المعلم واحترامه أجراه مع عدد من التربويين وأولياء أمور الطلاب الأستاذ أحمد الشايع جاء في بعض فقراته ما نصه: (بعض المعلمين يفرض هيبته ومحبته على طلابه بثقافته وسلوكياته وحسن إدارته. ولا يختلف اثنان على أهمية المعلم ودوره في العملية التعليمية والتربوية ، وأنَّه النقطة الأولى التي ينطلق من خلالها الأجيال نحو المستقبل في جميع الأمم ، ومهما اختلفت الظروف أو تبدّلت إلاَّ أنَّه يبقى للمعلم دور كبير ومؤثر على مسيرة هذه الأجيال ، تربوياً وتعليمياً واجتماعياً ، لذا فمن الضروري احترام المعلم وتقديره وإعطائه الصلاحيات التي تساعده على أداء مهمته في تقديم جيل متعلم مثقف متحل بأفضل القيم والمبادئ التي ستكون عوناً له - بعد الله - في إكمال مسيرة حياته بثقة وثبات. وأكَّد مختصون أنَّ هيبة المعلم تنبع من سلوكه المستقيم وقوته العلمية واتزانه العقلي وشخصيته الوقورة وتعامله الحسن وأخلاقه الكريمة ، مُضيفين أنَّ هيبته لا تتحقَّق باستخدام العصا ، موضحين أنَّ فرض الهيبة يتطلَّب توفّر عدد من الشروط في المعلم ، ومنها أن يكون من خريجي كليات التربية حتى يكون مدركاً لقواعد التربية السليمة ومدى دوره في توجيه وإعداد وتقويم طلابه ، وإنْ لا يكن كذلك فليُجر له امتحان قاس في السلوكيات التربوية ليُعلم مدى إلمامه بها! إلى جانب إدراكه أنَّ الضرب والعنف من شأنهما خلق جيل معقد كاره لذاته ومجتمعه ومحيطه ، وكذلك النظر إلى هذه المهنة على أنَّها رسالة وليست وظيفة ، داعين إلى توفير حياة كريمة للمعلم ؛ لكي يتخلَّص من الأعباء والضغوط الواقعة عليه ، مُشيرين إلى أنَّ ضياع هيبة المعلم يعود إلى عدد من الأسباب ، ومن بينها بيئة العمل ، والأسرة ، والمعلم نفسه ، إلى جانب بعض الطلاب ممَّن لا

يرغبون في التعليم ، وكذلك بعض وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي. وقال د. عبد الله بن حميد وكيل كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها: إنَّ هيبة المعلم تنبع من سلوكه المستقيم وقوته العلمية واتزانه العقلي وشخصيته الوقورة وتعامله الحسن وأخلاقه الكريمة ، وهذا هو ما كان عليه المعلمون في الماضي ، وذلك قبل حوالي (50) عاماً مضت ، حيث كان المعلم – آنذاك - يفرض احترامه وهيبته ومحبته في قلوب طلابه بالقدوة الحسنة وغزارة العلم وسعة الثقافة وبُعد النظر. وأشار إلى أنَّ المعلم كان حينها هو الأب الثاني للطالب في تعليمه وتربيته وحنوّه وحرصه عليه ، فكان الطالب يحترم معلمه ويهابه ويتعامل معه بأدب وتقدير ، كما كان المعلم يفيض على الطالب من علمه الغزير وسلوكه المستقيم ونظافة ملبسه وطيب رائحته وعاطفته الأبوية ، في ظل وجود ثقة متبادلة بين المعلم ووالد الطالب ، ممَّا ساهم في تخريج جيل نادر من المعلمين التربويين والإداريين ، موضحاً أنَّ من أسباب ضياع هيبة المعلم الضعف العلمي عند البعض وقلَّة ثقافتهم. وأضاف أنَّ من بين الأسباب أيضاً رداءة خط بعض المعلمين ، ممَّا يعكس أثره السلبي في نفس الطالب ، إلى جانب ممارسة البعض بعض السلوكيات السلبية ، كتعاطي التدخين ، ممَّا يجعل منه قدوةً سيئةً لطلابه ، وكذلك عدم اهتمام البعض بأداء الصلوات المفروضة في أوقاتها ، إضافةً إلى انصراف البعض عن القراءة في الكتب العلمية والاطلاع على ما يتصل بتخصصه العلمي وتنمية ثقافته واقتصاره على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. وأوضح د.عبدالعزيز العسيري عضو هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة نجران أنَّ هيبة المعلم لا تعني استخدام العصا من أجل تحقيق الهيبة والوقار والاحترام ، ففي العقود الماضية كانت هيبة المعلم محفوظة لا يجوز لأحد الاقتراب منها أو التقليل من شأنها ، ودعا إلى توفير حياة كريمة للمعلم لكي يتخلَّص من الأعباء والضغوط المادية الواقعة عليه ، مُضيفاً أنَّ تزايدها يزيد من احتقان وغضب المعلم ، ومن ثمَّ قد يلجأ إلى استخدام العنف مع الطلاب كوسيلة للتنفيس عن هذه الضغوط ، مُشدِّداً على ضرورة التزام المعلم بمبدأ الثواب والعقاب بعيداً عن العقاب البدني والعنف في التعامل مع الطلاب ، مؤكداً أنَّ هيبة المعلم أمام طلابه تُعدّ أمراً بديهياً لا نقاش فيه ، مُشيراً إلى أنَّها فطرية وليست مكتسبة. وأكد د. عسيري الأحوس مساعد مدير التعليم بمحافظة صبيا أنَّ من أهم الأسباب التي أدت إلى فقدان المعلم هيبته ، عدم استطاعته صنع حدود بينه وبين طلابه ، كما أنَّ دخول أشخاص غير مؤهلين لممارسة هذه المهنة ساهم بشكل كبير في الإساءة لصورة المعلم وللعملية التعليمية برمتها ، مُضيفاً أنَّ التشويه الإعلامي للمعلم كان ولا يزال له دور كبير في تقديم صورة غير مقبولة لدى أفراد المجتمع. وبيَّن أنَّ ذلك كان من خلال تضخيم بعض السلوكيات ؛ بهدف جذب القارئ دون الحفاظ على حقوق المعلمين والمعلمات ، مشيراً إلى أنَّ طالب اليوم ليس كطالب الأمس، موضحاً أنَّ الطالب كان ينظر إلى التعليم على أنَّه المخرج الوحيد لمستقبله في الحياة ، وكان مثابراً مجتهداً يسعى جاهداً للحصول على أعلى الدرجات العلمية ، مُشدِّداً على أهمية دور المجتمع والأبوين في غرس نظرة الاحترام للمعلم في نفس الطالب. ولفت الأستاذ أحمد حداد إلى أنَّ أهم سبب في ضياع هيبة المعلم يعود للمعلم نفسه ، خصوصاً من حيث القدوة الحسنة ونقص المادة المعرفية والتربوية والعلاقة بين المعلم والطالب ، كما أنَّ للأسرة دوراً في التقليل من شأن المعلمين أمام الأبناء وتعميم حالات فردية من المعلمين على الجميع ، إلى جانب أنَّ حقوق المعلمين قد أغفلتْ ، ولوّح له باستخدام العقوبات وتجاهل المُحفِّزات ، في الوقت الذي يلعب فيه الإعلام ووسائل التواصل الحديثة دوراً واضحاً في تصيّد أخطاء بعض المعلمين وتضخيمها. وأشار إلى أنَّ إعادة هيبة المعلم تتطلَّب أن يكون المعلم على أساس تربوي متين ، إلى جانب إعداده بالشكل المطلوب ، وكذلك غرس حب واحترام المعلمين من قبل الأسرة في

أبنائهم ، إضافةً إلى مكافأة المتميز منهم ومحاسبة المقصر وتوفير المدربين القادرين على تأهيل المعلمين. وأوضح أحمد آل فرحان ، المستشار التعليمي بتعليمية منطقة عسير ، أنَّ على المعلم الذي يريد أن تعود له شخصيته الاجتماعية والتعليمية أن يضع نصب عينيه ثلاثة أمور أساسية ، * القدوة التربوية التي ينبثق منها حزمة من القيم والمبادئ الدينية والاجتماعية ، * القناعة الأكيدة بتأدية رسالته العلمية والمعرفية والانتماء لها كرسالة وواجب ديني واجتماعي بعيداً عن قولبتها كوظيفة أو عمل انخرط في مجاله دون قناعة ، * تطوير ذاته بالبحث والتجريب والاطلاع. ورأى أحمد معافا ، مدير إدارة الجودة بتعليم منطقة عسير ، أنَّه ليس من المنطق التسليم بعبارة أنَّ المعلم فقد هيبته ، وتحديداً في المرحلة الابتدائية ، مُضيفاً أنَّ الأمر يحتاج إلى دراسة علمية تحدد بالفعل صحة ذلك من عدمه ، مُضيفاً: بما أنَّنا نُقرّ بذلك في هذه المرحلة الدراسية ، فمن باب أولى وجودها في المرحلتين المتوسطة والثانوية ، موضحاً أن هناك ثلاثة جوانب يجب أن تتكامل لتحفظ للمعلم هيبته. وأضاف أنَّ هذه الجوانب تنطلق من المعلم ذاته ودوره في بناء شخصيته أمام طلابه ، ثمَّ من النظام القائم ، وأخيراً من المجتمع ودوره في هذا الأمر ، موضحاً أنَّ غياب أحد هذه الجوانب وضعفه يؤثر بشكل واضح على هيبة المعلم ومكانته. وأكَّد حسن آل هيازع ، مدير مدرسة ابتدائية بمدينة أبها ، أنَّ ضياع هيبة المعلم – للأسف - يعود لبعض أولياء أمور الطلاب ممَّن تأثروا سلباً بما يحيط به ، وبالتالي أصبح المعلم هو الشماعة لأخطاء المنزل ، إلى جانب دور بعض وسائل الإعلام وامتهانها لوظيفة المعلم ، بحيث أصبح إظهار المعلم في البرامج بشكل ساخر ؛ ممَّا أثَّر على هيبة المعلم بشكلٍ سلبي ، داعياً وسائل الإعلام إلى تحري الصدق فيما ينقلونه عن المعلم ، مُشدِّداً على ضرورة أخذ جميع الآراء قبل نشر أيّ موضوع ؛ لكي تتضح الصورة الحقيقية للمتلقّي. وقال د. توفيق السويلم ، مدير دار الخليج للبحوث والاستشارات الاقتصادية: إنَّ الراصد لواقع التعامل مع المعلم يجد أنَّه يختلف حسب طبيعة وثقافة المتعاملين معه ، فمن لديهم وعي وإدراك بأهمية المعلم نجد أنَّهم ينزلونه المكانة التي يستحقها من التوقير والاحترام ، أمَّا من يفتقدون إلى الوعي والثقافة فنجد أنَّهم يتعاملون معه بشيء من عدم الاحترام والتوقير ، كما أنَّ هناك العديد من المتغيرات التي طرأت على هذا الواقع فتسببت في مجموعة من المظاهر السلبية. وإنَّ من بين هذه المظاهر السلبية ، ظاهرة ضياع هيبة المعلم في العديد من المراحل التعليمية ، ومنها المرحلة الابتدائية ، مُضيفاً أنَّ من أهم أسباب ذلك قلَّة الوعي لدى العديد من أفراد المجتمع بأهمية التعليم ودوره في التنشئة السوية نتيجة لتوفر سبل الحياة المترفة ، وبالتالي تولَّد لديهم إحساس بأنَّ التعليم ما هو إلاَّ تحصيل حاصل ، وكذلك هناك الأسرة المتفككة التي لا تُنتج إلاَّ طلاباً غير أسوياء ، مع ضعف التربية والمتابعة في المنزل. وأضاف أنَّ بعض وسائل الإعلام تحط من قدر التعليم والمعلم على حساب كم الأخبار إلى جانب تعميم الحالات الفردية كظاهرة تُعمَّم على الجميع بلا استثناء ، مُشيراً إلى أنَّ من أهم الأسباب أيضاً قد يكون ما هو راجع إلى عدم حصول المعلم على القدر الكافي من التدريب والتأهيل التربوي الذي يساعده على التعامل مع مثل هذه السلوكيات السلبية داعياً إلى تقديم برامج تأهيلية وتدريبية للمعلمين تساعدهم على التعامل مع مثل هذه الحالات وكيفية تجنبها حتى لا تضيع هيبتهم؟).هـ. وما أحلى هذا الكلام ، وخاصة أنه يصدر من قوم تربويين لهم في التربية والتعليم الباع الطويل وقصب السبق والقدح المعلى! ويقول الأستاذ منصور بسيم الذويب معلقاً على كتاب نقشه الكاتب (محمد عبد الجبار العزاوي) عنوانه: (مسائل في التربية والثقافة والتعليم) ما نصه: (من الجميل والمُطَمْئِن معاً ، ان نجد كتاباً لأستاذٍ متمرسٍ ، يُدَرِّسُ لأهم مؤسسة تربوية تعليمية ، تُخَرِّجُ معلماً يكون للأجيال شمعة تضيء لها طريقها وتمدها بأسباب المنعة والاستعصاء على الغفلة والجهل ويرسم لها طريق التقدم

والازدهار ، والأجمل من ذلك أن نلمس بأن دافع هذا الأستاذ ليس الرغبة في تأكيد ذاته والحصول على مجده الشخصي ، إلا بقدر ما تتطلبه النفس ، مما لا يمكن دفعه أو نكرانه ، أو التحايل عليه فلكل منا نوازعه وحبه لذاته. وَحَسَنٌ أن نجد الرغبة في تأكيد ذواتنا تسير بتوازن معقول جنباً الى جنب مع ما يتطلبه الواجب وصون الأمانة ، خصوصاً إن أجبرنا نفوسنا لأن تسلك سبلاً وفجاجاً لا يمكن أن يسلكها إلاّ قوي النفس وثابت العزم من النمط الذي يشعر بجسامة الأمانة ، وليس هنالك من أريب واع مشفق ، يفوق في إشفاقه من يُدَرِّس لمعلمي المستقبل ، لما يعلم من حجم المسؤولية التي يحمل الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه نشر في وقت نحن في أمس الحاجة اليه ، ليشخِّص واقع التربية والتعليم ، هذا الواقع الذي ما زال دون المستوى المقبول ، ولا يمكن لمجتمع يشعر بقيمته أن يرضى به ، ولكن المجتمع ما زال يأمل أن يرصد أصحاب الاختصاص الأخطاء التي تشوب العملية التربوية والتعليمية حتى يتناولونها بالعلاج الناجع كالطبيب الحاذق تماماً ، ما يضفي الطمأنينة ويثلج صدور المخلصين إن أصحاب الاختصاص ممن عاصروا التدريس العلمي الرصين حسب ثوابته وأصوله الصحيحة في الماضي ما زالوا أحياء يعطون ، وما زالت علاقتهم وطيدةً بمجتمعهم الدراسي وهم خلاصة جهود عقود وعقود بذلها المخلصون ، فليس من الحكمة التفريط فيهم ، والخشية كل الخشية أن نخسرهم بالتقاعد أوبغيره ، لأنهم القبس الذي يضيءُ لأبنائنا طريقهم الذي يفضي الى درب مستنير ، وهم ينورون لمعلم المستقبل طريقه في مجتمع فاضل يدرك عِظَمَ مسؤوليته امام الله ، هذا المجتمع الذي لا يحفل إلاّ بالكفاءات المقرونة بالعلم الحقيقي الذي حُصِّلَ بسهر الليالي وبالدَّأَبِ والتصميم والاجتهاد. مهنة المعلم من المهن التي ليس من الإنصاف أن يستهان بها ويُنظر إليها على أنها من أدنى المهن التي يوصلها التعليم النظامي المنهجي ، من حيث معدل القبول في معاهد المعلمين والراتب والمكانة ، كما ومن الضرورة عدم التساهل في اختبار المتقدمين لهذه المهنة ، حتى لا نعود نشعر بأن هنالك من يعمل على الحط من مكانة المعلم واعتبار دوره من الأدوار الهامشية في المجتمع مقارنة بالطبيب والمهندس والمحامي ، وكل الراشدين يعلمون أن مهنة المعلم أعظم تأثيراً وأرفع شأناً وأهمية على الإطلاق ، وأن دوره من أخطر الأدوار. لكل ما تقدم كان كتاب الشاعر والقاص والتربوي (محمد عبد الجبار العزاوي) الموسوم (مسائل في التربية والثقافة والتعليم) الذي تضمن مقالات نشرها في مختلف المنابر الصحفية ، مع محاضرات ألقاها على تلامذته وتلميذاته في المدارس ومعاهد المعلمين والمعلمات ، كانت فيها أطروحات قيِّمة وخطيرة تمس الجانب التربوي والتعليمي ، بثها إلينا عبر كتابه الذي أجد أنه من الضرورة تعميمه ونشره في المجالات التربوية والتعليمية ليكون رافداً من روافد الإصلاح في بلدنا العزيز ، مستمد من واقع المؤسسات التربوية والتعليمية ، بل من أهمها ، وهي المعاهد التي تصنع المعلمين والمعلمات ، أهم حلقة من حلقات تقدم ورقي المجتمعات تَضمَّنَ الكتاب مواضيع شُخِّصَت فيها الأخطاء ثم اقترحت فيها العلاجات ، كان الكاتب يود أن تُختار العناصر المخلصة في شغل المواقع التربوية المهمة ، وقد تعرض في كتابه إلى مشكلة آلاف التلاميذ المتسربين من مدارسهم ، والى وجود الكثير من المباني المدرسية الخربة ، وإلى مئات المدرسين والمعلمين غير المؤهلين ، فضلاً عن إدارات المدارس والمعاهد غير المنتظمة ، وإلى تفشي ظاهرة المسكرات والمخدرات في بعض المدارس ، وطلب بأن تكافح هذه الأمراض قبل أن تنخر وتدمر مرافق التربية والتعليم ، وأن يتكاتف الجميع لتحمل المسؤولية بعيداً عن العواطف. ثم وجد الكاتب (العزاوي) أن من الصواب رفض أي دخيل غير تربوي مفروض من أية جهة كانت ، ونبه إلى ضرورة احترام المراجعين البسطاء عند مراجعتهم لدوائر التربية والتعليم ، وإلى الحاجة إلى تأهيل بعض المعلمين والمدرسين في الدورات التطويرية ، وإلى اعتماد أحدث

المبتكرات والتقنيات في تقديم المادة العلمية في التلفاز التربوي ، أشار إلى كل ذلك تحت عنوان (معالجات آنية) وتحت عنوان (أنصفوا المعلم الذي كاد أن يكون رسولاً) كان الكاتب (العزاوي) ينظر بألم إلى حال المعلم الذي رأى كأنه كرة تتلقفها أرجل خفية ، تحاول طمس ما تبقى من معالمه النبيلة ، وتسائل لم هذهِ الحرب الطاحنة على المعلم الذي كان جهده سبباً في وصول أصحاب القرار إلى مناصبهم التي هم فيها ، وأمل أن لا يعود هذا المعلم مرة أخرى بسبب حاجته المعاشية إلى بيع المسامير والمعلبات في البسطيات كما كان في السابق ، فالمعلم جدير بأن يكرم ويجزى بأحسن العطايا. ثم تحت عنوان (حملة الشهادات العليا بين وزارة التعليم العالي ووزارة التربية) رأى بأن من الأنسب سحب أصحاب الشهادات العليا من معاهد المعلمين والمعلمات وإلحاقهم بالجامعات ، لأن تلامذة معاهد المعلمين من خريجي الدراسة المتوسطة ، وهم ليسوا بحاجة إلى أساتذة يحملون شهادة الماجستير أو الدكتوراه ، أو يُعمل على فك ارتباط معاهد المعلمين من وزارة التربية وإلحاقها بوزارة التعليم العالي ، حينها سينقل حملة البكالوريوس إلى المدارس الثانوية ، وتحل بذلك معضلتين في آن واحد).هـ. ويقول الأستاذ الشادي الحجازي وتحت عنوان: (الراشد السديد بين المعلم والمستفيد) ما نصه: (عندما يكون المعلم في أوج العلم متمعمعاً في بحور المعرفة متجاوزاً كل التحديات والصعوبات تاركاً الجهل خلفه والعلم أمامه ، وطريقه الذي يسير عليه مزدهراً بشعاع النور والابتهال والعمل الصالح ، فتنبثق عن ذلك النتائج الإيجابية عليه وعلى المجتمع المحيط به فتكون هناك أمور أكثر ما تكون رائعة وبهيجة أهمها ما يلي: صفات القدوة أي المعلم وقوة إيمان وخشيته من الله وصدقه مع نفسه. * نظرة التعليم وطريقة وصول * المعلومة إلى المُستَقبَل أي (الطالب الصاغي). * ملاءمة الدروس للبيئة المحيطة بالمتلقي وجعل الحكمة أساساً لكل شيء. * إخلاص العمل لوجه الله تعالى. * الآداب الجميلة التي يتحلى بها المورث للخُلق ظاهراً وباطناً. ربما تكون هذه هي أهم الأسباب الرئيسية من دون حصر ولا اكتفاء بالأمور الجلية ، أريد أن أسرد هذه بالتفصيل بقصد الإفادة لا بقصد التطويل ، متبعاً طريقة القياس بين الطالب وبين من كانوا في هذا الجانب هم الأساس ، وهم الأصول وهم النبراس. صفات القدوة نبدأ بما قاله الإمام ابن القيم في كتابه القيم (الفوائد) للقلب ستة مَواطن لا سابع لها (ثلاثة سافلة وثلاثة عالية ، فالسافلة هي: دنيا تتزين له ، ونفس تحدثه ، وعدو يوسوس له. فهذه مَواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها ، والثلاثة العالية هي: علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده ، فالقلوب جوالة في هذه المَوَاطن). أهـ. والذين يتقون الله ويعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا ، فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة. وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة ويستعينوا بالصبر والصلاة ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخِستها والآخرة وإقبالها ودوامها ، واجتماع العلم والإيمان أفضل ما تكتسبه النفوس وتحصّله القلوب وينال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة ، وقد سئل أحد أهل العلم أيهما أكثر العلم أم الكلام ، فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر .أهـ. فينبغي على القدوة أن يكون علمه وعمله أكثر من كلامه فعندما يقل الكلام يكثر العمل وكذلك العكس وكلما زادت صفات المعلم الحسنه زاد وحسن توريثه لها وتزيد ثقة الطالب به. وتحسّن صورته عنده فيحصل المطلوب والمرجو من القدوة طريقة إيصال المعلومة إلى المستقبل إذا علم وأمن المُعلم بأن العلم هو نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس. فينبغي أن يحسّن صورة الخارج ويعمل على محاولة ترسيخها في نفس المُستَقبل والعمل على ذلك يتطلب من المعلم جهد وفير وعمل صادق مع النفس والغير ونستطيع ذكر بعض الأمور المساعدة في توصيل المعلومة منها ما يلي: 1 ـ معرفة حال وطريقة تفكير المُستمع ، فمن المعروف أنه لا يتفق اثنان في طريقة تفكير واحدة مثلاً ربما تكون نفسية أحد الأشخاص تفضل الترغيب

على الترهيب يعني أنك إذا أتيته من جانب الترغيب في الشيء يحسن الاستماع والقبول والعمل بما قيل وتركيز تفكيرية على الأمر المرغب فيه حتى يصل إليه ويحقق بذلك مناه وراحت نفسه. وأما إذا كانت نفسية الشخص تفضل الترهيب على الترغيب وتجد في الترهيب الأمر الفاصل في أمورها. وربما نفسية أخرى تفضل النصح والأخذ والرد وطريقة الإقناع والاقتناع على طريقة الفرض والإيجاب . فكل يؤتى من حيث يجد القبول ، وأظن بأن معرفة طريقة توصيل المعلومة أهم من توصيل المعلومة نفسها. اختيار وسيلة من الوسائل الحديثة والمحببة لكل شخص فربما شخص ليحب القراءة ولكن يحب الاستماع إلى الأشرطة والمحاضرات ، وعلى النقيض من يحبذ القراءة على الاستماع الكثير ، وعلى ذلك تقاس الأمور.
2- اختيار الشيء المناسب لفكره وكما قيل إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع ، وأيضاً انتهاز الفرص واللحظات وكما يقول ابن القيم في الفوائد: (إذا علقت شروس المعرفة في أرض القلب نبتت فيه شجرة المحبة! فإذا تمكنت وقويت أثمرت الطاعة فلا تزال الشجرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها).أهـ. كما يعلم الجميع أن القاعدة في قبول الأعمال إخلاصها لوجه الله تعالى والتعليم يجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى لأنه توريث للعلم والخُلق فينبغي أن يكون الموّرث مالكا للشيء وإلا كيف يتم تقسيم تركة من لا تركة له ، يقول الإمام ابن القيم في الفوائد: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت ، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس ، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص. فإن قلت وما الذي يسهّل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح! قلت: أما ذبح الطمع فيسّهله عليك يقيناً أنه ليس من شيء يُطمع فيه إلا وبيد الله خزائنه لا يملكها غيره ، ولا يؤتى العبد منها شيئاً سواه وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهّله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إلا الله وحده ، كما قال ذلك الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم إن مدحي زين وذمي شين فقال: (ذاك الله عز وجل). ازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشينك ذمه ، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه ، ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب).أهـ . قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}. فمن جعل الثناء نصب عينيه ذهب الإخلاص عنه دون أدنى شك! فالإخلاص والثناء كالماء والزيت لا يجتمعان إلا في لحظة تحريك قوي ثم يعود كل إلى أصله. ولذا فإنه يجب الحرص على نشر العلم بجميع الوسائل! وأن يبذله لمن طلبه بطلاقة وانشراح صدر مغتبطاً بنعمة الله عليه بالعلم والنور وتيسير من يرث علمه عنه! وليَحذر كل الحذر من كتمان العلم في حال يحتاج الناس فيها إلى بيانه أو يسأله عنه مسترشد! ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار). ثانياً: الصبر على أذى المتعلمين وسوء معاملتهم له لينال بذلك أجر الصابرين ويعودهم على الصبر واحتمال الأذى من الناس لكن مع ملاحظتهم بالتوجيه والإرشاد والتنبيه بحكمة على ما أساءوا به لئلا تضيع هيبته من نفوسهم فيضيع مجهوده في تعليمهم . ثالثاً: أن يمثل أمام الطلبة بما ينبغي أن يكون عليه من دين وخلق فإن المعلم أكبر قدوة لتلميذه وهو المرآة التي ينعكس عليها دين المعلم وخلقه. رابعاً: أن يسلك أقرب الطرق في إيصال العلم إلى تلاميذه ومنع ما يحول دون ذلك فيعتني ببيان العبارة وإيضاح الدلالة وغرس المحبة في قلوبهم ليتمكن من قيادتهم وإصغائهم لكلامه واستجابتهم لتوجيهه. وهناك أمور يجب أن يتحلى بها طالب العلم أي المُستَقبِل لكي يصبح رجلاً ذا هدف في الحياة وفائدة في المجتمع بحيث تكون سني طلب العلم قد أجدت نفعاً

وتكون الثمرة واضحة على الشجر ولكي تستوي الثمرة لا بد أن تصبر حتى يبدو صلاحها ولكي تكون مرغوبة عند الناس فكن أخي كهذه الثمرة وحاول أن يبدو صلاحك لتكون مرغوباً عند الناس ويجب أن تكافح من أجل طلب العلم ولكي تقدم على ذلك نقدم لك بعض الأمور المهمة: أولها: صدق العزيمة ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة فيصدقه في عزمه وفي فعله قال تعالى: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}. فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل. فصدق العزيمة جمعها وجزمها وعدم التردد فيها بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوم فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه ، وأنه لا يختلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه ، فعزيمته القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره ، وهذا الصدق معنىً يلتئم من صحة الإخلاص وصدق التوكل فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله. وكما أنه على المرء الاعتماد على نفسه في طلب العلم ومحاولة جعلها أن تكون صادقة مع نفسها والغير وأن لا تستمع إلى المثبطين وأهل إضعاف العزائم فهم والله ليسوا إلا حثالة من حثالات المجتمع وينبغي على طالب العلم مجاهدة أعدى أعدائه وهم إبليس وجنوده لعنة الله عليهم أجمعين. قال أحد العلماء رحمه الله تعالى: (عليك يا أخي بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين: أحدهما: أنه عدو مُضل مبين لا مطمع فيه بمصالحة واتقاء شره أبداً ، لأنه لا يرضيه ويقنعه إلا هلاكك أصلاً فلا وجه إذا للأمن هذا العدو والغفلة عنه. والخصلة الثانية: إنه مجبول على عداوتك ، ومنتصب لمحاربتك في الليل والنهار يرميك بسهامه وأنت غافل عنه ، ثم هوله مع جميع المؤمنين عامة ومع المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة ومعه عليك أعوان نفسك الأمارة بالسوء ، والهوى والدنيا! وهو فارغ وأنت مشغول وهو يراك وأنت لا تراه! وأنت تنساه وهو لا ينساك! فإذاً لا بد من محاربته وقهره وإلا فلا تأمن الفساد والهلاك والدمار. ومحاربته بالاستعاذة بالله والإكثار من الذكر). أهـ. الانتفاع بالعلم لا ينتفع بنعمة الله بالإيمان والعلم إلا من عرف نفسه ، ووقف بها عند قدرها ، ولم يتجاوزه إلى ما ليس له ، ولم يتعد طوره ولم يقل هذا لي وتيقن أنه لله ومن الله وبالله ، فهو المانّ به ابتداء وإدامة بلا سبب من العبد ولا استحقاق منه ، فتذله نعم الله عليه وتكسره كسرة من لا يرى لنفسه ولا فيها خيراً البتة ، وأن الخير الذي وصل إليه فهو لله به ومنه ، وهذا نتيجة علمين شريفين: علمه بربه وكماله وبره وغناه وجوده وإحسانه ورحمته. وينبغي على طالب العلم أن يقنع بطلب العلم وأن يصب كل طمع الدنيا في النظر إلى المعالي دائماً مادام طالباً للعلم. وكما قيل اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال. وكما أن المطلب الأعلى موقوف حصوله على همة عالية ونية صحيحة ، فمن فقدهما تعذر عليه الوصول إليه ، فإن الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره. وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه ، فالنية تفرد له الطريق ، والهمة تفرد له المطلوب ، فإذا توحد مطلوبه والطريق الموصلة إليه كان الوصول غايته ، وإذا كانت همته سافلة تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى. وإذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقه غير موصلة إليه. فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهما مطلوبه وطريقه ولا يتم إلا بترك ثلاثة أشياء: الأول: العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدثها الناس. الثاني: هجر العوائق التي تعوقه عن إفراد مطلوبه وطريقه وقطعها. الثالث: قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعليق بالمطلوب والفرق بينهما أن العوائق هي الحوادث الخارجية ، والعلائق هي التعلقات القلبية بالمباحات ونحوها ، وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام والشراب والمنام والخلطة ، فيأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه ويرفض منه ما يقطعه عنه أو يضعف طلبه ، والله المستعان. فهل التوفيق والخذلان سبب

أم هما بمجرد المشيئة لا سبب لهما؟ فإذا سببهما أهلية المحل وعدمها ، فهو سبحانه خالق المحال متفاوتة في الاستعداد والقبول أعظم تفاوت ، فالجمادات لا تقبل ما يقبله الحيوان ، وكذلك النوعان منهما متفاوت في القبول. فالحيوان الناطق لا يقبل ما يقبله البهيم ، وهو متفاوت في القبول أعظم تفاوت. وكذلك الحيوان البهيم متفاوت في القبول ولكن ليس بين النوع الواحد من التفاوت كما بين النوع الإنساني. فإذا كان المحل قابلاً للنعمة بحيث يعرفها ، ويعرف قدرها وخطرها ، ويشكر النعم بها ، ويثنى عليه بها ، ويعظمه عليها ، ويعلم أنها من محض الجود وعين المنة ، من غير أن يكون هو مستحقاً لها ولا هي له ولا به ، وإنما هي لله وحده وبه وحده. فوحده بنعمته إخلاصاً ، وصرفها في محبته شكراً وشهدها من محض جوده منة ، وعرف قصوره وتقصيره في شكرها عجزاً وضعفاً وتفريطاً ، وعلم أنه إن أدامها عليه فذلك محض صدقته وفضله وإحسانه ، وإن سلبه إياها فهو أهل لذلك مستحق له. وسبب الخذلان عدم صلاحية المحل وأهليته ، وقبوله للنعمة بحيث لو وافته النعم لقال: هذا لي ، وإنما أوتيته لأني أهله ومستحقه كما قال الله حكاية عن قارون: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}. أي على علم علمه الله عندي استحق به ذلك واستوجبه واستأهله. قال الفراء: أي على فضل عندي أني كنت أهله ومستحقاً له إذا أعطيته. قال مقاتل: يقول على خير علمه الله عندي. وذكر عبد الله بن الحارث بن نوفل: سليمان بن داود فيما أوتي من الملك ، ثم قرأ قوله تعالى: ({قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}. ولم يقل هذا من كرامتي ، ثم ذكر قارون وقوله: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} يعني أن سليمان رأى ذلك من نفسه واستحقاقه. وكذلك قوله سبحانه: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي}. أي أنا أهله وحقيق به فاختصاصي به كاختصاص المالك بملكه. ومما ينبغي أن يُعلم أن أسباب الخذلان مع بقاء النفس على ما خلقت عليه في الأصل وإهمالها وتخليتها فأسباب الخذلان منها وفيها ، وأسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للنعمة. فأسباب التوفيق منه ومن فضله وهو الخالق لهذه وهذه كما خلق أجزاء الأرض هذه قابلة للنبات وهذه عير قابلة له ، وخلق الشجر ، هذه تقبل الثمرة وهذه لا تقبلها ، وخلق النحلة قابلة لأن يخرج من بطنها شراب مختلف ألوانه والزنبور غير قابل لذلك. وخلق الأرواح الطيبة قابلة لذكره وشكره وحجته وإجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده ، وخلق الأرواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده ، وهو الحكيم العليم. ومن آداب طالب العلم: أولاً: بذل الجهد في إدراك العلم فإن العلم لا ينال براحة الجسم ، فيسلك جميع الطرق الموصلة إلى العلم. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة). ثانياً: البدء بالأهم فالأهم فيما يحتاج إليه من العلم في أمور دينه ودنياه فإن ذلك من الحكمة: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}. ثالثاً: التواضع في طلب العلم بحيث لا يستكبر عن تحصيل الفائدة من أي شخص كان ، فإن التواضع للعلم رفعة والذل في طلبه عز ، وكم من شخص أقل منك في العلم من حيث الجملة وعنده علم مسألة ليس عندك منها علم. رابعاً: توقير المعلم واحترامه بما يليق به فإن المعلم الناصح بمنزلة الأب يغذي النفس والقلب بالعلم والإيمان فمن حقه أن يوقره المتعلم ويحترمه بما يليق من غير غلو ولا تقصير ويسأله سؤال المستلهم المسترشد لا سؤال المتحدي أو المستكبر وليتحمل من معلمه ما قد يحصل من جفاء وغلظة وانتهار لأنه ربما يكون متأثراً بأسباب خارجية فلا يتحمل من المتعلم ما يتحمله منه في حال الصف والسكون. خامساً: الحرص على المذاكرة والضبط وحفظ ما

تعلمه في صدره أو كتابه فإن الإنسان عرضة للنسيان فإذا لم يحرص على ذلك نسي ما تعلمه وضاع منه ، فليعتن بحفظ كتبه من الضياع وصيانتها من الآفات فإنها ذخره في حياته ومرجعه عند حاجته).هـ. ويقول الأستاذ أحمد الشايع تحت عنوان: (هيبة المُعلّم ضايعة!) ما نصه: (بعض المعلمين يفرض هيبته ومحبته على طلابه بثقافته وسلوكياته وحسن إدارته. إنه لا يختلف اثنان على أهمية المعلم ودوره في العملية التعليمية والتربوية ، وأنَّه النقطة الأولى التي ينطلق من خلالها الأجيال نحو المستقبل في جميع الأمم ، ومهما اختلفت الظروف أو تبدّلت إلاَّ أنَّه يبقى للمعلم دور كبير ومؤثر على مسيرة هذه الأجيال ، تربوياً وتعليمياً واجتماعياً ، لذا فمن الضروري احترام المعلم وتقديره ، وإعطائه الصلاحيات التي تساعده على أداء مهمته في تقديم جيل متعلم مثقف متحل بأفضل القيم والمبادئ التي ستكون عوناً له - بعد الله - في إكمال مسيرة حياته بثقة وثبات. وأكَّد مختصون أنَّ هيبة المعلم تنبع من سلوكه المستقيم وقوته العلمية واتزانه العقلي وشخصيته الوقورة وتعامله الحسن وأخلاقه الكريمة ، مُضيفين أنَّ هيبته لا تتحقَّق باستخدام العصا ، من أجل تحقيق الهيبة والوقار والاحترام ، موضحين أنَّ فرض الهيبة يتطلَّب توفّر ملكات ومقومات خاصة).هـ. ولقد قامت الأستاذة أماني سامي (جريدة الوطن) بإجراء تحقيق صحفي حول هيبة المعلم ، جاء في بعضه: (قم للمعلم وفه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا». من منا لم يمر عليه هذا البيت الشعري الذي شدا به أمير الشعراء في مدح المعلم وإبراز مدى أهميته وتأثيره؟ إنه الشجرة المزهوة والناضجة التي تنتج أجيالاً مثمرة مبدعة قادرة على خدمة أوطانها ، ولهذا كان للمعلم على مر الزمان دورٌ رئيسي في بناء الأوطان واستثمار عقول أبنائنا وتوجيهها بما يخدم أمتنا ، فإذا وهن المعلم اهتز البنيان الأساسي للعملية التعليمية ، وبقوته يصبح التعليم مؤثرًا وفعالاً ويؤتي ثماره. ولأن المعلم والطالب هما الركيزتان الرئيستان داخل المجتمع التعليمي كان لا بد من فهم طبيعة هذه العلاقة بينهما خاصة أن تلك العلاقة طرأت عليها عدة تغييرات ربما بسبب تعاقب الأجيال واختلاف طبيعة الطلاب السيكولوجية أو لتطور التكنولوجيا الحديثة وما تحمله بين طياتها من مؤثرات. تُرى ، ماذا عن هذه التغييرات. هل هي سلبية أم إيجابية. وكيف تبدو مكانة المعلم اليوم بين طلابه مقارنة بما كانت عليه في السابق؟ وجريدة الوطن وعبر هذا التحقيق تسلط الأضواء على هذه العلاقة من خلال الانطباعات التي تباينت بين شخص وآخر حيث يرى البعض أن هيبة المعلم اليوم لم تعد كما كانت في سنوات خلت بعد أن تقلصت مكانته في قلوب الطلاب ، في حين يذهب البعض الآخر وخصوصاً من العاملين في الحقل التعليمي إلى أن مكانة المعلم لم تهتز وأنه ما زال وسيبقى موضع احترام وتقدير من قبل الجميع ، مع التأكيد على أن هيبة المعلم مبنية على الاحترام المتبادل بين الطالب والمعلم وأن المعلم يستطيع أن يزيح أي أسباب يمكن أن تعوق خلق المودة المشتركة ما بينه وبين الطالب).هـ. ويقول السيد يوسف العبد الله مدير مدرسة عبد الرحمن بن جاسم الثانوية المستقلة: (لا يخفى على أحد أن هناك فرقاً واضحاً في العلاقات ما بين الطالب والمعلم في هذه الأيام مقارنة مع الماضي ، والعلاقة اليوم تميل إلى كونها علاقة غير رسمية مقارنة بالسابق ، فالمعلم اليوم لا يمثل دور الحاكم والجلاد كما في السابق بل العكس ، حيث تميل العلاقة إلى علاقة صداقة تفتقر إلى الحدود التي كانت معهودة سابقاً. وأعتقد أن العلاقة يجب أن تكون ضمن حدود معينة فيجب أن تحفظ كرامة المعلم ودوره ، وعلى الطالب أن يعرف حدوده في العلاقة مع معلمه ، هذا لا يعني أن يكون المعلم متسلطاً أو حاملاً سوطاً بل على العكس يجب أن يحفظ حدوده مع إبداء بعض الهيبة ونوع من الدلال والتعزيز. أما حول تأثير العلاقة على مسار حياة الطالب فإنه ما من شك أن مستقبل الطالب العلمي يتأثر كثيراً بالعلاقة ما بين الطالب والمعلم. فكلما أحب الطالب معلمه أبدى اهتماماً أكبر بالمادة والمواظبة والانضباط. وإن كره الطالب

المعلم كره موضوعه وحاول شد انتباهه عن طريق المشاغبة والتأثير السلبي داخل الصف ، بذلك يتضح أن العلاقة لها بالغ الأثر على مستقبل الطالب العلمي ، وتتأثر هذه العلاقة بعلاقة الطالب بأهله حيث إن العلاقة بين الآباء والأبناء في كثير من الأحيان تفتقر إلى الحدود والاحترام الذي عهدناه وبذلك فإن هذه العلاقة تنعكس على علاقة المعلم بطالبه بالإضافة إلى ذلك فإن القانون يدعم الطالب ويحفظ حقه ، الأمر الذي استغل بشكل سلبي حتى أصبح المعلم غير قادر على إبداء الشدة - إذا كانت هناك حاجة - وإجبار الطالب على الانضباط).هـ. ومن جهته يقول خالد المهيزع صاحب ترخيص مدرسة حمزة بن عبد المطلب الإعدادية المستقلة بنين: (كانت العلاقة بين المعلم والمتعلم في صدر الإسلام قائمة على الحب والوفاء والتكريم والتقدير والتوقير ، فالمعلم والد يؤدب بالحسنى ، ويهذب بالحكمة ، ويقسو حينما تجب القسوة ولكنها قسوة من يحب ويعطف ، قسوة من يريد لأبنائه الخير. وكان المتعلم ابناً مطيعاً باراً ، يرى في توقيره وإجلاله لأستاذه ومعلمه مظهراً من مظاهر الأدب وحسن الخلق ، يرى من أستاذه الأب المحب الذي يريد لأبنائه أرفع المنازل فيسلمه زمام نفسه يقوده حيث شاء ، يسمع كل ما يقول وينفذ له كل ما يريد. هذه العلاقة بين الأستاذ وتلميذه ظلت قوية ومتينة إلى عهد قريب ، ولو رجعنا إلى عهد أبعد وذهبنا نسترجع تاريخ أمتنا لوجدناه عاطراً بقصص الحب والوفاء المتبادل ، ولعل قصة أبناء المأمون مع شيخهم من أبلغ قصص الوفاء حيث تسابق الأميران إلى حذاء الشيخ ليقدماه إليه. أما اليوم فإن من الطلاب من ينسى حق معلميه ، ويسلك سلوكيات غير منضبطة داخل الفصل وخارجه ، ويتلفظ بألفاظ سيئة ، وهو لا يزال بين يديه ينهل من علمه مغموراً بفضله فكيف به إذا ما بعد عنه ، ومن هنا ينشأ النزاع وتصبح العلاقة بين المعلم والطالب متوترة وغير مستقرة. كما أن بعض المعلمين وهم قلة لا يؤدون حقوق تلاميذهم عليهم ، ولا يبذلون الجهد المطلوب في تعليمهم وتربيتهم ومعالجة مشكلاتهم. حقاً لقد ضعفت الرابطة بين المعلم وتلاميذه في عالمنا المعاصر ، وضعفت العلاقة بينهما ضعفاً ينذر بأخطر العواقب. إذ بدأ الطالب يسرف في الاعتزاز بشخصيته ، وقد يرفع صوته في وجه أستاذه أو يصرح أمامه في جرأة عجيبة بما لا يليق ومن الطلاب من يتجرأ على شتم أستاذه والاعتداء عليه ، وكم سمعنا من قصص تم فيها الاعتداء بالضرب على المعلم داخل المدرسة وذلك انتصاراً للطالب ، فأين هذا مما قاله أمير الشعراء (أحمد شوقي) في فضل المعلم: (قم للمعلم وفه التبجيلا * كاد المعلم أن يكون رسولا)؟ وأحياناً تتطور العلاقة بين المعلم وذوي الطالب لتأخذ شكل نزاع نتيجة سلوكيات خاطئة ، فلا بد لنا في الوقت الحاضر من التركيز على العلاقة بين المعلم والطالب وهذا الموضوع من الموضوعات التي يجب أن تأخذ طريقها إلى الاهتمام والعناية والرعاية والمعالجة السريعة. ولا شك أن هذا العلاج يشترك في تقديمه أولياء الأمور من المسؤولين والمربين والآباء المدرسين والمثقفين من العلماء والأدباء حتى نستطيع أن نعود بهذه العلاقة الوثيقة والرابطة المتينة التي كانت تربط الطالب بمعلميه. وعلى الجانب الآخر فإن للمعلم رأيه).هـ. حيث تقول معجبة المري النائبة الأكاديمية بمدرسة عائشة الثانوية بنات ومعلمة مادة الأحياء سابقًا: (عندما تبنى العلاقة بين الطالب ومعلمه على أساس المودة والاحترام المتبادل فإن ذلك يؤدي إلى حرص الطالب على التعلم ومضاعفة المثابرة وحسن الإنصات لمعلمه الأمر الذي يجعله يحمل الذكريات الجميلة ويظل عقله مستحضرًا لمعلمه حتى بعد أن ينتقل الطالب لمرحلة أخرى جديدة. إن التعامل مع الطلاب يختلف حسب مراحلهم العمرية! فالتعامل مع طالب الابتدائي يختلف بالتأكيد عن الطالب في المرحلة الثانوية ، ولكن الأمر المشترك والذي يجمع ما بين تلك المراحل العمرية جميعها هو استخدام المعلم لسياسة الاحترام المتبادل مع الطلاب بعيدًا عن أسلوب التهميش أو القسوة وهو ما كنت استخدمه في تعاملي مع طالباتي بحيث وصلت العلاقة معهن

لدرجة كبيرة من الثقة العالية. فمن الضروري أن يستخدم المعلم سياسة الطيبة يتخللها بعض من الحزم في التعامل مع طلابه ، ولهذا عندما يخترق الطالب القوانين الصفية يجب التعامل معه بصرامة حتى لا يبدر منه أي تصرف غير لائق قد يخل بسير العملية التعليمية. أيضاً لا بد للمعلم أن يستخدم الأساليب الحديثة في الشرح حتى يكسر حاجز الخوف والملل لدى الطلاب فالأساليب الحديثة تجذب الطلاب وترفع من نسب مشاركتهم بالصف الدراسي).هـ. وأما غادة خميس ـ معلمة اجتماعيات بمدرسة عائشة الثانوية بنات ـ فتقول: (إنني أعامل الفتيات كأني أمهن التي تريد مصلحتهن ، فأتقرب لهن بحيث لا يوجد ذلك الحاجز المخيف الذي يحد من التواصل بيني وبين الطالبات. فعلى المعلم أن يعي أن الأجيال تتغير فالطلاب الآن يختلفون كليًا عن الطلاب قديمًا ، فقديما كان الطالب يعتمد على المعلم في إيصال المعلومة أما الآن فأصبحت جميع السبل متاحة أمام الطلاب للحصول على المعلومة ، ولذا لا بد أن يتعامل المعلم مع الطالب بما يتطلبه هذا العصر وبحسب المعطيات على أرض الواقع حتى يشعر الطالب أن معلمه ملم وشامل لكل المعلومات ومواكب لركب التطور التكنولوجي).هـ. وفي سياق متصل يقول رائد مصطفى ، الخبير والمستشار التربوي بمجمع الفرقان الإعدادي الثانوي: (يتم عادة الربط بين الآثار التربوية وهيبة المعلم كشرط ضروري للوصول إلى نشاط ناجح ومثمر. ويؤدي غياب هذه الهيبة إلى انعدام العلاقات المتبادلة الصحيحة بين المعلم والتلاميذ ، وانعدام الشروط الطبيعية الملائمة للنشاط التعليمي والتربوي المنتج. لا بد من توضيح مفهوم الهيبة ، فالبعض يرى أنها تتجسد من خلال مهارات المعلم في إرغام التلاميذ على العمل والدراسة ، واستخدام سياسة الترهيب والتخويف وهو ما يؤدي إلى كره الطالب للمعلم وللمادة التي يشرحها هذا المعلم. ومن أسس بناء علاقة ناجحة بين الطالب والمعلم أن يدرك المعلم أن كل تلميذ إنسان يمتاز بخصائصه الفردية ورغباته ، وسماته العقلية وطباعه. ومن المفيد الإشارة إلى أن بعض التلاميذ يمتلكون خصائص تبعد المعلمين عنهم وتنفرهم منهم ، فهل بإمكان المعلم أن يحب هؤلاء التلاميذ؟ لنفترض وجود تلميذ في الصف لا ينتبه إلى الدرس ، ويخرق النظام ويسبب الفوضى باستمرار ، ولا ينجز واجباته البيتية بانتظام ، ومشاكس وبالطبع لا ترضي هذه الصفات المعلم ، وتنفره منه ، لكن ينبغي عليه إدراك أنه خلف هذه المظاهر الخارجية خصائص إيجابية كثيرة. فإذا ما حاول التعرف عليه جيدًا سيجد فيه صاحب عقل محب للاستطلاع ، وصاحب قلب مرهف ، ولديه قدرات عالية ، وذلك ما يجب التركيز عليه وصولاً إلى العلاقة السليمة التي نبحث عنها جميعًا).هـ. ويقول سليمان حمد ـ طالب جامعي ـ: (إن العلاقة بين المعلم والطالب لم تعد كما كانت من قبل حيث يشوبها اليوم الكثير من التوتر ، وأصبحنا نرى بين الطلاب من يتطاول على معلمه وربما يتلفظ بألفاظ مرفوضة في حضرة المعلم. والمعلم أيضا يتحمل جزءًا من وجود مثل هذه التوترات في علاقته مع الطالب! فمرات كثيرة تكون أساليب المعلم غير تربوية في تعامله مع الطلاب ومن هنا تحدث مشاكل جمة يتحمل آثارها كلا الطرفين).هـ. أما شريفة العلي ، الطالبة بالمرحلة الثانوية ، فتقول: هناك بعض الطلاب يستغلون طيبة المعلم ويرونها سذاجة من وجهة نظرهم ، فرغم أن العديد من الطلاب يبحثون عن المعلم الطيب إلا أن طلابًا آخرين يستغلون هذه الطيبة في القيام بالعديد من السلوكيات السيئة تجاه المعلمين ، وتتمثل في إثارة الشغب أثناء الحصة الدراسية والقيام بأفعال غير مناسبة وغير تربوية وربما غير سوية أيضًا).هـ. ويتساءل راشد محمد عبد الله الطالب بالصف الثاني الثانوي: (لماذا تهدمت جسور المودة والثقة بين الطالب ومعلمه؟ ثم يجيب بالقول: هناك بعض الطلاب يشتكون مثلاً من معلم عصبي جدًا في تعامله معهم ويعتبرونه غير متفاهم ، ومعلم آخر يقولون إنه لا يصلنا شرحه ولا نفهم منه إطلاقًا وقد لا يكون الطالب مصيبًا دائمًا في حكمه ولكن يجب أن تؤخذ مثل هذه

الشكاوى والانطباعات بعين الاعتبار لا سيما عندما تكون سببًا في ضعف العلاقة بين الطالب ومعلمه. إن على المعلم في هذه الحالة أن يعيد بناء جسور الثقة بينه وبين طلابه وذلك بإشعارهم بالأمان والعطف وأن يرشدهم بالطرق التربوية ليتفاعل معه الطلاب دون تذمر. وهناك عدد من المعلمين الذين أثروا فيّ تأثيرًا كبيرًا وأخذوا بيدي إلى طريق النجاح والتفوق. وهؤلاء المعلمون لن أنساهم مهما حييت).هـ. وتقول فاطمة الحوسني ـ الطالبة بكلية الهندسة ـ: (إن من بين أسباب تراجع مكانة المعلم هو التطور التكنولوجي الهائل الذي اجتاح العالم بحيث قلص من دور المعلم وأصبحت المعلومة غير مقتصرة على المعلم فقط. وأضافت قائلة: بالرغم من أن الكثير من المعلمين أضحوا يركزون على التعنيف والقسوة لردع مشاغبة بعض الطلاب إلا أن هناك من لا ينصلح شأنه بهذه المعاملة ، وربما تكون النتيجة عكسية في بعض الأحيان بحيث تؤدي إلى العناد وعدم الانصياع لحديث المعلم).هـ. إن الإنسان يقف عاجزاً عن شكر هذه الآراء التربوية العظيمة! وإن كانت قد صدرت عن أساتذة أو طلاب. وأما عن التقنيات والأساليب فهي عوامل مساعدة فقط. يقول بيل غيتس: التكنولوجيا هي مجرد أداة. فيما يخص تحفيز الأطفال و جعلهم يعملون معاً فإن المعلم هو الأهم. ويقول إبراهيم الفقي: ينبغي ان تؤمن بأن كل فرد تقابله هو معلم للصبر. ويقول بيل جيتس: النجاح أحياناً معلم سئ ، إذ إنه يجعل الأذكياء يظنون أنهم لا يخسرون. ويقول راي ليفي: التجربة أفضل معلم للطفل ، وإذا لم تترك أطفالك يتعلمون منها صغاراً ، فسيتعلمون منها كباراً ، لكن تجاربهم ستكون عندها مهلكة. ويقول توماس كاروترس: المعلم هو الشخص الذي يجعلك لا تحتاج إليه تدريجياً. هذا ولا يمكن لأي مرب أو معلم أو داعية أن يكون ناجحاً أو فاعلاً ما لم يكن محبوباً من طلابه ومدعويه مهما حمل من علم. ولهذا يقول الله عز وجل لسيد البشرية في علاقته بالناس: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك). ويقول الدكتور عبد الكريم بكار: على المعلم ، والمرشد ، والمفكر أن لا يقتصر على دلالة الناس على ما عليهم أن يفعلوه ، بل عليه قبل ذلك أن يقنعهم بأهمية ذلك ، ويقنعهم بخطورة تركه ، وخطورة التخلي عنه. ويقول عبد الله عبد الدائم: إن تعليم القراءة والكتابة ممل بعض الشئ ، فعلى المعلم أن يخفف هذا الملل باصطناعه طرقاً مشوقة. ويقول سي إس لويس: مهمة المعلم أن يزرع الصحراء ، لا أن يقتلع الحشائش الضارة من الحقول. ويقول بوب تالبرت: المعلم الموهوب مكلف ، لكن المعلم السئ أكثر كلفة. ويقول أيضاً: يظهر المعلم عندما يكون التلميذ مستعداً. ويقول قاسم مسعد عليوة: سأقول لك قولاً قاله معلم في الأزمان الخوالي: البصيرة كالبصر يجب غضها عن مساوئ الناس. ويقول د. عبد الله بن راشد السنيدي: وتحت عنوان المعلم والمعلمة ودورهما في تربية الأجيال ما نصه: (قال صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه). رواه الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه. وقال صلى الله عليه وسلم: (معلم الخير تستغفر له الحيتان في البحر). وقال صلى الله عليه وسلم: (معلم الخير ومتعلمه فهما في الأجر سواء). ويقول أبو يوسف عن الإمام أبي حنيفة: (ما صليت إلا دعوت للإمام أبي حنيفة مع والدي). وعن شعبة بن الحجاج قال: (من علمني حرفاً كنت له عبداً). لذا يجب على عدم التشهير بعلمائنا في زلاتهم واحترامهم وتوقيرهم. وهذا الأدب قد جاء ما يدلل عليه من الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه). والسلف كانوا يبالغون في احترام معلميهم وشيوخهم: وكان ابن عباس يذهب لزيد بن ثابت ويجلس عند بابه احتراماً له وتوقيراً ولا يطرق عليه الباب حتى يخرج ، فإذا خرج أمسك بذلول ناقته أو راكبه فيقول ثابت: (يا ابن عم رسول الله ، هل أمرتني فأتيتك؟) فيقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. والحقيقة أن المعلمين والمعلمات هم

حماة الثغور ومربو الأجيال ، وسقاة الغرس ، وعُمّار المدارس المستحقون لشكر العباد ، والثواب من الله يوم المعاد. وهم من يقوم عليهم بناء الأجيال وهم المؤدون لرسالة العلم الناشرون لضيائه ، روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لقمان قال لابنه: يا بني ، عليك بمجالسة العلماء ، واسمع كلام الحكماء ، فإن الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر). والمعلمون والمعلمات حقهم وفضلهم عظيم. قال يحيى بن معاذ في فضل العلماء: (العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم ، قيل وكيف ذلك؟ قال: لأن آبائهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا ، وهم يحفظونهم من نار الآخرة). واحترامهم مطلوب ، والتأدب معهم واجب ، ولا بد لكل طالبٍ وطالبة من الأدب إذا أراد التلقي عن معلمه ، قال الإمام محمد بن إبراهيم البوشنجي: (من أراد العلم والفقه بغير أدب ، فقد اقتحم أن يكذب على الله ورسوله). ولنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى مثل وقدوة في تعاملهم مع معلمهم ومعلم البشرية الأول صلى الله عليه وسلم ، ومع أهل العلم من بعده ، (فقد كان شأنهم في تعظيمه وتوقيره أوضح وأظهر من أن يستدل عليه ، وأجمل من وَصف شأنهم في ذلك عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية فلما رجع إلى قريش قال: أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل فدلك بها وجهه وجلده! وإذا أمرهم ابتدروا أمره! وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له). وقد وُصف جلوس الصحابة واستماعهم للنبي بوصف عجيب ، حيث قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير). يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: (وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عينيّ منه). ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قول أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافير. وأما عن نماذج تعامل الصحابة مع أهل العلم من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنها ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: (أقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجده قائلاً ، فأتوسد روائي على بابه ، تسفي الريح على وجهي حتى يخرج ، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لك؟ فأقول: بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحببت أن أسمعه منك ، قال: فيقول: هلا بعثت إليّ حتى آتيك ، فأقول: أنا أحق أن آتيك). ومنها أن سعيد بن المسيب كان يركع ركعتين ثم يجلس ، فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، فما يجترئ أحد منهم أن يسأله شيئاً ، إلا أن يبتدئهم بحديث ، أو يجيئه سائل فيستمعون. وبعد هذه النماذج التي يعجب المرء لما فيها من الخلق والأدب الجم ، نشيد بطلاب وطالبات اليوم أن يقتدوا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعاملهم مع معلميهم الذين فقدوا كثيراً من حسن الأدب والتعامل من طلابهم ، والله الهادي إلى سواء السبيل. وقال طاووس بن كيسان رحمه الله: (من السنة أن يوقر أربعة: العالم ، وذو الشيبة ، والسلطان ، والوالد). ومما يدل على احترام الطالب معلمه محبته وطاعته ، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ). وأولو الأمر هم الفقهاء والعلماء كما قال الضحاك رحمه الله تعالى ، فتكون طاعة المعلم في حدود طاعة الله وما أمر به سبحانه. ومنه التواضع للمعلم وحسن الخلق معه ،

يقول الغزالي: (لا يدرك العلم إلا بالتواضع ، فعلى طالب العلم أن يكون متواضعاً). وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لخلف بن الأحمر: (لا أقعد إلا بين يديك! أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه). وعن أبي داوود سمع شعبة يقول: (أنا عبد لمن عنده حديثان). وما سبق إنما يدل على اهتمام سلفنا الصالح باحترام معلميهم وتوقيرهم والتواضع لهم والاعتراف بفضلهم وتعاملهم الصحيح معهم. ومنه تعظيم المعلم ، فعن معمر الزهري قال: كنت آتي عروة فأجلس ببابه ملياً ، ولو شئت أن أدخل ، دخلت ، فأرجع وما أدخل إعظاماً له. ومنه أن يضع الطالب للمعلم في نفسه هيبة ، وهذا مما يدل على احترامه له ومحبته وتوقيره. فقد كان من تمام احترام السلف لعلمائهم أنهم كانوا يهابونهم ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن حديث ما منعني منه إلا هيبته). وقال الربيع: (والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له). ومنه أيضاً النظر للمعلم بعين الإجلال وهذا يؤدي بطالب العلم إلى الانتفاع العظيم من معلمته. ومنه أيضاً إلقاء السلام على المعلم. ومنه الرفق والتودد للمعلم وطلب رضاه. ومنه عدم اغترار الطالبة بنفسها وتوهمها أنها أعلم من معلمتها أو مثلها. فإن هذا تسويل من النفس وخدعة من الشيطان. قال الفراء: قال لي رجل: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟! فأعجبتني نفسي ، فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء ، فكأني طائر يغرف بمنقاره من البحر. ومنه الصبر على غضب المعلم ، وقد قيل لسفيان بن عيينة: إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم ، يوشك أن يذهبوا أو يتركوك ، فقال للقائل: (هم حمقى إذا هم تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي). وإن مما يؤسف له ما يرى من حال الطلاب اليوم في التعامل مع معلميهم ، فغالب الطلاب إلا من رحم الله لا يتحقق فيه شيء مما ذكر سابقاً إلا قليلاً. ولا يرى هذا ولا يعلمه إلا من يعايش الطلاب ويطلع على أحوالهم. فقد يمر المعلم بمجموعة من طلابه قد جلس في مكان ما في وقت الراحة ويكون ممن أفنى عمره في التعليم فلا ترى طالبا منهم وضع ما بيده من طعام أو شراب جانباً ولا من كان يضحك توقف ضحكه احتراماً وهيبة من معلمه. قال العلماء: (ينبغي لطالب العلم أن لا يجلس قريباً من معلمه عند الدرس ، بل ينبغي أن يكون بينه وبينه قدر قوس فإنه أقرب إلى التعظيم). ومنه أن لا يستند بحضرة معلمه إلى جدار. فإن هذا يشعر المعلم باستهتار الطالب به وبالدرس ، ويؤدي إلى كسل الطالب وقت الدرس. (حضر أولاد الخليفة المهدي عند شُرَيك ، فاستند إلى الحائط ، وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه شُريك ، ثم عاد فعاد شريك بمثل ذلك. قال ابن الخليفة: تستخف بأولاد الخلفاء هذا الاستخفاف؟ قال: لا ولكن العلم أجل عند الله من أن أضيعه). (ذكر الإمام السمعاني وغيره: أن مجلس الإمام أحمد كان يحضره خمسة آلاف ، قال الناقل: فكان خمسمائة يكتبون ، والباقي يستمدون من سمته وخلقه وأدبه. وقال أبو بكر المطوعي: حضرت مجلس أبي عبدالله وهو يقرئ أبناءه المسند اثنتي عشر سنة ، ولم أكن أكتب ، إنما أنظر إلى أدبه وخلقه). (قال ابن حزم رحمه الله: إذا حضرت مجلس العلم ، فلا يكن حضورك إلا حضور مستفيد، مستزيدٍ علماً وأجراً ، لا حضور مستغن بما عندك ، طالباً عثرة تشنعها ، أو غريبة تشيعها ، فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم أبداً). ومن ينظر إلى حال سلفنا في شدة إنصاتهم لمعلميهم يتعجب من حالهم ويتأسف لحالنا اليوم طلاباً وطالبات. فعن أحمد بن سنان أنه قال: كان عبدالرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ، ولا يُبرى قلم ، ولا يقوم أحد ، كأنما على رؤوسهم الطير ، أو كأنهم في الصلاة. وزاد عليه بلفظ آخر: فإذا رأى أحداً منهم تبسم أو تحدث لبس نعله وخرج. ومنه أن يحاول الطالب فهم واستيعاب كل ما يقوله المعلم مباشرة ولا يضطر معلمه إلى الإعادة مراراً وتكراراً. قال قتادة: (ما قلت لمحدث قط أعد علي ، وما سمعت أذناي قط شيئاً إلا وعاه قلبي). ومنه إذا سمع الطالب معلمه يحدث بقصة أو يقرأ شعراً وهو يعرفه فينبغي عليه عدم

مقاطعة المعلم وإكمال ما يقوله عنه. وأن يصغي إليه كأنه لم يسمعه قط وهذا أدب مهم من آداب الاستماع. (قال الحسن البصري موجهاً ابنه: يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول وتعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الكلام ، ولا تقطع على أحد حديثاً ، وإن طال حتى يمسك). (كان علي بن الحسين يدخل المسجد فيشق الناس ، حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير: غفر الله لك ، أنت سيد الناس ، تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد؟! فقال علي بن الحسين: العلم يبتغى ويؤتى ويطلب من حيث كان). وصدق الأستاذ كامل درويش عندما قال: (ما أشرقت في الكون حضارة إلا وكانت من ضياء معلم. نعلم جميعاً مدى أهمية الدور الذي يقوم به المعلم ، فسمو الرسالة التي يؤديها ، تتطلب منه شحذ أقصى طاقاته وقدراته ، لخلق جيل واع راشد له القدرة على إصلاح مجتمعه وأمته فيما بعد ، شاقة هي المهمة بلا شك والطريق لتحقيق هذه الغاية ليس بالأمر اليسير ، خاصة مع كثرة العقبات والتحديات التي يمر بها النظام التعليمي في عالمنا العربي ، ولكن هذا لا يمنع أن نعمل على تطوير أنفسنا كمدرسين سعياً لتعليم أفضل لأبنائنا).هـ. يقول الأستاذ أحمد أبو زيد وتحت عنوان: (التصنيف الدولي لمكانة المعلم) ما نصه: (يقول صني فاركي ، مؤسس ورئيس أمناء مؤسسة جواهر فاركي البريطانية غير الربحية: «يحق لي أن أفخر أن والداي كانا معلميْن ، وقد تحدثت مؤخرًا مع أمي وسألتها ما الذي حققتماه من عملكما كمعلمين؟ فحدثتني بإعجاب قائلة: «إن من يدرّسون الطلاب يحظون باحترام بالغ باعتبارهم أكثر الناس ثقافة في المجتمع ، ومن ثم ، يلجأ إليهم الآخرون باعتبارهم مصدرًا للنصح والإرشاد ، والأكثر أهمية في هذا الأمر أنهم يطلقون شرارة الخيال لدى الأطفال الذين يمضون نحو تحقيق وإنجاز أشياء عظيمة لأنفسهم وللمجتمع». الزمن تغير للأسف ، ولم يعد المعلمون يحظون في كثير من البلدان بتلك المكانة الرفيعة التي اعتادوا التمتع بها ، ومن ثم كان لهذا الأمر آثار بالغة الضرر على الفرص الحياتية للأجيال القادمة. فإذا لم ينعم المعلمون بالاحترام في المجتمع ، فلن ينصت الطلاب لهم في الفصل ، ولن يدعم الآباء الرسائل القادمة من المدرسة ، وسيستمر الخريجون الموهوبون في هجر العمل في وظيفة التدريس. وبمرور الوقت ، سيؤدي هذا التراجع في احترام المعلمين إلى إضعاف التعليم والتدريس ، والإضرار بالفرص التعليمية للملايين ، وفي النهاية ستضعف المجتمعات في جميع أنحاء العالم. وقد دفعت كل الأسباب السابق ذكرها «مؤسسة جواهر فاركي » إلى إجراء أول دراسة مقارنة عن «مكانة المعلم حول العالم» لقياس مستوى احترام المعلمين في البلدان المختلفة. واستطلعت هذه الدراسة رأي ألف شخص من كلا الجنسين في إحدى وعشرين دولة هي: البرازيل ، الصين جمهورية التشيك ، مصر ، فنلندا ، فرنسا ، ألمانيا ، اليونان ، إيطاليا ، اليابان هولندا ، نيوزيلندا ، البرتغال ، تركيا ، سنغافورة ، كوريا الجنوبية ، أسبانيا ، سويسرا ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تم اختيار هذه الدول بناءً على أدائهم وفق البرنامج الدولي لتقييم الطلاب Program for International Student Assessment (بيزا) ، والبرنامج الدولي لاتجاهات دراسة الرياضيات والعلوم Trends in International Mathematics and Science Study (تيميس) ، وليمثلوا كل قارة كبيرة ، وكممثلين لاتجاهات مختلفة للأنظمة التعليمية. ورغم كل الأمنيات والطموحات أن يلقى المعلمون الاحترام الكافي كنظرائهم في المهن الأخرى مثل الأطباء ، باعتبارهم مهنيين متخصصين ماهرين للغاية أسوة بمعظم الوظائف الأخرى في المجتمع ، إلا أن الاستقصاء أو المسح الذي أجرته المؤسسة البحثية في 21 دولة أظهر أن المواطنين في دولة الصين فقط يضعون المعلمين في مكانة مساوية لمكانة الأطباء. وعلى النقيض من ذلك ، تبين أن أقل من 5% فقط من المواطنين في المملكة المتحدة يعتقدون أن المعلمين

يتساوون مع الأطباء في المكانة والأهمية. لكن هذا المؤشر لا ينبغي أن يبعث على اليأس. فالبلدان الواقعة في منطقة الشرق الأقصى مثل الصين وكوريا الجنوبية ، أظهرت أن هناك مناطق في العالم مازالت مهنة التدريس تحتفظ فيها بمكانتها المحترمة. وإذا كنا نريد للأجيال القادمة أن تتحلى بالقيم السليمة وأفضل الفرص في الحياة ، فيجب أن نعلم أن كلمة السر لتحقيق ذلك تتمثل في توظيف أفضل وألمع المعلمين في هذه المهنة ، والنظر في أفضل السبل للحفاظ عليهم. وقد استطاعت دولة فنلندا التي تحتل قمة الترتيب في برنامج تقييم الطلاب الدولي (بيزا) ، أن تجعل مهنة التدريس تحظى بمكانة طيبة لدرجة أن أفضل خريجي الجامعات يتنافسون لشغل هذه الوظيفة ، علمًا بأن جميعهم يحمل درجة الماجستير. وأظهر البحث أنه كلما حصل المعلمون على راتب أفضل ، تعاظم تحصيل الطلاب العلمي. ويشير التصنيف الدولي لمكانة المعلم إلى أن الناس في معظم البلدان يعتقدون أن المعلمين يستحقون أن ينالوا رواتب أكبر حتى في دول مثل فنلندا التي تتمتع بالفعل بنتائج طيبة في هذا الصدد).هـ. ويقول الدكتور الكبير الداديسي وتحت عنوان: (صورة المعلم في الشعر العربي) ما نصه: (تعد مهنة التعليم من أكثر المهن التي أشاد بها المفكرون والعلماء وحتى الصحابة والأنبياء ، فقيلت في المعلم أقوال مأثورة كثيرة ، منها قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النمل في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير . وشبه علي بن أبي طالب العالِم بالنخلة دائما (تنتظر متى يسقط عليك منها شيء) ومنهم من وضع المعلم في مكانة الأنبياء والرسل ، وألبسوه من الصفات ما لم يوصف به غيره ، فرأى فيه البعض طبيب المجتمع ، الواقي من الأدواء والشرور ، يبني العقول التي بدونها لا مستقبل للإنسانية لما له من قدرة على تحويل الظلام إلى نور ، وتنوير العقول ، له دائما أكثر مما يقول ، وقد أفاض الفكر النهضوي في العالم العربي في الحديث عن أهمية العلم ووظيفة المعلم في إصلاح أحوال البلاد والعباد ، باعتبارهم العلم الوسيلة الوحيدة لإخراج الأوطان من التخلف ، وإنقاذ البلاد مرهون بدور المعلمين وأهل العلم. ولسنا هنا بصدد مناقشة أهمية العلم ووظيفة المعلم في الحياة وإنما همنا رصد بعض ما صدحت بها حناجر الشعراء في حق المعلمين في وقت باتت فيه صورة المعلم صورة مضببة وباهتة. ولكن يلاحظ أن مادية العصر، وتخلي بعض المعلمين عن رسالتهم النبيلة ، وجريهم وراء الماديات في عصر يعاني أزمة قيم ، كل ذلك وغيره جعل عامة الناس ، وخاصتهم ، ومنهم الشعراء طبعاً ، يغيرون من نظرتهم للمعلم ، فغدا محط سخرية و تهكم ، ينظرون إلى كل الفاعلين في التعليم باستصغار يصفون المهنة باحتقار ، فبعدما كان الأطفال المتعلمون بتطلعهم رمزاً للبراءة أضحى عدد من الشعراء يرون فيهم رموزاً للبلادة ، فها هو شاعر يرى فيهم بهائم يستحيل تعليمها. والمعلم يقف عاجزاً عن أداء مهمته يستجدي عطف الناس لأن تعليم البهائم فوق طاقته. (طبعاً ذكر المؤلف هنا أبيات من قصيدة إبراهيم طوقان ضربنا الذكر صفحاً عن ذكرها لركاكتها!) ولم تقتصر هذه النظرة على الشعراء بل تسللت إلى المعلمين أنفسهم ، فأمسوا يحتقرون مهنتهم ، ويعتبرونها مصدر مشاكلهم ، وسبب تعاستهم تدفع بعضهم إلى الانتحار. وهي نظرة تعكس الإحباط الذي أصبح يعيشه المعلم ، وكيف تحول بين عشية وضحاها من شبيه الرسل وباني الحياة وضامن ومكرس القيم الكل مقتنع ويقسم أن لا قيم في المجتمع بدون معلم. وهكذا يتضح إذن أن هناك تغييراً جذرياً في منظومة القيم ، ساهم فيه مادية العصر وعولمة القيم وتعدد الوسائط ، مما غير في نظرة الناس لعدد من الثوابت ومن ضمنها نظرتهم للمعلم الذي لم يعد مصدر المعرفة الوحيد ، (طبعاً أعاد المؤلف الكرّة فذكر هنا أبيات من قصيدة إبراهيم طوقان ضربنا الذكر صفحا عن ذكرها لركاكتها ومغايرتها للواقع هذه المرة!) بل يبدو للناس أن ما يقدمه المعلم في عالمنا العربي متجاوزاً وبطرق عتيقة ووسائل

متهالكة جعلوه موضوع النكتة ورمزاً للقيم البالية المتجاوزة ، وأثر ذلك على نفسية المعلم ووظيفته بعد أن سحبوا منه رسالة التربية وقصروا عمله على التلقين والتعليم ، وبعدما كان يشكل القدوة ، ويشعر بقداسة الرسالة التربوية أصبحت مهنة التعليم تشعره بتفاهته).هـ. ويقول الدكتور مولاي المصطفى البرجاوي وتحت عنوان: (أدوار المدرس في عالم متغير: الواقع والمأمول!) ما نصه: (إن مستجدات الحياة المعاصرة تفرض أن تكون للمدرس أدوار مختلفة ومتميزة تبعًا لما تميله الطفرات النوعية التي تعرفها مختلف المجالات. إنْ على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو التقني أو الخبرات التعليمية. فالنظم التعليمية لا يمكن الارتقاء بها وتطويرها ما لم يعد النظر جذريًا في نظام تكوين المدرسين ، وإلا فسيكون تعليمها غير مواكب لكل المستجدات إلا ما كان من اجتهادات فردية لا يظهر أثرها بارزًا وإيجابيًّا في منظومة المجتمع ، ولا أدل على ذلك مما تعرفه النظم التعليمية في الوطن العربي التي تراوح مكانها ، بل تتذيل القائمة في كل منافسة ومسابقة تربوية عالمية. وفي هذا الإطار ، ينبغي إعادة النظر في الأدوار الحديثة للمدرس ، تلك التي يحددها «وولفوك» في: «الأدوار التعليمية ، والأدوار التربوية ، والأدوار الإدارية ، والأدوار الاجتماعية ، والأدوار الإنسانية ، مع إعداد تكوينات مستمرة للمدرس ، تقدم الخبرات والأساليب التعليمية والكفاءات العامة والنوعية التي تتناسب مع هذه الأدوار وتتفاعل إيجابيًّا مع ما تفرضه التطورات الحديثة من تغيير وتطوير لأهداف التعليم ومحتواه ومصادره وأوعيته وطرائقه». لكن من يمعن النظر في واقع التعليم في الوطن العربي يجد ندوبًا وجراحات تخلخل المنظومة التربوية ، وتمس كيان وهيبة المدرس تدفع به إلى أرذل المقام بعدما كان نبراسًا وشعلة يستضاء بها! إذن ، الإشكال المطروح: من المسؤول عن تراجع هيبة ومكانة المدرس؟ وما هي الأصناف الكبرى للمدرسين في ظل الاهتمام بالرسالة التربوية؟ وما أدوار المدرس الأساسية في ظل المتغيرات في شتى مناحي الحياة؟ تعد مهنة التعليم من أرقى المهن في جميع المجتمعات ، ولا شك أن العلم هو الركيزة الأساس لانطلاق وتطور الأمة في جميع مجالات الحياة ، لكن ـ للأسف الشديد ـ في زماننا هذا تراجعت هيبة وكرامة المدرس وأصبح أيقونة للاستهزاء والسخرية وذليلًا مهانًا من طرف مجتمعه ، فاقدًا قيمته بين متعلميه ، لدرجة بلغت معها الجرأة حد الاعتداء عليه جسديًّا ولفظيًّا. إن تراجع مكانة المدرس تعود بالأساس إلى جملة من العوامل نذكر بعضها: *العامل الاقتصادي ، فراتب المدرس لا يكفي لسد حاجته ، بالتالي يؤثر ذلك نفسيًّا عليه وعلى عطائه ، وبرغم ذلك نجد المدرسين يبذلون قصارى جهدهم للخروج بالتعليم من عنق الزجاجة ، أضف إلى ذلك عدم الاهتمام بواقع المدرس وعدم استفادته من الحقوق الأساسية (المادية والمعنوية) ، بل يعد في منظومة التربية والتكوين ، الحلقة الأضعف في المنظومة التربوية ، وتوجه له سهام الاتهام في فشل أي مشروح إصلاحي تعليمي. *العوامل القيمية: اختلال منظومة القيم الأخلاقية نتيجة قصور في التشريعات والقوانين التي ترفع شعار جعل المتعلم في قلب الاهتمام والتفكير والعمل ، ثم في قلب العملية التعليمية ، لكن في الحين نفسه تقلل من شأن المدرس. مما يدل دلالة قاطعة على خلل في التشريعات القانونية المدرسية ، التي تأتي من المكاتب المكيفة ، دون أن تُعرض على مجهر الحياة المدرسية وعلى المدرس الذي يعيش هموم المنظومة برمتها ، لكن أيادي خفية تعمل جاهدة على تركه في الهامش التربوي والاجتماعي حتى لا تقوم له قائمة! *تراجع دور النقابة: فهذه المؤسسات الاجتماعية تراجع دورها بشكل كبير ، وبناء على ذلك يفضل أغلب المدرسين عدم الانخراط في هذه اللعبة ، ففي السابق كان دورها منصبًا على الاهتمام بهموم المدرس وانشغالاتهم ، لكن حاليًا توجهت أنظارهم إلى العمل السياسي والتهافت على المناصب. *العوامل التكنولوجية والمعرفية: أثرت التكنولوجيا الحديثة على أفكار المتعلمين وجعلهم غير

مبالين بالتعليم ، ويعدونه من قبيل مضيعة الوقت ، خاصة في ظل الارتفاع الجنوني للمعطلين ، بالإضافة إلى ضعف الحملات التوعوية الهادفة من الإعلام وجمعيات المجتمع المدني والأسرة التي فقدت بريقها ؛ كل ذلك قلل من كيفية التعامل مع مدرسيهم، وأيضًا لا بد من معرفتهم للعقوبات التي تترتب على إساءتهم لأي معلم لكي لا يفكروا بالإساءة إليه. *ضعف تحسن ظروف الحياة المدرسية: من حيث بنية الأقسام والحيز البيداغوجي للمدرس من الحصص اليومية والأسبوعية ، وضعف الإمكانات المادية والتقنية اللازمة لأداء عمله، والخلل في أنماط الحكامة الإدارية وأساليبها بما يعود سلبًا على المدرس في تحسين كفاءته ومن ثم مكانته. ولكن في الوجهة الثانية للعملة ، نجد أن إتقان المدرسين لأدوارهم ومسئولياتهم يرفع لا محالة من مكانتهم الاجتماعية واكتسابهم رضا الجمهور المستهدف والمجتمع ، برغم محاولات التشويه والتشهير. فعلى سبيل المثال بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية يقول روبرت رتشى: لقد تمت أغلب الإنجازات (في مهنة التعليم) عن طريق مجهودات المدرسين الذين كرسوا وقتًا ثمينًا في العمل الجماعي على كافة المستويات. والحقيقة أنه في واقع ممارستنا التربوية كثيرًا ما نسمع نعوتًا متعددة تطلق على المدرس ، تنطلق من معايير وخلفيات مختلفة من ذلك: مدرس كفء ، مدرس مجدد ، مدرس تقليدي ، مدرس ملتزم ، مدرس مستهتر ، مدرس صعب... وهلم جرًا من النعوت. وارتباطًا بصلب هذا العنصر ، وما ينطلق به واقع الحال ، يمكن الحديث عن ثلاثة أصناف: المدرس المجتهد: ينشغل أساسًا بما يحرزه المتعلم من تقدم ، فيجتهد في اقتراح الوضعيات الباعثة على التعلم ، ويعنى بتسيير الأعمال ، وتذليل الصعوبات ، والحفز على تحرير طاقات المتعلمين ، وحفزهم على الانطلاق في عالم التعلم المديد والرحب. المدرس المقتصد: يزاول مهنته باقتصاد ، فيحرص على تنفيذ المقرر ، بأقل جهد وأضعف كلفة ، فيدبر وضعية التعلم ، أو ينقل المعرفة. المدرس المقصر: ويتجلى تقصيره في الميل إلى التأخر ، والجنوح إلى الغياب ، والإخلال بمسئولياته ، وتتسم عادة ممارسته المهنية بالاضطراب والتوتر والفتور ، فلا تخطيط ولا إعداد ولا رؤية واضحة ، فهو يسير بلا غاية. لكن كاميرا الإعلام والوزارة الوصية على التربية والتعليم ، توجه إلى هذا الصنف الأخير ـ على قلته ـ فتشوه سمعة المدرس مهنيًا وتربويًا وتقلل من مكانته اجتماعيًا وثقافيًا ، ويظهر ذلك من خلال البرامج التلفزيونية والمسلسلات الهزلية ، حتى قال أحدهم في مؤتمر صحفي: إن المدرس الكفء عملة نادرة إن لم نقل مفقودة! لهذا فإعادة الاعتبار للمدرس تكون بتبني رؤية استباقية تجعل من المدرس مركز ثقل أي إصلاح ، من خلال اعتماد خطاب يثمن الإيجابيات والمجهودات التي يبذلها في إطار دوره وواقعه المدرسي والتربوي وتأهيله مهنيًا وبيداغوجيًا وتربويًا واجتماعيًا وماديًا وتمكينه من العدة الديداكتيكية التي تجعله يواجه الواقع التربوي ويبدع إزاءه ويرقى بممارسته التربوية خدمة للناشئة. ولكي يقوم المدرس في مهمته المنوطة به أحسن قيام ، ينبغي أن يؤدي دوره التعليمي ، وفي الوقت نفسه يتحتم عليه تقمص أدوار مختلفة والعمل فيها بفعالية: اجتماعية ونفسية وتربوية. *الدور التربوي: وينفرد التعليم بكونه مهنة مقدسة لأن الله سبحانه وتعالى نسبه إلى ذاته العليا ، قال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}. كما اهتم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالتعليم اهتمامًا كبيرًا ، ووردت عنه أحاديث نبوية شريفة تؤكد ذلك ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا ، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا». قال المناوي: «(إن الله لم يبعثني معنتًا) أي شقاء على عباده. (ولا متعنتًا): أي طالبًا للعنت وهو العسر والمشقة ، (ولكن بعثني معلِّمًا) ، ميسرًا من اليسر». وإذا كان للتربية والتعليم كل هذه الامتيازات والمكانة السامقة ، فلا بد أن يتحلى المدرس بخصال تربوية حميدة تجعله محبوبًا لدى المتعلمين فقيمة المدرس تتهاوى إلى الحضيض إذا

صدر منه ما يخدش الحياء ويهدم الأخلاق ، إذ كثيرًا ما سمعنا في وسائل الإعلام عن تحرش الأستاذ بتلميذاته بل اغتصابهن! فكيف يليق بهذا أن يكون القدوة والمثال للمتعلمين؟! وهناك أمور هي التي تحقق للمدرس هيبته منها: *إيمانه بأن التعليم رسالة يؤديها في الحياة لا مجرد وظيفة يكسب منها لقمة عيشه ، وفي سبيل أداء الرسالة يكون عظيم الصبر واسع الحلم. *دماثة أخلاق المعلم وحب المتعلمين له هو الذي يمنعهم من التجرؤ عليه ، ولو حدث أن تجرأ أحدهم فهو الشذوذ الذي لا تخلو منه قاعدة ولا يلغيها ، وهو ما تعرض له المصلحون وعلى رأسهم الأنبياء عليهم السلام ولم تطعن في شخصيتهم ولا هيبتهم. *زهده بما أيدي المتعلمين ، إذ لما طغى الطمع والجشع على قلوب بعض المدرسين وجعلهم يتهافتون على الكسب المادي تحت سائر المبررات ، وفتحوا باب الدروس الخصوصية وغيره من الأبواب ، سقطت هيبة المدرس في أعين الكثير من الناس. كما أنه من مهام المدرس ترسيخ القيم وإشاعتها بين التلاميذ ، حتى يتسنى الحد من المظاهر السلبية التي تنخر جسد المنظومة التربوية ؛ كالعنف وتخريب المنشآت والتجهيزات داخل المؤسسة التعليمية. والدور التعليمي: من بين الأدوار الجوهرية التي ينبغي للمدرس أن يتسلح بها في ظل المتغيرات المعاصرة لتطوير أدائه التعليمي ؛ إتقان مهارات التواصل والتكوين والتثقيف الذاتي (الاطلاع على مستجدات التربية والتكوين وما مدى تطبيقها في العملية التعليمية ـ التعلمية) ، والتمكن من المادة المدرَّسة ، وذلك بالتعمق في المادة العالِمة ، والتمكن من التكنولوجيا الحديثة وتطبيقها ديداكتيكيًّا في الممارسة الصفية حتى يتأتى تنويع عرض المادة الدراسية وفي الآن نفسه لا يحس المتعلم بالملل الناجم عن التدريس التقليدي ، بل الأكثر من هذا تهيئة الأجواء بالإدارة الصفية الفاعلة بتفعيل «البيداغوجيا الفارقية» ، والقدرة على استخدام التقويم التكويني المستمر والتغذية الراجعة أثناء التدريس. «ولا تقتصر أيضًا أهمية المدرس على دوره المباشر في تنمية الإبداع ، وإنما تتعداه إلى ما يتبنى المعلم من اتجاهات إيجابية نحو الابتكارية ، وهذا الأمر يتطلب إعادة النظر في تكوين المعلمين قبل الخدمة وتدريبهم أثناء الخدمة بأن يمتلك المعلم صفات المعلم المبدع ، وهي: مرونة شخصيته ، والثقة غير المشروطة في قدرات الطالب والإقلال من التقييم والنقد الخارجي ، وإشعار الطالب بالأمان وعدم الخوف واستخدام التشجيع والإثابة ، وإدراك الفروق الفردية بين المتعلمين وإثراء الموقف التعليمي بالأنشطة الإبداعية ، وإظهار قيمة أفكار الطلاب ، والإلمام بسمات الطلاب المبدعين ، أو تشجيع الطلاب للتعبير عن أفكارهم الشخصية ومشاعرهم الذاتية وامتلاك القدرة على التسامح والبهجة والحرية» ولتحقيق الدور المتغير للمعلم ينبغي تحقيق ما يسمى بالتعلم الفعال: فالتعلم الفعال هو التعلم الذي يلبي الحاجات الفردية لذلك فإن تحقيق الحاجات للمتعلم يستثير دافعيتهم للتعلم ويتم ذلك وفق ظروف الدروس التي يقدمها المعلم. وهكذا يفرض على المدرس استخدام استراتيجيات مناسبة لتلبية حاجات المتعلمين الفردية ، وبذلك تتم استثارة دافعيتهم للتعلم ، ومن هذه الاستراتيجيات: *تشخيص الحاجات الفريدة ، والميول ، والاتجاهات ، والأهداف للمتعلم. * مساعدة المتعلم لتحديد متطلباته وغاياته وأهدافه الشخصية وربطها بهدف التعلم. *ربط هدف التعلم العام للمتعلم بحاجاته وميوله وهدفه. *صياغة أهداف التعلم وأنشطته لتحقيق نجاح المتعلم. *مساعدة المتعلم على صياغة أهداف التعلم. *أن تكون أهداف التعلم ضمن خصائص يمكن تحصيلها: معقولة ، واضحة وقابلة للقياس ، ومرغوبة. والدور التعاوني: من خلال الانخراط في فريق تربوي ـ تعليمي، سواء في مجالس الأقسام لمناقشة الاختلالات التي تعرفها الممارسة الصفية ، وتبادل الخبرات والتجارب بين المدرسين وأيضًا من خلال الأندية التربوية ، التي تعد من الأنشطة الموازية التي تخرج المتعلم من التعلم التقليدي ، وتنقله إلى أفق أرحب من الإبداع ، بل قد تكتشف فيه المواهب المدفونة في

الممارسة الديداكتيكية التقليدية ، وقد بينت التجربة مدى تأكد نظرية «غاردنر» صاحب «نظرية الذكاءات المتعددة». والدور الاجتماعي: فهو رائد اجتماعي يسهم في تطوير المجتمع وتقدمه عن طريق تربية الأطفال تربية صحيحة تتسم بحب القيم والحفاظ عليها ، وتسلح تلاميذه بطرق العمل الذاتي التي تمكنهم من متابعة اكتساب المعارف وتكوين القدرات والمهارات وغرس قيم العمل الجماعي في نفوسهم ، وتعويدهم على ممارسة الأدب والأخلاق في حياتهم اليومية. والدور النفسي: فالمدرس لا ينبغي أن يقتصر دوره على عرض المادة الدراسية وتلقينها وتقويمها ، بل ينبغي أن يكون قريبًا من المتعلم ، للمساهمة في معالجة همومه ومشاكله التي تحول دون مسايرته الفاعلة والفعالة في التحصيل الدراسي. ولا أدل على ذلك من التجربة الرائدة في بعض المؤسسات التعليمية التي أنشأت ما يسمى بمراكز الإنصات للحد من الاضطرابات النفسية التي يعيشها المتعلمون نتيجة مشاكل أسرية واجتماعية واقتصادية. والدور التنموي: ينظر علماء «التنمية البشرية» للمدرس على أنه يشكل المصدر الأول للبناء الحضاري والاقتصادي والاجتماعي للأمم ، من خلال إسهاماته الحقيقية في بناء البشر ، والحجم الهائل الذي يضاف إلى مخزون المعرفة ، وعبرت عنه نظرية «رأس المال البشرى» بأنه كلما نجح المدرس في زيادة المستويات التعليمية لأبناء الأمم ، كلما ارتفعت معها مستويات المعرفة ، ومن ثم ترتفع مستويات الإنتاج القومي العام ، والذي بدوره ينعكس على زيادة مستويات دخل أبناء الأمم وتحقق الرفاهية الاجتماعية. وعلى ضوء ذلك ، ينبغي إعادة صياغة برامج إعداد المدرسين في ضوء تحديات العولمة لجعلهم قادرين على أداء أفضل ، والأخذ بمبدأ النمو المهني المستمر للمعلم وتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمعلمين حتى يشعروا بالأمن الوظيفي ويتنافسوا في أداء رسالتهم وترسيخ مبدأ التعبد بالعلم. وختامًا فالمدرسة المبدعة والمواكبة للمستجدات ، لا ينحصر دورها فقط في تغيير المناهج وإصدار كتب جديدة وإدخال التكنولوجيا الحديثة في التعليم ، بل ينبغي أن يرافق كل ذلك تشبث المدرس بالقيم الراقية الراسخة في ديننا الحنيف ، وتغيير في بيداغوجيته وطرائق تدريسه ، من خلال التكوين الذاتي والمواكبة في التكوين المستمر من طرف الأخصائيين في علوم التربية والديداكتيك وعلم النفس التربوي ، بالإضافة إلى تشجيعه ماديًّا وتحفيزه على إثر كل عطاء إبداعي).هـ. يقول الدكتور عبد الرحمن الشلاش ما نصه: (لقد طرحتُ مصطلح المعلم المربي بديلاً للمعلم الملقن ؛ وذلك للسيطرة الذكية والمقصودة على السلوكيات المنفلتة للطلاب. أعني بذلك تربية الطلاب على تحمُّل المسؤولية وغرس حب القيم في نفوسهم ؛ وبالتالي المحافظة على الممتلكات الخاصة وكأنها من أملاكهم الخاصة ؛ إذ ينظر الطالب للمدرسة وكأنها بيته ، لكن كيف السبيل لتحقيق هذه الأمنية الغالية؟ يجب أن نعترف إذا أردنا فعلاً النهوض بالتعليم ، وتربية الأجيال لتكون واعية ومبدعة وخلاقة ، بأن الأساس في العملية التعليمية ـ وهو المعلم في مدارس البنين والمعلمة في مدارس البنات ـ في وضع لا يساعد كثيراً على تحقيق أماني وطموحات المجتمع بتخريج أجيال تجمع بين الفكر والسلوك مهما صرفنا عليهم من أموال. إن أغلب المعلمين والمعلمات لا يربطهم بالمدرسة إلا توقيع الحضور وجدول الحصص ، يدخل أحدهم الفصل ، ويلقي الدرس على الطلاب وهو في عُجالة من أمره ، وأغلبيتهم ـ كي لا أعمم ـ يتعامل مع طلابه بنفسية سيئة ، ويواجه أسئلتهم بالضجر والصراخ والكلمات البذيئة ، وقد يعاقب طالباً آخر فيخرجه من الفصل ، وآخر يرسله للمدير ، وثانياً للوكيل ، وثالثاً للمرشد الطلابي. فلا يحاول حل مشكلات الطلاب ، ولا يجهد نفسه في محاولة التعرف على واقعهم. لا يهتم إن كان هذا يتيماً ، وذاك ابن فقير ، وتلك أمها مطلقة ، وهذه تعاني من مشكلات صحية أو قسوة أسرية أو ظروف طارئة. وما إن يدق الجرس إلا ويكون في مقدمة المغادرين للفصل ؛ فقد نزل عليه الفرج من حيث لم يحتسب! يترك الصغار

داخل الفصل يتعاركون ويحطمون ، ويكتبون على الجدران ، ويمزقون الكتب ، ويذهب هو ليتصفح جواله ، ويتواصل مع أصدقائه ، ويفتش عن زملائه المتحلقين حول مائدة الفطور ؛ ليبتلع بعض اللقيمات ، ويستمتع بسماع آخر النكات ، ثم يمضي يومه في انتظار ساعة الفكاك من المدرسة ؛ ليخرج مختتماً يومه دون أن يضع لمسة تربوية ، أو يعدل سلوكاً معوجاً. تلك النوعيات من المعلمين الملقنين لا يشد بهم الظهر في تخريج أجيال قيادية مثقفة واعية محبة لمجتمعها وعاملة لتقدم بلادها وازدهارها. كيف يرشد ويوجه ويصحح ويعدل المسارات المائلة من لا يملك الأدوات التي تعينه على فهم تربوي وقدرات متفردة في فهم نفسيات الطلاب والطالبات ومعالجة المشكلات ومساعدتهم على التكيف المريح في البيئة المدرسية؟ نوعية المعلم المربي غابت فتاهت الأجيال. المعلم الذي يغرس حب المدرسة وتقدير العلم ، وينشر ثقافة الفرح والطموح والتفاؤل ، لا ثقافة الحزن والموت والتشاؤم والتحريض ، أو السلبية التي تحول الطالب إلى فرد غير منتج ، وقد يحول لأداة تستخدم ضد المجتمع ؛ إذ تندس بين المعلمين عينة المربين المغشوشين الذين يدسون السم في العسل ، ويشربون طلابهم ثقافة القتل والتخريب والتدمير! نريد المعلم المربي. المعلم الذي يربي طلابه على الفضائل والاحترام والتقدير والانضباط والحرص على التعليم ، وكيفية التعامل مع معطيات العصر الحالي بإيجابية ، وكيفية التواصل الفعال مع الآخرين).هـ. ويقول الأستاذ ربيع ملحم – عرعرة: (أنا لست بمعلم ولا مربي أجيال ، ولكنني كغيري قد مررت بمرحلة الطالب وأدركت قيمة المعلم ، كنا صغاراً وكنا من ضيوفه ، درسنا في صفوفه ، فشرع لنا أبواب الدنيا في سطوره ، وأظهر لنا نجوم حروفه ، فكان ذلك المعلم بالفعل شريان الحياة ، فأخرج منا العلماء ، والأدباء والمثقفين والمشايخ وكل صالح في المجتمع ، وكما قال أجدادنا في السابق ، المعلم خيره على مجتمعه إلى يوم الدين ، فاستقرار مكانته بين الطلاب يُعكس تلقائياً على استقرار المجتمع ، وإن فسد المعلم ، كسد المجتمع وفسد! ولكن للأسف. باسم نظرية التربية الحديثة ، تدهورت قيمة المعلم فقد أصبح المعلم لا يملك صلاحية تربوية ، فالضرب غير المبرح طبعا منعوه ، بل ويعاقب عليه القانون ، والتوبيخ ممنوع يعاقب عليه المعلم ، والطرد ممنوع ، ويعاقِب عليه المدير ، ومع ذلك وجب على المعلم أن يخرج الأجيال التربوية المثقفة ، التي تؤهله ليكون المجتمع متحضراً مستنيراً. أفشلوك بالفعل ، يا رجل العلم والتربية ، ففشل من وراءك الجيل! بل وضعوا لك عصياً على عجلات المركبة ، ووضعوا الحصان خلف المركبة ، وحاصروك يومياً بالأبحاث والتجارب والفعاليات اللامنهجية فاستسلمت أفكارك وإبداعاتك ، فإن رفعت رأسك لتعترض على الأسلوب اتهموك بالرجعية ، والتقدمية ، وأبسط الحالات لقبوك ، بالمتخلف ، وانعكس ذلك على سلوكيات بعض المعلمين. فإن بعض المعلمين ، يأتي للدرس كأنه جاء إلى استراحة في رحلة مسافر ، فدرسه فقط للمجتهدين ، وأما طبقة الضعفاء والمتوسطين والضعفاء فهم ضيوف موائد الرحمن ، إذ حتى أسماؤهم لا يعرفها المعلم! لأنه لا يعرف إلا أسماء المتفوقين ، أما البقية فهم كما يقولون كمالة عدد ، لا يهمه سؤالهم ولا يعيره انشغالهم في الآيفون في الدرس ، ولا تأخره عن الحصة! ورائحته دخان وسجاير تملئ أكمامه حتى أن بعض الطلاب يطفئ السيجارة خارج الصف أمام أعين المعلمين ، فلم يعد الطالب يهاب المعلم ، بسبب سلب ونزع هيبته ، مما يؤدي لرسوبهم وفشلهم في العمليه الدراسية ، فتجدهم في مسالك المنحرفين! وأكثرهم سلكوا دروب الفاسدين. وأقل ما يمكن أن يعبر عن احترام المعلمين الأجلاء الأشاوس وهو تكريمهم على الأقل في مقالة لأنهم يستحقونها بحق ، أقول حتى هذه لا يجدها المعلمون! أتمنى لك أستاذي من صميم قلبي ، أن يمد الله في عمرك ويجعل لك حياة عريضة ملئيه بالحياة والسعادة ، وفي الختام أذكركم وأذكر نفسي بأن المعلم بعين الله مقدر ، فلولا المربي ما عرفت ربي ، وإن أردتم جيلاً نقياً

واعياً ، عليكم بتربية جيل متعلم محترم).هـ. أقول لمن نسي أو تناسى أن المعلمين كانوا ومازالوا هم ذروة المجتمع ، وهم من لهم القدر الكبير والأول والأخير في رقي المجتمعات وتقدمها! ولهذا فإذا أرادت الدول أن تهتم بأجيال متعلمة ، خصصت القدر الكافي والتخصصات للمعلمين! لرفع شأن المعلمين والرقي بهم ، وإعطائهم القدر الكافي من الاهتمام للرقي ، وأخذ زمام الأمور. وهكذا انطلقت الثورات الصناعية في العالم مثل اليابان. والعالم يشهد الآن التقدم السريع لدول كثيرة خرجت من الحروب ، والآن أصبحت تسيطر على صناعات العالم. فهنيئاً لمعلميهم وللقائمين على سلك التعليم في بلادهم. ولقد كانت له (أي للمعلم) مهمة في العهد السابق أنه جاء ليذكرنا بالخلق الحميد ويشد على أيادينا لنتمسك بما هو قيم لمجتمعنا فنقول له شكراً لشعورك بالمعلم والتعليم وأخيراً وليس آخراً أتمنى للمعلم موفور الصحة والعافية لما قدمه لنا ولأولادنا من عطاء موفور واهتمام كبير. نقول له: إن التكريم يجب أن يكون في حياة الناس. وقد شعرت معكم بصدق أن جميع المعلمين يستحقون منا الشكر والتقدير عرفاناً بجميلهم العظيم في التعليم).هـ. وتحت عنوان: (رسالة إلى المعلم المسلم) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد أستاذ التربية الإسلامية بكلية المعلمين في أبها ومدير مركز البحوث التربوية بالكلية ، ما نصه: (أيها المعلم الفاضل مربي الأجيال ، أكتب إليك هذه الرسالة من وراء اثنين وعشرين عاماً قضيتها في مهنة التعليم ؛ شاعراً بكثير من الاعتزاز والفخر لانتمائي إلى مهنة هي من أشرف المهن ، وصناعة هي من أكرم الصناعات ، لا سيما وأنها رسالة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. أولئك العظام الذين أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم معلمين ومُبشرين ومُنذرين يدعونهم إلى الصراط المستقيم ، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور ، قال تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}. فيا أخي المعلم في أي مرحلةٍ من المراحل ، وفي أي مادةٍ من المواد العلمية أو الأدبية أو غيرها ؛ أكتب لك هذه الرسالة مُذكراً وناصحاً ، ومؤملاً أن تنال رضاك ، وأن تحوز إعجابك ، وأن تكون عوناً لنا جميعاً على بذل المزيد من الجهد والسعي لما فيه الخير والصلاح. وفيها أقول: * يا من أعَّزهُ الله بالإسلام ، تَذَكَّر أن المعلم المسلم يحمل أشرف رسالة ، ويؤدي أعظم أمانة ، وأن جمال رسالته مستمد من شرفها وبخاصة أن قدوته في ذلك أستاذ البشرية ومعلم الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أجلُ وأشرفُ من المعلم في مهنته؟ الموظف أم البائع؟ المهندس أم الصانع؟ الطبيب أم المزارع؟ إن كل أولئك وغيرهم من أبناء المجتمع إنما هم صنائع المعلم ، به قاموا ، وبه كانوا ، لذا فهو يسعَدُ إذ يرى أبناءه وقد كانوا من أولئك المهندسين والأطباء والفنيين والخبراء.....الخ. الذين تنهض بهم الأمم ، وتقوم بهم المجتمعات وينتشر على أيديهم الخير ويعم الصلاح. وصدق الله جل في عُلاه وهو يقول: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}. * يا من تخاف الله تعالى وترجو رحمته ، اتق الله في عملك وراقبه سبحانه ؛ فإنه يراك في كل وقتٍ وحين. واحرص على أداء واجبك بالشكل الذي يرضاه جل في عُلاه ، وتذكر ما روي عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه. (رواه أبو يعلى في مسنده). ولا تنس ـ بارك الله فيك ـ أن حُسن تعاملك وتجاوبك مع مُديريك وزملائك ، أو جلوسك في مكتبك ، أو فصلك ، أو معملك ، وقضاءَك لحاجة طلابك أو إجابتك عن استفساراتهم يُعد عبادةً تُثاب عليها متى صلُحت نيتك واحتسبتها عند الله سبحانه . * يا من يتيه فخراً على أقرانه من العاملين في القطاعات والميادين الأخرى ؛ يكفيك أن أسمى ما تعتز به تلك المودة والمحبة ، وذلك الاحترام والتقدير والوفاء الذي تحظى به أينما اتجهت ، وحيثما حللت من طلاب الأمس الذين أصبحوا رجال اليوم. وتذكر أن من يجلسون أمامك ـ الآن ـ على مقاعد الدراسة هم رجال الغد

المشرق وبُناة المستقبل الزاهر المشرق - إن شاء الله -. واعلم أن هؤلاء الطلاب أوسمةً على صدرك ، ولئن كان البعض يعتزُ بوسامٍ واحدٍ يحمله بعد عملٍ جليلٍ طويل ؛ فإن المعلم يحمل كل يومٍ وساماً ، ولئن كانت أوسمة الآخرين تُعلقُ على صدورهم فإن أوسمة المعلم تعيش في قلبه ، ويجسدها وجدانه وهو يرى مكانته في نفوس الآخرين اعترافاً بفضله وإجلالاً لقدره. * يا من يعيش حياة التعليم ويستغرق فيها بعقله وقلبه ، ولا يرضى عنها بديلاً ، لا تكن شمعةً تُحرق نفسها لتضيء الدرب للآخرين ؛ بل كن سراجاً يُضيء الدروب للآخرين ولا ينسى نفسه من الخير والعطاء. وخيرُ سبيلٍ لتحقيق ذلك أن يكون شعارك في حياتك قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ). فليكن شعارك أن تفيد غيرك وتستفيد أنت في الوقت ذاته! فليتعد خيرك غيرك ، وفي الوقت نفسه لا تنس نفسك من الخير! وأن تبذل كل ما في وسعِك لتكون قدوةً حسنةً لأبنائك الطلاب في التزامك ، وموضوعيتك ، وسمّتِك ، وعدلِك ، وإنصافِك ، وفي تعاملك مع من حولك على أُسسٍ قويمةٍ من التقوى والصلاح والأخلاق الفاضلة. * يا من تعلم أن الله يراك في كل وقتٍ وحين ، تَذَكَّر أن التربيةَ فن وعلم ورسالة عظمى لمن وفقه الله لأدائها ، لا سيما وأنها تعتمد على رؤية المعلم لطلابه وتحسسه لمشكلاتهم ، وحسن تقديره لظروفهم ومراعاته لأحوالهم . وحافظ على مواعيد الحضور والانصراف ، وإياك أن تتأخر أو تتغيب عن طلابك بغير عذر يجبرك على ذلك فكل راع مسؤول عن رعيته ، وكل معلمٍ مسؤول عن مهامه وواجباته ؛ التي إن أحسن أداءها جوزي خيراً إن شاء الله تعالى ، وإن قصَّر حوسب وعوقب – والعياذ بالله من ذلك -. وعليك أن تضع نصب عينيك تقوى الله جل جلاله في كل وقتٍ وحين ، والشعور بمراقبته سبحانه وتعالى. * يا من تقتدي بمعلم البشرية وأُستاذ الإنسانية ، كُن سهلاً ليناً ، حبيباً لطيفاً في تعاملك مع من حولك من المديرين والموجهين والمرشدين والوكلاء وأولياء الأمور والمستخدمين والعمال والطلاب ، وعليك بمساعدة من تستطيع منهم ومد يد العون له في حدود ما تسمح به الأنظمة والتعليمات ، ودونما ضررٍ أو ضِرار ، وتذكّر أن من يَسَّر على مسلم ، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، وأن من رفق بمسلم رفق الله به في الدنيا والآخرة ؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: اللهم! من وَلِيَ من أمر أُمتي شيئاً فشقَّ عليهم ، فاشقق عليه. ومن وَلِيَ من أمر أُمتي شيئًا فرَفَق بهم ، فارفق به. (رواه مسلم). * يا من تفتخر بدينك الإسلامي الحنيف ، وتعتز بانتمائك لأمة الإسلام والمسلمين حافظ على هويتك المُتميزة وشخصيتك المُستقلة ، التي لا ترضى معها أن تتخلى أو تتنازل عن شيءٍ من المظاهر مهما كان ذلك يسيراً في نظرك ؛ كأن تُحافظ على تحية الإسلام عند الالتقاء بالزملاء والطلاب ، وأن تبدأ الدرس بحمد الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والمحافظة على المظهر الجميل والسمت الحسن ، ومراعاة سنن الفطرة ، ونحو ذلك من الآداب النبوية والأخلاق الإسلامية التي تُميز شخصية المعلم المسلم ، وتحفظ هويته ، وتُعلي منـزلته في أي زمانٍ ومكان. * يا من تبتغي بقولك وعملك ما عند الله تعالى من الخير العميم والثواب العظيم ، لا تتردد في استخدام أُسلوب الثواب والمكافأة ، واحرص على توظيف أسلوب الثناء المُباشر على طلابك إذا رأيت فيهم أو لمست منهم بادرةً حسنةً ، أو سلوكاً طيباً . وما أحسن أن تُشجعهم على ذلك ببعض الهدايا المناسبة والجوائز الملائمة التي تعود عليهم بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة كأن تقوم بتوزيع بعض الهدايا والمكافآت التي تُسهم في حثهم على الجد والاجتهاد ومضاعفة الجهد في الدرس والتحصيل ، وتدفعهم إلى تحقيق الأهداف النبيلة والغايات السامية ، وتغرس في أنفسهم المحبة والمودة لكلٍ من حولهم من الكائنات والمكونات. * يا من تقوم بإعداد أجيال الأُمة ، وتربية رجال المستقبل ليقوموا بوظائف البلاد وينهضوا بحضارة الأمة ،

ويحملوا رسالتها ، تَذَكَّر أنك الأساس والمرتكز وحجر الزاوية في بناء الأمة الحضاري ؛ فتحمل المسؤولية كاملة ، وكن أهلاً لأداء هذه الرسالة العظيمة. وهذا يفرض عليك أن تكون مُلماً بكل جديدٍ ومُفيدٍ في مجال تخصصك ، وأن تكون مُتمكناً من مادتك العلمية التي تقوم بتدريسها لطلابك ، وأن تكون حريصاً على الاطلاع والتجديد والتطوير المستمر لمعلوماتك ومهاراتك وقدراتك وخبراتك حتى تتمكن من مواكبة تطورات العصر وتغيراته المتلاحقة. * يا من يُجهد نفسه ويُضحي بوقته ، ويبذُل الكثير لأداء رسالته ، ويجد في أثناء ذلك كثيراً من المتاعب والعقبات ، لا تنس أنك مأجورٌ ومشكورٌ ـ إن شاء الله ـ على ذلك كله متى أخلصت النية لله سبحانه ، وصبرت واحتسبت ذلك عند الله تعالى. فليس هناك عملٌ بلا تعب ، ولا نجاح بلا سهر. * وختاماً ، أُهديك أخي المعلم عظيم شُكري ، ووافر تحيتي ، وخالص دعائي بالتوفيق والسداد ، والهداية والرشاد في مسيرتك المُباركة ، ومشوارك الطويل لأداء هذه الرسالة العظيمة التي جعلتك محط الأنظار ، ومحل العناية والاهتمام في هذا الزمان وكل زمان).هـ. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله ، وقد دل على فضله وفضلهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية. قال الشيخ السعدي رحمه الله: والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وفي هذه الآية فضيلة العلم. تفسير السعدي. قال تعالى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟} هذا سؤال الملاطف والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: والمعنى: أن تعلمني علماً ذا رشد ، وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلب العلم ، واتباع المفضول للفاضل طلباً للفضل ، وحثت على الأدب والتواضع للمصحوب. زاد المسير. وفيه من أدب الفقه: التذلل ، والتواضع للعالم ، وبين يديه ، واستئذانه في سؤاله ، والمبالغة في احترامه وإعظامه ، ومن لم يفعل هكذا فليس على سُنة الأنبياء ولا على هديهم. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. وروى الإمام أحمد في المسند وغيره ، وحسنه الألباني عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. فالإجلال للكبير هو حق سنَّه الله تعالى أنه تقلب في العبودية لله تعالى في مدة طويلة ، والرحمة للصغير هو موافقة لله تعالى بأنه رَحِمه ورفع عنه العبودية فلم يُؤاخذه بحفظ حد ولا حكم ، ومعرفة حق العالم هو حق العلم أن يعرف قدره بما رفع الله من قدره وآتاه العلم ، قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}. فيعرف درجاته التي رفع الله له بما آتاه من العلم. نوادر الأصول. ولقد وجه الأستاذ محمد صالح المنجد بعض النصائح للمعلمين كان من بينها: (لما كان المعلمون هم حماة الثغور ، ومربو الأجيال ، وعمار المدارس ، المستحقون لأجر الجهاد ، وشكر العباد والثواب من الله يوم المعاد ، ولما كان الحديث معهم ذا شجون ، ولهم هموم وشؤون ، ولهم آمال وآلام ، وعليهم واجبات وتبعات. فتحية إلى من ينفق من مشاعره وأحاسيسه قبل أن ينفق من أوقاته ، وينفق من دمه ونفسه أضعاف ما ينفق من تعليمه وتوجيهاته ، تحية إلى من يحاول أن يرد المعوج إلى طريقه والمنحرف إلى سبيله ، والناد إلى جادته ، والعاق إلى بره ، والجافي إلى عقله ، والمفرط إلى صوابه ، والفاسق إلى دينه تحية إلى من حجز لنفسه في المسجد جلسته ، ليحجز لنفسه في الجنة درجته. وجعل من أبناء المسلمين أبناءه ، فغدا عليهم شفيقاً ، وبهم رفيقاً ، يسعى لزيادتهم كماً وكيفاً ، ويجتهد في تعليمهم شتاءً وصيفاً. تحية إلى من حبس حاجته في صدره. ولم يبح إلا بحاجة واحدة هي أن يتفيأ الجيل المسلم ظلال القرآن ، ويستنشق عبير الإيمان ويفيء إلى طاعة الرحمن ، ولأجل هذا يضحي بالغالي والرخيص ، ويجود بالبسيط والنفيس. تحية

إلى من لم يشغل نفسه بماذا أخذتُ؟ ولكنه يسأل: كم أعطيت ، كم وجهت ، كم علمت ، كم أفدت ونصحت ، ماذا أثرت ، سؤالَ اللائم نفسَه ، وقبل أن يتهم طلابه يتهم نفسه ، يقول: لعلي لم أجرّد نيتي ، لعلي لم أحسن طريقتي ، لعلي زدت في قسوتي ، لعلي أفرطت في تجاوزي ومسامحتي! تحية إلى خير الأمة ، كما شهد بذلك نبي الأمة ، حين قال كما روى البخاري ، عن فضل المقرئ والقاري: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه] ، فحاز الخيرية من طرفيها ، تعلم وعلم ، وقرأ وأقرأ ، وصلح وأصلح ، ورشد وأرشد ، تحية إلى من سكن القرى والهجر ، واصطحب معه النور الذي لا يخبو ، يبدد الظلام ، ويوقظ النيام ، ويبارك به الأيام. الناس في متاجر الدنيا وهو في متجر الآخرة ومعية الملائكة. الناس أرصدتهم في البنوك ، ورصيده هو في القلوب. الناس تبني مدائن من تراب وهو يبني مدائن من فكر وقيم وآداب ، ويعلي قلاع تناطح السحاب. تحية لمن فجر في حياتنا ينابيع القرآن دفاقة ، وأجرى في صحاري العقول أنهار الحكمة رقراقة ، تحية وسلاماً إلى معلم القرآن ، في كل زمان ، وكل مكان. أقول: لمعاشر المعلمين في بلادنا الحبيبة سلامٌ من الله عليكم ، وتحيات مباركات تزجى إليكم. وإن بعض الخواطر المباركة والنقول المفيدة والتوجيهات السديدة لمثل هؤلاء تكون عوناً لهم ولنا جميعاً للسير بالعملية التعليمية إلى أعلى المراتب وأسمى الغايات! عسى أن تجد قبولاً عندهم ، وتنال رضاهم بعد رضا الله عز وجل. العلم ميراث النبي كما أتـــى في النص والعلماء هم وراثه. ولا شك أن النظرة لهذا العمل على أنه رسالة يجازي الله عليها أفضل وأعظم من النظرة إليه على أنه أداء لواجب وظيفي يستوي مع واجب أي موظف آخر. يجب أن نعلم أن حضارة الغرب وثقافته ومذاهبه المتعددة أفلست ، وسوف تفصح عن ذلك إن عاجلاً أو آجلاً. وأن الإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقوم بعملية الإنقاذ وأن يحقق كل ما تريده الإنسانية. والمشكلة الآن هي مشكلة الدعاة في كل مجال ، فالمعلم في مدرسته وفي فصله لا بد من أن يكون داعية. فإن الأمم اليوم تجتمع على محاربة الإسلام بقوى رهيبة مثل: الصهيونية والشيوعية ، والإباحية ، والاستعمار المنظم ، والانتهازية ، ... وهي مسلحة بالقوة المادية والعلمية والحضارية! ومن أجل ذلك فإنه يحتاج أن يكون كل مسلم داعية في مجال عمله. لا سيما والميدان فارغ ، وهو بحاجة إلى مزيد من الدعاة الأكفاء الذين يحسون بعظم المسئولية اليوم ، ويشعرون بالمخاطر التي تهدد دينهم وأمتهم وعالمهم الإسلامي. لكن المعلم يعيش بين عناء الوظيفة وشرف المهنة. لذلك نقول يا أيها المعلم: إن مهمتك عصيبة جداً ، ولكنك داعٍ إلى الله ، وحامل لواء المسلمين ، فلا يؤتى الإسلام من قبلك ، وهنيئاً لك ، [ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله] ، وهنيئاً لك أنك تُعلم الناس الخير ، وهنيئا أن الله تعالى في عليائه وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير. وكما تعلم أن سياسة التعليم يجب أن تنبثق من الشريعة الإسلامية ، ويجب أن تكون لها أهداف وغايات عظمى لا يمكن أن تتحقق (بعد توفيق الله) ، إلا من خلال معلم ذي شخصية سوية في صفاتها وخصائصها ، في آمالها وتطلعاتها ، في مقاييسها وموازينها ، لم تمسخ فطرتها ، ولم تنحرف أفكارها. ومن هنا فلنعلم أن هناك صفات يجب أن تتوفر في المعلم. أولاً: الإخلاص: على المعلم الداعية أن يحرر نيته لله ، ويخلص لله في كل عمل تربوي يقوم به ، سواء أكان هذا العمل أمراً أو نهياً أو نصحاً أو ملاحظة أو عقوبة. يحررها من شوائب الرياء والسمعة وثناء الناس وشكرهم ، فعمله لله وبالله. قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا). ويجب إخلاص النية لله تعالى. روى البخاري في صحيحه عن عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا

هَاجَرَ إِلَيْهِ). وجاء في الحديث الذي رواه النسائي: (إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ). فعلى المعلم الداعية أن يحرر النية ، ويقصد وجه الله تعالى في كل عمل يقوم به ، ليكون عند الله من المقبولين ، وبين تلاميذه من المحبوبين والمؤثرين. والثمرة التي يجنيها هي تنفيذ منهج التربية على الدوام وإفادة وتربية الطالب ، وأيضاً يحظى بثواب الله ورضوانه ، ويظفر بدار المقامة في جنات الخلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ثانياً: التقوى: أن يتقي الله بفعل ما أمر واجتناب ما نهى الله عنه وزجر ممتثلاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) متحرياً ذلك أشد التحري: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ). وامتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. وإنه إذا لم يكن المعلم الداعية متسلحاً بالتقوى ، وملتزماً في سلوكه ومعاملته منهج الإسلام. فإن الطالب يحس بالتناقض في داخله مما يدفعه إلى الانحراف عن الطريق القويم. فهو يتقي الله ويلتزم بإنهاء المنهج وخاصة في الثانوية العامة. وهو يتقي الله ولا يظلم طالباً ويحابي آخر لمعرفة أو ود أو واسطة. وهو يتقي الله ولا يعامل الطلاب بناءً على مظهرهم أو قبيلتهم ولكن بناءً على دينهم والتزامهم واجتهادهم. وهو يتقي الله فلا يغش فيبيع الأسئلة ويضع الدرجات وينجّح الطلاب بالفلوس وهكذا تضيع هيبة العلم وأنه يقوم بمهمة الأنبياء والرسل ، فكيف يُحل لنفسه أن يبيع دينه من أجل عرض من الدنيا. ثالثا: استشعار بالمسئولية: وقد جاء في حديث البخاري: (أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُول عَنْ رَعِيَّته). وَالرَّاعِي هُوَ الْحَافِظ الْمُؤْتَمَن الْمُلْتَزِم صَلَاح مَا أُؤْتُمِنَ عَلَى حِفْظه فَهُوَ مَطْلُوب بِالْعَدْلِ فِيهِ وَالْقِيَام بِمَصَالِحِهِ. ولذلك عليه أن ينطلق بكليته في مراقبة وملاحظة الطالب ، وفي توجهيه وتعويده وتأديبه ، وَلابْنِ عَدِيّ بِسَنَدٍ صَحِيح عَنْ أَنَس إِنَّ اللَّه سَائِل كُلّ رَاعٍ عَمَّا اِسْتَرْعَاهُ حَفِظَ ذَلِكَ أَوْ ضَيَّعَهُ. فالمعلم يجب عليه أن ينهض بهذه المسئولية على أكمل وجه ، واضعاً نصب عينيه غضب الله تعالى عليه إذا هو فرّط ، لأن المسؤولية يوم العرض الأكبر ثقيلة والمحاسبة عسيرة ، والهول عظيم. وإذا أهمل المعلم واجبه ، ووجه طلابه نحو الانحراف ، والمبادئ الهدامة ، والسلوك السيئ شقي الطلاب ، وشقي المعلم ، وكان الوزر في عنقه ، وأنه مسئول أمام الله تعالى فالمعلم راع في مدرسته ، وهو مسئول عن رعيته. إن صاحب الهم الذي يحمل هم الأمانة التي استرعاه الله عز وجل عليها يتساءل دائما كيف أقوم بأداء هذه الرسالة وهذه الأمانة على الوجه الذي يرضي الله عز وجل عني؟ ، ويتساءل دائماً كيف أكون معلماً ناجحاً في حمل أمانتي مؤدياً لها على الوجه الصحيح؟ بل وحتى الطلاب وكل مسلم يجب أن يستشعر ذلك. والمعلم الداعية لا يستعجل: عدم استعجال ثمرة جهدك وجهادك وتعليمك ودعوتك ، فما أنت إلا مجرد زارع يغرس الزرع ويبذر البذر ويفعل السبب ، فلا تتوقع أن يثمر جهدك في كل من هم حولك ، فقد لا يخرج من مائة علمتهم ودعوتهم عشرة بل واحد ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً). وفي روايةٌ: (وَقَالَ : لا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً أَوْ قَالَ لا تَجِدُ فِيهَا إلا رَاحِلَةً). فالمقصود أن التوفيق بيد الله عز وجل ، وما المعلم إلا مجرد سبب له فقط ، فقد ينجح من يظن به الفشل ، وقد يفشل من يظن به النجاح ، والسعيد من وفق. ولا بد لك من تقدير بين ما أنتجه وبين الثمار المجنية من هذا النتاج. قال كثير من المعلمين: دخلنا التعليم من أجل هدف واضح وهو الدعوة إلى الله تعالى ؛ ولكن بعد مضي عام يتلوه عام تركنا هذا الهدف واشتغلنا بأمور دنيوية تنافسنا عليها! خامساً: لا تحتقرن جهدك وبذلك ، فقد تكون مجرد كلمة عابرة وجهد يسير منك يفعل في نفوس الطلاب الأفاعيل. وانظر إلى ثمرة هذا المعلم ماذا أثمرت؟ أذكر مثالين من سيرة السلف على تأثير كلمات عابرة ، كيف فعلت في نفوس الطلاب ما فعلت؟ الأول صحيح البخاري الذي يعد أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل ، والذي إذا خرّج لأحد الرواة رواية فقد جاوز القنطرة ، وإذا قيل رواه

البخاري يقع في النفس هيبة له ، ما سبب تأليفه؟ إنها كلمة واحدة في مجلس واحد وقعت في أذن البخاري فيسر الله له تأليف هذا الكتاب الذي رفع منزلة البخاري في طبقة عالية فلقد ذكر لتأليفه ثلاث أسباب أشهرها أنه كان في حلقة إسحاق بن راهويه. فقال لو أن أحدكم يجمع كتاباً فيما صحَّ من سُنة الرسول صلى الله عليه وسلم جملة واحدة! قالها إسحاق فوقع ذلك في نفس البخاري ، فصنف هذا الكتاب الذي خلد التاريخ اسمه (هدي الساري). والثاني: الإمام الذهبي هذا الإمام الفحل أبو عبد الله بصر لا نظير له وهو كنز وملجأ إذا نزلت معضلات المسائل ، إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها. سبب طلبه لعلم الحديث كلمة واحدة يقول هو بنفسه عن الإمام البِرزالي إنه لما رأى خطه قال له: إن خطك هذا يشبه خط المحدثين. قال فحبب الله لي علم الحديث. فانظر ماذا فعلت هذه الجملة في الإمام الذهبي فقد صار من أئمة الحديث وحفاظه ونقاده. الأمر الأهم يجب أن يكون المعلم متمكناً في مادته العلمية الموكّل بتدريسها لأنها أمانة ويجب عليها أن يؤديها على أتم وجه. ولكن يجب أن لا يغفل عن طلب العلم الشرعي الذي هو واجب على كل إنسان معلماً كان أو متعلماً ، وأن يكون ملماً بالأحكام الشرعية والأمور الأساسية التي يجب على المسلم أن يعرفها فضلاً عن المعلم والمدرس الذي يقتدى به ، لأنه محل ثقة ، وله احترام وتقدير لدى الطلاب ، مما يدفعهم لسؤاله فإن أخطأ سقط من أعينهم أو أخذوا منه حكماً باطلاً. ولهذا يأتي الابن ويرتكب محظوراً في الصلاة أو الصيام ونحو ذلك ويقول أفتاني به الأستاذ ، إنه لظلم عظيم. فالطالب في هذه المرحلة يكون كالخامة متفاعلاً مع من حوله من الأشخاص ، وتجد طباعهم تكتسيه ، ويزداد ذلك التأثر لو كان مصدره من يعتقد فيه الطالب المثالية والأسوة الحسنة وهو بطبيعة الحال معلمه ، ولهذا ينبغي للمعلم والداعية الصادق أن يُرِيَه من الخصال الطيبة والصفات الحسنة ما تجعله يتحلى بها ، وعلى أقل تقدير يجِلّ أهلها ، ويرفع من شأنهم. أن يعمل بما يأمر به الطلاب من الآداب والأخلاق وغيرها من العلوم ، وليحذر مخالفة قوله لفعله ، وليسمع قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ؟) وهذا إنكار على من قال قولاً ولم يعمل به. وقوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) ، أي لا أعمل به ، ولا أبلغه غيري ، ولا يُهذب من أخلاقي. وهنا أمور يسيرة جداً يمكن أن تظهر من خلالها الأسوة مثل: وحيث يعوّد المعلم الطالب دائماً على البسملة قبل البدء مع ذكر خطبة الحاجة ثم إظهار الحوقلة عند الحزن والهم ، وبيان الشكر اللفظي والفعلي عند الفرح والسرور ، والتسبيح عند الاستغراب ، والتكبير عند الإعجاب ، وغيرها من الأشياء التي لا بد أن تتكرر أمام الطالب فتؤدي إلى تعويد الطالب على تلك الألفاظ. وتدفعه لتعلم معناها ويرى الطالب في خطاب معلمه الألفاظ القرآنية والعبارات النبوية).هـ. فاحترام العلماء ورعاية حقوقهم توفيق وهداية ، وإهمال ذلك خذلان وعقوق وخسران. قال الإمام ابن مفلح رحمه الله: وَيَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ وَالتَّوَاضُعُ لَهُ ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ قَبْلَ السَّبَقِ وَالرَّمْيِ فِي الْإِجْمَاعِ: اتَّفَقُوا جميعاً عَلَى إيجَابِ تَوْقِيرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَأَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِسْلَامِ ، وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ ، وَالْفَاضِلُ ، وَالْعَالِمُ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ فِي كِتَابِهِ فَاتِحَةِ الْعِلْمِ أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْوَالِدُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، وَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ ، وَأَظُنُّهُ صَرَّحَ بِذَلِكَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْعِلْمِ لَا مُطْلَقًا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. الآداب الشرعية. قال الإمام السفاريني رحمه الله: يَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ ـ الَّذِي هُوَ الشَّيْخُ ـ وَتَوْقِيرُهُ ، وَالتَّوَاضُعُ لَهُ ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ فِي دِيننا مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْأَبُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ فَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ

قَالَ فِي كتاب الْآدَابِ الْكُبْرَى: وَأَظُنُّهُ يَعْنِي بَعْضَ الشَّافِعِيَّةِ صَرَّحَ بِذَلِكَ ، قَالَ: وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْعِلْمِ لَا مُطْلَقًا. انْتَهَى. وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْمُصْطَلَحِ: الْأَشْيَاخُ آبَاءٌ فِي الدِّينِ ، وَقَالَ لِي شَيْخَانِ أَبُو التَّقِيِّ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ التَّغْلِبِيُّ الشَّيْبَانِيُّ أَغْدَقَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ عَلَى رَمْسِهِ: شَيْخُك أَبُوك بَلْ أَعْظَمُ حَقًّا مِنْ وَالِدِك ؛ لِأَنَّهُ أَحْيَاك حَيَاةً سَرْمَدِيَّةً وَلَا كَذَلِكَ وَالِدُك ، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ. وَقَالَ لِي: النَّاسُ يَقُولُونَ فُلَانٌ - يَعْنِي: نَفْسَهُ - لَا وَلَدَ لَهُ ، وَهَلْ لِأَحَدٍ مِنْ الْوَلَدِ مِثْلُ مَا لِي؟! يَعْنِي: تَلَامِذَتَهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ. غذاء الألباب ، وقال الإمام النووي رحمه الله: وَمِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ: أَنْ يَتَحَرَّى رِضَا الْمُعَلِّمِ وَإِنْ خَالَفَ رَأْيَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَغْتَابَ عِنْدَهُ ، وَلَا يُفْشِيَ لَهُ سِرًّا ، وَأَنْ يَرُدَّ غَيْبَتَهُ إذَا سَمِعَهَا ، فَإِنْ عَجَزَ فَارَقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ ، وَأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إذْنٍ ، وَإِذَا دَخَلَ جَمَاعَةٌ قَدَّمُوا أَفْضَلَهُمْ وَأَسَنَّهُمْ ، وَأَنْ يَدْخُلَ كَامِلَ الْهَيْبَةِ ، فَارِغَ الْقَلْبِ مِنْ الشَّوَاغِلِ ، مُتَطَهِّرًا مُتَنَظِّفًا بِسِوَاكٍ ، وَقَصِّ شَارِبٍ وَظُفْرٍ ، وَإِزَالَةِ كَرِيهِ رَائِحَةٍ ، وَيُسَلِّمَ عَلَى الْحَاضِرِينَ كُلِّهِمْ بِصَوْتٍ يُسْمِعُهُمْ إسْمَاعًا مُحَقَّقًا ، وَيَخُصَّ الشَّيْخَ بِزِيَادَةِ إكْرَامٍ ، وَكَذَلِكَ يُسَلِّمُ إذَا انْصَرَفَ ، وَلَا يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ ، وَيَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ إلَّا أَنْ يُصَرِّحَ لَهُ الشَّيْخُ أَوْ الْحَاضِرُونَ بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّخَطِّي ، أَوْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِمْ إيثَارَ ذَلِكَ ، وَلَا يُقِيمَ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَإِنْ آثَرَهُ غَيْرُهُ بِمَجْلِسِهِ لَمْ يَأْخُذْهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْحَاضِرِينَ بِأَنْ يَقْرُبَ مِنْ الشَّيْخِ وَيُذَاكِرَهُ مُذَاكَرَةً يَنْتَفِعُ الْحَاضِرُونَ بِهَا ، وَلَا يَجْلِسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ إلَّا لِضَرُورَةٍ ، وَلَا بَيْنَ صَاحِبَيْنِ إلَّا بِرِضَاهُمَا وَإِذَا فُسِحَ لَهُ قَعَدَ وَضَمَّ نَفْسَهُ ، وَيَحْرِصَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْ الشَّيْخِ ؛ لِيَفْهَمَ كَلَامَهُ فَهْمًا كَامِلًا بِلَا مَشَقَّةٍ وَهَذَا بِشَرْطِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ فِي الْمَجْلِسِ عَلَى أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَيَتَأَدَّبَ مَعَ رُفْقَتِهِ وَحَاضِرِي الْمَجْلِسِ! فَإِنَّ تَأَدُّبَهُ مَعَهُمْ تَأَدُّبٌ مَعَ الشَّيْخِ وَاحْتِرَامٌ لِمَجْلِسِهِ ، وَيَقْعُدَ قَعْدَةَ الْمُتَعَلِّمِينَ لَا قَعْدَةَ الْمُعَلِّمِينَ ، وَلَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ رَفْعًا بَلِيغًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ، وَلَا يَضْحَكَ ، وَلَا يُكْثِرَ الْكَلَامَ بِلَا حَاجَةٍ ، وَلَا يَعْبَثَ بِيَدِهِ وَلَا غَيْرِهَا وَلَا يَلْتَفِتَ بِلَا حَاجَةٍ بَلْ يُقْبِلُ عَلَى الشَّيْخِ مُصْغِيًا إلَيْهِ ، وَلَا يَسْبِقَهُ إلَى شَرْحِ مَسْأَلَةٍ أَوْ جَوَابِ سُؤَالٍ إلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِ الشَّيْخِ إيثَارَ ذَلِكَ ؛ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى فَضِيلَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا يَقْرَأَ عَلَيْهِ عِنْدَ شُغْلِ قَلْبِ الشَّيْخِ وَمَلَلِهِ وَغَمِّهِ ، وَنُعَاسِهِ وَاسْتِيقَاظِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِ ، أَوْ يَمْنَعُهُ اسْتِيفَاءَ الشَّرْحِ ، وَلَا يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُهُ ، وَلَا يُلِحَّ فِي السُّؤَالِ إلْحَاحًا مُضْجِرًا ، وَيَغْتَنِمَ سُؤَالَهُ عِنْدَ طِيبِ نَفْسِهِ وَفَرَاغِهِ ، وَيَتَلَطَّفَ فِي سُؤَالِهِ ، وَيُحْسِنَ خِطَابَهُ. المجموع. وقال رحمه الله: وَيَنْبَغِي: أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ وَيَعْتَقِدَ كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ وَرُجْحَانَهُ عَلَى أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ ؛ فَهُوَ أَقْرَبُ إلَى انْتِفَاعِهِ بِهِ ، وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذِهْنِهِ ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ إذَا ذَهَبَ إلَى مُعَلِّمِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اُسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي ، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: كُنْتُ أَصْفَحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ رحمه الله صَفْحًا رَفِيقًا هَيْبَةً لَهُ ؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا ، وَقَالَ الرَّبِيعُ: وَاَللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إلَيَّ هَيْبَةً لَهُ ، وَقَالَ حَمْدَانُ بْن الْأَصْفَهَانِيُّ: وَكُنْتُ عِنْدَ شَرِيكٍ رحمه الله ، فَأَتَاهُ بَعْضُ أَوْلَادِ الْمَهْدِيِّ ، فَاسْتَنَدَ إلَى الْحَائِطِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا ثُمَّ عَادَ فَعَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ: أَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ؟ فَقَالَ شَرِيكٌ: لَا ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ أَجَلُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ أَضَعَهُ ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ شَرِيكٌ: هَكَذَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ: أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ ، وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِك ، وَلَا تَعْمِدَنَّ بِعَيْنِك غَيْرَهُ ، وَلَا تَقُولَنَّ: قَالَ فُلَانٌ: خِلَافَ قَوْلِهِ ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تُسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تُلِحَّ عَلَيْهِ إذَا كَسَلَ ، وَلَا تَشْبَعَ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ كَالنَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْ. المجموع. قال الإمام الماوردي رحمه الله: ثُمَّ لِيَعْرِفَ لَهُ فَضْلَ عِلْمِهِ ، وَلِيَشْكُرَ لَهُ جَمِيلَ فِعْلِهِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَعْرِفُ فَضْلَ أَهْلِ الْعِلْمِ إلَّا أَهْلُ الْفَضْلِ ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ عُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ إنْ كَانَتْ لَهُ وَإِنْ

كَانَ الْعَالِمُ خَامِلًا ؛ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ بِعِلْمِهِمْ قَدْ اسْتَحَقُّوا التَّعْظِيمَ لَا بِالْقُدْرَةِ وَالْمَالِ. وإذا كان هذا شأن المعلم فإن لمعلم القرآن مرتبة تعلو كل مرتبة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القران وعلمه). وكل الرجال النافعين في المجتمع من طبيب ومهندس وضابط وتاجر يدينون بالفضل لمعلميهم الذين حببوا إليهم العلم ، وقدموه لهم بأسلوب جميل ، ولم يبخلوا عليهم بحسن المعاملة ، حتى أدركوا ما هم فيه من النجاح. فيجب علينا نحن الطلاب احترام المعلمين وتقديرهم لأنهم هم أصحاب الفضل علينا بعد الله وعلى المجتمع بأكمله).هـ. وتحت عنوان: (المعلم وخلق الصبر) يقول الدكتور وحيد حامد عبد الرشيد ما نصه: (إن رسالة التدريس هي أجل وأسمى وأنبل مما نتصوره ، حيث إن القاعدة التي تنطلق منها هي الإسلام الذي نزل أول ما نزل من كتاب الله الكريم قوله تعالى: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ). فقد ذكرت في هذه الآية الكريمة أدوات التعلم ومفتاح التدريس هو القراءة ثم عقب سبحانه وتعالى بالقلم ، والقلم من أدوات العلم ، وهذا يدل على أهمية العلم وعظمته ، حيث إن أول ما نزل الوحي ذكر هذه الأدوات. ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: (اعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ). فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ، وهذا يدل على فضل العلم والتدريس والتعليم. ويقول تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ). فهذه إشارة إلى طلاب العلم والمعلمين والمدرسين الذين ساروا على الصراط المستقيم. ويقول تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). فهنا قرن شهادة أهل العلم بشهادة الله سبحانه وتعالى وبشهادة الملائكة ، فهذا يدل على فضل العلم والمعلمين الذين أرادوا بتدريسهم وجه الله تعالى والدار الآخرة. فهذه بعض الأدلة التي تبين فضل العلم والتعلم وفضل المعلم في القرآن الكريم. أما ما ورد في السنة المطهرة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معلماً وكان يشيد بالعلم وأهله. ـ فقد دخل صلى الله عليه وسلم ذات مرة المسجد فوجد فرقتين إحداهما تتعلم والأخرى تتعبد ، فجلس صلى الله عليه وسلم مع الفرقة التي تتعلم وقال عبارته المشهورة: إنما بعثت معلماً! فهذا دليل صريح على فضل العلم والمعلم على غيره من سائر الناس لأن المعلم ينفع نفسه وينفع غيره بخلاف المتعبد ، فالمتعبد لا ينفع إلا نفسه فقط ، ـ كذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له). فالشاهد من الحديث قوله: أو علم ينتفع به ، فتصور أنك إذا مت وانتقلت من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ، لا يبقى لك إلا هذه الأشياء صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، كتعليم نشرته ، أو كتاب ألفته أو شريط سجلته ، أو نحو ذلك مما يتعلق بنشر العلم ، أو ولد صالح يدعو له. ـ كذلك ما روي عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين). والحقيقة أن المعلم يجب في الوقت ذاته أن يتحلى بأخلاق منها: أن تحلي المعلم بالأخلاق الفاضلة أمر واجب وضرورة شرعية من جانبين : الأول: أنه لا يمكن تصور المعلم بدون أخلاق ، إذ كيف يستقيم الحديث عن تشبع المتعلمين بالقيم الإيجابية ومعلمهم مفتقد إليها؟ والثاني: أنه لا يمكن بناء علاقات تربوية سليمة بين المعلم والمتعلمين في غياب المعلم القدوة المتخلق بأخلاق العلم. وبديهي أن تستمد الأمم والمجتمعات أخلاقيات المهنة من قيمها ومقوماتها. ونحن كمسلمين بفضل الله تعالى نستمد أخلاقيات مهنة التدريس من عقيدتنا الإسلامية المقررة في القرآن الكريم والسنة المطهرة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا ومعلمنا في هذا الشأن فهو خير معلم للبشرة جمعاء ، قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً). وهناك كثير من القيم والصفات الخلقية الأخرى التي يجب أن يتمسك بها المعلم ، وسوف يتناول حديثنا واحدة من أهم تلك الصفات ، وهي صفة

الصبر خلق الصبر: ويعد الصبر من أهم هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم ، فمن المفترض أن يكون المعلم كالطبيب ، يحلم ويصبر ويتحمل ويرفق بمرضاه وهكذا يجب أن يكون المعلم مع أبنائه وطلابه! فرسولنا الكريم يقول: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه). وأحياناً يأتيك أذى من الطالب لأنه جاهل ، ولو كان عالماً لما جاء ليتعلم عندك ، ولكنه جاهل ، جاهل جاء يريد أن يتعلم منك ، لذلك لا بد من الصبر واحتساب الأجر عند الله تبارك وتعالى. فقد يحصل للمعلم أحياناً أذى ، فقد يسمع كلاماً أحياناً من بعض الطلاب أو شيئاً من هذا القبيل ، فلا بد أن يتحمل ويصبر ويحتسب ما يأتيه إن شاء الله من الأجر والثواب من رب العالمين ، وكما نعلم أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكه رجل أعرابي فجذبه حتى أثرت الجذبة في صفحة عنقه صلى الله عليه وسلم فقال له: مُر لي من مال الله! فضحك رسول الله وأمر له. إنه معلم يعلم البشرية ، فحركاته صلى الله عليه وسلم وتصرفاته كلها تعليم ، فإذاً هو القدوة لنا ، (إنما بعثت معلماً). لذا وجب على المعلم أن يعوّد نفسه على الصبر والتحمل وعدم الغضب وعدم الانفلات ببعض الكلمات النابية التي تخرج منه أحياناً ليس لها أي مبرر ، وليس لها أي سند شرعي لا في كتاب الله ولا في سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، فنجد بعض المدرسين أحياناً وهم قلة: يلعن الطالب أو يسبه أو يشتمه أو يقول له: يا غبي أو يا حمار أو يقول يا كذا وكذا! فهذا خطأ وغلط ، فهذه العبارات النابية مخالفة لكتاب الله ولسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا يدل على أن هذا المعلم في الحقيقة أقرب ما يكون للفشل ، لأنه ليس عنده صبر وليس عنده تحمل ولا يستطيع أن يكظم غيظه ولا يستطيع أن يتفاعل بصورة إيجابية مع قضايا الطلاب بحيث يمتص ما عندهم من غضب ويمتص ما عندهم من الأسئلة ويمتص ما عندهم من الضجر، الذي قد يكون بسبب جفاف المادة الدراسية وعدم تناولها بطرق تربوية شيقة تجذب اهتمام وانتباه الطلاب ، أو بسبب مشكلات أسرية أو نفسية أو اجتماعية وهذا كله يتطلب الصبر والرفق وتقديم المساعدة له قد الإمكان لتخطى ما يواجهه من مشكلات تؤثر سلباً على علاقاته وسلوكياته وتحصيله الدراسي. وللصبر مكانة عظيمة في الإسلام: فهو جواد لا يكبو ، وسيف صارم لا ينبو ، وحصن حصين ودرع متين ، امتدح الله من امتطاه ، وأخبر أن يوفيه الأجر بغير حساب: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب). وأنه سبحانه وتعالى معهم (واصبروا إن الله مع الصابرين). وجعل سبحانه وتعالى الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين ، فقال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون). وأخبر سبحانه بأن الصابرين المتقين هم المفلحون فقال سبحانه: (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون). ويقول صلى الله عليم وسلم في الحديث المتفق عليه: (ومن يتصبر يصبرّه الله ، وما أُعطِيَ أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر). ويقول صلى الله عليم وسلم: (يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه (أي حبيبه) من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). (رواه البخاري). ويقول صلى الله عليم وسلم: (إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه (عينيه) فصبر عوّضته منهما الجنة). (رواه البخاري). ويقول صلى الله عليم وسلم: (ليس الشديد بالصُرَعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب). (متفق عليه). وما أحوج الأساتذة والمعلمين إلى الصبر على الطلبة والمتعلمين ، واحتمال الأذى في ذلك ؛ ليجنوا الثمار العظيمة في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالبركة في الرزق والعمر والصحة والعلم وحب الطلاب له ، وفى الآخرة بجنان عظيمة ورضى من الله تعالى: ثمار الصبر: اعلم أخي المعلم أن للصبر جملة عظيمة وكبيرة من الفوائد ، وأعلم أنك على علم بها ، ولكن أود أن أذكرك فقط بها ، فالصبر مفتاح الفرج ، وهو مفتاح النصر كما قال صلي الله عليه وسلم: واعلم أن النصر مع الصبر ، فلن تحصل النفس علي النصر على ذاتها وعلي العدو إلا بالصبر ، ولن

تنتصر علي المصائب والأزمات إلا بالصبر ، وقد عدد الله الصبر في أكثر من موضع من كتابه الكريم ، وذلك لما لهذا الخلق الحميد من عظيم الأثر والعائد ، التي منها: أولاً: إن المؤمن الصابر يحوز محبة الله تعالى ومعيته له. ثانياً: إن في الصبر دليلاً على كمال الإيمان وحسن الإسلام. ثالثاً: إن الصبر يورث هداية في القلب. رابعاً: إن الصبر سبب للتمكين في الأرض والفوز بالجنة والنجاة من النار. خامساً: إن الصبر مظهرُ من مظاهر القوة ، وعلامة من علامات حسن الخاتمة. سادساً: في الصبر ضبط النفس عن السأم والملل والعجلة عن القيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة والانتظار مدة مناسبة قد يراها المستعجل مدة طويلة. سابعاً: في الصبر ضبط النفس عن الغضب والطيش عند حدوث مثيرات الغضب في النفس ، مما قد ينتج عنه أمور لا تُحمد عقباها . ثامناً: في الصبر ضبط النفس عن الاندفاع وراء الهوى والشهوات مما حذر منه الشرع الحكيم. ولهذا نجد أن هذا الخلق هو خلق الأنبياء والرسل والعقلاء والحكماء والفلاسفة ، الذين تحملوا الكثير والكثير في سبيل رسالاتهم ونشر النور للجهلاء ، فماتوا وظلت أسماؤهم ورسالاتهم حتى يوم الدين ، يشهد لهم الجميع ، وما أنت أخي المعلم إلا واحد منهم لكنك على هديهم اهتديت وبهم اقتديت وبرسالاتهم عملت. فهؤلاء هم أبناؤنا بين يديك أمانة ، يحتاجون إليك لتمحو ظلمات الجهل من عقولهم ، وتنير لهم الطريق ، وتعد منهم جيلاً صالحاً يعتز به. فما أشد حاجتنا إليه اليوم وفي الغد ، فلتتحملهم ولتصبر على جهلهم وهفواتهم ، ورويداً بهم نحو طريق النور ، فما جاؤوك إلا محبين ، وما تقصيرهم إلا عن غفلة وجهل ، فعندما تنصح لهم بالصبر واللين سوف تجدهم عجينة لينة بين يدك ولن ينسوا لك هذا الفضل ولن ينساه لك الدهر ، وما يسعني في نهاية حديثي هذا إلا أن أقدم لك آيات الشكر وعرفاناً بالجميل فما بنيت المجتمعات ونهضت إلا على يديك).هـ. وتحت عنوان: (المعلم ومهنة التعليم) يقول الأستاذ خالد حجازي ما نصه: (قيل في الماضي إن مهنة التعليم مهنة سهلة ، ويستطيع ممارستها أي شخص. وقد يرجع ذلك لأنها مهنة التعامل مع الأطفال وإعداد الأجيال القادمة ، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى قيام الجميع بتربية أبنائهم في نطاق الأسرة. ولكن في الواقع التعليم فن لا يستطيع ممارسته أي شخص ، ولذلك قد نجد آباء لا يصلحون للأبوة ، ونجد أيضاً معلمين لا يمتلكون ملكة التدريس التي تعتبر قلب ولب العملية التعليمية والتربوية. فالمعلم المتميز يستطيع أن يتعامل مع الطفل المقيد بما أورثة إياه والديه من صفات وراثية ، وأيضاً مقيد ببيئته الأسرية ومعتقداته الفكرية والاجتماعية ، فيتعامل معه المعلم علي هذا الأساس. والمعلم المتميز يستطيع أن يكتشف ما في هذا الطفل من مواهب وقوي وهو الذي يستطيع أن يروي غرائزه وميوله! وهو أيضاً الذي يستطيع أن يهذب هذه القوي الجامحة ويوجهها في الطريق اللائق بها. وعليه وحدة بعد البيت والأسرة تقع مسئولية المستقبل المهني لهذا النشء. فالمعلم تقع عليه أكثر من سواه مسئولية مستقبل أمته ورقيها ونشر ثقافتها وصقل عقول البشرية لتستطيع أن تؤدي خدمات نافعة للإنسانية جمعاء ، ويستطيع المعلم المتميز أن يقوم بكل هذا إذا توافرت فيه الشروط الأساسية من المعرفة والخلق والأصول الفنية والشخصية البارزة القوية وحسن الخلق والثبات علي المبدأ والمثال الطيب في السلوك الحميد. فالتعليم علم له أصول وقواعد معروفة عززتها التجارب ، فأصبحت علماً مستقلاً معروفاً هو علم التربية. ومن واجب المعلم أن يقف علي هذه الأصول ويدرسها ويتقنها ويعرف أغراضها. ومن واجب المعلم أن يكثر من المطالعة والدراسة ، وأن يكون علي اتصال بأحدث الكتب والدوريات الخاصة بعلمه التدريسي من جهة وأن يقف علي كتب علم النفس وأساليب التربية الحديثة من جهة أخري لكي تزداد ثقافته وتتجدد معلوماته وتنشط أفكاره فلا يتأخر عن سير التقدم العلمي بل يجاريه ويسير معه. فالتعليم مهنة تتطلب استعداداً مهنياً لا يجوز أن يتولاها إلا أهلها ومن أعدوا خصيصاً لممارسة هذه المهنة!

أما المرتزقة فلا شأن لهم في هذه المهنة وأنه لمن العار علي الهيئات التعليمية أن يتولى هذه المهنة الشريفة بعض الأشخاص تطفلاً! وانحصر عملهم في عد الأيام للحصول علي المرتب دون الاهتمام بأهداف وغايات هذه المهنة العظيمة. فيجب علي المعلم أن يكون شغوفاً بمهنته منصرفاً إليها بكيانه معتقداً فيها كل الاعتقاد ومؤمناً بها وبنتائجها باذلاً كل الجهد لرفع شأنها كخدمة لبني جنسه إرضاء لوجه الله تعالي. هذا وتعتبر مهنة التعليم من أشرف المهن التي تتضمن رسالة عميقة هدفها تربية وأعداد أجيال المستقبل ، هذا ويهدف التعليم بمراحله المختلفة سواء الجامعي أو قبل الجامعي إلي إعداد الطالب مهنياً من خلال تطوير المهارات الذهنية والحياتية وأيضاً الحركية وتأهيل الفرد لكي يكون عضواً فعالاً داخل المجتمع بالإضافة إلي ترسيخ القيم النبيلة لكي يصبح مواطناً صالحاً يحمل عبء الوطن ومسئولية القيادة. والغريب أنك عندما تسأل أحد التلاميذ: ماذا تريد أن تصبح في المستقبل فإنة نادراً ما تكون الإجابة: إنني أريد أن أصبح معلماً ، فالمعلم شمعة تحترق من أجل الآخرين. وقد يرجع ذلك إلي وسائل الإعلام التي تظهر المعلم بمظهر غير لائق في معظم الأحوال. ولذلك يجب معرفة ماهية هذه المهنة وهدفها الإنساني الفاضل. فمثلاً التعليم ما قبل الجامعي يهدف إلي تطوير المهارات الأساسية للتلميذ كالقراءة والكتابة والحساب وغيرها إضافة إلي المهارات الخاصة بالمجالات التربوية كالانضباط والاحترام والتعاون وغيرها فأن التعليم الجامعي يقترب أكثر إلي التأهيل المهني والإعداد المناسب لسوق العمل ويهدف التعليم بمرحلة الدراسات العليا بعد ذلك إلي إعداد الكوادر الأكاديمية والبحثية في جميع المجالات. هذا ويكمن سر التدريس الناجح داخل روح المعلم النشط المبتكر الذي يتبنى بعض النماذج العقلية وهي تمثل الأطر والأنظمة والمعتقدات وأنماط التفكير والأمثلة الحية وأيضاً مجموعة المبادئ العامة التي تبني عليها أفكارنا وسلوكنا فنحن جميعاً نملك نماذج عقلية مختلفة ، حتى وإن لم نكن مدركين لذلك. فالنموذج العقلي هو الذي يلهم المعلم باتخاذ قرارات حكيمة وذكية معظم الوقت والحفاظ علي كرامة التلميذ وتشجيعه علي التفوق. فعلي سبيل المثال فهناك مدرس بالولايات المتحدة الأمريكية وفي واشنطن بالتحديد حصل أربعة من تلاميذ علي جائزة نوبل ولعل حصول طالب واحد علي هذه الجائزة يمكن أن يكون مصادفة ولكن حصول أربعة من طلابه علي جائزة نوبل فهذا شيء يستحق التقدير ويستحق الدراسة ، فالمعلم ينبغي أن يتعامل مع طلابه علي أساس أنهم موهوبون ، وكلما عاملهم علي هذا النحو كلما زاد تجاوبهم معه إلي أن خلق طلاب موهوبين! وهذا أكبر دليل علي القوة التي يملكها المعلم وأثر ذلك في نجاح وتفوق طلابه. فالمعلم يمكنه تحقيق ما يؤمن به ، فإذا كنت تؤمن بأنك تقوم بالتدريس لزمرة من الأطفال ضعاف المستوي وكان هذا هو ظنك بهم فهذا هو ما سوف تحصل علية بالفعل. هذا ولقد خلصت الأبحاث التي أجراها عالم النفس هاورد جاردنر (1993) إلي أنه ليس هناك نوع واحد فقط من الذكاء ، وإنما هناك أنواع متعددة كما أنه يؤكد أن كلا منا يحمل نصيبه الفريد والخاص من الذكاء الذي يستحق التنمية بكل تأكيد ، لذلك فمن الضروري أن يدرك المعلم أن أحد الفروق بين المدرس العادي والمدرس الفائق هو طريقته في التحدث سواء علي المستوي الداخلي (أي ما يقوله لنفسه وهو مقتنع به) ، أو علي المستوي الخارجي (أي ما يقوله الآخرون من حوله). فالمعلم الفائق يتحدث دائماً عن احتمالات نجاحه ، بينما يتحدث المعلم الأقل كفاءة عن الشكاوي والمشكلات وهذا فرق خطير يجب أن نضعه في الاعتبار دائماً. هذا ومهنه التعليم والتدريس مهنه تتميز بصعوبتها لأنها تتعامل مع الإنسان والمجتمع وأصبح نموذج المعلم الناقل للمعرفة فقط نموذج لا يتناسب مع العصر الذي نعيش فيه بل يجب علي المعلم أن يقوم بدور القائد الذي يعمل علي توجيه التعليم وتسهيل العملية التعليمية بشكل مستمر. لأن التعلم عملية مستمرة مدي الحياة ، فالإنسان هو هدف التعليم وبالتالي فلا بد من وجود صفات

ومميزات وأخلاقيات وواجبات تحكم العمل للإفراد المنتمين إلي المؤسسات التعليمية بالمراحل المختلفة. ويجب عليك عزيزي المعلم أن تعرف جيداً نفسية الطفل التي تختلف عن نفسية الكبار فالأطفال لهم عالم يعيشون فيه هو الأقرب إلي الخيال منه إلي الحقيقة ، عالم أقرب إلي اللعب منه إلي العمل. فالطفل واسع الخيال لا يعرف القيود ، ويكره العبودية ، يعشق الحرية ، ويميل إلي التحرر من كل سلطة ، يحب الحركة ويكره الجمود ، وهو ناقد فهو يميز بين من يحسن إليه أو يسيء إليه ، ويفهم المحسوس ، ولا يدرك المعنويات ، ويهتم بقص القصص والروايات والحكايات الخيالية ، متعطش للاكتشاف والاستطلاع ، فيجب عليك عزيزي المعلم والذي يعهد إليك بتربية هذا الطفل أن لا تخاطب هذا الطفل كما تخاطب الكبار ، فعليك أيها المعلم أن تتغلغل في نفسيته لتفهمها وتملك مفاتيحها. فعبثاً أن تحاول أن تلقنه العلم تلقيناً ، فاحذر أن ترتفع إلي مستوي أرقي من عالمه ، وإياك أن تنزل إلي ما دونه ، فالعالم الأول مغلق أمامه ، والعالم الثاني سهل كل السهولة فحاول أن تجد طريقاً وسطاً بين العالمين لكي تكسب عقل هذا الطفل. وتتميز كل مهنة عن الأخرى ببعض الأخلاقيات. فمثلاً لا يجب أن نجد ضابطاً مهملاً أو لاعب كرة قدم أنانياً! فكل مهنة لها متطلبات وأخلاقيات. ولنبدأ بأخلاقيات مهنة المعلم ويمكن تقسيمها إلي ما يلي: تتمثل هذه العلاقة بالاهتمام واستيعاب المعلم للتلميذ وتفهم خصائص النمو لدي التلميذ لكي يصبح قادراً علي التعامل معه بشكل أفضل. فالمعلم يهتم بتطوير مهارات التلميذ ، والتفاني بإخلاص في مساعدته علي التعلم بشكل أفضل ، وإمداد التلميذ بالمعارف والمهارات الأساسية للتعلم. ويجب أن يسود هذا النوع من العلاقة جو من الاحترام المتبادل بين المعلم والتلميذ واحترام خصوصيته وعدم التمييز بين التلاميذ علي أي أساس كان ، سواء أساس الدين أو العرق أو اللون أو الجنس أو غيرها. وبالتالي فإن علاقة المعلم بالتلميذ توجب ما يلي: • العمل بإخلاص علي توفير الظروف الملائمة لتطوير ورفع مستوى التحصيل لدي التلميذ داخل المدرسة وتمكين التلميذ من الحصول علي أفضل أنواع التعليم المتاح. • العمل علي إيجاد علاقة ثقة متبادلة بين المعلم والأسرة وكلاهما يهدف إلي تربية النشء ويجب أن يكون هناك تواصل بطريقة مثالية للمساعدة في رفع مستوي التلميذ وتحصيله الدراسي والتعاون المثمر بين المعلم والأسرة لإبراز مكامن التفوق والإبداع وأيضاً إبراز مكامن الضعف والعمل علي علاجها. • العمل علي إزالة المعوقات والعقبات التي تعيق تحصيل التلميذ لرفع مستواه الأكاديمي والتربوي أو الاجتماعي. • مهنة التعليم أمانة في عنق المعلم ، فالوالدين يثقان في المعلم ويتركان أطفالهم لفترات طويلة داخل المدرسة ، ويجب علي كل معلم أن يتحمل هذه المسئولية ، ويراعي الله في تلاميذه ، ولا يرضي لهم إلا ما يرضاه لنفسه ولأولاده. • العمل في مجال التعليم يتميز بكونه عمل جماعي يتحلى بروح الفريق ويعمل علي تقديم أفضل الأجواء والإمكانيات للتلميذ وهذا العمل الجماعي يوجب الاحترام المتبادل واحترام الخصوصية واحترام الملكية الفكرية والعمل علي تطوير العمل والتعاون المثمر لتقديم الأفضل ويمثل بذلك المعلمون القدوة لتلاميذهم ، وبالتالي فإن علاقة المعلم بزملاء المهنة توجب ما يلي: • العمل بإخلاص علي خلق جو من التعاون المثمر بين الزملاء لرفع مستوي العمل وقد يتم ذلك بالتعاون علي تأثيث غرفة الوسائط التعليمية أو عمل بنك للأسئلة من إعداد معلمي القسم أو المشاركة في تخطيط وإعداد الأنشطة التعليمية كالإذاعة المدرسية وخلافه. • التعاون الجاد بين المعلمين والزملاء في مناقشة مشكلات التلاميذ داخل الفصل الواحد والعمل علي إيجاد حلول لمساعدة التلاميذ الذين يعانون من صعوبات في التعلم. • العمل علي إيجاد روح الأسرة بين المعلمين داخل المؤسسة التعليمية فكلما أحب الإنسان مكان عمله ، كلما ساعد ذلك في تطوير ونمو العمل وكلما ساعد ذلك في إضفاء جو من السعادة والسرور والتماسك ، وانعكس ذلك بالطبع ايجابياً علي التلميذ. ويعتبر نجاح أي

مؤسسة ، وخصوصاً المؤسسات التعليمية منها ، يعتمد ذلك بشكل كبير علي نجاح الإدارة في ابتكار وتطبيق السياسات التي ترفع من عملية التعليم وبالتالي تحسن من مخرجاتها وهذا الموضوع يتطلب تعاوناً وثيقاً بين الإدارات بمستوياتها المختلفة والقواعد التنفيذية لضمان نجاح السياسات وبالتالي نجاح وجودة المخرجات. والمعلم هو الجزء الأساسي في منظومة التعليم ويتوجب عليه احترام وتطبيق السياسات وابتكار الوسائل والطرق التي تعمل علي رفع وتحسين العملية التعليمية والعمل الجاد علي تطويرها وتقديم الأفضل ويتوجب عليه أيضاً حسن التعامل مع الإدارات المختلفة ، وتتمثل هذه الإدارات مثلاً في الإدارة التعليمية وإدارة شئون الطلاب ومدير المدرسة وناظر المدرسة بجانب التوجيه الفني ووحدة إدارة الجودة بالمدرسة. فالمعلم يجب أن يشارك في عملية تخطيط جميع أنواع النشاط التي تري المدرسة ضرورة القيام بها لتحقيق الأهداف التربوية التعليمية ويتحمل المعلم العبء الأكبر من مهام التنفيذ ولا يتوقف عند هذا الحد بل يجب عليه أيضاً اكتشاف الموهوبين وتوجيههم. والمقصود بالمجتمع هو المحيط الكبير الذي يعمل المعلم داخله والمجتمع هو بيئة التعلم الأساسية التي تتكون من أضلاع مثلث وهي المدرسة والأسرة والمجتمع ، والتعاون المثمر مع البيئات الثلاث له أعظم الأثر علي عملية التعلم وعلي الصحة النفسية للمتعلم بوجه عام وله دور إيجابي وفعال في رفع وتحسين مخرجات العملية التعليمية ، وتحسين ورفع مستوي التحصيل لدي التلاميذ ، والمعلم يمثل حلقة الوصل الأساسية بين البيئات الثلاث ، ومن الجدير بالذكر أن العملية التعليمية والأسرة مع المجتمع يمثلون فيما بينهم حلقة دورانية ذات تغذية راجعة تعمل علي تحسين التواصل مع المجتمع وتنعكس إيجابياً علي منتج العملية التعليمية الذي يدخل إلي المجتمع كعنصر بناء وهكذا. تتفاوت المهن والوظائف في قيمتها تبعاً لتفاوت مدي تأثيرها في المجتمع ولا يعني ذلك تفضيل مهنة عن أخري إلا رغبة من الفرد نفسه وتبعاً لميوله وقدراته ورغبته الشخصية في ممارسة هذه المهنة. وبشكل عام فالفرد مطالب باحترام العمل بوجه عام. فالعمل عبادة ولا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوى. فلا يجب تحقير مهنة محددة ، فكل مهنة لها متطلباتها وخصائصها ومهاراتها الفنية. وكل مهنة لها أهميتها داخل المجتمع مهما صغر شأنها ، ويعود تفضيل مهنة دون الأخرى أيضاً إلي النظرة الاجتماعية وثقافة المجتمع نفسه. وقد ينظر البعض في الوقت الحالي إلي مهنة التدريس علي اعتبارها فقط مهنة ومصدر للرزق. فقد يقوم بعض المعلمين بإعطاء الدروس الخصوصية مثلاً. وأيضاً يحصل من يقوم بالعمل في مجال التعليم علي إجازة سنوية أثناء الصيف بعد انتهاء العام الدراسي وهذا لا تتميز به باقي المهن. ولكن هذا لا يعفي المعلم من المسئولية الخطيرة التي تقع علي عاتقه. فهذه المهنة تختلف عن غيرها في خطورتها ، فالمعلم مؤتمن علي مستقبل أبناء المجتمع ، وهو المسئول عن تشكيل عقول الأجيال القادمة وصيغتها نفسياً وعقلياً. فعلي الأقل لا يجب أن تنسي أو تتناسى أيها المعلم أن أحد تلاميذك سوف يكون مسئولاً في أحد الأيام عن إدارة يرتبط بها شأن من شئونك ، فقد يصبح تلميذك طبيباً يعالجك أو قاضياً يحاكمك أو صهراً يناسبك فماذا تحب لنفسك ساعتئذٍ أيها المعلم؟ يجب أن تضع هذه الصورة أمامك دائماً! وتتعامل مع تلاميذك من هذا المنطلق. فمهنة التعليم مهنة يحترمها عدد غير قليل من التلاميذ والطلاب ، ويتمنون أن يمارسوها لما لها من فضل ومكانة داخل أي مجتمع ، مهما حدث من نقد للمعلمين علي مر العصور! فهي مهنة الأنبياء والرسل وهي مهنة إعداد القادة والعظماء للأجيال القادمة ، وإعداد الأفراد للانسجام والتكيف مع المجتمع وتنمية قدراتهم وسلوكياتهم للتعامل مع المجتمع ، وقد يختارها الطالب كمهنة برغبته وبدافع وإيمان قوي بأهمية الرسالة التي تقوم عليها هذه المهنة وهذا هو الأفضل بالطبع ولكن هناك آخرون يختارونها لوجود أسباب أخري فرعية مثلاً: كحبّه للتعامل مع الأطفال والنشء

الصغير ، ولذلك يكثر المعلمات الإناث في هذه المهنة لقربهن من المشاعر الإنسانية التي تتميز بها الأنثى لحبها للأطفال ، وخاصة في المراحل الأولي للتعليم والسن الصغير! وأيضاً قد يختارها البعض لما تتميز بها من وجود إجازة صيفية لا تتميز بها المهن الأخرى فالمعلم يحصل علي إجازة سنوية تعتبر هي الأفضل ، وذلك لتوقف الدراسة بعد الامتحانات. ويجب وضع النقاط الأساسية التالية في الاعتبار قبل البدء أو التفكير في اختيار مهنة التعليم كمهنة: فمحاولة نقل المعلومات والتراث وإكسابها للأجيال الجديدة تتطلب من المعلم العمل علي معرفة وإدراك صفات وخصائص المراحل السنية المختلفة ليتمكن من التعامل معهم. وأيضاً تهتم مهنة التعليم بالتعامل مع الأسرة والآباء لمتابعتهم الدائمة لمستوي أبنائهم والتأكد من نموهم المعرفي والسلوكي أثناء الدراسة ولذلك يمثل المعلم حلقة الوصل بين المجتمع ممثلاً في الأسرة من جهة والتلميذ من جهة أخري. وبذلك توضع عل عاتق المعلم العديد والعديد من المسئوليات التي يلتزم بأدائها وهي بذلك تميز هذه المهنة التي تعتبر مهنة التعامل مع البشر وعقول البشر وهي ليست بالمسئولية البسيطة. فكثير من الأفراد ينظر للمعلم علي أنه الملقن للمعلومات ويكتفي بذلك ، ولكن مهنة التعليم علي العكس تستلزم مسئوليات عديدة ، فالمعلم هو الفرد المسئول عن الرعاية النفسية والعلمية لتلاميذه. ولك أن تتخيل عزيزي القارئ أن المعلم يتحمل مسئولية العديد من الأفراد خلال العام الدراسي ، وهو الشخص الأكثر تأثيراً بعد الأسرة بالطبع في شخصية المتعلم. ذلك أن اليوم الدراسي الذي يمثل علي الأقل ثلث اليوم يقضيه المعلم مع تلاميذه داخل الفصل ، وهو يمثل لهم القدوة ومصدر العلم والمعلومات ، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يؤثر نفسياً في تلاميذه بالشكل الذي يجعلهم أشخاص محبين للتعلم أو أفراد يكرهون التعلم والتعليم بوجه عام ، وذلك من خلال أدائه المهني داخل الفصل ، فكثيراً ما نري تلاميذ يكرهون المدرسة بسبب أحد المعلمين ، وآخرين يحبون المدرسة بسبب المعلم أيضاً. ولذلك نؤكد علي أن مهنة التعليم تستلزم من المعلم أن يكون مسئولاً عن رسالته وعن تلاميذه ، ومؤمناً بالرسالة التي يؤديها. لم يعد ينظر العديد من الأفراد للمعلم علي أنه أحد مصادر المعرفة فقط ، ولكن يجب أن يكون هناك نوع من التفاعل بين المعلم والمتعلم ، فلم يعد دور المعلم هو إلقاء المعلومات فقط ، وإنما التأكد من فهم واستيعاب المعلومات! ويستلزم ذلك وجود نوع من التواصل بين المعلم والمتعلم ، وذلك عبر عدة قنوات قد تكون بالحوار والمناقشة ، أو من خلال الاتصال الحديث عبر شبكة الإنترنت أو وجود أي نوع من أنواع التواصل بين المعلم والمتعلم بحيث يعطي للتلميذ الحرية لطرح الأسئلة للتعبير عن الموضوعات التي تحتاج إلي تفسير وشرحها مره أخري ، ولذلك لم تعد مهنة المعلم هي إلقاء المعلومات وحسب! ولكن التأكيد علي اكتساب التلاميذ لها وذلك عن طريق الاستماع الجيد لاستفسارات وأسئلة التلاميذ وحوارهم للتأكد من استيعابهم الكامل للمحتوي الدراسي. فمع ضغوط الحياة اليومية لكسب الرزق ، لنتخيل أن هذا المعلم يجب عليه أن يواجه ضغوطه النفسية بعيداً عن مجال العمل وبعيداً عن المدرسة وتلاميذه ، بل ويجب عليه أن يكون قادراً علي التحكم في هذه الضغوط النفسية واستيعاب كل المواقف إلي تحدث داخل الفصل من عنف وبشكل معتدل وبدون أي إثارة وذلك لاستيعاب التلاميذ والبعد عن العنف بأنواعه سواء العنف الجسدي أو العنف النفسي والتعصب أو العنصرية وذلك لكي يستطيع أن يمارس سلطته علي إدارة الفصل والقيام بعملة علي أكمل وجه. وذلك بالطبع يتطلب إعداد المعلم إعداداً نفسياً ليصبح المعلم أكثر اتزاناً انفعالياً لكي يستطيع التعامل مع هذا الكم الهائل من الضغوط النفسية الملقاة علي عاتقة. قال البعض فيما مضي: إن مهنة التدريس والتعليم هي مهنة من لا مهنة له! وهذا خطأ فادح ، فمهنة التعليم والتدريس ليست بالمهنة السهلة ، ولنتخيل المعلم وهو يقضي معظم حياته اليومية في المهام التدريسية حتى بعد انتهاء اليوم

الدراسي ، وذلك لإعداد الأنشطة التدريسية وتصحصح الاختبارات والتدريبات والواجبات المدرسية ولا ينتهي الأمر إلي هذا الحد بل يجب عليه أن يقوم بتقييم تلاميذه والتخطيط لعملية التقويم وإعداد البرامج العلاجية اللازمة لمساعدتهم علي التعلم بشكل فردي لضمان انسجامهم وتقدمهم في الدراسة ويضع في الاعتبار دائماً أنه قدوة لتلاميذه ، فهو دائماً وأبداً نموذج يحتذي به أمام الجميع! فحقاً إن مهنة التعليم مهنة الأنبياء والرسل وهي ليست بالمهنة السهلة. إن التعليم - والمقصود بالتعليم هنا بوجه عام - هو فن مساعدة الآخرين علي التعلم. إنها عملية تلهم وتثير الشخص المتعلم لكي يعمل علي اكتساب نوع جديد من السلوك والخبرات والمهارات والمعارف ، وتمثل عملية التدريس بوجه عام مجموعة النظريات والحقائق التي تطبق وتحول إلي مهارات وخبرات من خلال الممارسة والتدريب. وللتدريس أهداف أسمي وأعمق من مجرد اكتساب المعارف تهدف إلي اكتساب المهارات وتعديل السلوك. فالتدريس علم كباقي العلوم الأخرى ولكنه يتضمن فناً تطبيقياً لمجموعة من القوانين والنظريات في مجال التعليم والتعلم ، لذلك ينظر للتدريس كفن ويقصد به الأسلوب الذي يتبعه المعلم بغرض تذويد التلاميذ بالخبرات العلمية ، فالتدريس كعلم يعلمنا كيف نعرف ، ويعلمنا كيف نعمل. والعلم والفن في التدريس متداخلان ، ويكتسبهما المدرس عن طريق الاستعداد والممارسة. فالجانب النظري هو العلم والعملي التطبيقي هو الفن. إن الاهتمام بمهنة التعليم يعد من أهم الخطوات علي طريق إصلاح التعليم ، لأن تطوير نوعية التعليم لا تتم إلا من خلال المعلم. فالاهتمام بمهنة التعليم في أي مجتمع من المجتمعات إنما ينطلق من البصمات التي يتركها المعلم علي سلوكيات تلاميذه وطلابه وأخلاقهم وعقولهم وشخصياتهم. وبطبيعة الحال يتفاوت التلاميذ في مستوي الذكاء ومستوي الاستيعاب وتتفاوت المواد الدراسية في صعوبتها وطبيعتها ، وهذا بالتالي يضاعف مسئولية المعلم لكي يبذل أقصي ما لديه من جهد وطاقة في توضيح المادة الدراسية ، ومحاولة دعوة التلميذ للمشاركة مع التلاميذ في الأنشطة التعليمية لإكسابهم المهارات المختلفة ويستلزم ذلك من المدرس ما يلي:

• الإعداد الجيد والتحضير الأمثل لسيناريو التدريس فلا يصح للمدرس أن يعتمد علي معرفته المسبقة بالمادة الدراسية وأن يقدم دروسه بشكل متطور دائماً ، ويعمل علي تحديث طريقة العرض فلا يجب أن يقوم المعلم بتأدية عمله بشكل روتيني غير مهتم بمدي فهم واستيعاب تلاميذه. فيجب أن يخطط المعلم قبل إلقاء الدرس في كيفية طرح المادة العلمية بأفضل الطرق. • استثارة فكر التلميذ ودعوته إلي المشاركة ودفعه للتساؤل وإدارة الحوار بين التلاميذ حول الموضوع وتدريب التلاميذ علي النقد والتفكير العلمي ، لأن الاعتماد علي الحفظ والتلقين طريقة تخلق حاله من التبلد الذهني وعدم القدرة علي استثمار المعرفة داخل الحياة العملية وتعيق عملية الإبداع والابتكار. • الاجتهاد في شرح الدروس ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ والتأكيد علي وضوح الفكرة لجميع المتعلمين وذلك بالاستعانة بمختلف وسائل الإيضاح وطرح الأمثلة والرسومات لمساعدة التلميذ علي استيعاب الدروس بشكل سليم. • تشويق التلاميذ وترغيبهم في المادة الدراسية والتحدث بأسلوب يثير الرغبة في التشويق للتعلم وحب المعرفة ومتابعة التفاصيل حتى يشدهم ويجذبهم إلي حب التعلم ، وقد يحدث العكس فيهمل المعلم هذا الجزء فيؤدي ذلك إلي نفور التلاميذ وعدم محبتهم للمادة الدراسية ابتداء ، وقد يؤدي إلي نفور المتعلم من المدرسة بوجه عام. • الاهتمام بالحالات الخاصة داخل الفصل وتحديدها والعمل علي علاجها والتعرف علي أسبابها ، والعمل بجد علي علاج هذه الحالات. فقد يحتاج التلميذ إلي برنامج علاجي وهو في حاجة إلي المساعدة لتجاوز تلك الحالة التي تعيقه بالتأكيد عن ممارسة الأنشطة التعليمية. وهذا دور المعلم المربي في العمل وبسرعة علي معالجة هذه العوائق لمساعدة تلاميذه علي التقدم في التعلم).هـ. وتحت عنوان: (الثقافة العامة للمعلم) يقول

الأستاذ طه فارس متناولاً ثقافة المعلم بالنقد: (تَنَوُّع الأحداثِ وتباينُهَا في غُرْفَة الفصل يتَطلَّب منَ المُعَلِّم قَدْرَاً منَ الحِكْمَة كَرَدِّ فعلٍ لهذه الأحداث ، وهو ما لا يمكنُ أن يقوم به بنجاحٍ من يفتقر إلى قَدْرٍ معقولٍ منَ الفِطْنَة والذَّكاءِ اللازمين في مثل هذه الحالات ، ولذلك ينبغي أن يتمتع المعلِّمُ بقَدْرٍ منَ الذَّكاء والفِطْنة يُمَكِّنَانه منَ التَّصرُّف بطريقةٍ سريعة ومناسبة في مواقف مختلفة. ولذلك كانتِ الفَطَانَةُ والذَّكَاء وثقوبُ الرَّأي من أبرز صفات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وذلك ليُعَلِّمُوا النَّاسَ ، ويجادِلُوا المُنكرين ، ويقْنِعُوا المُعْرِضِين ؛ لأنَّ المُغَفَّلَ قليلَ الفِطْنَة لا يمكنه إقامةُ الحُجَّة على صدق دعواه ، كما أنَّه لا يستطيع أن يقنع الآخرين بالحقِّ الذي جاء به. ومن هنا فلا بُدَّ للمُعلِّم من أن يَتَمَتَّعَ بِقَدْرٍ منَ الثَّقافَة العامَّة في شتى مجالات المعرفة ، لِتُعِينَه على فهم الطبيعة والمجتمع ، وتُمَكِّنَه من إدراك ما يترتب على عمله من خير أو شرٍّ ، وتساعدَهُ على إدرَاك القيم الخُلُقية والمبادئ العلمية والمفاهيم الفنية ، وطبيعة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومنَ الأهميَّة بمكان: أن يَعْرِف المُعَلِّم مصادرَ تلك المعرفة ، وكيفيةَ الحصول عليها ؛ لأنَّهُ يَتَعرَّضُ في أحيان كثيرة لاستفسارات الطُّلاب حولَ موضوعاتٍ مُتَنوِّعة من حيث الكمُّ ومجالاتُ المعرفة ، وما لم تكن لديه إجابةٌ حاضِرَة فيجب عليه أن يعرِف كيف يحصل عليها ، بأقل جهد وأقصر وقت ، سواء كان ذلك من الموسوعات أو المكتبات أو دوائر المعارف أو مصادر التقنية الحديثة. لذا يَحْسُن بالمعلِّم أن يكون قارئًا دائمَ الاطلاع ، متابعاً لأَحْدَث المُسْتَجِدَّات ، يملك القدرةَ على فهم وتحليل ما يقرأ وما يسمع ، ليكون ذلك له رَافِدَاً إيجابياً في مجال التَّربية والتَّعليم. ولذلك قال العلماء: ينبغي على طالب العلم أن يعلم كل شيء عن شيء ، وشيئاً عن كل شيء. ويقصدون بالأولى التخصص ، وبالثانية الثقافة العامة. وفَهْمُ الذَّات ، والرِّضَا والقناعة ، والإحاطة بالواقع ، صفاتٌ لا بُدَّ لكلِّ مُعَلِّمٍ أن يَتَمَتَّع بقدرٍ مرتفعٍ منها ، فلا بدَّ له من فهم ذاتِه ، ومعرفةِ خصائِصه وقُدْرَاته ، وأن يرضى بعد ذلك بما قَسَمَ اللهُ تعالى له ، ويقنعَ بما أقامَهُ الله فيه ، ويتفهَّمَ ظروفَ حياته المختلفة ، وظروفَ عملِهِ العظيم الذي اختارَهُ اللهُ له ، كلُّ ذلك يؤدي إلى: الوصولِ إلى السَّواء النَّفسيِّ ، والعملِ على مساعدة الآخرين والتَّعاونِ معهم ، واكتشافِ مثالبِ النَّفس ، والعملِ على تقويمها ، وتطويرِ الذَّاتِ بشكلٍ مستمر ، ممَّا يجعل منه شخصيةً فاعلَةً مؤثِّرَةً ، مُتَفَائلةً مَرِحةً ، منفتحةَ الفكر ، ومنشرحة الصدر).هـ. ويقول الشيخ صالح بن عبد الله الحمد تحت عنوان: (فقه المعلم) ما نصه: (لا شك أن الثقافة مطلب هام في حياة الأمم والشعوب مهما بلغت قدرتهم في التعليم ، لكن المعلم الذي هو جزء من حياة الأمة له أهم وأشمل المطالب ، ذلك أن هذه الثقافة ـ وأقصد ثقافة المعلم ـ سوف تنتقل إلى تلاميذه بدون شك مهما كان مستواهم الدراسي ، والمقصود بالثقافة العامة هي الثقافة الإنسانية الواسعة التي تهيئ للمعلم أسباب الاندماج بالمجتمع ومتابعة الحياة والقيم ، فإذا كان المعلم محروماً من هذا ، عاش في ظلام دامس لا نوافذ له على المجتمع الصغير العالم الكبير ، ولذا يحتاج المعلم في نظر المربين إلى قدر من الثقافة العامة ، إلى جانب إلمامه التام بفروع المعرفة الأخرى ، خاصة ما يقوم بتدريسه ، ذلك لأن وظيفة المعلم ليست نقل المعلومات إلى التلاميذ وكفى ، بل إن وظيفته ومهمته أشمل من ذلك ، حيث إنه مطالب بتثقيف تلاميذه ، ونقلهم من واقع الحياة التي يعيشونها إلى مواقع أخرى وإلى معلومات أخرى أيضاً تفيدهم في حياتهم وفي مماتهم وحاضرهم ومستقبلهم ، كما أن تزويد التلاميذ بالعادات العقلية الصحيحة ، والمعلومات والمفهومات والمهارات المختلفة ، وتهذيب نفوسهم ومساعدتهم على تكوين مثل عليا وقيم وعادات اجتماعية واتجاهات وأذواق إلى جانب استعداداتهم ، وتوجيه قدراتهم ، وذلك يتطلب من المعلم معرفة معلومات كثيرة غير مادة تخصصه ، ولذا يرى المربون أن المعلم يجب ألا يترك علماً أو فناً من الفنون إلا نظر فيه ، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه فهذا عين

الصواب! وإلا فقد استفاد وأفاد ، وعلى المعلم أن يعتني من كل علم بالأهم فالأهم ، إن وظيفة المعلم ليست هي تلقين المعلومات وإنهاء المقررآخر العام وكفى ، وإنما مهمته أكبر من ذلك ، فهو مرب ومعلم ومدرس وفوق هذا كله هو القدوة التي يقتدي بها التلاميذ في حركاتهم وتصرفاتهم وعاداتهم وكل ما يرون في المعلم من خير أو ضده وإضافة إلى ما ذكر عليه تقديم التلميذ لمجتمعه وتقديم ثقافة المجتمع للتلميذ ، وهذا التقديم يتطلب من المعلم أن يعرف الثقافة بقدر ما يعرف التلميذ والحد الأدنى للمعرفة هو إدارك المعلم من كل علم ما ينفي عنه سمة الجهل ، ويجعله عارفاً بأصوله والمبادئ الأكثر أهمية فيه ، فإذا تمكن المعلم من الإلمام بدقائق هذه العلوم ، واتسع لذلك واقعه ، وساعدته إمكاناته ، فذلك أمر مستحب ، لما لهذه المعرفة من أثر في اتساع آفاق معرفته وتقديمه لتعليم جيد ، ولقد أصبح التربويون الآن على يقين بأن المعلم بحاجة إلى معرفة عامة تتمثل في أساليب مبادئ العلوم المختلفة ، يمكن أن تضفي هذه المعرفة على أسلوب المعلم مرونة في التعليم وتنوعاً في المعلومات التي يمكن أن يقدمها للتلاميذ ، حسب ما تمليه عليه المناسبة التربوية ، حيث قال بعضهم: يجب على المعلم ألا يدع فناً من العلوم إلا نظر فيه ، ويعتني من كل علم بالأهم فالأهم ، وخلاصة القول: إن المعلم مطالب بأن يحرص كل الحرص على أن يقدم لتلاميذه شيئاً ينفعهم في حياتهم ومستقبلهم ، وينقلهم من واقعهم الدراسي وجوّه إلى جوانب أخرى من جوانب الحياة المختلفة ، التي ولا شك هم بحاجة إليها ، وأن يحاول قدر المستطاع أن يعوّد تلاميذه على البحث والاطلاع).هـ. وتحت عنوان: (هيبة المعلم في خبر كان!) يقول الأستاذ خالد الحامد ما نصه: (شهد التاريخ للمعلم بالرفعة والاحترام ، فكان ذا هيبة ، هو الأمين المستشار ، والعمود الفقري لعملية التعليم ومحورها الأساس ، وهو إحدى زوايا وأضلاع المثلث في المدرسة ، وهمزة الوصل بين الطالب والمعرفة. فكان الطالب يهاب أستاذه أينما رآه لأن أباه هكذا رباه ، فمن يجرؤ على رفع بصره فضلاً عن أن ينطق ببنت شفة إلا ما كان في محله؟ وإن لم يمنعه الخوف فلا أقلَّ من الحياء ، وعندما يتكلم المعلم تُصغي له الآذان والقلوب واعية والأبصار شاخصة ، وما حملهم على ذلك غير الحب للمعلم واحترامه. أما اليوم ، فقد انتُزع من المعلم كثير من هيبته ، وأصبح معرضاً لانتقام طلابه إن عنّف أحداً أو لامه على خطأ ارتكبه ، ما دفع بعديد من المعلمين إلى التردد في عقاب طلابهم. هو في هذا بين نارين ؛ إما أن يمارس دوره كاملاً في التوجيه ، ومن ثم يتعرَّض للانتقام والإهانة من طلابه ، أو يُحجم عن ذلك فيتهمونه بالجبن والضعف).هـ. وتحت عنوان: (فتِّش عن نظام التعليم!) يقول الأستاذ خالد حمد العبيد ما نصه: (إن نظام التعليم مسؤول عن زوال هيبة المعلم. ويرى أن المعلم الناجح هو من يستطيع ضبط طلابه داخل المدرسة ، رغم الصلاحيات المنزوعة منه التي كانت متاحة لغيره من المعلمين في السابق ، التي لن تعود إلا بعد أن يتم تثقيف المجتمع بأهمية دور المعلم من خلال عدة محاور ، ولا أقول بأن الضرب مقرون بإعادة هيبة المعلم فهذا الكلام غير منطقي إطلاقاً»).هـ. أما المعلم سلطان فالح الحيص فيقول تحت عنوان: (هيبة المعلم في صلاحياته) ما نصه: (إن وضع المعلم ، في الوقت الراهن ، جيد من ناحية بيئة المدرسة والإمكانات والتطور في المناهج ومواكبتها كل ما هو جديد ومفيد ، وأن أداء المعلم لم يختلف بين الأمس واليوم ، فالإخلاص موجود ، والرغبة في تعليم أبنائه الطلاب موجودة ، لكن صلاحيات المعلم لم تعد كما كانت في الماضي ، ما أفقده كثيراً من دوره وهيبته. وأكد أن هيبة المعلم لن تعود إلا إذا استرد صلاحياته السابقة داخل المدرسة ، ووجد الحماية من مرجعه ؛ كما يجب توفير متطلبات كثيرة تنقص المعلمين من تأمين صحي وإيجاد أندية خاصة بالمعلمين وبعض التسهيلات الأخرى. ويرى أن التقيد بالتفاصيل الدقيقة للنظام ، وليس روح النظام ، هو ما أوصل المعلم إلى ما هو عليه اليوم ، فضلاً عن عوامل أخرى من إعلام وبيئة

خارجية لا تعطي المعلم ، أحياناً ، وضعه ومكانه المناسب).هـ. ويرى المعلم حمود الهزيم أن المعلم يتجرَّع اليوم من طلابه ما لا تطيب له نفسه ، ويعاني من بيئة تعليمية وتربوية خاوية بسبب ما يصفه بأنظمة تعسفية ، ويردد قول الشاعر: إن لم تطب نفس المعلم ، لم تجد شيئاً يطيب. ويقول: إن وزال هيبة المعلم أضاع هيبة الأب والأم والأخ والأخت وغيرهم ، في إشارة إلى تغير أوسع للأخلاق ، ويضرب على ذلك مثلاً فيقول في السابق كان الشاب المخالف لقاعدة مرورية ، لا يجادل رجل المرور بسبب الهيبة المستمدة من معلمه داخل المدرسة ، أما الآن فلا المعلم سلم من هذا الأذى ، ولا رجل الأمن سلم. وقال: إن الهيبة لن تعود إلى الجميع إلا بعودة هيبة المعلم ، أما متى؟ وكيف؟ فهذا في يد وزارة التربية متى أرادت. ويضيف الهزيم قائلاً ، المعلم جزء رئيس من مكونات المنظومة التعليمية ، وكانت هيبته تسبق حضوره إلى الفصل وترافقه خارج المدرسة ، وكانت معنوياته مرتفعة ، بل كان وسيطاً يدير الصراع بين المعرفة والطالب مطلق العنان. أما الآن فقد أصبح المعلم مجرد ناقل للمعرفة ويشعر بأنه تابع مسير لا مسؤول مخير ، ما أحدث شرخاً في العلاقة بين وزارة التربية والتعليم وبين المعلم. وقال إن هناك ضغوطات كبيرة تمارس على المعلم بشكل جعل عديداً من المعلمين يفكرون بجدية في ترك مهنة التدريس والتحول إلى وظائف إدارية بسبب الروتين الذي طغى على الميدان التربوي. ويؤكد أن النظام جعل المعلم الحالي في هذه الصورة المتدنية في ظل أنظمة تعليمية قيدت حركة المعلم وجعلته عاجزاً عن إظهار قدراته ومواهبه ، إلى جانب قلة اهتمام وزارة التربية والتعليم بالمعلم ، فلا حوافز تشجيعية ولا تكريم ، بالإضافة إلى تحميله فوق عاتقه ما لا يطيق من قرارات ، ومناهج ، وحصص كثيرة تتعدى العشرين ، إضافة إلى ما يشرف عليه المعلم من أعمال داخل المدرسة وأنشطة كثيرة يشارك فيها ، في الوقت الذي أصبح فيه المعلم يتعامل مع نوعية من الطلبة ليس لكثير منهم من همٍّ سوى النجاح بأي طريقة كانت دون الاهتمام بالتحصيل العلمي ، وسط أجواء لم تعد تكفل للمعلم القدر الكافي من التقدير والاحترام. ويخلص إلى أن البيئة التعليمية الآن أصبحت طاردة للمعلم وجاذبة للطالب ، فوضوياً وليس تعليمياً ، حيث سمح له بالتطاول على معلميه وزملائه باللسان إن لم يكن باليد داخل المدرسة وخارجها ، معتبراً أن طلبات التسرب التي ترد للوزارة أكبر دليل - من وجهة نظره - على تدني مستوى البيئة).هـ. ويبين المعلم عادل حميدان العتيبي فيقول: (إن مفهوم هيبة المعلم في هذا الزمن تغير ، فقد كانت الهيبة في السابق تعني الخوف من المعلم ، ويعد الخوف المعيق الأساس للتفكير ، فهل نحن نريد أنْ نُخرج نشئاً عالة على غيرهم؟ أمّا الآن فإن هيبة المعلم يُعبّر عنها الطالب بأشياء أخرى كـالتقدير للمعلم والانتباه لما يقول والأخذ بنصيحة المعلم. وما إلى ذلك. ويشير إلى أنّ التعليم عمل يحتاج إلى صبر مستمر ، فمواقفه تتكرر فهو يتّصف بالمشقة ، وثماره لا تقطف إلا بعد زمن. ويؤكد العتيبي أن هيبة المعلم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشخصيته ، فمتى ما حفظ المعلم كلماته ، وجعل ألفاظه بعيدةً عن الاستهزاء والتشفي من الطالب ، وابتعد عن الجدل الخارج عن المادة التعليمية ، وتعامل مع طلابه كمعاملته أبناءه ، مع صدق نية ؛ وجد هيبته واحترام طلابه له ، مع الحاجة إلى إضافة صلاحيات جديدة للمعلم كأنّ تكون لكل مادة درجات سلوك خاصة بها ، وتحديد المخالفة السلوكية التي تحتاج إلى الضرب. مضيفا أن النظام يتحمل جزءاً من هذه الحالة ، لأنه قطع شوطاً في التطور ، وتبنى أفكاراً جديدة ، ولم يطور مهارات المعلم ، وطور المدارس ولم يطور إمكانات المعلم. ويرى أن على المعلم أن يُعيد النظر في مهامه ، وأسلوبه ، وطريقته داخل مدرسته ، فمثلاً المرحلة الثانوية التي غالباً ما يكون فيها الطالب صاحب إلحاح ومكابرة ؛ على المعلم هنا أن يتصف بالمرونة والنقاش والجدية في تعامله ، بخلاف طالب المرحلة الابتدائية ، حيث يقوم المعلم هنا بالتشجيع واللين معهم. وقال مازلنا بحاجة إلى مزيد من التطوير

والتدريب للمعلم لكي يستوعب وضعه الحالي ويخرج من دائرة الماضي).هـ. أما المعلم فهد غازي العتيبي فيقول: (إن الوضع الحالي للمعلم داخل المدرسة غير مريح له ، مادام يتجاوز الطالب وولي أمره على حقوق المعلم تحت ظل صمت من إدارة المدرسة التي ليست لها الصلاحيات الكافية لاتخاذ الإجراءات الكفيلة برد حق المعلم وهيبته. وقال قد تجد معلم الابتدائي ربما أقل معاناة من معلمي المرحلتين المتوسطة والثانوية الذين يعانون أشد المعاناة من الطلاب وأولياء أمورهم في الوقت الراهن. ولفت إلى أن المعلم هو الركيزة الأساسية في العملية التعليمية ، مؤكداً ضرورة العمل على توفير البيئة المناسبة له لكي يؤدي عمله مرتاح البال بعيداً عن كل ما يؤثر فيه من جوانب متعددة ، لاسيّما إذا علمنا أن المعلم يقوم بأعمال كثيرة داخل المدرسة كالإشراف اليومي والتحضير والتصحيح والرصد وغيرها من الأعمال التي تثقل كاهل المعلم. وأضاف: إن المعلم ، قديماً ، كانت له قيمته الاجتماعية وهيبته واحترامه على العكس من المعلم الحالي ، راداً ذلك إلى أسلوب التربية للطالب داخل أسرته منذ الصغر وتعويده على سلوك خاطئ والدفاع عن سلوكه الخاطئ ، على العكس من السابق فقد كان ولي الأمر يهدد الطالب إذا أخطأ ، ويتعاون مع المعلم في الضغط على ابنه حتى يبرز تعليمياً وخلقياً. وقال: إذا رجعنا إلى الميدان التربوي على أرض الواقع سنجد الطالب الضعيف هو من تربى على الدلال الزائد لدى بعض الأسر ، أما الطالب المميز فتجد خلفه ولي أمر يستخدم معه مبدأ الثواب والعقاب أحياناً ومبدأ التشجيع أحياناً أخرى ، بل تجد بعض الطلاب المدللين ربما لا يستطيعون مواصلة تعليمهم ويتوقّفون عند مرحلة معينة. ويرى أن هيبة المعلم تكمن في تطبيق مبدأ الثواب والعقاب وإعادة طريقة محاسبة الطالب التي كانت تستخدم من قبل، وربما اللجوء إلى الضرب في بعض المواقف ولكن بشروط. وأضاف قائلاً قد نجد العذر لبعض الناس الرافضين لاستخدام بعض المعلمين الضرب بطرق غير صحيحة ، ولذلك منعت وزارة التربية والتعليم الضرب في المدارس. لكنه يطالب بوضع شروط للعقاب ، بحيث يمارس تحت إشراف مباشر من مدير المدرسة ووكيله لأنهما لم يتم ترشيحهما لهذا الموقع التعليمي الحساس إلا لكفاءتهما. وقال: نتمنى أن يُمنح مدير المدرسة الصلاحية للضرب (غير المبرح) والعقاب بضوابط وأمام لجنة من زملائه المعلمين حتى يرتدع الطلاب وتسير العملية التعليمية ، كما يجب بدلاً مما هو حاصل الآن حيث يخطئ الطالب وربما يتجرأ بالاعتداء على معلمه ومع ذلك لا يناله من الجزاء سوى استدعاء ولي أمره وتعهّد لا يسمن ولا يغني من جوع).هـ. تقول الأستاذة لبنى الزيتاوي ما نصه: (يحدثني أبي دائماً عن العلاقة التي كانت تربط بينه وبين معلميه سابقاً ، وعن مدى المحبة والاحترام لهم ، حيث كان يذهب الى المدرسة في قمة الحماس والشغف لرؤية ، وسماع الحصة من معلميه لأن المعلم كان هو المرجع الأساسي له ، ويروي لي قصصاً عن ردة فعله عندما يرى أحد المعلمين في الطريق أو في أحد الشوارع ، ومن شدة خوفه واحترامه لهم كان يغير مجرى الطريق! ومن شدة احترامه للمعلم كان يقف أمامه دون أن يجادله ، حتى ولو كان هو على حق وصواب في أي موضوع. وأتعجب من الطلبة الذين يشعلون السجائر أمام معلميهم دون أي خجل! أتعجب من ردة فعل الطلبة إذا تعرضوا لأي توبيخ من معلميهم في الحصة ، أتعجب من طريقة الرد على المعلم وجداله بشكل غير لائق تربوياً وأخلاقياً! وأتساءل: هل ابتعدت مهنة التعليم عن الرقي الذي عهدناه سابقاً؟ هل أصبح المعلم معرضاً لعدم الاحترام والاستهزاء من قبل الطالب والمجتمع؟! هل لا زلنا نعتبر العلم هو الركيزة الأساسية لانطلاق وتطور الأمة في جميع مجالات الحياة؟ إنَ المعلم كان وما زال هو اللبنة الأساسية لبناء مجتمع كامل متكامل متناسق ، مجتمع تربوي وأخلاقي ، مجتمع من الفضيلة والمعرفة ، المعلم كان وما زال يحظى بأهمية في المجتمع ، ولكن ما هي الظروف والمتغيرات في ثقافة المجتمع الجديدة تلك التي

غيرت هذه النظرة الى المعلم؟ ومن هو المسؤول عن القصور الناتج في تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات داخل المدرسة ، وداخل الغرفة الصفية؟ وهل ظروف التغيير هذه طالت المعلم بمخالبها فأصبح موضع تهكم واستهزاء؟ والحقيقة أن العديد من الأسباب التي قد تكون هي وراء تقليل هيبة المعلم وتغيير مكانته في المجتمع ، سأتناول أهمها في نظري وهو المعلم نفسه الذي قد يتحمل جانباً هاماً من تراجع هيبته أمام طلبته ، وذلك يعود الى أسلوبه في التعامل مع الطلبة ، لأن المعلم هو المسؤول الأول والأخير عن إثبات شخصيته داخل الغرفة الصفيّة وأمام طلبته ، والطالب لا يتمادى أبداً أمام المعلم صاحب الشخصية القوية ، والقرار الصارم ، والعقاب الرادع ، وهذه الصفات لا يمكن أن تتعارض أبداً مع عطاء المعلم الكبير لطلبته. والعامل الثاني والهام جداً والذي يؤثر على حياة المعلم بشكل كبير وبالتالي نفسيته هو العامل الاقتصادي ، ومن منا لا يتفق على أنَ راتب المعلم ضئيل نسبياً فهو لا يكفي لسد حاجاته وبالتالي يؤثر سلبياً ونفسياً عليه وعلى عطائه للطالب وبالتالي لا يكترث لمقدار احترام الطالب له لأنه قد يصل الى مرحلة لا يكون فيها العطاء بشكل كامل بسبب قلة التقدير المادي. وقد يلعب العامل الثالث وهو العامل الاجتماعي دوراً كبيراً في هذا الموضوع وهو من خلال تقدير دور المعلم وزيادة وعي الأهل لأبنائهم على إبداء الاحترام والسلوكيات الحميدة ، وهذا يعيد للمعلم جزءاً كبيراً من هيبته إضافة إلى تفعيل القوانين والأنظمة التي تحكم بين الطالب والمعلم. كما أن التربية الخاطئة للأبناء بحيث يأخذ الطالب كل شيء يريده من والديه ، ويأتي الى المدرسة ليفرض شخصيته على المعلم بتشجيع من بعض الأهالي ، وغياب حملات التوعية التي تحث وتذكر الطلاب دائماً بكيفية التعامل مع معلميهم لأنَ الطالب الذي لا يستطيع احترام معلمه لا يمكن أن يبدي أي احترام لوالديه أو عائلته حتَى قد يكون أيضاً دخول التكنولوجيا بشكل كبير في حياة طلابنا ، يجعلهم يؤمنون بعدم أهمية المعلم لأنه في السابق كان المعلم هو المصدر الوحيد للمعرفة والمعلومة! أما الآن فاعتماد الطالب على التكنولوجيا الحديثة بشكل كبير دون الاكتراث والاستماع لمعلومات المعلم ، وتشجيع الأهل لإحضار أساتذة خصوصيين لأبنائهم دون الاكتراث للسبب أو لأهمية ذلك كارثة كبيرة للأسف. إنَ وزارات التربية والتعليم لم تسهم عبر العقود الماضية بالنظر أو الالتفات إلى مكانة المعلم ووصوله إلى درجة من العلو والرقي بل كانت أحياناً معنية في تراجع هيبته لعدم دفاعها عنه والوقوف بجانبه في إصدار وسن التشريعات وتعديلها بشكل يحقق توازن العملية التربوية ، ودعمه مادياً ومعنوياً بحيث تجعله يتخلى عن العمل الإضافي بعد الدوام بأعمال لا تمت بصلة للتدريس. ومع مولد نقابة ديمقراطية مستقلة للمعلمين بدأت بهذه الخطوة تعود للمعلمين جزء من هيبتهم وترعى مصالحهم ، وتعمل على تحسين شروط وظروف بيئة العمل وتنمي قدرات العاملين في مجال التعليم وتعطيهم بعض الامتيازات التي من شأنها أن تحفظ مكانتهم داخل المجتمع وتحسّن من العامل النفسي لشخصيتهم ، ونأمل أن تبقى وتستمر هي الداعم والسند للمعلمين جميعاً. مجتمعنا هو فخرنا ، فخرنا بأن نبني جيل يعلم ، ويعرف ، ويعمل ، جيل قوي الشخصية ، سنداً للوطن ، يتحمل المسؤولية ، يمتلك الطموح والقوة والثقافة والتصرف والإبداع ، وحتى نصل إلى هذا المجتمع المثالي لا بد من تقدير المعلم الذي يعتبر الركيزة الأساسية في هذا المجتمع ، كيف لا يكون كذلك وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إنَما بعثت معلماً)؟ فالمعلم هو مربي أجيال وناقل ثقافة المجتمع من جيل الراشدين إلى جيل الناشئين ، ومهنة المعلم ليست وظيفة ، وإنَما رسالة مقدَسة وسامية تحدث عنها الرسل والأنبياء ورجال الدين والفلاسفة على مر العصور والأجيال. والمعلم هو القائد التربوي الميداني الذي يخوض معركته ضد الجهل والتخلف ببسالة وشجاعة فائقة وسلاحه دائماً الايمان بالله ونور العلم).هـ. ويقول الأستاذ خالد أبو ذراع: (على النقيض كان يعتري الطالب

الخوف والهلع من المعلم في الوقت السابق ، حينما كان للمعلم هيبته إذا ظهر في مكان ما ، تجد التلميذ يسلك فجًا آخر خوفاً من مواجهته. وفي وقتنا الحاضر ، أُستعمِر هذا الخوف والهلع بشيء من الوقاحة وقلة الأدب ، وإن لم أبالغ فربما بعضهم يطلب من معلمه سيجارة الدخان أو يحضر معه موكب تفحيط أو يقوم معه بجولة سريعة على إحدى الأسواق ، لا سيما طلاب الثانوية. ينص التعميم الأول: على أن المعلم (لا يحق لك مقاومة الطالب حتى يطرحه الطالب أرضاً!) ، بعد ذلك التهجم القبيح. أو سمِّهِ ما شئتَ!! ؛ يحق للمعلم الدفاع فقط عن ذاته التي أُنتهكت ، وإلا فإنه غير مخول للدفاع عن نفسه ، أو بعبارة أوضح ؛ لو صُفع على خده من يدِ طالبٍ متمردٍ! ، أو رُكل بركلة طائشة ، في هذه الحالة. يكتفي المعلم برفع برقية للوزارة! كأقصى حدٍّ للمقاومة ؛ خشيةَ النقل التأديبي. ينص التعميم الثاني على أنه لا ضرب ، لا توقيف ، لا توبيخ ، لا همس ؛ لأن ما سبق له آثار عكسية على الطالب ؛ فهي تؤثر سلبياً على مستقبله وحياته الصحية والاجتماعية والتحصيلية ، وكما تنص المادة على احترامهم وتقديرهم وتعزيز ثقتهم بأنفسهم. إني لا أتصنع الطرافة ولا أتعمد الإثارة ، ولكن هذه هي الحقيقة الغامضة التي يوقّع أدناها كل معلم ومدير مدرسة سنوياً. إن مثل هذه التعاميم لا شك أنها تستوقف عمل المعلم ، وتجعل منه بليد الحس ، لا يسعى للنصح والإرشاد ، ولا يُنمّي مواهبَ أبنائِه الطلاب. وحينما أقول إن وزارة التربية والتعليم بترت الدور الحقيقي للمعلم ، وسلبت منه سلاح الضرب ـ غير المُبرح ـ فهذه حقيقة لا يخفي معالمها أي معلم مثابر ومجتهد. منع المعلم من الضرب ليس بحل جوهري من خلاله تنحل المعضلة. كما أن الضرب هو العلاج الشافي ، ولو اقتصرت صلاحيتُهُ على المدير ووكيلِه لتحقق الحلَّ الكافي ؛ لأنه يعزز في الطالب مهابة المعلم التي فُقدت ، وكفيل أيضا بزرع السكينة في ثنايا المدرسة بدلا من الضجيج والإزعاج. أقولها بصريح العبارة إننا بالفعل نحتاج لإدارة متفهمة ، وسبق لها أن خاضت تجربة ميدانية عملية ، لا مجرد إداريين ومشرفين على الكراسي الدوارة ، الذين لم يكن لهم أي باع في التدريس ، بل لم يكن لهم إلا إصدار الأوامر على المعلم ، حتى أصبح في زنقة).هـ. وتحت عنوان: (المعلم الحيران بين شوقي وطوقان) تقول الأستاذة ترفة العنزي في عيد المعلم ما نصه: (تكريم المعلم يكون بتوفير الإمكانات وتهيئة الجو الجاذب لمهنة التعليم. فلقد احتفلت جموع المعلمين بيوم المعلم وبهذه المناسبة نبارك لهم هذا الاحتفال السنوي البروتوكولي ، وتكريم المعلم من المفترض أنْ لا يقتصرعلى يوم نتذكر فيه فضل المعلم ، ثم ينتهي ولذلك فإن تكريم المعلم لا يجب أن يكون في أيام معدودة بل على مدار العام ، فعملهم المجتمعي والقيم التي يغرسونها يجنى ثمرها في كل وقت وحين! وليس هناك في هذه الدنيا من يستحق تكريماً مثل المعلم! فكل مهنة أخرى خرجت من تحت يده ، وصاغت كلماته وأحرفه مجهودات المعلمين ، فهو الطبيب الأول للمجتمع وهو مهندس البناء ، ولقد سبق هذه الاحتفالات احتفال رباني للمعلم منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها. وفي ديننا الحنيف كان للمعلم مكانته اللائقة به وتفضيله بالمكانة على الآخرين فقال الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: {قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون}. وقال أيضا: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} ، وكرمهم معلم الإنسانية الحبيب المصطفى عليه صلوات ربي وتسليماته ، حيث رفع من درجتهم وبين مقدار فضلهم في معنى حديثه ، حيث يقول: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم). ثم قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأراضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليُصلون على معلم الناس الخير). أو كما قال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. والمعلم كلمة جامعة تشمل كل من يقوم بمهنة التعليم. وأما اصطلاحاً فتعني جموع العاملين في وزارة التربية والتعليم والهيئات التعليمية التابعة لها ، بدءاً من مدارس رياض الأطفال وباقي المراحل

كقاعدة للهرم ، مروراً بالهيئات والجامعات ، وصولاً لقيادة الهرم وتكريم المعلم لا يكون في احتفالات أو أشعار تقال هنا وهناك! إنما يتم من خلال توفير كافة الإمكانات بتهيئة وخلق الجوالجاذب لمهنة التعليم وأن لا يقتصر ذلك على الجانب المالي ، بل يتعدى ذلك للجوانب النفسية وجعل هذه المهنة جاذبة إلى حد كبير من خلال المبنى المدرسي الملائم والمناهج الدراسية! وكذلك في تطبيق نظريات العلوم السلوكية والعلاقات الإنسانية فيما بين القيادات والمعلمين وفيما بينهم أنفسهم. فكم من مرة وقف الجميع تبجيلاً للمعلم استجابة لأميرالشعراء شوقي بقوله: «قف للمعلم وفه التبجيلا...كاد المعلم أن يكون رسولا» ، ثم بعد ذلك تنقلب الأمورعلى عقب ، فيُسام المعلم الضيم ، ويُخسف به وبجهوده الأرض من قبل بعض المسؤولين والقياديين. ولا أتجنى على أحد فآلاف الشكاوى هي على إدراج القياديين تطلب الإنصاف والرحمة ومع هوجة وسائل التواصل الاجتماعي انتشرت الشكاوى ، كما تنتشر النار في الهشيم ، ناهيك عن ذلك الكم الذي ينشر يومياً من خلال السلطة الرابعة ، ومن خلال أسماء مستعارة خشية ردة الفعل. ومع تسليمنا أن البعض منها يحمل صفة الكيدية إلا أن غالبها يحمل معاناة وعدم رضا وظيفي منشأه الإحساس بالغبن والظلم من قبل بعض القيادات التربوية ، ومشاكل وزارة التربية لا تعد ولا تحصى ، ولكن يجدر بنا أن نذكر البعض منها على سبيل المثال ، ومنها عدم عدالة التوزيع بين مدرسة وأخرى في المعلمين والمعلمات وأعداد الطلبة والإداريين ، ففيما تواجه بعض المدارس التخمة تعاني أخرى من النقص الشديد. وسبب ذلك واضح جلي كوضوح الشمس في رابعة النهار نتيجة لمنهجية وفوقية التعامل التي يمارسها بعض المديرين والمديرات ، ومزاجية وتمييز البعض لمعلم أو معلمة دون الآخر ، لأسباب تتعلق بنفوس مريضة تحكمها الطائفة أو القبيلة أو المصالح الانتخابية للبعض ، وظلم البعض في تقويم الكفاءة السنوية على معيار إذا أحبتك عيني ما ضامك الدهر ، ونتيجة ذلك تسرب وهروب من مقر العمل بالنقل أو الندب إلى مواقع أخرى).هـ. ويقول الأستاذ فتح وهبة ما نصه: (قم للمعلم وفه التبجيلا * كاد المعلم أن يكون رسولا. هذا الشعار الجميل أطلقه أمير الشعراء أحمد شوقي قبل سنين عديدة ، معترفاً بفضل المعلم في بناء الصرح العلمي ، ومكانته الراقية في المجتمع ، ودوره العظيم في رقي وازدهار الأمم من خلال رسالة التعليم. ومكانة المعلم معززة ومكرمة في الإسلام ، ويشهد على هذا التكريم العديد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. يقول تعالى: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} ، {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} ، ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم). وقد بات يتردد في الأوساط الاجتماعية عبارات حول تدني درجة هيبة المعلمين أمام طلابهم ذكوراً وإناثاً ، فهناك من يرى أن المعلم في السنوات الماضية كان يمتلك خاصية أمام طلابه لا يمتلكها معلمو الوقت الحاضر ، فإذا كان الأمر كذلك فمَن وراء سقوط هيبة المعلم؟ وأين اختفى وقع وتأثير قصيدة شوقي (قم للمعلم) من نفوس طلابنا بل ومن مجتمعنا؟ وما أهمية هيبة المعلم أمام طلابه؟ وماذا تعني كلمة الهيبة؟ إن الموضوع يحمل أبعاداً مختلفة وعوامل عديدة ، وهذه العوامل والأبعاد لها علاقة وطيدة بقضية تدني مكانة المعلم والتي نلمسها جيداً في واقعنا الحالي ، ومن هذه الأبعاد: * البعد الاقتصادي: فالرواتب المنخفضة للمعلمين مقارنة مع غيرهم من أصحاب المهن لها تأثير سلبي على مكانة المعلم ، فالمعلم الذي يفكر ويخطط ليوم تعليمي طويل ويتعب في التدريس لا يأخذ ما يستحقه من الراتب واليوم نحن نعيش تحت سلطان المادة! وغالباً ما يقيس الناس الأمور بمقاييس المادة! وحسب هذه المقاييس فإن الشيء غالي الثمن يكون عالي القيمة. *البعد الاجتماعي: هناك نظرة عند الكثيرين بأن مهنة التعليم لا يمارسها الا من كانت علاماته متدنية ومستواه التعليمي منخفضاً بحيث إن علاماته لم تؤهله لتعلم

موضوع مثل المحاماة أو الهندسة أو الطب ، فلم يكن له خيار إلا أن يصبح معلماً. وهذا الأمر أيضاً له علاقة بتدني مكانة المعلم ، نحن لا ننكر أن هناك بعض المعلمين غير المؤهلين بالمرة تم تعيينهم (بالواسطة). * البعد السياسي: المعلم الذي هو قائد تربوي لا يستطيع أن يعبر عن رأيه في هذه المناسبات بكل جرأة وصراحة أمام الطلاب فالمعلم الذي يتبنى أيديولوجية معينة وتياراً فكرياً أو سياسياً معيناً لا يستطيع إبداء موقفه بصراحة مما يقلل من هيبته ويضعف من شخصيته أمام الطلاب. *عدم وجود رؤية تربوية وتعليمية في المدارس ، وأكثر هذه الرؤى وللأسف موجودة في القوارير! لا يطلع عليها أحد ، فلا يوجد تخطيط واضح بين المعلم والطلاب أو بين المعلمين أنفسهم أو بين المعلمين والأهل ، كذلك لا يوجد رؤية تربوية وتعليمية توضح سياسية وبرامج المدرسة ، وتبين حقوق وواجبات الطالب ، حقوق وواجبات المعلم ، دستور للمدرسة وغيرها ، بمعنى أن هناك مسافات بين هذه الأجسام الأمر الذي قد يولد شكوكاً بين الأهل والمعلمين أو بين الأهل والمدرسة وهذا بدوره يولد النظرة السلبية تجاه المدرسة ، ومن ثم يقلل من مكانة المدرسة ومكانة المعلمين على السواء. * البعد الشخصي: بعض المعلمين من يستغلون الطلاب ويستخدمونهم لشراء حاجياتهم أو خدمتهم في أمور شخصية! وهذا في اعتقادي يقلل من قيمة المعلم ، كذلك بعض المعلمين من يدخلون الصفوف دون تحضير مسبق فيبدأ في دروسه ويلاحظ الطلاب أنه غير مستعد للدرس ، فيأتي بموضوع من هنا وموضوع من هناك لانهاء حصته ، فيشتت أذهان الطلاب ولا يأتي بفائدة تذكر ، بل يجعل الطلاب لا يعيرون للحصة اهتماماً ، وكذلك الأمر بالنسبة للمعلم. وإذن فهناك عدة عوامل ساهمت في اختفاء هيبة المعلم ، أضف إلى ذلك عقوق الوالدين وعدم احترام الكبير كثر بشكل عام حتى إنه طال المعلم! فالابن الذي يتطاول على والديه ، ما المانع لديه أن يتطاول على معلمه؟ ناهيك عن ظاهرة العنف المنتشرة في المجتمع ، والتي أثرت بشكل مباشر على هيبة المعلم. ومن الأسباب أيضاً وسائل الإعلام التي تقدم العديد من الأفلام الغثة والمسلسلات الرديئة التي تعرض المعلم بصورة مبتذلة غير محترمة! وبذلك تقدم صورة سلبية عن المعلم. بالإضافة إلى أن معظم أولياء الأمور متعلمون ، والكثيرون منهم على درجة عالية من الوعي حيث يساهمون في تعليم أبنائهم. أما النقطة الأخيرة التي أود أن أذكرها ، وهي دور الأهل والذي في كثير من الأحيان قد تحول من دور إيجابي إلى دور سلبي حيث إن الأهالي في الماضي كانوا يحترمون المعلم كثيراً. ويعلمون أبناءهم أهمية احترام المعلم ، بينما اليوم يشارك الأهل أبناءهم بالهجوم والوقوف على أي زلة تصدر من المعلم. والسبب هو كثرة الدلال الزائد للأبناء. إن مكانة المعلم الاجتماعية والتربوية قد اهتزت وتغيرت في أيامنا! فلم يعد المعلم هو الملك في صفه ولا ذاك الإنسان المحترم في مجتمعه. ففي زماننا حدث تغيير للأسوأ في مكانة المعلم ، ويعود ذلك للأسباب الآتية: * أن العالم في تقدم وتطور دائمين. والمعلم باق مكانه لا يواكب تكنولوجيا التعلم فنجده يعلم على طريقة هربارت القديمة (المعلم في المركز والطالب مجرد وعاء لاستقبال المعلومات). *عدم استعانة المعلم بوسائل التدريس الحديثة من أجل تحبيب الطلاب في الموضوع وتفهيمهم إياه! فنجد أن الطالب يتعلم عن طريق الحاسوب أضعافاً مضاعفة من ذلك الذي يتلقاه من أستاذه. *اتساع رقعة الثقافة لتشمل أوساطا واسعة في المجتمع ، دعا الكثيرين للتطاول على المعلم والنظر إليه نظرة مغايرة. *سهولة التزود بالمعلومات التعليمية والتربوية والثقافية المختلفة عن طريق الحاسوب عبر شبكة الإنترنت ، بعد أن كان المعلم هو المصدر الوحيد لاستقاء المعلومة. *راتب المعلم المتدني الأمر الذي يحتم عليه البحث عن مهنة إضافية يقلل من احترامه بين الناس. *هناك مقولة بأن المعلم نفسه هو أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط هيبته عند التلاميذ. إن المعلم هو أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط هيبته أمام تلاميذه وبالذات إذا

لم يكن يملك الأسلوب الماتع في التدريس ، ولم يكن متمكناً من المادة ابتداء. *أضف إلى ذلك نوعية المعلمين الذكور ، وبالذات في المستوى الثانوي ، الذين يجالسون طلابهم في المقاهي أو يدخنون معهم أو يلعبون السنوكر معهم أو ينزلقون إلى مستويات متدنية مسفة في الحديث معهم. فماذا نتوقع من الطالب حينها؟ * إننا بأمس الحاجة إلى المعلم الناجح الذي أحب مهنته واختارها بكامل إرادته انطلاقاً من إيمان كامل بأنها مهنة مقدسة سبقه إليها الأنبياء والمرسلون. نحن بحاجة إلى المعلم الناجح الذي يعرف كيف يدير صفه ويضبطه. - المعلم الناجح الذي يعرف كيفية التعامل مع المنهاج. - المعلم الناجح الذي يعرف كيفية التخطيط للتدريس. - المعلم الناجح الذي يعرف كيفية تجهيز واستعمال الوسائل التعليمية. - المعلم الناجح هو الذي يعرف كيفية تنفيذ الدرس. - المعلم الناجح الذي يعرف كيفية التعامل مع طلابه بحكمة وروية وصبر. وإذن فهيبة المعلم أمام طلابه مهمة جداً ، تلك الهيبة التي عرفها (جيمس بارنر وهارولد كانون) في كتابهما (هيبة المعلم أمام طلابه وأهميتها) هي: (أن يكون للمعلم تأثير ونفوذ مشروع على الطلاب ، وهي تختلف عن السلطة لاحتوائها على عنصر أخلاقي ، فهي لا تتضمن القسر وهي تكتسب وتتراكم). والهيبة تتطلب مراعاة قدر من الرسمية في العلاقة بين المعلم والطالب. ومن الأهمية بمكان إدراك الفارق بين منزلة المعلم ومنزلة الطالب ، فلا يجب إسقاط جميع الحواجز بينهما ، وعلى المعلم أن لا يقيم علاقة شخصية مع الطالب أو ينحاز لأحد الطلاب).هـ. ويقول الأستاذ عبد الغني بن ناجي القش المشرف التربوي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتحت عنوان: (سؤال ورؤية: هل يمكن أن نعيد للمعلم مكانته؟ ونحفظ له كرامته؟ ونغرس في طلابنا محبته؟) ، يقول ما نصه: (كان المعلم بالأمس شخصاً ذا مكانة اجتماعية ، لا يجرؤ أحد على التطاول عليه [طالب / ولي أمر / صحفي / ناقد / حاقد]. كفلت له وزارة المعارف (سابقاً) حقّه كاملاً غير منقوص ، ينعم بمدرسة طويلة الأجل يحوي كل فصل من فصولها نيفاً وعشرين طالباً ، لا تبعد عن منزله إلا دقائق معدودة ، ثم يعود منها ليمضي ما تبقّى من يومه بين أهله وذويه ، قلبه متعلق بطلابه منشغل بمدرسته ، فهو أب لأولئك الطلاب مخلص لذلك الكيان. وكان المعلمون قد وضعوا بصمتهم فكانت راسخة في أذهان أبنائهم فكانوا مربين بكل ما تعنيه الكلمة ، وكانت المخرجات رائعة لا تحتاج لمزيد تطوير أو تهذيب. وأما المعلّم اليوم فهو شخص قد جُرّد من كافة الصلاحيات ، فهو ممنوع من [إيقاف الطالب / ضربه / تأنيبه / إخراجه خارج الفصل / خصم درجاته / تهديده بخصم الدرجات]. أُقحم بعد أن بُتر جزء كبير من مرتّبه ، وسلب كثير من حقوقه بين أربعين طالباً أو يزيدون ، فبات حائراً بين تنظيم وإدارة هذا الكم الهائل الرهيب من الطلاب ، وإيقاظ بعض متوسّدي الطاولات في ظل انعدام الهيبة والصلاحيات ، وبين شرح الدرس ، فأصبح أشبه ما يكون بآلة يطلب منها النتاج (مخرجات) في ظل غياب كثير من المقومات ، فماذا عساها أن تنتج؟ يعود من مدرسته التي تبعد عن مقرّ سكنه الأصلي ، ليقف عند أحد المطاعم ، وينتظر الغداء المعدّ بأيدي العمّال الأمينة ، فيتذكر رائحة كبسة الأهل ، ولكم أن تتصوروا ما لهذا الموقف من أثر نفسي سيء للغاية ومردود محبط لا يعرفه إلا من تجرّع مرارته. وأما الطالب في الماضي فهو شخص تغلب عليه البراءة ، يُسمع لأسنانه اصطكاك مُزعج عندما تُذكر المدرسة في حضوره ، فالمُعلم من أمامه ، ووليُ أمره من خلفه ، فويلٌ له ثم ويلٌ له إن ضرب بواجباته عرض الحائط ، تتردد على مسمعه دائماً لكم اللحم ولي العظم! فيحرص على الاهتمام ، ويهرع إلى حلّ واجباته ومذاكرة دروسه ، بمجرد عودته إلى المنزل ، فالملهيات قليلة إن لم تكن معدومة عند البعض ، ناهيك عن الأدب الجمّ والخلق الرفيع. فقد قيل: لا تعلّم إلا برغبة ورهبة! والرغبة مفقودة منذ الأزل إلا من رحم ربّي ، فحلّت الرهبة محِلّها. والطالب اليوم شخص تغلب عليه اللكاعة ، لا يجد في المدرسة إلا مكاناً

للنوم ، ولا يرى في المُعلّم إلا وسيلة للتسلية والضحك ، وآلة لجسّ النبض والاستفزاز والتهكّم ، وحُق له أن يفعل ، فالماثل أمامه (أي المعلم) ممنوع من كل شيء ، وليس لديه أي صلاحية تخوّله حتى الدفاع عن نفسه إلا في حال طرحه الطالب أرضاً ، عندها يُسمح له بالدفاع ، والدفاع فقط! يخرج الطالب من المدرسة بعد أن أتخم بما لذ وطاب من مقاطع الفيديو التي تناقلها مع أصدقائه في المدرسة ، ليُقلّه السائق إلى المنزل ، فيخلد إلى النوم عند الساعة الثانية ظهراً بعد وجبة دسمة قامت بإعدادها الخادمة الكريمة. ليصحو عند الساعة الحادية عشرة ليلاً ويبدأ في جولته الإنترنتّية التي تنتهي ببداية الحصّة الأولى من اليوم التالي! عد هذه المقارنة المختصرة والتي تعمّدت فيها أن أجتنب الإسهاب ما استطعت ، أترك لكم الحكم في تحديد مكمن الخلل. عندما يُركل المعلّم الخمسيني بقدم أحد الطلاب إلى خارج الفصل من المسؤول عن هذا؟ عندما يتكرّر تهجّم الطلاب على بعضهم البعض بالعصيّ والسكاكين والخناجر أمام طاقم المدرسة من معلمين وإداريين دون أي اعتبار لأحد ، من هو السبب في ذلك؟ عندما تتدخل الدوريات الأمنية لفكّ اشتباك الطلاب الحاصل داخل المدرسة ، (أقول داخل المدرسة) بعد أن أُسقط في أيدي المعلمين وتساقط ما يُغطّي رؤوسهم (إن وجد) وقد يسقط بعضهم أرضاً ، فمن المسؤول؟ هل هو المعلم المسكين؟ الذي قدر له أن يكون بهذه الهوية؟ أم هو الطالب الذي تُرك له الحبل على الغارب ، فلم يعد هنالك ما يخشاه؟ أم تراها وزارة التربية والتعليم التي قولبت التربية والتعليم بهذا القالب؟ أم هي الأسرة والمجتمع؟! ولو عقدنا مقارنة بسيطة بين معلمينا القدماء وبين معلمي الجيل الحاضر لوجدنا البون الشاسع. فمعلم الأمس يعين على المستوى الخامس ، بل يعطى له خمسون ألف ريال تشجيعاً له ومكافأة على التحاقه بالتعليم الجامعي. واليوم يعين على البند أو على المستوى الثاني لسنوات عجاف ، والله يعوضه في الخمسين ألف التي سيدفعها من جيبه مصاريف مناطق نائية. ومعلمو الأمس لم يكونوا يعرفون صورة التعاميم ، ويخبرني أحد الزملاء القدامى بأنهم كانوا يتحلقون في غرفة المدير عندما يصلهم تعميم مظنة أن يكون به شيء مهم أو عاجل! ويقول: كنا نجلس بالأشهر دون أن يصلنا تعميم. أما معلم اليوم فلا يمر يوم أو يومان دون أن يوقع على العشرات من التعاميم التي (تشبه الفرمانات الخديوية) ، إذ تحمل التهديد والوعيد والتكليف بأعمال وأنشطة لا حصر ولا نهاية لها. ومعلم الأمس معلم له الاحترام الأعلى والأسمى في مجتمعه الذي يعيش فيه أو يدرس في مدرسته ، محفوظ الكرامة مقدّم على أي شخصية أخرى. وأما معلم اليوم فلا كرامة له! بلا شرعت أعتي القوانين وأقساها من نقل وحسم وفصل في حال ارتكب أي هفوة ، أو تعرض لأي طالب! ولا عجب أن نطالع بشكل دوري في صحفنا حوادث الاعتداء على مربى الأجيال في مقابل صمت مطبق من الوزارة والمجتمع! فالكل يتشفى في هذا المعلم المغلوب على أمره ، فهل نرجو من مثله نوالا؟ معلم الأمس لا تمر سنة أو سنتان على تعيينه إلا وقد نقل إلى أقرب مدرسة من بيته. أما اليوم فعليه أن ينتظر السنوات الطوال ، والكل يعلم أن هنالك زملاء أمضوا في الخدمة سنيناً وهم لم يعرفوا الاستقرار في حياتهم والعودة إلى العيش بجوار أسرهم!).هـ. ويتساءل الأستاذ ضيف الله محمد مهدي: هل فقد المعلم هيبتـــه؟! ويجيب على سؤاله متحاملاً ولا شك على المعلم ويلقي باللائمة عليه فيقول ما نصه: (يتحدث الكثير من المعلمين عن هيبة المعلم وفقدانها ويشتكي البعض من أن كثيراً من المعلمين بات يقلقهم هذا الوضع ، وكل معلم تجده يردد: رحم الله أيام كان للمعلم هيبة. فلا أدري هل بالفعل ضاعت وفقدت هيبة المعلم ، أم أن بعض المعلمين يرددون تلك العبارة بمناسبة وغير مناسبة؟ أم أن بعض المعلمين يريدون من جميع الطلاب وأولياء أمورهم والناس أجمعين أن يقدموا لهم الاحترام وفروض الولاء والطاعة أينما وحيثما وجدوا ، وربما يقفون لهم احتراماً في الطرقات والأماكن العامة ، وعند إشارات المرور وفي بعض الحدائق العامة.

هل لأن الضرب ممنوع فقد المعلم هيبته؟! هل رفع الظلم عن الطالب أفقد المعلم هيبته؟! هل لأن حقل التربية والتعليم اقتحمه من يصلح ومن لا يصلح ، فقد المعلم هيبته؟! هل لأن الأوضاع قد تغيرت وتطورت وانفتح العالم على بعض ، وما كان من تربية تطبق قديماً لا يصلح تطبيقها في الوقت الحاضر ، ولذلك قد فقد المعلم هيبته؟! وهل.... وهل... أنا أرى أن المعلم لم يفقد هيبته ، وأن احترامه وتقديره لا يزالان في قلوب المتعلمين وأولياء أمورهم ، وأنه محل اهتمامهم ولا شك ، وحبهم له لا يزال في ازدياد ونمو. وما دام المعلم يتعامل مع الطالب تعاملاً جيداً إيجابياً بناء. ويحرص على أن يكون له قدوة حسنة ، ويطبق تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف وأهدافه وآدابه عملياً ، فهو محل الاهتمام والحب والتقدير. والمعلم الذي يحرص على تطوير نفسه وتزويدها بالعلوم والمعارف التي تجعله يرتقي بتعامله وسلوكياته مع الطلاب ، ويزيد وينمي معلوماته وثقافته ، فلن يزيده ذلك إلا تقديراً واحتراماً! أما المعلم الذي لا يحرص على تطوير نفسه ولا يزال يتعامل بمثل التعامل الذي عومل به حينما كان طالباً ، ويريد أن يضرب ويصرخ ويبطش ، وأن يقف له كل الطلاب حين تقع أعينهم عليه ، ويريد أن يكون الخوف منه في قلب كل طالب ، إضافة إلى أنه من مرتادي المقاهي وأماكن يفترض ألا يذهب إليها أو يرتادها ، فلن يزيده ذلك إلا انحطاطاً وقلة احترام وتقدير. علمتنا الحياة والتجارب أن المعلم الذي يتعامل مع الطلاب تعاملاً جيداً ويحرص عليهم ويحبهم ، كما يحرص على نفسه أو ولده ويحبه ولا يسلك أمامهم إلا سلوكاً جيداً وهو يقول الصدق ، سيجعل الطلاب وأولياء أمورهم والناس كلهم يحترمونه ويحبونه ويقدرونه. وفوق ذلك فمادته التي يقوم بتدريسها هي أحب المواد إلى نفوس الطلاب حتى وإن كانت من المواد الصعبة. فعلى المعلم أن يزيل من نفسه أنه فقد هيبته واحترامه ، وعليه أن يعي أن ما كان قبل ثلاثين أو أربعين سنة من تربية وتعليم وتعامل لا يصلح مع أبناء هذا الجيل. إنني معلم منذ عام ١٤٠٥هـ ، عملت مرشداً طلابياً في جميع مراحل التعليم الابتدائي ، والمتوسط والثانوي ، إضافة إلى معهد المعلمين ، كما أنني عملت في الإشراف التربوي ، والآن معلم في المرحلة الثانوية ، وتنقلت بين عدة مدارس وتعاملت مع كثير من المديرين والمعلمين والطلاب ، ولم أجد في يوم من الأيام أنني قد فقدت هيبتي أو احترامي أو تقديري ، بل على العكس إنني محل اهتمام واحترام وتقدير كل طالب تعاملت معه وقدمت له خدمة في يوم من الأيام ، وأجد حتى أولياء أمورهم كذلك يحترمونني ويقدرونني وهم قد تخرجوا في الجامعة ولم يعودوا طلاباً عندي ، وحتى إنني أجد بعضاً من طلابي وهم في مراكز مرموقة الآن سواء في التعليم أو في الصحة أو في السلك العسكري يقدرونني ويحترمونني ، وحتى إنني أشاهد بعضهم يطفىء السيجارة إذا كان يدخن عندما يشاهدني ، ولا أفسر ذلك إلا أنني محل التقدير والاحترام عندهم. إن المعلم هو الذي يصنع لنفسه الهيبة والاحترام والتقدير ، وذلك بالتعامل الجيد الحسن والسلوك الراقي مع الطلاب وليس المسؤولون هم من يصنعون للمعلم الهيبة والاحترام والتقدير في نفوس الطلاب. إن المعلم عليه أن يشعر أن عمله الذي يقوم به وهو التربية والتعليم عمل جليل ، وأن الجميع يقدره. حسب المعلم فخراً أن أمته قد ارتضته لأس المجد يبنيه فليتق الله في جيل ينشئه ينل رضا الله والحسنى، ويكفيه - وآمل أن يعي من يشعر - أنه وإن زعم فقد هيبته أنه في الحقيقة لم يفقدها ، وأنه ما دام يتعامل مع أبناء جلدته تعاملاً سامياً فهو محل الاهتمام والتقدير ، وكذلك آمل ألا يغضب مني أي معلم).هـ. ويقول مؤسس سنغافورة لي كوان: (أنا لم أقم بمعجزة في سنغافورة ، أنا فقط قمتُ بواجبي نحو وطني ، فخصصت موارد الدولة للتعليم ، وغيرت مكانة المعلمين من طبقة بائسة إلى أرقى طبقة في سنغافورة ، فالمعلم هو من صنع المعجزة ، هو من أنتج جيلاً متواضعاً يحب العلم والأخلاق بعد أن كنا شعباً يبصق ويشتم بعضه في الشوارع. فإذا أردنا تعليماً ناجحاً ومتميزاً فأعيدوا للمعلم

هيبته ومكانته. فالمعلم أولاً يقدم على كل شيء. فهل ندرك ونقدر هذه القيمة والمكانة؟).هـ. ويقول الأستاذان: بشار السليّم ، ومحمد عليمات وتحت عنوان: (فلسفة المعلم التربوية عند الحارث المحاسبي (243هـ/ 857م) ما نصه: (هدف هذا البحث إلى إبراز الفكر التربوي عند الحارث المحاسبي فيما يتعلق بالفلسفة التربوية للمعلم. والربط بين الماضي والحاضر ، وذلك بالرجوع إلى أصول ومنابع الفكر التربوي الإسلامي وتوظيفه في حياتنا المعاصرة. واعتمد الباحثان على بعض ما كتبه المحاسبي ، ومن تناول منجزاته بالبحث والدراسة فيما يتعلق بالمعلم وتقديمه بصورة معاصرة. وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة ، وثلاثة فصول وخاتمة ، تضمنت بعض النتائج والتوصيات ، وتضمن الفصل الأول الخلفية النظرية للدراسة وأهميتها وأسئلتها ، وتناول الفصل الثاني التعريف بالمحاسبي حياته ونشأته والبيئة الثقافية التي عاش فيها ، أما الفصل الثالث فقد تناول فلسفة المعلم التربوية عند الحارث المحاسبي (مفاهيم ومبادئ) كما وردت عنه وبرؤية معاصرة تتناسب مع ما يعتمده كثيرون من العاملين في الميدان التعليمي وغيره. واختتم الباحثين الدراسة بعدة نتائج وتوصيات ، كان من أهم هذه النتائج تحقيق العبودية لله عز وجل ، والتزام المعلم بالكتاب والسنة ، والتنمية الشاملة المتكاملة للفرد ، والتمسك بالأخلاق الفاضلة! وكان من أهم وأبرز توصيات هذه الدراسة ، أن يتوجه الباحثون إلى تراثهم ، وأن يعيدوا إليه نصاعته وهيبته ، وأن يتخذوا منه مصدراً لفكرهم التربوي يلائم خصائصهم الثقافية ، وينسجم مع بيئتهم التي يعيشون فيها).هـ. ويقول الأستاذ حسن بيومى حرحش وتحت عنوان: (التعليم اليوم بلا تربية وبالأدلة المدموغة!) ما نصه: (تؤكد الأدله المدموغه أن التعليم اليوم أصبح بلا تربية. علاوة على هيمنة وسيطرة المال على العملية التعليمية ، وبالتحديد فى المدارس الخاصه حتى أصبح الطلاب يتعاملون مع المعلمين والمعلمات ، كما لو كانوا خدماً عندهم وعند أهاليهم ، فأصبحت العلاقه يسودها كثير من الوقاحه وانعدام التربية. والمحزن أن بعض الآباء والأبناء يساندون أبناءهم فى وقاحتهم! ومن الجرائم الحقيقية التى أدت إلى انعدام التربية والتعليم أيضاً فإنها ترجع فى المقام الأول إلى المعلم الذى كسر الحاجزالنفسي بينه وبين الطالب حتى فقد هيبته وكرامته واحترام وتقدير الطالب له ، فأصبح المعلم يجلس في الأماكن العامه والمقاهي بجوار الطالب ، يتناولان المشروبات ويدخنان السجاير والنرجيلة على حساب الطالب. ومن هنا نتأكد أن علاقة الهيبة والاحترام قد انتهت بين المعلم وتلميذه ، وتحولت إلى علاقة تسودها المجاملة والمحاباة وتدني التعليم ، ليس ذلك فقط ، بل وصل الأمر إلى اعتداء الطالب على المعلم لهيبته التي انتزعت من نفوس الطلاب. هذه الأدلة أرفعها بصفتي الشخصية إلى وزير التربية والتعليم ، لتدارك هذه الأمور التي استفزت بعض المعلمين ، وأفزعتهم تلميحات المقارنة بين التعليم فى الماضي والتعليم في الحاضر في الندوة التي عقدت تحت عنوان: (التعليم بين الماضي والحاضر) فى مركز النيل للإعلام بالإسكندرية. والتى بدأتها بما قاله الإمام الشافعي (شكوت إلى وكيع سوء حفظي .. فأرشدني إلى ترك المعاصي .. وأخبرنى بأن العلم نور .. ونور الله لا يهدى لعاصي). ولذلك فإن الكارثه الكبرى التي أفزعت بعض المعلمين للأسف ، عدم اعترافهم بقيم وأخلاقيات المعلم الذى يتعامل مع الطلاب بروح الأبوة ، وإنكار ما ينبغي من كون المعلمين التربويين قادة وقدوة للطلاب ، فهم أصحاب الضمائر اليقظة الحية. فاختفاء المعنى الحقيقي لكلمة التربية من قاموس التعليم كانت سبباً رئيسياً لتدني التعليم على كافة مستوياته ، لدرجة أن الكثير من المعلمين خريجي الجامعات لا يجيدون أسلوب التعامل التربوى مع الطلاب ، كما أن البعض منهم لا يجيدون القواعد الإملائية والنحوية التي يعرفها تلاميذ المرحلة الإبتدائية. كارثة حقيقية تؤكد إصابة المجتمع المصري خلال العقود الثلاثة الأخيرة بالانحدار الأخلاقي الذي تمثلت محاوره الثلاثة في: الواسطة والمحسوبية التي أدت

إلى سلب ونهب حقوق الأكفاء لمنحها للفاشلين الذين دخلوا المؤسسات التعليمية وغيرها! وهذا دليل على انعدام العدالة آنذاك حتى أصبحت المؤسسات مليئة بالفشلة والفاسدين. والمداراة والمجاملة المفرطة أصبحت طابعاً عاماً. فالمداراة متمثلة في التستر على الفساد والمفسدين ، أما المجاملة المفرطة التي دائماً ما تؤدي إلى الرذيلة وخلق مجتمع فاسد يسوده النفاق والتزوير والخداع والابتذال وخيانة المسئولية والأمانة. ناهيك عن الحيف والاستخفاف بالقاعدة العريضة من البسطاء بعدم احترام آدميتهم وحقهم فى التعليم والعيش في حياة إنسانية كريمة. بدليل أن المدارس الحكومية التي كانت أفضل من المدارس الخاصة في تعليمها ، قد تحولت إلى مدارس مهملة تعليمياً ورقابياً).هـ. وتحت عنوان: (المعلمون قبل القضاة أيها المخططون) تقول الأستاذة أحلام الجندي ، وهي تحكي عن تجربة معلم زميل: (تحسر زميلي على الفترة التي قضاها كمعلم بالعراق ، لمدة خمسة عشر عاماً من 1980م حتى عام 1995م ، حيث يتذكر كيف كانت له من المكانة والمهابة والدخل والمعاملة والتمكين ما يفوق ما هو متوفر للقضاة بمصر الآن! فالمعلم يرتدي زياً محترماً كالقاضي ، فلا يكون مظهره أقل من تلميذه كما أن له (بالطو) خاص يختلف حسب مادته أبيض لمعلى العلوم أزرق لباقي المواد كما يرتدي القاضي (روباً) خاصاً للقضاء ، كما لا يمكن أن يذهب مثلاً (بشبشب) إلى العمل ، كما يوقر على أعلى مستوى من الطالب والمجتمع ككل ، وكيف كان المصدر الوحيد للمعلومة. وقياساً على هذا وعلى ما أقرته جميع الأمم التي تقدر العلم والمعلمين باعتبارهم حملة العلم ونقلته وحماته قديماً وحديثاً ، نرى أن المعلم يجب أن يتقاضى أعلى المرتبات ، وأن تكون له هيبته واحترامه ، وكلمته التى لا يعلى عليها ، ولا يقدم رأي من كان على رأيه ولا يختلط بالجمهور ، ولا ينزل إلى مستوى العامة ، ولا يندمج بهم فى المواصلات حتى تكون له هيبته واستقلاليته ، كما يحدث مع القضاة فإذا كان القاضى يحكم في القضايا على المجرمين ، فإن المعلم يقوّم النفس البشرية ويحسن تربيتها وتأديبها وتهذيبها وتبصيرها بما لها وما عليها ، وجعلها عنصراً إيجابياً فى المجتمع - هذا إذا قام المعلم بدوره كما يجب ، بعد تدريبه وإعداده بطريقة تؤهله لذلك - وبالتالى ينتج مواطناً صالحاً لن يكون بلطجياً أو مجرماً في النهاية ، وبالتالي لن تكون هناك جريمة ، ومن هنا ندرك أن دور المعلم الصحيح لن يحوجنا إلى قضاة. لذا يجب أن يكون المعلمون قبل القضاة. ويؤكد ذلك هذه القصة التي سوف أوردها هنا دليلاً! عندما ولى سيدنا أبو بكر الصديق سيدنا عمر بن الخطاب قاضياً على المدينة ، وبعد عام طلب سيدنا عمر من سيدنا أبي بكر إعفاءه من القضاء! فاستفسر سيدنا أبو بكر سائلاً: أو من مشقة العمل وكثرة القضايا؟ فأجاب سيدنا عمر: لا بل لم تعرض علىّ قضية واحدة ، ولم يختصم إلي اثنان. فقال سيدنا أبو بكر: ولم؟ فقال: ما حاجة قوم مؤمنين إليّ؟ عرف كل واحد منهم حقه فلم يطلب أكثر منه. وعرف واجبه فلم يقصر فيه. إذا غاب أحدهم افتقدوه. وإذا مرض أحدهم عادَوْه. وإذا احتاج أحدهم أعانوه. وإذا أصيب أحدهم واسَوْه. وإذا سُر أحدهم هنأوه . فما حاجة هؤلاء إلى قاض؟ ومن هذا المنطلق نقول بأن الحكماء قديماً قد فطنوا إلى مكانة المعلم ، وحددوا متطلباته واحتياجاته التي تجعله يتفرغ لطلب العلم والارتقاء بأدائه فقالوا:حق عالمنا علينا مال يكفيه (يعنى أعلى مرتب في الدولة) ودار تؤويه (يعني فيلا على أعلى مستوى) ودابة يركبها (يعني سيارة على أحدث موديل) وزوجة تعفه (يعني زوجة صالحة من أصل طيب تعينه على مهمته) وخادم يخدمه (يعني مساعداً يعاونه على أداء أعماله وتسجيل مدوناته وترتيب مواعيده والبحث عما يحتاج من كتب ومصادر معرفة وقضاء حوائج بيته التي لا يقضيها بنفسه وحتى لا تهان مكانته). هذا هو المعلم الذى يجب أن يكون ، ليصلح المجتمع بأكمله فلا تكون هناك بلطجة ولا جريمة ولا فتنة طائفية ولا اختلافات عصبية ولا أمية ولا جاهلية هادمة لكل حضارة وتقدم ورقي. فهل نفطن إلى ذلك

ونقدر الأمور على قدرها ونعطى كل ذي حق حقه).هـ. وتقول الأستاذة وفاء خصاونة وتحت عنوان: (المعلم بين الماضي والحاضر) ما نصه: (حمل المعلم هموم التدريس على كتفه. والهموم تثقل كاهله من ساسه لراسه كما يقولون ، وكرس حياته لتقديس رسالة سامية ، وهي إيصال العلم لطلبته ومحو الجهل ، وتأسيا بسنة المصطفى الذي نادى مراراً وتكراراً بالتعلم ، واعتبرها فريضة على كل مسلم. ولكن نراه اليوم مهاناً بعد أن كان مبجلاً ومحترماً ، وأصبحت أصابع الاتهام تشير إليه من أنه مقرف! وكيف نطلب منه المعجزات وراتبه لا يكفيه لسد رمقه ورمق عياله؟ وهل في جيب المعلم نقود حتى يهندس نفسه أو يصفف شعره؟ وكل سهام الظلم قد وجهت إليه ، وهو مظلوم أشد الظلم ، ومذنب أعتى الذنب ، وجرمه أنه يطالب بنقابة للمعلمين تضمن حقوقه وحقوق عياله. أصبح المعلم غير محترم ، لا من المدير ولا من الطالب ، ولا حتى من أولياء الأمور! وصار يتعرض للشتم والضرب من الطالب دون أن يعاقب الطالب على شئ من ذلك. وصار الطالب يختبئ للمعلم في إحدى زوايا الشارع ويعتدي عليه. هل هذا جزاء المعلم الذي أفنى شبابه بين اللوح والطباشير والكتب؟ بالله عليكم أجيبوني. هل جزاؤه أن يجد منا كل هذا الاستهزاء والاحتقار؟ هل أصبح المعلم مجرماً لأنه يطالب بحقوقه مثله مثل غيره ، لماذا لا نضمن حقه؟ ونوفر له حياة كريمة مثل باقي المهن؟ ولماذا لا نطالب بزيادة راتبه الذي يستدين عليه من فلان وعلان لسد رمقه ورمق عياله؟ المعلم يا إخوتي فقد الشعور بالأمان بعد أن فقد هيبته وكرامته أمام الجميع! وصار المعلم يمقت أي شيء له علاقة بمهنة التدريس. اليوم لا يحتاج منا المعلم إلى أهازيج وطبول وشهادات تقدير ، بقدر حاجته لقليل من الهيبة وإعادة الكرامة والذل اللذين تعايش معهما خلال سنوات مضت. حدثني والدي أمد الله في عمره عن مكانة المعلم قبل خمسين سنة فقال لي: يا بنيتي 'المعلم كانت له هيبته ، وكان الطالب إذا رأى معلمه من رأس الشارع يهرب ويطأطئ رأسه ويحمر وجهه خجلاً من معلمه' نحن نطالب المعلم اليوم ببذل المزيد من العطاء والإنتاج فوق طاقته ، متناسين أنه بشر مثلنا ولنا طاقات محدودة. علينا أن نقف مع المعلم ليس بالكلام أو الاحتفالات فحسب ، بل بتوعية أبناءنا وحثهم على احترام المعلم ولا يقتصر ذلك على البيت ، بل إفهام الطلاب في المدرسة أن المعلم له مكانته وقيمته في المجتمع حتى نضمن مجتمعاً قوياً ومتراصاً ، لأن المعلم له مكانة مقدسة في كل الشرائع السماوية ، ولولا المعلم ما رأينا أطباء ولا مهندسين ولا صيادلة ولا وزراء ولا محامين. المعلم هو اللبنة الأساسية لبناء أي مجتمع).هـ. ويقول الدكتور غالب الفريجات وتحت عنوان: (فقدان هيبة التعليم) ما نصه: (إن سبب غياب هيبة التعليم تعزى لفقدان المعلم لدوره ووظيفته التربوية ، فإذا كان الطالب هو محور العملية التعليمية ، فإن المعلم يعد العمود الفقري للنظام التعليمي ، وهو ربان السفينة التي لا يمكن لها أن تصل إلى بر الأمان دون قيادته ، وإذا كان الحديث عن التعليم فلا بد من الحديث عن المعلم! إذ لا تعليم دون معلم ، وقد قيل لو كان هناك قانون سيئ بيد قاض جيد فإن الأحكام الصادرة ستكون جيدة! وإن كان هناك قانون جيد بيد قاض سيئ فإن الأحكام ستكون سيئة ، والتعليم كذلك فالمعلم الجيد هو من ستكون نتائج طلابه جيدة ، أياً كان المنهاج والكتاب المدرسي والبناء والتقنيات التربوية التي بين يديه. يتحمل المعلم والمجتمع نفسه مسؤولية فقدان المعلم لهيبته ، بالإضافة الى الأنظمة واللوائح التي تلعب دوراً في فقدان هذه المكانة وضعفها ، فهناك معلمون ينظرون إلى التعليم كوظيفة ، وهمهم الراتب والدوام ، وليس النظر إلى التعليم كرسالة يستمتع بأدائها ، وهو ما كان يتصف به معلم الأمس ، إذ كان معلماً وأباً ومرشداً تربوياً ، في حين أن معلم اليوم لو قام بوظيفته التعليمية على الوجه الأكمل والقدوة الحسنة لطلابه لكان نوع التعليم أفضل ، فالقدوة الحسنة والمظهر اللائق والاعتناء بهندامه كلها ذات تأثيرإيجابي على الطلاب. إن بعض الأنظمة واللوائح قد سلبت

الصلاحية التي كان يحظى بها المعلم ، حتى أن بعض المعلمين لا يجرؤ على مواجهة تلاميذه ، كما أن بعض المديرين لا يجرؤ أيضاً على مواجهة المعلمين المقصرين ، وهؤلاء المعلمون لا يؤدون الدور المنوط بهم كما يجب ، فالمدرسة كما نعلم مصنع إنتاج الرجال والأجيال ، فإما أن تنتج صناعة رائعة او رديئة ، فعلينا أن نهتم بالمدرسة ، وهذه لن تحقق المطلوب إن لم يقودها مدير جدير ومتمكن ، يملك القدرة على أن يقود مدرسته بكل جدارة واستحقاق ، فوراء كل مدرسة متميزة مدير متميز ، ووراء كل طالب متميز معلم متميز. إن وظيفة المعلم باتت وظيفة من لا وظيفة له لأسباب اقتصادية واجتماعية ، فالعبء التدريسي والمعاناة التي ترافقها من تحضير للدروس والتخطيط لها ، وتربية الصف وتصحيح الدفاتر ، وطريقة معاملة الطلاب وأسلوب إدارة الفصل ، ومعاملة المدير ، لا يقابله المردود المادي الذي يجعل من المعلم إنساناً قادراً على الايفاء بالتزاماته تجاه نفسه وأسرته ، إلى جانب أن نظرة المجتمع باتت مرتبطة بمستوى الدخل الاقتصادي ، فبتدني الوضع الاقتصادي صاحبه تدنى في نظرة المجتمع ، فخسر المعلم دوره الاجتماعي الذي كان يتمتع به. إن المعلم - وإلى وقت ليس ببعيد - كان يمثل مجموعة من القيم والأخلاقيات وله حضور وهيبة في نفوس الطلاب ، وأن للمعلم دوراً أساسياً في رسم شخصيته أمام طلابه ، ويفترض فيه أن يكون مرناً لا صلباً ولا هشاً ، ليتعامل مع كافة النوعيات ، وهو العمود الفقري للعملية التعليمية ، وعلى كليات التربية أن تركز على إعداد الجوانب الشخصية للمعلم علمياً ومادياً واجتماعياً ونفسياً. إن احترام المعلم ومنحه دوراً محترماً هو جزء من إنتاج الأجيال المحترمة ، وهؤلاء الذين ينزعون عنه أدوات القوة والاحترام لا يتجنّون عليه وحده بل يتجنّون على العملية التعليمية برمتها ، وعلى المجتمع وسرعة تطوره والسماح له بالوصول إلى ما وصلت إليه الإمم المتطورة. إن الإعلام قد لعب دوراً في تدني هيبة المعلم ، فهو يعرض المعلم بصورة مبتذلة غير محترمة ، ويقدم صورة سلبية عن المعلم ، ومعظم أولياء أمور الطلاب من آباء وأمهات قد ساهموا في هذه الحالة التي يعيشها المعلم ، فبالأمس كان ولي الأمر سواء أب أو أم يساند المعلم ويحترمه أما اليوم يشارك الأهل أبناءهم بالهجوم والوقوف على أي زلة تصدر من المعلم ، وقد يكون المعلم أحد الأسباب الرئيسة لسقوط هيبته! لعدم أهليته وغياب وجود رؤية تربوية وتعليمية لديه ، فلا يوجد تخطيط واضح بين المعلم والطلاب ، وبين المعلمين أنفسهم ، وبين المعلمين والإدارة ، وبين المعلمين وأولياء الأمور ، كذلك لا يوجد رؤية تربوية وتعليمية توضح سياسة وبرامج المدرسة ، حقوق وواجبات الطالب ، حقوق وواجبات المعلم ، مما يولد النظرة السلبية تجاه المدرسة ، ومن ثم يقلل من مكانة المدرسة ومكان المعلمين. وبعض المعلمين يدخلون صفوفهم دون تحضير مسبق ، مما يفقد الطلاب اهتمامهم بالمادة الدراسية وبدور المعلم. إن العالم في حركة تطور وتقدم دائمتين ، والمعلم الذي لا يواكب هذا التطور والتقدم ، يدفع بالطالب إلى أن يلجأ إلى مصادر تعلم أخرى ، تؤدي إلى فقدان المعلم لدوره ومكانته ، فسهولة التزود بالمعلومات التعليمية والتربوية والثقافية أفقدت المعلم دوره في أن يكون مصدر المعلومات الأول في العملية التعليمية. إن المعلمين في بعض الدول الغربية يلقبون بأمراء الشعب ، وصعود الاتحاد السوفييتي إلى القمر دفع الولايات المتحدة لتشكيل لجنة على مستوىً راق ، للبحث في شؤون التعليم ، فأصدرت وثيقة أمة في خطر ، ويقول أحمد زويل صاحب جائزة نوبل: لقد سألت رئيسة وزراء إيرلندا قائلاً: ما الذي جعل إيرلندا تقفز من أسفل السلم في الاتحاد الأوروبي إلى أعلى السلم؟ فأجابتني: التعليم التعليم التعليم ، قالتها ثلاثاً! وها هو نيتشة الفيلسوف الألماني عندما احتلت فرنسا مقاطعتي الإلزاس واللورين من ألمانيا ، قال أعطوني التربية لأحرر الإلزاس واللورين ، ولم يطلب الدفاع ولا الداخلية ولا الأمن. وقد بنى العرب مجد حضارتهم بالعلم ، فقد كان الخلفاء يقدمون وزن

الكتاب ذهباً لمؤلفه أو لمترجمه. إننا في حاجة ماسة إلى المعلم الناجح الذي يحب مهنته ، وتم اختياره لها بكامل إرادته ، ومتمكناً من المادة الدراسية التي يقوم بتدريسها ، ويعرف كيف يدير صفه ويضبطه ، ويعرف كيفية التعامل مع المنهاج ، وكيفية التخطيط للتدريس ، وكيفية التجهيز والإعداد للوسائل التعليمية مقدراً أن مهنته مهنة مقدسة هي مهنة الأنبياء والرسل. ومن هيبة المعلم أمام طلابه أن يكون له تأثير ونفوذ مشروع عليهم ، وهي تختلف عن السلطة لاحتوائها على عنصر أخلاقي ، فهي لا تتضمن القسر ، وهي تكتسب بالتراكم ، ومن الضروري إدراك الفارق بين منزلة المعلم ومنزلة الطالب ، فلا يجوز إسقاط جميع الحواجز بينهما. وما من أمة تسعى لأن تحتل مكاناً مرموقاً بين الأمم ، إلا وأولت العملية التربوية اهتماماً بالغاً تستطيع من خلاله بناء جيل واع متمثلاً في ثقافته أولاً ثم قادراً على التكيف مع معطيات التكنولوجيا الحديثة ثانياً. وحيث إن مهنة التدريس بأبعادها المختلفة ذات أهمية بالغة في الوصول بالعملية التربوية إلى الهدف المنشود ، فقد أولت الدول قديماً وحديثاً مهنة التعليم العناية الفائقة ؛ فهي رسالة مقدسة لا مهنة عادية ، وهي تتميز عن غيرها من المهن الأخرى ؛ ذلك بأن المهن تعد الأفراد للقيام بمهام محددة في نطاق مهنة بذاتها. بينما تسبق مهنة التعليم المهن الأخرى في تكوين شخصية هؤلاء الأفراد قبل أن يصلوا إلى سن التخصص في أي مهنة ، ولعل هذا ما دفع الكثيرين إلى أن يصفوا مهنة التعليم بأنها المهنة الأم ، ومن هنا فإن نجاح هذه المهنة أو فشلها إنما ينعكس على المهن الأخرى في المجتمع ؛ ذلك لأن المعلم هو أداة التغيير في المجتمع. إن الاهتمام بمهنة التعليم في أي مجتمع من المجتمعات ؛ إنما يشير إلى مدى مسئولية ذلك المجتمع تجاه مستقبل أجياله ، ومدى حرصه على توفير الخدمات التربوية لأبنائه ، إذ أن أي إصلاح مستهدف للأمة أو تعديل لمسارها بغية تقدمها ؛ إنما ينطلق من البصمات التي يتركها المعلم على سلوكيات طلابه وأخلاقهم وشعورهم وعقولهم. ولقد نالت مهنة التعليم مكانة رفيعة عند علماء المسلمين ، وحظي المعلم بنصيب وافر من الاحترام والتقدير والإشادة به وبمهنته. يقول الغزالي: إن من علم وعمل ، فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات ، فإنه كالشمس تضئ لغيرها وهي مضيئة بنفسها ، وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب. (الغزالي). ويشير فردريك ماير إلى أهمية مهنة التعليم ودور المعلم فيها حيث يقول: إنها المهنة التي يحاول المعلمون من خلالها أن يجددوا ويبتكروا وينيروا عقول طلابهم ، وأن يوضحوا الغامض ، ويكشفوا الخفي ، ويربطوا بين الماضي والحاضر ، كما أنهم يُسهمون بلا حدود في رفاهية مجتمعاتهم ، وتوحيد أفكار أبناء أمتهم وتشكيل مستقبل مجتمعاتهم ، وذلك من خلال تشكيلهم لشخصيات الشباب منذ بداية أعمارهم. ومفهوم مهنة التعليم لا يقتصر على نقل المعلومات بواسطة المعلمين إلى الأجيال القادمة من حيث تثقيفها للعقول وتهذيبها وتنميتها للاستعدادات وصقلها لها ، فهي ليست مجرد أداء آلي يقوم به أي فرد ، ولكنها مهنة لها أصولها وعلم له مقوماته وخصائصه. وحيث إن المعلم هو المسئول الأول عن أدائها على أسس فنية وعلمية ، وهو المسئول الأول عن نجاحها أو فشلها فهو يلعب دوراً خطيراً في حياة الفرد والأمة ، فهو يحمل رسالة هي الوديعة التي يحتاج نقلها وتوصيلها إلى أصحابها بأمانة ، وبدون هذه الأمانة تضل الرسالة طريقها ، وتفقد جوهرها ومضمونها ، فالمعلم الحق هو من اجتمعت فيه خصلتان ، حفظ الأمانة وأداء الرسالة ، فهو بهاتين الخصلتين معلم ومرب. ونظراً لأهمية مهنة التعليم ، فإنه ينتظر من المعلم (صاحب المهنة) أن يكون له أدوار ذات خطر عظيم يؤديها. فالمعلم هو عصب العملية التربوية ، والعامل الذي يحتل مكان الصدارة في نجاح التربية وبلوغها غايتها ، وتحقيق دورها في التقدم الاجتماعي والاقتصادي ، ومن هنا فلا يمكن الفصل بين مسؤوليات المعلم والتغيرات الأساسية التي تحدث في المجتمع ، ومما يضخم مسؤولية المعلم

في تحقيق أهداف المدرسة ، أن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية جعل المدرسة مركزاً هاماً من مراكز الإصلاح ، وجعل المعلم عاملاً هاماً من عوامل النهضة ، تعتمد عليه الدول في تحقيق أغراضها وبلوغ غاياتها ، وإن جهود المعلمين إنما تقاس بالرقي الاجتماعي الذي أسهموا في تحقيقه ، لأن جهودهم لا تقتصر على حفظ التراث الثقافي فحسب بل تشمل أيضاً تحسين هذا التراث وتوجيهه ، نحو المثل العليا التي تتطلبها الحياة الحديثة. ونظراً للمسئوليات الجسام الملقاة على عاتق المعلم ، فإن منطلق نجاحه في القيام بهذه المسؤوليات ، إنما يتوقف على معلم كفء يتمتع بشخصية مستقرة منفتحة ، قادرة على البذل والعطاء والابتكار والتجديد ، يتصف بثقافة عامة ، وإعداد أكاديمي متنوع وكاف ، متفهم لحاجات التلاميذ وخصائص نموهم ، مهيئاً لاكتشاف مشكلاتهم ونقاط ضعفهم ، قادراً على توجيههم وإرشادهم ، وتيسير التعلم لهم. ومما يجدر ذكره أن العالم اليوم يشهد تغيرات وتطورات تكنولوجية وعلمية متصارعة ، مما يدفع الكثير من المؤرخين أن يصفوا هذا العصر بعصر الانفجار المعرفي ، ومن هنا فهذه المستجدات العصرية أضافت إلى المعلم واجبات ومسؤوليات متعددة ومتجددة مما يستوجب إعادة النظر في إعداده وتأهيله لهذه الأدوار. ولهذا كله ، وانطلاقاً من الدور الهام الذي يضطلع به المعلم ، وإيماناً بفاعلية التأثير الذي يحدثه المعلم المؤهل على نوعية التعليم ومستواه ، فقد كانت القناعة بأهمية دور المعلم وراء ما شهده العالم في السنوات الأخيرة من مؤتمرات ودراسات وندوات عالمية وعربية ومحلية ، لبحث الموضوعات المتعلقة بمهنة التعليم وأدوار المعلم وإعداده وتدريبه: وأخيراً فإن أسباب فقد المعلم هيبته وبالتالي فقدان المؤسسة التربوية لدورها في الإعداد والبناء كثيرة نخلص إلى أنها تشمل المعلم نفسه ، والأنظمة والتعليمات وأولياء الأمور والإعلام ، وأسباب تعليمية مثل كثرة الحصص ، وضغط المنهاج ، وسوء المبنى ، وتعسف الموجه والمدير، إلى جانب عدم الاستقرار ، وعدم الراحة النفسية).هـ. وتقول الأستاذة جيهان شعيب ما نصه: (يوم قال شوقي (قف للمعلم وفه التبجيلا . . كاد المعلم ان يكون رسولا) ، وذلك لتقديس مكانته التعليمية ، والتربوية ، والإنسانية ، التي طالما كان يحفظها له المجتمع بشرائحه المختلفة. وبمضي الوقت ومع تغير كثير من القيم ، واهتزاز كثير من الثوابت ، وارتعاش بعض - إن لم يكن أغلب - السلوكيات التي ما كنا نعهد فيها سوى الالتزام ، اندثرت نسبياً ، أو كادت أن تندثر هيبة ومكانة المعلم ، فما بين التطاول عليه لفظاً من بعض الطلبة المنفلتين أخلاقياً ، إلى التعدي عليه - وإن كان ذلك ضمن حالات قلة - من طالب أو آخر، والنتيجة ضياع كرامة واحترام ، طالما ظلا محفوظين ، ومصانين ، لأصحاب هذه المكانة التي ما كان يعتقد أحد أن تمس من أي كان في يوم من الأيام. مع إدانتنا الكلية لفكرة الإتيان على مجرد مسمى المعلم بأية صورة من الصور ، لا يمكن أن ندفن رؤوسنا في التراب (كالنعام) ونتغاضى عن بعض الأفعال غير السليمة يأتي بها ربما عدد محدود من المعلمين ، والتي قد يكونون بها أساءوا إلى مكانتهم ، وهبطوا كذلك بها ، ومنها التبسط مع الطلبة في الحديث ، والخروج بهم من النطاق التربوي ، والتوجيه إلى ما لا يصح من الأحاديث التي لا يجب طرحها مع طلبة يخطون خطواتهم العمرية نحو سنوات المراهقة مع ما يعتريها ويصاحبها من تغيرات ، ومنها كذلك مخاطبة الطلبة بألفاظ غير أخلاقية ، ومعاملتهم بدونية ، وإهانتهم ، ما قد يدفع بعضهم إلى التجرؤ على المعلم من هؤلاء ، ومبادلته المعاملة بالمثل ، في ضوء افتقارهم إلى التمييز بين ما يجب وما لا يجب ، نظراً لاعتقادهم أنهم بذلك يردون اعتبارهم الذي أهين من قبل معلميهم أمام زملاء صفهم. وقد لا ينحصر الأمر فيما سبق فقط ، إذ ربما هناك غير ذلك من الأفعال المسيئة للمكانة التي كان وراءها عدد من المعلمين ، فيما وعلى الجانب الآخر ، ما يعود إلى أولياء الأمور الذين نسي أو تناسى عدد منهم وفي غمرة المشاغل الحياتية ، تعزيز

مكانة ، وقيمة ، وأهمية المعلم في نفوس وعقول الأبناء. وإن هيبة ومكانة واحترام المعلم أصبحا قاب قوسين أو أدنى من الضياع ، ما لم تكن هناك حلول ناجعة للعودة به إلى ما يستحقه بالفعل من موقع بارز ومتميز ، لائق بكينونته ، ووضعه المهني والحياتي ، وحول ذلك يدور تحقيقنا الآتي الذي نبحث في طياته عن الأسباب التي تدنت بهذه المكانة ، بعدما ـ وكما ذكرنا قبلاً ـ ظلت محفوظة لعقود زمنية طوال. بداية قال د. علي الطنيجي رئيس نائب رئيس مجلس أولياء الأمور في المنطقة الوسطى: هناك حكمة تقول من أمن العقوبة أساء الأدب ، وللأسف العقوبات الحالية في المدارس لا توحي للطلاب باحترام المعلمين ، أو النظام الإداري الموجود في المدارس ، التي أغلبها وللأسف أيضاً لا تطبق لائحة السلوك التي أصدرتها وزارة التربية والتعليم عام 2011 م التي تتضمن مواد تلزم الطلبة باحترام المعلمين والإدارات المدرسية ، مما أدى بالتالي إلى لجوء بعض الطلاب إلى القفز فوق الأنظمة والقوانين ، فمنهم من يتجول في المدرسة خلال سير الحصص الدراسية ، ومنهم من يناطح المعلم بالقول واللفظ دونما خوف أو خشية منه ، في المقابل لم نسمع عن مدرسة لجأت إلى فصل طالب لمدة يوم أو يومين لسوء سلوكه مثلاً ـ إلا إذا كان هناك تعدٍ صارخ منه ـ حيث يتم حل المشكلة التي وقعت ودياً بالاتصال بولي الأمر من هؤلاء ، وإعلامه بما فعله ابنه ، ومن ثم وكأن شيئاً لم يكن ، لذا فظاهرة عدم احترام كثير من الطلبة للأنظمة والمعلمين على وجه الخصوص ، تعود لعدم استطاعتهم اتخاذ أي قرار بحق غير المنضبط من الطلبة. فضلاً عما سبق فهناك الأسر التي لا تعمل على تنمية احترام المعلمين ومكانتهم في عقول الأبناء ، إلى جانب بعض الدروس الخصوصية التي قللت من هيبة المعلم ، حيث أزالت الحواجز فيما بينه وبين الطلبة الذين يحصلون عليها ، في ضوء شعور الطالب من هؤلاء أن المعلم أصبح مديناً له ، فهو – أي الطالب- الذي يدفع له ، وبالتالي لا يستطيع المعلم ان يواجهه بأخطائه ، أو نواقصه ، في الوقت الذي كان فيه قبلاً بمنزلة الأب في البيت ، والمدير في المدرسة. أما إبراهيم المحرزي رئيس مجلس إدارة مجموعة من المدارس الخاصة ، فيرى أن هيبة المعلم اندثرت إلى حد كبير ليس عندنا فقط ، بل في معظم الدول التي انساقت وراء النظرية الغربية الحديثة في أسلوب التعليم ، تلك التي تجاهلت قضية عقاب الطالب ، وقال: عبر التاريخ كان التعليم يمتزج بنظريتي الثواب والعقاب ، لأن مسيرة التعليم من دون هذين الجناحين معاً لا يمكن أن تحلق عالياً ، فمبدأ الثواب جميل ، ولكن العقاب أيضاً واجب ، على ألا يكون بمفاهيم النظم التعليمية القديمة من الجلد والضرب المبرح ولكن بأن تؤسس له آليات ونظم محددة ، ليطبقه المعلم على المخالفين ، والمستهترين بالعملية التعليمية. كما تقع على عاتق بعض أولياء الأمور مسؤولية ضياع هيبة المعلم ، حيث إن كثيراً منهم لا يريد للمدارس ولا للإدارات المدرسية ، أو المعلمين المساس بالأبناء ، ولو بكلمة تجرح المشاعر ، ما أدى إلى استقوائهم على جميع من في المدارس ، رغم ما قد يكون الابن من هؤلاء الذين يرتكبون في المدرسة تجاوزات ، ومخالفات جسيمة ، وعدم احترام. وحتى نعيد هيبة المعلم إلى ما كانت عليه من نيل التقدير والاحترام المجتمعي ، فلا بد من أن تسن وزارة التربية والتعليم ، والمجالس التعليمية تشريعات تشريعات تؤيد مبدأ الثواب والعقاب المقنن ، بحيث يتم العقاب بتدرج. ومن الضروري تنظيم دورات تدريبية للمعلمين لإكسابهم المهارات والأساليب المنهجية الصحيحة في التعامل مع الطلبة ، من احتوائهم واستيعابهم ، ومعاملتهم بود والابتعاد عن الغلظة ، والحدة ، فيما إذا تحول دور المعلم إلى مجرد أداء الواجب ، فعلى العملية التعليمية والتربوية السلام ، لأن المعلم في الأساس بمنزلة الأب في المدرسة والقدوة التي يجب احترامها ، وتقديرها. من جهته أشار إبراهيم عبيد منسق مكتب مدير الشارقة التعليمية ، ونائب رئيس مجلس إدارة جمعية الاجتماعيين ، إلى أن المعلم حالياً أصبح في حالة لا يحسد عليها ، حيث اختفت صورة

المعلم القدوة فلم يعد هناك المعلم الذي يأتي مدرسته وهو بكامل هندامه ، أو الذي يعطي وقت الحصة الدراسية كاملة للطلاب دون نقصان ، أو الذي يلتزم في حديثه بالألفاظ التربوية التعليمية المطلوبة ، بما أدى بصورته إلى أن تؤول إلى ما أصبحت عليه. وأيضا الأهل لم يعودوا يلقنون أبناءهم احترام المعلم ، بل عندما يتعرض ابنهم لعقوبة أو مساءلة من معلم ، تجد الأهل ينتصرون لأبنائهم من دون أن يعرفوا مقدار الخطأ الذي ارتكبه الأبناء ، والطلاب لا يرون في المعلم إلا موظفاً يقبض راتبه ، وفي كثير من الأحيان يمن الطالب على المعلم بهذا الراتب ، وكأنه هو الذي يدفعه له. وهناك أسباب أخرى أكبر من الطالب والمعلم نفسه تفرض نفسها في هذا المجال ، فالمعلم كان سابقاً مصدر المعرفة والعلم ، والموسوعة التي يعود إليها الطلاب وربما آباؤهم ، وفي يومنا هذا تعددت مصادر المعرفة ، والموسوعات ، وأصبح الطالب يعرف من المجتمع وشبكة الإنترنت والتلفزيون أضعاف ما يتعلمه في المدرسة. هذا الواقع يضع المعلم نفسه أمام تحد جديد ، فهو بحاجة إلى مواكبة العصر الذي نعيش فيه ، وامتلاك وسائل المعرفة العصرية. وقال طالب من المرحلة الثانوية: عدد من المعلمين السبب في عدم احترامنا لهم ، أنهم يتعمدون إهانتنا ، والاستهزاء بنا ووصفنا بالأغبياء إن لم نستطع إجابة أي من الأسئلة ، أو إذا حصل أي منا على درجة متدنية ، علاوة على أن منهم من يرى في نفسه قوة بدنية ، فيهددنا بالضرب إن لم نلتزم بما يطلبه أو يوجه إليه ، ومنهم من أجبرني على أداء أحد الاختبارات وأنا جالساً القرفصاء على الأرض في الحصة ، عندما رآني أحدث زميلي الذي يجاورني في الصف ، فكيف أحترمه بعد ذلك ، وقد أهانني ، وأذلني أمام زملائي ولولا خشيتي من أن يدعي أنني كنت أغش ، مما اضطره لفعلته معي ، لأخبرت أسرتي لتتخذ معه موقفاً).هـ. ويقول الأستاذ هشام صافي ما نصه: (نعترف بداية أن المعلم فقد المكانة الرفيعة التي كان يحظى بها قبل عدة عقود من الزمان ، يوم أن كانت تحكمنا علاقات القبيلة والأسرة والعائلة ، وكانت للأشياء خطوط فاصلة تحدد مكوناتها ولا تسمح بالضبابية أن تلفها أو أن تشوهها ، وحتى الآن يبدو أن استعادتها أمر شديد الصعوبة ، لأن الأسباب التي أدت إلى اهتزاز المكانة والصورة الناتجة عنها موجودة ، ولا شيء في الأفق يشير إلى أنها في طريقها إلى زوال ، أو على الأقل للاضمحلال. ومكانة المعلم في صفه ومدرسته تغيرت إلى الأسوأ وباتت علاقته مع الطالب الذي يعلمه غير قويمة ، وفقد مكانته الجليلة واحترامه الكبير وهيبته غير المحدودة لا بالزمان ولا المكان ، فتجرأ عليه هذا الصغير ، ورفع صوته في وجوده ، وتحدى، وتلفظ بألفاظ خارجة عن الحدود الأخلاقية ، وكان ختامها طامة كبرى ، يوم أن بدأت الاعتداءات الجسدية على المعلمين تجد طريقها إلى علاقة الطرفين. هذا الوضع الذي لا يحسد المعلم عليه - وهو بالمناسبة ليس محلياً فقط – بل ولد وترعرع في كياننا الاجتماعي الأساسي وهو الأسرة ، بسبب عوامل اجتماعية متغيرة طرأت على أدوار اللاعبين الأساسيين فيها: * الأب نفسه بات في بعض الأحيان لا يستطيع السيطرة على أبنائه ، وفقد الكثير من هيبته التي كانت تعرف عن الآباء والأجداد ، بسبب عوامل مختلفة ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، وانعكس اهتزاز صورة المربي والقدوة على تعاملات الأبناء خارج إطار الأسرة ، وطال من ضمن ما طاله المعلم ، الذي ساعد هو أيضاً على التغيير الذي حدث بالفعل ، كما أن اهتمامات رب الأسرة خارج نطاق جدران بيته ، والتي فاقت ما بداخله ، جعلته بعيداً إلى حد ما عن أبنائه ، وجديدهم في حياتهم ، وصحبتهم ومستوى سلوكياتهم. * الأم التي يفترض أن تكون على اطلاع على ما لم يستطع الأب الحاضر الغائب أن يراه ، هي أيضاً شبه غائبة عنه ، لأسباب ، منها أنها قد تكون تمارس عملاً وظيفياً حكومياً أو خاصاً فتغيب عن البيت عدة ساعات ، تعود بعدها لمحاولة التعويض عمّا فاتها ، فيكون نصيب الابن من وقتها أقل ، كما أنها لا تستطيع تتبع خطواته خارج البيت ، ولا معرفة رفاقه. * والأسرة التي استعاضت

عن الأم بخادمة ، والبعض يسميها «مربية» للأسف ، تعاني سلبيات هذه الدخيلة على عادات وتقاليد المجتمع ، ومبادئه وقيمه وسلوكياته ، ومنها أنها تتمكن من غرس بعض من مفاهيمها في نفوس الصغار واليافعين ، بوعي أو بدونه ، والنتائج تكون مدمرة لصغار يُرتجى منهم أن يكونوا في مقبل الأيام جيل الغد الذي سيبني ويكافح ويحقق ما لم نستطع تحقيقه. والعوامل المسببة لاهتزاز صورة المعلم ومكانته كثيرة ومتفاوتة التأثير ، تنطلق من الأسرة ، وتطاله ، وتتفاعل مع المحيط المدرسي الذي يحتوي أيضاً من الثغرات ، ما يساعد على فقد المعلم هيبته. وشبابنا الصغار يجب أن يقتنعوا بأن الاحترام والتقدير والتبجيل يجب أن يكون عنوان نظرتهم لمعلمهم ، وطرق تعاملهم معه ، حتى يستمر في عطائه المخلص من أجل أن يكونوا علماء الغد).هـ. وتقول الأستاذة منى أبو صبح متناولة هيبة المعلم ما نصه: (يستذكر الخمسيني أبو محمود (أب لخمسة أولاد) معلميه بالقول ، عندما كنا صغاراً نلعب في الشارع ويصادف أن نلمح المعلم قادماً من بعيد فإننا كنا نسارع بالاختباء خوفاً من أن يرانا نلعب في الشارع. هذا يُدلل وفق أبو محمود على قوة شخصية المعلم وهيبته العالية وأسلوبه الذي يأتي بدافع الحرص علينا داخل وخارج المدرسة. ويرى أن الحزم والشدة كانتا من أولى صفات نجاح الرجل التربوي في الوقت الذي تجده أباً عطوفاً رحوماً على طلابه والوقت لديه كالسيف فكان يشعر أن الطلاب أمانة في عنقه ووقت الدرس لديه مقدس والعمل بنظام الثواب والعقاب من أهم مبادئه ، وكانت أسعد اللحظات لديه عندما يطلب منه التلميذ إعادة شرح الدرس ، فكان لا يكل ولا يمل. ويضيف ، من علمني حرفاً كنت له عبداً. نعم كان هناك بعض الشدة في التدريس لكن في رأيي هذه الشدة الممزوجة بالاحترام كانت تعطي ثمارها. هيبة المعلم الجيد موجودة في كل زمان ومكان إذا كان صاحب رسالة ، فالمعلم له مكانته ، وجميعنا نبحث عنه كمن يبحث عن الطبيب الجيد فالإنسان محظوظ إذا وفق بطبيب أو معلم جيد ، وهناك من يرى أن علاقة المعلم بتلاميذه ، يجب أن تقوم على الضبط والاحترام ، وآخرون يؤكدون أن المودة والتواصل مع المعلم مفتاح النجاح. ويخالفه الرأي أبو سند (46 عاماً) بقوله ، كان المدرسون يتعاملون مع طلابهم بالعصا ، ومن لا يجيب يعاقب ويضرب ، فتولد لدى الطلاب عقدة اسمها (المعلم) ، وبرأيي يجب أن تكون العلاقة بين الطالب والمدرس علاقة مفتوحة ، قائمة على التعاون حتى يتقبل الطالب الدروس دون خوف أو ضغوط خاصة مع ما يتوفر للطلاب من أساليب علمية حديثة. وتعبر طالبة الثانوية العامة لين ناصر عن رأيها بالقول: أرى ضرورة أن تكون المعلمة صديقة لطالباتها ، وأن تكون العلاقة مبنية على احترام الطالبة للمعلمة ، وحرص المعلمة على الطالبة كحرص الأم على ابنتها ، أما الشدة والعلاقة المتوترة فلن تعطي ثمارها وتولد الكراهية للمدرسة والمعلمات. وتضيف ، تربطني علاقة طيبة بمعلماتي ، فأنا وصديقاتي على تواصل معهم خارج المدرسة أيضاً ، سواء عبر الفيسبوك أو الواتس آب أو الهاتف ، ولا أنسى ليلة الامتحان الأول بالفصل الأول عندما بادرت معلمة الثقافة العامة بمساندتنا معنوياً والدعاء لنا بالتوفيق والنجاح عبر الواتس آب ، فكان له أثر كبير في نفوسنا ، وليت جميع المعلمات يطبقن ذات السلوك مع الطالبات ، فأي مرحلة تحتاج الدعم والتحفيز. وتؤكد المعلمة آيات الخوالدة أن مجتمع المعلمات يبدو أفضل حالاً مما هو لدى المعلمين ، من حيث الرضا الوظيفي والقيمة النفسية والمجتمعية لمهنة التعليم ، لأن المعلمات بطبيعة الحال تمتهن الأمور المعنوية وملامح التقدير والاحترام أكثر من أي شيء آخر ، وهنا يكمن الفرق بين المعلم والمعلمة وتأثيرهما ومعاملاتهما مع الطلبة. وتقول: أرى أن شخصية المعلم وقدرته على الإقناع والمواجهة والتحدي والنقد البناء ، من الأسس القوية التي تحفظ للمعلم هيبته في المدرسة والمجتمع ، وهنا لا بد أن يكون المعلم أهلاً للتعامل مع الآخرين ، سواء الطلبة أو الزملاء ، والالتزام في كل شيء دون المماطلة

والتسويف ، والتعاون مع الآخرين وتقديم المساعدة والنصح والإرشاد لهم ، والتسامح من الأسس القوية التي تعيد للمعلم هيبته ومكانته ، ولِم لا تكون علاقتنا بطلابنا يسودها المودة والصداقة. أما الطالب علي حمود في الصف العاشر فيرى أن العلاقة بين المعلم وطلابه مبنية على الاحترام فقط ، ويجب أن لا تخرج عن هذا الإطار ، فمهما كان الطالب متفوقاً دراسياً يجب أن يحترم معلمه ويوقره. ويبين الطالب علي صالح في الصف الأول ثانوي أن له علاقات وطيدة مع أغلب معلميه ، فلا يمكنه وزملاؤه تقبل وفهم الدرس من المعلم إلا بتكوين صداقة معه. ويذكر عندما جاءهم معلم مادة الرياضيات فيقول: كان حازماً وشديداً رغم عمره المتقارب مع أعمارنا ، فهو خريج جديد ، أراد ضبط الطلبة بمعاملته هذه ، وبصراحة لم يرق هذا لنا أبداً ، وفضلنا التحاور مع المعلم أكثر من مرة ، حتى شكلنا وإياه صداقة قوية وطيدة ، فما أجمل الرحلة المدرسية التي رافقنا بها منذ أيام قليلة. وتبين التربوية ومديرة إحدى المدارس الحكومية د. أمل بورشيك السبب الذي أدى إلى زعزعة الثقة بأداء المعلم وتنفيذ مهمته ، وهو عزوف الأقوياء من المعلمين ومن يجدون فرصة عمل جيدة عن مهنة التعليم ، كما أن استهلاك وقت المعلم في المراسلات الإلكترونية ، وتعامله مع جيل يتقن لغة تكنولوجية تسهل التواصل لديه ، ولكنها تضعف التواصل بلغة علمية للتعلم مثل أرابيزيان ، ولغة الاختزال التي يتقنها مع أقرانه ويستمتع بها ويسبب له ضغطاً نفسياً استخدام اللغة العلمية الصحيحة من حيث القواعد ، وأيضاً الأجور المتدنية والتي لا تفي بحاجات المعلم تضطره لمغادرة هذه المهنة ، دخول مجموعة دون المستوى المطلوب إلى مهنة التعليم أسهم في كثرة الأخطاء المتكررة في هذا الميدان ، وغيرها الكثير من الأسباب. وتقول: يجب المحافظة على مساحة أمان كافية بين المعلم وطلبته في عملية التعلم وبين كل من لهم علاقة بذلك ، ونحن نلاحظ أن دور مربي الصف الأسري الحنون الملم بأوضاع طلبته يزول بفعل كثرة الضغوط التي يواجهها ، في هذه الأيام التواصل سهل ولكن في أي اتجاه موجه هل هو تواصل بناء لتعزيز التعلم ، أم لمضيعة الوقت. وتختم بقولها: لا يجوز مقارنة الماضي بالحاضر ، فنسبة التعلم حالياً أكبر وأكثر تخصصية ، ولا يمكن أن نقلل من معلم اليوم الذي إن فعل دوره عن بعد في التعليم ومخترقاً أسوار المدرسة يضفي تعلماً قيماً يستفيد منه الجميع ، وظهور لغات تواصل حديثة بين الطلبة ورغبتهم في التعلم بسرعة للعودة للعب على أجهزة الألعاب الإلكترونية. وتنصح بوشيك بقولها: على المعلم الذي قبل بهذه المهنة أن يعود الى وصفه الوظيفي للالتزام بما هو مطلوب منه والعمل بأمانة ، فعليه أن يستخدم المحادثة الشجاعة والنقاش بجرأة مع طلبته ومع آبائهم ومع نفسه ، أن يلتحق بدورات التطوير المطلوبة لتحسين أدائه ، أن يتابع حاجات هذا الجيل ورغباته).هـ. ويقول الأستاذ رمزي منصور عبد الجبار ما نصه: (حقيقة بيت الشعر الذي قاله أمير الشعراء أحمد شوقي قبل عشرات السنين «قم للمعلم وفه التبجيلا .. كاد المعلم أن يكون رسولاً». لم يعد له مكان بين طلاب الجيل الحالي ، وربما كثير منهم لم يسمعوا به ، بعد أن فقد المعلم هيبته ، وأصبحت مهنة التدريس وفقاً لرأي اختصاصيين مهنة من لا مهنة له. وصحيفة «عكاظ» فتحت مع عدد من التربويين موضوع افتقادهم في الوقت الحاضر للهيبة والتقدير اللذين كان يتمتع بهما نظراؤهم في الأجيال السابقة ، وحملوا الأسرة وأولياء الأمور واللوائح والإعلام المسؤولية ، موضحين أن الآباء في السابق كانوا يوصون أبناءهم الطلاب على احترام وتقدير معلميهم ، في حين أصبح أولياء الأمور يحاسبون المدرس في وقتنا الحاضر على كل صغيرة وكبيرة أمام الطلاب ما يفقده قيمته. وذكروا أن الإعلام دائما ما يقسو على المعلمين والعملية التربوية كافة ، دون أن يقدموا الحلول للأخطاء إن وجدت ، ولم يبرئ أولئك التربويون ساحتهم من تحمل ما يحصل لهم ، لافتين إلى أن بعض المعلمين قد يصدر منهم بعض التقصير في أداء عملهم ، ما يفقدهم هيبتهم بين الطلاب ،

فضلاً عن عدم قدرتهم على التعامل بالطريقة المثلى مع التلاميذ تحفظ لهم قيمتهم. وأكد التربوي خالد الغامدي (مدير مدرسة) أنه كلما حافظنا على هيبة المعلم وقيمته ، كلما حققت المدرسة أهدافها المنشودة ، مشيراً إلى أن العملية التعليمية لن تستقيم في حال لم تكن قيمة رفيعة للمدرسين أمام طلابهم. وقال الغامدي «تألقُ الجيل السابق لم يأت إلا بالنظرة الإيجابية التي كان يلقاها المعلم في المجتمع ، والثقة التي كان يلقاها من الأسر وأولياء الأمور آنذاك ، تسانده في تعليم وتربية أبنائها ولهذا وجد الجيل المتميز الذي يقدر المعلم» ، مشيراً إلى أن ما يحصل للمعلم اليوم من عدم تقدير وتوقير جعل العملية التربوية والتعليمية تختل كثيراً ما انعكس سلباً على نوعية مخرجاتها. وشدد على أهمية أن نعيد للمدرسة مكانتها ، ونعيد القيمة للمعلم حتى يصنع الأجيال التي نفخر بها ، وذلك بالتشجيع والمؤازرة ، ومنح المدرسة قيمتها الحقيقية التي تعادل قيمة المسجد ، مؤكداً أن المعلمين يشتركون في هذه المسؤولية ، بالارتقاء بالتعليم والإخلاص في عملهم وأداء رسالتهم التربوية على أكمل وجه ، حتى يحظى بتقدير الجميع. وذكر أن كثيراً من التربويين حالياً صنعوا لأنفسهم مكانة راقية بين طلابهم وفي المجتمع ، من خلال الإخلاص في عملهم وتأدية رسالتهم بالطريقة المثلى. إلى ذلك ، بيّن المعلم إبراهيم غبين (ماجستير دمج ذوي الاحتياجات الخاصة من جامعة بيرمنجهام) ، أن المعلم أضحى كسير الجناحين جراء افتقاد هيبته لدى طلابه ، الأمر الذي أدى إلى تدني مستوى التحصيل لدى الطالب من خلال عدم إعطاء المعلم تلك الأهمية البالغة بسبب قلة الصلاحيات الممنوحة للمعلم ، وبسبب تلك الأنظمة التي تتيح للطالب الانتقال من مرحلة إلى أخرى بشكل أسهل من السابق ، فلم نعد نسمع كلمة «راسب» ، أو «أعاد السنة الدراسية» ، إلا في النادر جداً. وبدأ المعلم علي أحمد سهلي حديثه بالبيت الشهير: «قم للمعلم وفه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا» ، مشيراً إلى أن ذلك البيت كان يؤثر فيهم حين يردده أولياء أمورهم عليهم في المنزل ، فيزيد تقديرهم واحترامهم للمعلم الذي كاد أن يبلغ مرتبة الرسل ، ما يضفي عليه الهيبة والوقار. وقال سهلي: «للأسف لم يعد ذلك البيت يتردد بكثرة حالياً كما كان في السابق ، ويرى البعض أن الوضع وراء افتقاد المعلم لهيبته ، لكن أرى أن البيت وأولياء الأمور هم من يرفعون قدر المعلم عند أبنائهم الطلاب ، ليس بالترهيب ، بل بالتربية على احترامه وتقديره كما يحترم الابن الأب» ، مستغرباً تصرف عدد من أولياء الأمور الذين يحضرون إلى المدرسة لمحاسبة المعلم على كل صغيرة وكبيرة تمس الطالب ، ما يفقد المعلم هيبته أمام طلابه. وبدوره ، رأى المعلم عباس بكري آل زيلع ، أن إعادة هيبة المعلم تتمحور في ثلاثة محاور وهي وزارة التربية والتعليم ، والمدرسة والمعلم ، وولي الأمر ، مطالباً الوزارة بإعادة دراسة لائحة السلوك والمواظبة بما يسهم في إعادة هيبة المعلم ، لافتاً إلى أنهم لا يريدون عمل ورشات ودورات ومهرجانات وديكورات ، لا تفيد المعلم بشيء. واقترح منح مديري المدارس الصلاحيات الكاملة في إصدار العقوبات الرادعة بحق الطالب المخطئ بحق المعلم ، مؤكدا أن التربوي له دور كبير وحيوي في إعادة الهيبة له ، من خلال تطوير قدراته ، وإتقانه للمادة العلمية بالشكل الصحيح وأن يكون قدوة حسنة للطالب في تصرفاته داخل المدرسة وخارجها ، حيث إن حمل العصا ليس حلاً لهذه الظاهرة. ونبه آل زيلع إلى أهمية تثقيف أولياء الأمور بأهمية التربية قبل التعليم من قبل المدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام بجميع أنواعها. من جهتها ، ذكرت معلمة اللغة الإنجليزية نجاة محمد خيري أن شخصية المعلم والمعلمة تلعب دوراً كبيراً في الحفاظ على الهيبة من خلال استراتيجيات معينة أهمها فن إدارة المواقف الصعبة وإدارة الصف واتباع الطرق التي تمكن المعلم من أسر قلوب الطلبة بسياسات اللين مع الحزم والعطاء العاطفي واحترام وتقدير كينونة الطالب النفسية والعقلية والعاطفية وتفهم قدراته وإمكاناته والدوافع والأسباب خلف تراجعه سلوكياً

أو تعليمياً أو حتى إبداعياً. وأوضحت خيري أنه يجدر بالمعلمين والمعلمات أن يكونوا على دراية بالسمات العمرية لفئة الدارسين في الصف حتى يتمكنوا من إعداد خطة تشغيلية متكاملة تعليمياً وترفيهياً وسلوكياً لتبديد الطاقة المكبوتة والتي قد تحيل الفصل إلى براكين لا تهدأ من السخط والانتقام ، لافتة إلى أن الكفاءة العلمية والمهارة التربوية وجهان لعملة التميز في مجال التعليم. بينما أكدت المعلمة لطيفة عجيبي أنه لو استخدمت الأساليب القديمة في التربية والتعليم لعادت الفائدة للطالب ، مطالبة بإلغاء جميع القرارات الوزارية التي تقف مع الطالب ضد المعلم وخاصة قرار «حتى يسقطك أرضاً». وأرجعت معلمة الرياضيات حنان أحمد الشيخي ضياع هيبة المعلم إلى تدني مستوى التربية ، ما جعل الطالب لا يحترم ولا يقدر المعلم الذي يقف أمامه ، فقديماً كانت المعلمة بمثابة الأم لها هيبتها ووقارها أمام الطالبات ، مبينة أن البيت والأسرة لهما دور كبير في إعادة الهيبة للمعلم. من جانبه ، أوضح الدكتور صالح يحيى الجار الله أستاذ علم النفس بجامعة الباحة أن مهنة التعليم من أشرف وأنبل المهن الإنسانية في تاريخ البشرية ، فالمعلم على مر التاريخ صاحب الحظ الأوفر من الاحترام والتقدير في المجتمعات ، ولكن في الآونة الأخيرة تغير حال المعلم إلى الدرجة التي فقد هيبته بين تلاميذه وفي المجتمع. وقال الجار الله: «فقد المعلم هيبته لأسباب عدة بعضها متعلق بالمجتمع ، وأخرى يتحملها المعلم ذاته ، فالنظرة الاجتماعية لمهنة التعليم جعلت منها مهنة غير مرغوبة لدى الكثير من الخريجين ، لأنها الأكثر استقطابا للخريجين وللضمان الوظيفي فقط يتجه إليها البعض مع عدم القناعة بها كمهنة ، ما جعلها مهنة من لا مهنة له» ، ملمحاً إلى أن من الأسباب المهمة في تدهور قيمة المعلم في المجتمع النقد الدائم الذي يلقاه في وسائل الإعلام التي تمارس ضغوطاً على المعلم وعلى العملية التعليمية. وأضاف الجار الله: «انتشار وسائل الإعلام الحديثة أسهم بشكل كبير في فقدان المعلم لهيبته! فالكم الكبير من هذه الوسائل واستعراض كل تفاصيل العملية التعليمية وخوف المعلم من النقد بشكل عام ، ولا ننسى أن ما صاحب الفترة الحالية من تغيرات اجتماعية أثر على منظومة القيم الاجتماعية لدى الناشئة من طلبة المدارس وأسهم بشكل كبير في عدم احترام وتقدير المعلم من قبل طلابه وأفراد المجتمع» ، لافتا إلى أن هناك أسباباً أخرى تتعلق بالأنظمة واللوائح التي تسهم في ضعف مستوى تقدير الذات للمعلم ، وعدم احترام الآخرين له. وذكر أن من الأسباب الخاصة بالمعلم منها ضعف مستواه علمياً ما أفقده هيبته أمام طلابه وزملائه ، والمجتمع أيضاً ، وهنالك أيضاً السمات الشخصية ، والخلقية التي أسهمت أيضاً في فقد هيبته أمام الآخرين ، فالمعلم هو القدوة لطلابه ، والآخرين فإذا فشل النموذج والقدوة في إقناع الآخرين بهيبته ، وأهميته فإنه من الطبيعي يفقد احترامه وهيبته أمام الآخرين. وذكر أنه بالنظر إلى هذه الأسباب فإن علاج هذه المشكلة العسيرة تكمن في الاختيار السليم للمعلم ، اختياراً يبنى على أسس علمية صحيحة ، وإعادة دراسة بعض اللوائح والأنظمة التي تضعف من احترام المعلم وتعديلها. وطالب الجار الله منح المعلم بعض المميزات الاجتماعية التي تسهم في الارتقاء بمهنة المعلم ومنها على سبيل المثال لا الحصر: تأهيل المعلم علمياً وتربوياً باستمرار ، توعية المجتمع بأهمية مهنة التعليم ، الإسراع في إنشاء جمعية تضم المعلمين المتميزين ، إتاحة الفرصة للمعلم للتدريب والابتعاث داخلياً ، وخارجياً ، تشجيع الدراسات والأبحاث حول هذه الظاهرة ، منح المعلم بعض الخدمات الخاصة ، وسرعة خدمته في الدوائر الحكومية المختلفة أثناء مراجعته فيها ، الاحتفاء بالمعلم باستمرار من قبل مؤسسات المجتمع المختلفة. وفي السياق ذاته ، بين علي محمد باعشن (أخصائي اجتماعي) أن هيبة المعلم تكمن في احترامه وتقديره ، مشيراً إلى أنه في الماضي كان يتمتع بكثير من التقدير والتوقير لوجود توافق وتكامل بين البيت والمدرسة وكل اللوائح التي تمنح المدير والمعلم الصلاحيات كافة. وأشار إلى أن

هيبة المعلم تعتمد على ما يمتلكه المعلم من قدرات ومهارات في مراعاة الفروق الفردية للطلاب والقرب منهم واستخدام وسائل التحفيز والتعزيز ، خصوصا أن البعض ينظر للوائح والتعليمات بأنها سبب لاختفاء هيبة المعلم ، مبيناً أن للأسرة والإعلام الدور الأكبر في إنشاء جيل يعي ويحترم المعلم ليعود إلى مكانه وهيبته ، وينعكس ذلك على أدائه في المجتمع كافة).هـ. وتقول الأستاذة فاطمة خشّاب درويش تحت عنوان: (مهنة التّعليم وفنّ صناعة الإنسان) ما نصه: (كان المعلّم ولا يزال موضع تقدير وتكريم ، ولم يختلف على ذلك أحد عبر العصور ، لأنَّ مهمَّته هي صناعة الإنسان ؛ هذه المهنة الَّتي تعتبر من أشرف المهن وأرقاها. يعتبر يوم المعلّم مناسبةً لتكريم المعلّم في مختلف بلدان العالم ، وهو بمثابة إحياءٍ لذكرى توقيع التَّوصية المشتركة الصَّادرة عن منظَّمة العمل الدّوليَّة ومنظَّمة الأمم المتحدة للتَّربية والعلم والثَّقافة (اليونسكو) ، في العام 1966م ، والمتعلّقة بأوضاع المعلّمين. وفي أجواء الاحتفال بعيدالمعلّم ، كان لا بدَّ من الإطلالة على دور المعلّم بين الأمس واليوم ، وأبرز التَّحدّيات الَّتي يواجهها اليوم ، في ظلّ الثَّورة التكنولوجيَّة والمعلوماتيَّة الَّتي نعيشها على أكثر من صعيد. والمعلّم هو مفجّر الطاقات ، وأداة التغيير ، ورأس الحربة ، وقائد المستقبل. طبعاً هذا إذا ما توافرت فيه سلامة العقيدة ، وغزارة العلم ، ومهارة الأداء ومنظومة القيم ، ورساليَّة السّلوك. وبهذه الكلمات المعدودة ، يختصر الباحث والخبير التربوي ، د.محمّد رضا فضل الله ، دور المعلّم والمواصفات الَّتي تؤدّي إلى نجاحه في مهمَّته الرساليَّة ، متوقّفاً عند مناسبة يوم المعلّم ، وأهميَّة تكريم الإنسان الَّذي هو موضع تكريم وتفضيل من الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات ، كما جاء في القرآن الكريم في سورة الإسراء: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}. وفيما يتعلَّق بالأهداف التربويَّة الَّتي يجب على المعلّم أن يسعى إليها في كلّ زمان ومكان يوضح د. فضل الله أبرز هذه الأهداف ، من خلال نقطتين غاية في الأهميَّة: * تنمية كامل شخصيَّة المتعلِّم ، بأبعادها الجسديَّة والنفسيَّة والعقليَّة والاجتماعيَّة والرّوحيَّة. *إكساب المتعلِّم المعارف والخبرات والمهارات الكافية الَّتي تمنحه الثَّقافة ، والقدرة على التكيّف ، ومواجهة تحدّيات المستقبل في سوق العمل وآفاق الإبداع. ويتابع قائلاً: حتى يملك المعلّم القدرة على تحقيق هذه الأهداف بكفاءة عالية ، عليه أن يمتلك المؤهّلات العلميَّة ، والمهارات الأدائيَّة ، والقيم الإنسانيَّة، والآفاق العصريَّة المنفتحة ، من أجل أن يساهم في تقديم شخصيَّةٍ قادرةٍ على مواكبة التّطوّر والتجدّد في الأساليب الحديثة والتقنيّات المعاصرة ، فالمعلّم يتحمَّل مسؤوليَّة تحضير الأبناء لمجتمع الغد ، لا أن يكون صورةً عن الماضي والحاضر فقط ، هذا ما تقتضيه الحكمة القائلة: لا تخلّقوا أبناءكم بأخلاقكم ، فإنَّهم خلقوا لزمانٍ غير زمانكم ، وهذا ما يجب على المعلّم أن يسعى إليه. وتؤكّد مديرة دار الصَّادق للتّربية والتّعليم ، الأستاذة نهى الصَّايغ ، وجود جملةٍ من المتغيّرات طاولت العمليَّة التربويَّة برمّتها ، سواء في أسلوب التَّدريس أو في إعداد المعلّمين ، لافتةً إلى أهميَّة أن يمثّل الأستاذ اليوم القدوة في التّعليم لطلابه ، سواء من خلال الأسلوب أو الوسائل والتّقنيات المعتمدة في التَّعليم. وتضيف: في إطار إعداد المعلّمات ، نسعى إلى التدريب على الوسائل الحديثة في التّعليم ، الّتي تكون جزءاً من العمليَّة التعليميَّة ، كاللّوح التفاعليّ ، واستخدام محركات البحث ، وما إلى ذلك من الوسائل التي تساهم في إعداد معلّمٍ ناجحٍ للمستقبل. وفيما يرتبط بتأثير التطوّر المعرفيّ والتقنيّ في دور المعلّم الأساس في العمليَّة التعليميَّة ، تشير الصَّايغ إلى أنَّ هذا التطوّر فرض تعديلاً في الأدوار ، فتحوَّل دور المعلّم من مصدر للمعلوماتٍ إلى موجِّه لها ، وتقول: أصبحت مهمَّة المعلِّم إدارة العمليَّة التربويَّة ، وتنمية التّفكير النّاقد عند التّلميذ ، من أجل مساعدته على الاختيار الصَّحيح للمعلومة ومصادر المعرفة. وتلفت الصَّايغ إلى مهمَّة جديدة أضيفت اليوم

إلى مهام الأستاذ ، وهي مهمَّة إدارة السّلوك ، وبخاصّة بعدما تراجع تأثير دور الأهل في العملية التربويّة ، ما خلق أمام المعلّم تحدّياً كبيراً ، يتمثَّل بكيفيّة جذب الطالب إلى العمليَّة التعليميَّة. وعن دور المعلّم في الحاضر والمستقبل ، يشير الدكتور فضل الله إلى ضرورة تبنّي المعلّم الثّقافة المعرفيَّة الإثرائية ، مهما تقادم الزَّمن أو تغيّر ، فهي غير قابلة للتَّعديل والتّبديل ، وهي تمثّل مقدِّمات يبني عليها المعلّم التراكم المعرفيّ عند الطّلاب ، مؤكّداً ضرورة التزام المعلّم الَّذي يريد أن يمارس مسؤوليَّته في التربية والتعليم بعدد من المبادئ ، هي: على المعلِّم الأخذ بأسباب التطوّر الحديث ، كي يبقى معلِّماً لتلميذه ، لا أن يصبح متعلِّماً منه).هـ. وتحت عنوان: (مَنْ يعيد للمعلم هيبته وقيمته المعنوية؟) يقول الدكتور عباس العصيمي ما نصه: (مما لا شك فيه أن سبباً من أهم أسباب تردي التعليم لدينا ، هو ضياع هيبة المعلم ، فالقريب من سلك التعليم يدرك ذلك ، فقد تعرض المعلم في العقدين الأخيرين لحملة شعواء لهضم حقوقه وتشويه صورته ، وتقليص صلاحياته في ظل تحصين الطلاب بالأنظمة التي تشجعهم على التمرد وعدم المبالاة سواء من الناحية السلوكية أو الانضباطية في مسألة الحضور أو حتى الناحية التحصيلية ، والأدهى من ذلك هو إلصاق جميع ما يحدث في التعليم من تردي بشخصه المسكين ، حتى ترسّخ ذلك في أذهان الكثيرين ممن لا يعرفون الكثير من الخفايا. ولقد أعدت الطالبة إسلام أبو زهري من جامعة اليرموك موضوعاً حول إعادة الهيبة للمعلم ومهنة التعليم مسؤولية الجميع. جاء في بعض مواده نصياً: (تعتبر مهنة التعليم من أرقى المهن في جميع المجتمعات ، ولا شك أن العلم هو الركيزة الأساسية لانطلاق وتطور الأمة في جميع مجالات الحياة ، فالمعلم كان وما زال يحظى بأهمية في المجتمع ، لكن تبعاً للظروف والمتغيرات في ثقافة المجتمع الجديدة تغيرت النظرة إليه نتيجة لقصور في تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات داخل المدرسة. مدير إحدى المدارس الحكومية نافذ حماد يقول بأنه أمضى في حقل التعليم ربع قرن من الزمان ، ووجد أن مهنة التعليم رسالة عظيمة يقوم بها أنبل الناس مبيناً أن من أسباب التغير في النظرة للمدرس ، تراجع القوانين والأنظمة الموجودة التي تحجم من دوره ، محمّلاً وزارة التربية والتعليم المسؤولية في تراجع هيبة المعلم. ويضيف: إن التعليم عندنا يحظى بمكانة وسمعة عالية في المهنية والاحتراف لكن تنقصه القوانين والأنظمة التي تحكم العلاقة بين الطالب والمعلم ، وإذا أعطي الصلاحيات من قبل الوزارة فإن مكانته تعود إلى ما كانت عليه ، فالمعلم هو أب يحنو على طلبته حتى لو استخدم أسلوب العقاب غير المسيء لشخصية الطالب. ويشير إلى أن المعلم بدوره يتحمل أحياناً جانباً من المسؤولية في تراجع هيبته لأسلوبه الذي يندمج بلا حدود في علاقات وصداقات مع الطلبة ما يجعلهم يستهينون به وبدوره مبيناً أن الظروف المادية للمعلم جعلته يتجه إلى أبواب رزق أخرى بعد الدوام فمثلاً قد يعمل سائق تاكسي أو في مطعم وبالتالي يراه الكثير من طلبته ، وهو ما يقلل من هيبة شخصيته أمامهم في المدرسة. ويؤكد حماد أن غياب التشريعات التي تحكم العملية التربوية أدت إلى عنف طلبة المدارس والتجرؤ على المعلم. ويرى أن هيبة المعلم في المدارس الخاصة أقل من هيبته بالمدارس الحكومية لأن الطالب يدفع رسوماً وأقساطاً وبالتالي فهو مدلل. ويضيف: أيام زمان كانت علاقة الطالب بالمعلم تقوم على المحبة والاحترام المتبادل حيث يأتي الطالب للمدرسة لينهل من المعلم ، لأنه المرجعية الوحيدة له ، أما الآن فالوضع قد تغير ، فلقد تعددت مصادر المعرفة نتيجة للتطور في التكنولوجيا الحديثة بالإضافة إلى الدروس الخصوصية ، ما أثر سلباً على الطالب وعلى مسيرة الحصة وعطاء المعلم لطلبته. ويقول بأنه إذا التقى بأستاذه يقف له إجلالاً واحتراماً بينما الطلبة في الوقت الحاضر إذا شاهدوا أساتذتهم فإنهم يدخنون السجائر هذا الفرق بين نظرة جيلين للمعلم ودوره. ويرى المعلم إدريس القضاة إن هناك تراجعاً في هيبة المعلم في المدارس ، عازياً ذلك

إلى عدة عوامل منها العامل الاقتصادي ، فراتب المعلم لا يكفي لسد حاجته بالتالي يؤثر ذلك نفسياً عليه وعلى عطائه للطالب ، بينما يلعب العامل الاجتماعي دوراً كبيراً ، فالمعلم كان يُقدم في جميع الأمور حتى في تشكيل الوزارات ، وكان يحظى باحترام وتقدير ، أما الآن فالنظرة للمعلم اختلفت وهذا ما جعل المعلم ينكفىء على ذاته. ويضيف: كان المعلم المصدر الوحيد للمعرفة ، أما الآن فتراجع دوره في مجتمعه نتيجة لدخول التكنولوجيا الحديثة بالإضافة إلى الهامش الواسع من الحريات الذي كفلته الديمقراطية وتأثر الطلبة بوسائل الإعلام ما أدى إلى تمادي وتجاوز الطلبة على المعلم. ويبين أن المعلم كان يتعامل مع الطالب بقسوة من أجل مصلحة الطالب ، وكانت نتيجة ذلك جيلاً واعياً يمتلك المعارف والخبرات ويربي الأجيال ، أما الآن فتغير الوضع حيث أدت التشريعات والقوانين إلى الإقلال من هيبة المعلم لتدلل الطالب. ويقول المعلم رياض ست أبوها: إن المعلم يتحمل بدوره جانباً من تراجع هيبته وذلك عائد إلى أسلوبه في التعامل مع طلبته فهو المسؤول عن إثبات شخصيته أمام طلبته فالطالب لا يتمادى مع المعلم صاحب الشخصية القوية. ويضيف: إنه يتوجب على المجتمع تقدير دور المعلم خاصة وأن حث الأهل لأبنائهم على إبداء الاحترام والسلوكيات الحميدة يعيد للمعلم جزءا من هيبته إضافة إلى تفعيل القوانين والأنظمة التي تحكم العلاقة بين الطالب والمعلم. ويشير المعلم محمود عبد الكريم إلى أن المعلم بحاجة إلى تدريب وتأهيل ليتمكن من تعليم الطالب وفرض شخصيته عليه ، ويرى بأن القوانين في الماضي كانت مع المعلم ، لكن الآن انقلبت الموازين فأصبح الطالب يتمادى على المعلم دون اتخاد أي إجراء بحقه. وتعزي المعلمة سناء الخطيب تراجع هيبة المعلم في المدارس لعدة أسباب منها التربية الخاطئة للأبناء حيث يأخذ الطالب كل شيء يريده من والديه ويأتي إلى المدرسة ليمارس سلوكيات خاطئة ويفرض شخصيته على المعلم بدلاً من أن يفرض المعلم شخصيته ، فضلاً عن التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على أفكار الطالب وجعله غير مبال وغياب حملات التوعية التي تعرف الطلبة بكيفية التعامل مع معلميهم وأيضاً لا بد من معرفتهم للعقوبات التي تترتب على إساءتهم لأي معلم لكيلا يفكروا في الإساءة اليه. وترى المعلمة تقوى العمري أن الجيل الحديث بحاجة إلى الحوار لكن مع الحزم في التعامل مع الطلبة مشيرة إلى أن وسيلة الضرب المبرح ليست حضارية ، ولا تجدي مع هذا الجيل ، وتؤكد أهمية إشراك المعلم بدورات ، خاصة حديث التخرج وأيضاً متابعة الإدارة للمعلم وزيارته صفياً وتقييمه وتوجيهه من قبل المشرفين. يقول الدكتور في علم النفس علاء صوالحة: إن هناك عدة أسباب أدت إلى تراجع هيبة المعلم في المدارس منها عدم تفعيل القوانين والأنظمة في المدارس وأيضاً نظرة بعض الأهالي للمدرس وعدم احترامهم لدوره ، ما نجم عن ذلك عدم احترام الطالب للمعلم وتماديه على حقوقه. ويوضح بأن القوانين لا بد من وجودها لتنظيم علاقة الطالب مع المعلم لكن للأسف أصبح من السهل أن يقف المعلم أمام طالبه في المحكمة حتى لو كان يفتري على المعلم. يقول الطالب خالد جرادات: إن نفسية الطالب جعلته يتمادى على أستاذه ، حيث كان الطلبة يسكتون حال دخول المعلم إلى الصف ، مضيفاً أنه لا يوجد حاليا عقوبات رادعة للطالب المستهتر ، ويرى بأن شخصية المعلم لها دور في إيجاد مكانة وأهمية له داخل الصف. ويقول الطالب راشد النعسان: إن المعلمين يقدمون لنا أفضل ما عندهم ، وفي الوقت ذاته يتعاطفون مع الطلبة ، والمعلم لا يستطيع ضبط أربعين طالباً أو أكثر داخل الصف. ويقول نقيب المعلمين النائب مصطفى الرواشدة: إن تراجع هيبة المعلم ليست بالقضية الجديدة ، بل تراكمية منذ عقود ماضية نتيجة لعدم الاهتمام بواقع المعلم وعدم إعطائه الحقوق الأساسية وبالتالي أدى ذلك إلى تراجع هيبة المعلم. ويؤكد على أن هناك مجموعة من التحديات والمشكلات التي أدت إلى تراجع هيبة المعلم ومنها اختلال منظومة القيم الأخلاقية بالإضافة إلى قصور التشريعات والقوانين

الناظمة ما أسهم بدرجة كبيرة فى تراجع هيبة المعلم ومكانته).هـ. ولقد أعد المعهد العربي الإسلامي في طوكيو ـ الملحقية الثقافية تقريراً عن التعليم في اليابان جاء في بعض فقراته ما نصه: (تتميز اليابان بشكل عام بمركزية التعليم ، أو نستطيع القول أن نظام تعليمها يغلب عليه طابع المركزية. ومن إيجابيات هذا المبدأ في التعليم توفير المساواة في التعليم ونوعيته لمختلف فئات الشعب على مستوى الدولة بغض النظر عن المقاطعة أو المحافظة التي وُلد فيها التلميذ أو الطالب ، وبذلك يتم تزويد كل طفل بأساس معرفي واحد سواء كان في شمال اليابان أو جنوبها أو وسطها وبغض النظر عن الحالة الاقتصادية لهذه المنطقة ، حيث تُقرر وزارة التعليم اليابانية الإطار العام للمقررات الدراسية في المواد كافة بل ويُفصَّل محتوى ومنهج كل مادة وعدد ساعات تدريسها ، وبذلك يتم ضمان تدريس منهج واحد لكل فرد في الشعب في أي مدرسة وفي الوقت المحدد له. وعادة لا توجد اختلافات جوهرية تذكر بين المدارس في مختلف مناطق اليابان وكلها تتمتع بمستوى متجانس عال مع التفاوت في نوع التفوق فقط. والوزارة مسئولة عن التخطيط لتطوير العملية التعليمية على مستوى اليابان ، كما تقوم بإدارة العديد من المؤسسات التربوية بما فيها الجامعات والكليات المتوسطة والفنية. ومن المعروف أن المدارس في اليابان هي التي قامت بغرس المعرفة التي ساعدت اليابان على التحول من دولة إقطاعية إلى دولة حديثة بعد عصر (ميْجى – Meiji - 1868 -1912) ، وكذلك تحول اليابان من دولة مُنْهكة تتلقى المساعدات بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولة اقتصادية كبرى تُقدم المساعدات لمختلف الدول النامية في العالم. ولكن في الحقيقية لا يعني ذلك أن مركزية التعليم مطلقة في اليابان فهناك قسط أيضًا من اللامركزية حيث يوجد في كل مقاطعة من مقاطعات اليابان مجلس تعليم خاص بها ، ويعتبر السلطة المسئولة عن التعليم وإدارته وتنفيذه في هذه المقاطعة. ويتكون مجلس التعليم من خمسة أعضاء يعيّنهم رئيس المقاطعة أو المحافظ بموافقة مجلس الحكم المحلي الذي يتم تعيين أعضائه بما فيهم رئيس المقاطعة من قِبَل سكان المقاطعة. ويقوم هذا المجلس باختيار الكتب المناسبة لمقاطعته من بين الكتب المقررة التي عادة ما يقوم القطاع الخاص بطباعتها ، ولكن بالطبع بعد الحصول على موافقة من وزارة التعليم عليها. ويقوم هذا المجلس أيضًا بإدارة شؤون العاملين بما في ذلك تعيين ونقل المعلمين من مدرسة لأخرى ، كما يقوم بالإشراف على مؤسسات التعليم الإقليمية وتقديم النصح لها. كما أن المعلمين بالرغم من المركزية في الإشراف عليهم ، إلا أنهم يتمتعون أيضًا بقسط من الحرية بصفتهم من هيئة صُناع القرار بالمدرسة وعلى رأسهم مدير المدرسة. وهم يجتمعون في ربيع كل عام لمناقشة وتقرير الأغراض التربوية للمدرسة ، والتخطيط لجدول النشاط المدرسي لتحقيق تلك الأغراض التربوية وإعداد ذلك في كتيب كل عام. كما يقوم المعلمون كذلك بعقد حلقات بحث أو «سيمنار» كل ثلاثة أشهر لإلقاء البحوث والنقاش حول نظريات التعلم ومشاكل العملية التعليمية. وهم يقومون بإدارة مدارسهم دون ضغط ملزم من جانب الوزارة وذلك تحت ظل سلطة اتحادهم. ولذلك يشعر المعلمون في اليابان بأهميتهم في صنع القرار ، لأنهم ليسوا مجرد موظفين تابعين لوزارة التعليم. ويبدو أن مبدأ التمازج والتوازن بين المركزية واللامركزية يتلاءم مع نظام التعليم الياباني ، ويعكس طبيعة التفكير اليابانية في المزج بين الثقافات والقديم والجديد. فالمركزية كانت موجودة قبل فرض قوات الحلفاء وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية مبدأ اللامركزية وغيرها من الإصلاحات على نظام التعليم في اليابان بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية. ولكن بعد أن استعادت اليابان سيادتها في عام 1952م ، قامت بإلغاء بعض الإصلاحات التي فُرضت عليها ولم تكن مناسبة لها ومنها مبدأ اللامركزية. ويركز النظام الياباني للتعليم على تنمية الشعور بالجماعة والمسؤولية لدى التلاميذ والطلاب تجاه المجتمع بادئًا بالبيئة المدرسية

المحيطة بهم ، مثل المحافظة على المباني الدراسية والأدوات التعليمية والأثاث المدرسي وغير ذلك. فمن المعروف عن المدارس اليابانية المحافظة على نظافة المدرسة ، فأول شيء يُدهش زائر المدرسة اليابانية وجود أحذية رياضية خفيفة عند مدخل المبنى المدرسي مرتبة في خزانة أو أرفف خشبية يحمل كل حذاء اسم صاحبه ، حيث يجب أن يخلع التلاميذ أحذيتهم العادية وارتداء هذه الأحذية الخفيفة النظيفة داخل مبنى المدرسة. وهذه العادة موجودة في معظم المدارس الابتدائية والمتوسطة وكثير من المدارس الثانوية أيضًا. ومن الشائع في المدارس اليابانية أيضًا ، أن يقوم التلميذ عند نهاية اليوم الدراسي بكنس وتنظيف القاعات الدراسية بل وكنس ومسح الممرات بقطع قماش مبللة. بل والأكثر من ذلك غسل دورات المياه وجمع أوراق الشجر المتساقط في فناء المدرسة وكذلك القمامة إذا وجدت! وكثيرًا ما ينضم إليهم المدرسون في أوقات معينة لإجراء نظافة عامة سواء للمدرسة أو للأماكن العامة أيضًا مثل الحدائق العامة والشواطئ في العطلة الصيفية ، وذلك بدون الشعور بالضِعة سواء من التلاميذ أو المعلمين. بالإضافة إلى ذلك يقوم الأطفال بتقديم الطعام للحيوانات أو الطيور التي تقوم المدرسة بتربيتها حيث إنه لا توجد شخصية «الحارس» أو «الفراش» في المدارس اليابانية ولا يوجد عمال نظافة ، ولذا يأخذ التلاميذ والطلاب والمعلمون على عاتقهم تنظيف المدرسة وتجميل مظهرها الداخلي والخارجي ، بل يمتد هذا النشاط إلى البيئة المحيطة بالمدرسة أيضًا وذلك بتعاون الجميع وفي أوقات منتظمة ومحددة. ويتضح أوج هذه المسؤولية وروح الجماعة والتعاون والاعتماد على النفس عند تناول وجبة الطعام في المدرسة. فمن المعروف أنه لا يوجد مقاصف في المدارس اليابانية ، ولكن يوجد مطبخ به أستاذة تغذية وعدد من الطاهيات حيث يتناول التلاميذ وجبات مطهية طازجة تُطهى يوميًا بالمدرسة. ويقوم التلاميذ بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات إحداها تقوم بتهيئة القاعة الدراسية لتناول الطعام ، وثانية مثلاً تقوم بإحضار الطعام من المطبخ ، وثالثة تقوم بتوزيع هذا الطعام على التلاميذ ، بعد ارتداء قبعات وأقنعة وملابس خاصة لذلك. وهذا بلا شك يؤكد الإحساس بالمسؤولية وروح الجماعة والاعتماد على النفس والانتماء إلى المدرسة والمجتمع ، كما يوفر من ناحية أخرى ميزانية كان يُفترض أن تُرصد لهذه الخدمات. وتتجلى هذه الروح أيضًا ليس فقط في مجموعات العمل الخاصة بالطعام والنظافة ، بل في المجموعات الدراسية التي يقوم بتكوينها المدرس عندما يطلب من التلاميذ أو الطلاب الإجابة عن بعض الأسئلة أو حل مسألة مثلاً في الرياضيات أو إنجاز بعض الأعمال أو الأنشطة للفصل ، وبعد المشاورات الجماعية بينهم يعلن واحد من هذه المجموعة باسمها الانتهاء من هذه المهمة. على أن يعاد تشكيل هذه المجموعات من فترة لأخرى أو حسب ما تحتاج الضرورة من وقت لآخر حتى لا تتكون أحزاب أو تكتلات داخل الفصل. وهذا النظام لا يعوّد التلاميذ الروح الجماعية فحسب ، بل القيادة التي تتجلى أيضًا في تعيين شخصية مراقب الفصل أو رائده والذي يقوم في وقت غياب المدرس بتهيئة الفصل وتنظيمه وحل مشكلاته بما فيها مشاكل التلاميذ بين بعضهم بعضًا. ثم أخيرًا في نهاية اليوم الدراسي يقوم التلاميذ بعقد جلسة جماعية حيث يجتمعون ، ويسألون أنفسهم فيما إذا كانوا قد أتموا عملهم اليوم على أكمل وجه أم لا؟ أم أن هناك قصورًا فيما قاموا به من أعمال؟ أو هل كانت هناك مشاكل ما؟ وبلا شك إن هذه الطريقة في التعليم تستهدف روح الجماعة وتحمُّل المسؤولية والالتزام والقيادة ، كما تشكل أيضًا قوة نفسية رادعة لكبح جماح السلوكيات الاجتماعية غير اللائقة تجاه المجتمع والغير. ويُركز اليابانيون على مبدأ «الجد والاجتهاد أهم من الموهبة والذكاء الفطري للطفل»! وهو على عكس ما هو معروف في كثير من الدول ، ويتضح ذلك أيضًا من كثرة استخدامهم كثيرًا للكلمات التي تدل على الاجتهاد والمثابرة باللغة اليابانية مثل كلمة سأبذل قصارى جهدي

سأعمل بكل جدية ، فالطلاب اليابانيون يؤمنون بنصح مدرسيهم وآبائهم بأن النجاح بل والتفوق يمكن أن يتحقق بالاجتهاد وبذل الجهد وليس بالذكاء فقط ، فالجميع سواسية وخلقوا بقدر من الذكاء يكفيهم. فكل شخص يستطيع استيعاب ودراسة أي شيء وفي أي مجال وتحقيق قدر كبير من النجاح فيه من خلال بذل الجهد. ولذلك يستطيع الطالب أن يدرس أي مقرر دراسي ، حتى ولو كان لا يتناسب مع ميوله طالما توفرت العزيمة على بذل الجهد والمثابرة. فالنجاح والتفوق لا يتحددان باختلاف الموهبة والذكاء ، ولكن بالاختلاف في بذل الجهد. ويُعتبر الطلاب اليابانيون من أكثر الطلاب في العالم إقبالاً على الدراسة ، لأنهم تعلموا أن السبيل للوصول إلى وظيفة مرموقة هو الاجتهاد وبذل الجهد والمثابرة للقبول بمدرسة ثانوية مرموقة ومميزة ومن ثم جامعة مرموقة أيضًا. فيجب على الطلاب خريجي المدارس المتوسطة اجتياز اختبارات صعبة للالتحاق بالمدرسة الثانوية ثم بعد ذلك الجامعة التي يقع اختيارهم عليها ، حيث إن دخول المدارس الثانوية والجامعة يتوقف في المقام الأول على نتائج هذه الاختبارات وليس فقط نتائج اختبارات المدارس المتوسطة أو الثانوية. ومن المعروف عن الطلاب اليابانيين بذل الجهد والاستعداد جيدًا لاجتياز هذه الاختبارات ، يساعدهم في ذلك الأسرة أيضًا بتوفير الظروف المريحة لاستذكار دروسهم. كما يوجد الكثير من الطلاب ممن يلتحقون بمدارس تمهيدية أهلية تختص بإعدادهم لاجتياز هذه الاختبارات. وتبعًا لإحصائية لوزارة التربية والتعليم اليابانية ، يوجد حوالي مليون ونصف طالب ابتدائي ، ومليوني طالب مرحلة متوسطة يدرسون في هذه المدارس التمهيدية بعد نهاية اليوم الدراسي بمدارسهم النظامية لإعداد أنفسهم لاجتياز اختبارات القبول بالمدارس الثانوية. ومن الطريف أن يؤدي الطالب اختبارًا للالتحاق بهذه المدارس التمهيدية أيضًا ! ولذلك فإن رحلة الكفاح الدراسية للطالب الياباني كلها جد ومثابرة ومشقة إلى أن يستطيع الحصول على القبول بالمدرسة الثانوية ثم الجامعة التي يختارها. وليس من الغريب أن يؤدي الطالب اختبار القبول بالمدرسة الثانوية أو الجامعة لاحقًا في أكثر من مدرسة أو جامعة في وقت واحد حتى يتسنى له القبول بإحدى المدارس أو الجامعات التي وضعها مرتبة حسب رغباته. ومن النادر حقًا أن يرسب طالب في هذه الاختبارات ، ولكن لأن المنافسة شديدة خصوصًا على الجامعات المرموقة المعروفة المشهورة ، والتي تطلب عددًا معينًا فقط من المتقدمين حسب طاقتها الاستيعابية ، فليس من الغريب أيضًا أن نجد طلابًا بعد فشلهم في القبول بالجامعة التي يرغبونها كرغبة أولى ، يدرسون عامًا أو عامين في مدرسة تمهيدية للاستعداد لمحاولة القبول بنفس الجامعة مرة أخرى بالرغم من أنه يستطيع دخول جامعة أخرى ولكنها أقل درجة من التي اختارها. وهذا يؤكد مدى المثابرة والجد في تحقيق ما يصبو إليه الطالب. ويؤكد أيضًا المقولة اليابانية الشهيرة: «أربع ساعات نجاح ، خمس ساعات رسوب» أي «أربع ساعات نوم تعني النجاح بينما خمس ساعات نوم تعني الرسوب» أي لتحقيق النجاح لا ينبغي النوم أكثر من أربع ساعات في اليوم! وفي الحقيقة هذا التكالب على الجامعات الكبرى وبخاصة الوطنية منها ، يرجع إلى أن القبول بإحدى هذه الجامعات يؤمّن مستقبل الطالب في الحصول على وظيفة مرموقة. فمن المعروف مثلاً أن جامعة «طوكيو» تقوم بتخريج رجال الوظائف البيروقراطية العليا ، وجامعة «واسيدا - waseda» تقوم بتخريج السياسيين والصحفيين ، وجامعة «كيْيو - keiyoo» تقوم بتخريج رجال الأعمال التنفيذيين وهكذا. ولذلك فقبول الطالب في إحدى هذه الجامعات الكبرى يحدد مسار مستقبله بعد تخرجه. ومن المعتاد أيضًا أن يلتحق خريجو هذه الجامعات بالشركات الكبرى والهيئات الحكومية التي توفر لهؤلاء الشباب مزيدًا من التدريب في مجال عملهم وذلك بإرسالهم في بعثات خارجية أو داخلية لمزيد من الدراسة في مجالات معينة تتعلق بمجال العمل. ولكن بلا شك إن هذا النظام في القبول والذي يُعرف بـ «جحيم

الاختبارات» يمثل الفزع الأكبر للطلاب وقمة التوتر النفسي الذي يؤدي في بعض الأحوال إلى انتحار بعض الطلاب لعدم تمكنهم من الالتحاق بالجامعة التي يرغبونها. ومن المعروف أن نظام السنة الدراسية اليابانية يختلف عن معظم دول العالم حيث تبدأ الدراسة في الأول من شهر أبريل الميلادي وتنتهي في واحد وثلاثين مارس من العام التالي. ويعتبر عدد الأيام الدراسية وعدد الساعات في السنة أطول عددًا مقارنة بأي دولة أخرى ، حيث يبدأ اليوم الدراسي عادة للطلاب من الساعة الثامنة صباحًا حتى الساعة الرابعة تقريبًا. أما المعلمون فعملهم حتى الساعة الخامسة ولكنهم يظلون في عملهم حتى السادسة والسابعة مساء. بالإضافة إلى ذلك يقل عدد العطلات التي تنقسم إلى عطلة الربيع والتي لا تزيد على عشرة أيام ، وكذلك نفس المدة لعطلة بداية السنة الميلادية ، ثم العطلة الصيفية التي تتراوح من أربعين يومًا حتى الشهر والنصف. وعلاوة على ذلك يقوم طلاب المدارس بالذهاب إلى المدرسة أثناء العطلة الصيفية لبعض الأيام تبعًا لبرنامج محدد مسبقًا ، بالإضافة إلى تكليفهم بالقيام بواجبات ومشروعات تتطلب منهم جهدًا ليس بالقليل أثناء العطلة. كما يمارسون طوال العطلة نشاطات رياضية مثل السباحة وغيرها بالمدرسة بشكل منتظم حسب برنامج العطلة المحدد مسبقًا من قبل المدرسة. وكنتيجة ربما تكون طبيعية لهذا الجهد الدراسي خلال العام ، ويحصل الطالب الياباني على أيام دراسية أكثر من أقرانه في دول أخرى ، ويحصل على درجات تفوق أقرانه في الدول المتقدمة في مجالات المعرفة والمقررات الدراسية مثل الرياضيات والعلوم. ويقال أن مستوى التلميذ الياباني في سن الثانية عشرة يعادل مستوى الطالب في سن الخامسة عشرة في الدول المتقدمة. وهذا يدل على الرقي النوعي للتعليم في اليابان. وتبعًا لإحصائيتين أجرتهما «المؤسسة العالمية من أجل تقويم التحصيل التعليمي» لاختبار مدى الاستيعاب في مجال العلوم والرياضيات ، حصل تلاميذ المدارس الابتدائية اليابانية على أعلى النقاط من بين تلاميذ المدارس الأجنبية الأخرى. كما جاءت نتيجة طلاب الثانوية اليابانيين من أعلى الدرجات أيضًا. ولكن وزارة التعليم اليابانية سعت منذ سنوات إلى تقليل عدد أيام الدراسة للتخفيف عن التلاميذ والطلاب وتشجيعهم على الاستمتاع بوقتهم. وقد استمر النقاش حول هذا المشروع سنوات حتى تقرر إنجازه بمجلس النواب على مراحل ، وذلك بجعل يوم السبت الثاني والرابع من كل شهر إجازة بدلاً من الدراسة نصف يوم ، ومنذ العام 2002م بدأ تطبيق نظام الدراسة خمسة أيام في الأسبوع فقط من الاثنين إلى الجمعة ، ورغم ذلك مازال الكثير من الطلاب يذهبون إلى المدارس أيام السبت لحضور النشاطات الطلابية ، أو يذهبون أيام السبت للمدارس والفصول الخاصة التي تساعدهم في تنمية قدراتهم. وكثيرًا ما يقال أن نظام التعليم الياباني قبل الحرب العالمية الثانية كان يعتمد على الحفظ عن ظهر قلب ، ولكن اليوم يقال أيضًا أنه يتسم بالمرونة والذكاء والمبادرة بدرجة كبيرة ، وعمومًا هذه الأشياء من الصعب قياسها ، ولكن بشكل عام ربما يغلب طابع الحفظ أيضًا وخصوصًا إذا تصورنا ذلك من خلال الكم المعرفي الهائل الذي يدرسونه في مختلف المواد ، وكذلك نظام الكتابة اليابانية الذي يتطلب الكثير من الجهد في حفظ مقاطع الكتابة الخاصة بهذا النظام. وحتى يتسنى لنا فهم المزيد عن نظام التربية الياباني وبخاصة هذا الاجتهاد والجد من قبل الطلاب والآباء والمدرسين ، يجب أن ندرك نقطة مهمة وهي أن هذا النظام ربما يعكس الحماس الزائد للشخصية اليابانية تجاه التعلم. هذا الحماس الزائد ربما يكون له عوامل كثيرة مثل طبيعة الشخصية اليابانية الفضولية التي تبحث عن الجديد دائمًا ، وكذلك خبرة اليابانيين في استقبال الكثير من الثقافات المختلفة وتطويعها لثقافتهم. ولكن العامل الأهم ينبع من حضارة شرق آسيا بشكل عام وموقفها من التعليم. فقد ركز الصينيون منذ القدم على أهمية التعليم ، حيث كانت قوة الحكام قديمًا تقاس بما يتمتعون به من علم ومعرفة ، وكان اختيار كبار موظفي الدولة أيضًا على أساس ما

يتمتعون به من معارف. وهذه الأفكار هي نتاج الكونفوشيوسية للفيلسوف الصينى «كونفوشيوس» ، وهي فلسفة أكثر منها ديانة ولكنها تأخذ طابع الطقوس الدينية قليلاً. وقد تأثرت بها الصين وكوريا واليابان أيضًا. وتركز هذه الفلسفة على نظام اجتماعي على أساس قواعد أخلاقية يحكمه حكام ذوو علم ومعرفة وخلق كريم ، ويكون الولاء لهؤلاء الحكام والآباء ومن في حكمهم هو دعامة هذا النظام. كما تؤكد هذه الفلسفة النظام العقلاني للطبيعة وأهمية العلم والمعرفة والجد في طلبهما والعمل الشاق. وقد تكون هذه المفاهيم هي التي تقف وراء حماس الياباني الشديد تجاه العلم والمبادئ الأخلاقية أيضًا. ونشير هنا أيضًا إلى دور المعلم في العملية التعليمية في اليابان في مختلف المراحل ، حيث إن هذا الدور يعكس اهتمام اليابانيين بالتعليم وحماسهم له ، ومدى تقديرهم للمعلمين ، فالمعلمون حتى الآن يحظون باحترام وتقدير ومكانة اجتماعية مرموقة ، ويتضح ذلك من خلال النظرة الاجتماعية المرموقة لهم. وكذلك المرتبات المغرية التي توفر لهم حياة مستقرة كريمة ويتساوى في ذلك المعلمون والمعلمات. ويتضح كذلك من خلال التهافت على شغل هذه الوظيفة المرموقة في المجتمع. فمعظم هؤلاء المعلمين هم من خريجي الجامعات ولكنهم لا يحصلون على هذه الوظيفة إلا بعد اجتياز اختبارات قبول شاقة ، تحريرية وشفوية. وبالطبع نسبة التنافس على هذه الوظيفة شديدة أيضًا ، وهم بشكل عام يعكسون أيضًا نظرة المجتمع إليهم ، ويعكسون أيضًا صورة الالتزام وروح الجماعة والتفاني في العمل عند اليابانيين. فهم إلى جانب عملهم في المدرسة وقيامهم بتدريبات ودراسات لرفع مستوياتهم العلمية ، فهم يهتمون بدقائق الأمور الخاصة بتلاميذهم ، كما يقومون بزيارات دورية إلى منازل التلاميذ أو الطلاب للاطمئنان على المناخ العام لاستذكار التلاميذ من ناحية ، ومن ناحية أخرى يؤكدون التواصل مع الأسرة وأهمية دور الأسرة المتكامل مع المدرسة ، وأخيرًا يؤكدون المقولة العربية أيضًا: (قم للمعلم وفّه التبجيلا ، كاد المعلم أن يكون رسولاً). وبعد إلقاء هذه النظرة على أهم ملامح نظام التعليم في اليابان نجد أن هذه المميزات التي شكلت هذا النظام التعليمي والذي يعجب به الجميع ، تشكل عيبًا أيضًا في بعض النظريات التربوية مثل شدة المركزية والتركيز على المعرفة والحفظ وثقل الأعباء الدراسية وجحيم الاختبارات. وبالرغم من تحقيق المساواة في التعليم والمساواة في تكافؤ فرص التعليم ، إلا أن جحيم الاختبارات والتنافس الشديد والإقبال الشديد على التعلم ، أوجد فوارق بين المدارس إلى حد ما ، واحتدت المنافسة أيضًا للالتحاق بالمدارس الثانوية المرموقة ومن ثم إلى الجامعات الكبرى المرموقة التي توفر فرصًا مرموقة للعمل. ولذلك فإن نظام التعليم الياباني يُعتبر مميزًا عن نظم التعليم الأخرى ، ويعتبر ناجحًا بالطبع وقد أدى المطلوب منه في اليابان ولكن هذا كان على حساب قيم أو أهداف أخرى لم تتحقق ، وهذا ما يعترف به اليابانيون أنفسهم تجاه نظامهم حيث يشعرون أن روح الجماعة مثلاً كانت على حساب الفردية والإبداع).هـ. ويقول الأستاذ مصطفى الأسروتي ما نصه: (بدأنا من حيث انتهى الآخرون ، وتعلمنا من أخطائهم ، ومنحنا المعلم حصانة الدبلوماسي وراتب الوزير) ، هكذا كان جواب الإمبراطور الياباني عندما سئل عن أسباب تقدم اليابان في وقت قياسي. فمما لا يتناطح عليه عنزان ، أن المتعلم يعتبر محور العملية التعليمية التعلمية ، ولا سبيل للارتقاء به إلا بالاهتمام بالمدرس وإعطائه مكانته التي يستحقها علمياً ومادياً واجتماعياً. إذ يشكلان معاً التلميذ ـ الأستاذ أهم ركائز الهرم الديداكتيكي (مدرس – تلميذ ـ معرفة). فبالرجوع للمقولة السابقة تتضح الأهمية الكبرى التي أولتها اليابان للمدرس ، إذ جعلته في أعلى مراتب السلم الاجتماعي ، واهتمت بمكانته الرمزية المقدسة وبوأتها الصدارة قبل أن تهتم بحاجياته المادية ، لذلك فلا عجب أن تجد المعلم الياباني يحظى بتقدير واحترام فائقين وسط المجتمع، خاصة عند الأسر التي ترسخ هذه المكانة في نفوس الأطفال

مما يعطي للمعلم سلطة كبيرة في التعامل مع الطلاب. وفي المقابل نجد أن معلمنا الذي كاد أن يكون رسولا قد تحول فجأة إلى رقم تأجير ، في نظر القائمين على الشأن العام ، وفقد قيمته المعنوية والمادية على حد سواء. فأصبح تفكيره لا يتجاوز حدود دائرة الرغيف. و بالإضافة للعنف المادي الذي مورس عليه ، أصبح يعاني من عنف أخر أشد فتكاً ، عنف هادئ غير مرئي ومقنع. تمثله الخطط والبرامج والسياسات والتوجيهات التي توضع رسمياً على مستوى جهاز الدولة من أجل هيكلة النظام التربوي. إن أي إصلاح لمنظومتنا التعليمية رهين بإعادة الاعتبار لهذه الفئة والاستفادة من التاريخ حيث خلت كل الاصلاحات السابقة من مشروع حقيقي وفعال ينهض بهيئة التدريس ويبوئها المكانة التي تستحقها. بعيداً عن لغة الأرقام والإحصائيات والسلالم والرتب. فكما يقول دوركهايم أن المعلم هو الوسيلة التي تتحقق عبرها التربية ، ويقر بأن العلاقة البيداغوجية التي تجمع بين المدرس والتلميذ هي علاقة سلطة ، وأن هذه السلطة ليست إلا سلطة أخلاقية لا علاقة لها بالعنف والإكراه ، إنما تقوم أساساً على تأثير أخلاقي قوي يمارسه المربي على الطفل. فهذا التأثير ينبع من المكانة الرمزية التي يحتلها المدرس في صفوف المجتمع. ولا تخلو الثقافة العربية الإسلامية عموماً من قيم ومبادئ تقوم على إعطاء المعلم مكانة كبيرة باعتباره مالك صناعة التدريس ، ولأنه مستأمن على القلوب والعقول ، وهو خازن على أنفس شيء على الأرض أي العلم والتعلم. كما يقول الدكتور محمد بازي).هـ. ونسأل سؤالاً ليست الإجابة عليه صعبة ولا معقدة! فنقول تحديداً: لماذا تقدمت فنلندا مع صغرها؟ لماذا تفوقت فنلندا في تعليمها على العالم؟ هذا السؤال طالما اهتم به التربويون الذين يلاحظون تقدم فنلندا مع صغرها وقلة مواردها وسكانها. والسرّ يكمن في نظامها التعليمي. والعجيب أن وزارة التربية والتعليم لدينا قد طافت دول العالم وجلبت تجارب من اليابان شرقاً إلى أمريكا غرباً. لكنها وبكل أسف نسيت أن تمر بالتجربة الفنلندية! ربما لصغرها على الخارطة. على كل حال فقد انتبهت دول العالم لها ولتجربتها الفذة وهاهي تستفيد من تجربتها التربوية! ولقد أكدت هينا فيركولين وزيرة التعليم والعلوم في فنلندا أنّ كلية تقنية المعلومات تعتبر واحدة من أرقى كليات تقنية المعلومات في العالم مشيرة إلى أن هذه الكلية تقدم نموذجاً في الانتقال بمخرجات التعليم نحو مجتمع المعرفة. وأشارت الوزيرة في تصريحات لـجريدة الاتحاد فقالت: فنلندا لديها واحد من أفضل نظم التعليم في العالم ، وذلك بشهادة المؤسسات الدولية المتخصصة ، وهو نظام يعتمد في المقام الأول على أن المعلم هو نقطة الارتكاز في العملية التعليمية ، ومن هنا فقد برعت الكليات المتخصصة في إعداد المعلمين في فنلندا ، حيث يتم إعداد المعلم بطريقة مختلفة عمّا يحدث في العالم كله ، إذ ينبغي على المعلم الحاصل على بكالوريوس التربية أن يواصل تعليمه العالي للحصول على ماجستير في التربية لمدة 5 سنوات ، وهذا الماجستير يؤهل المعلم لأن يكون متخصصاً إما في الرياضيات أو العلوم أو اللغات أو التاريخ أو غيرها. وأوضحت الوزيرة بقولها: نحن دولة صغيرة لا يتجاوز عدد سُكانها 5 ملايين نسمة ، ولدينا حوالي 100 ألف معلم يعملون في 3 آلاف مدرسة في مختلف المراحل الدراسية. وقالت الوزيرة إنّ النظام التعليمي في فنلندا يعتبر قاطرة التقدم في هذا البلد الذي أدرك منذ فترة طويلة أن رأس المال البشري هو أغلى ثرواته ، مشيرة إلى أن فنلندا تعتبر أن الاستثمار في البشر هو أولوية وطنية في المقام الأول. وأكدت الوزيرة لـجريدة الاتحاد أن مكانة المعلم المجتمعية تجعله في الصفوف الأولى الراقية ، فهو يحظى بتقدير المجتمع على مختلف المستويات القيادية ، كما أن الرواتب والمزايا العينية تعتبر في المعدل نفسه الذي يحصل عليه نظراؤه من الأطباء وأساتذة الجامعات والمهندسين ، بالإضافة إلى أن البيئة التعليمية تكفل للمعلم إجازتين إحداهما في الصيف مدتها 10 أسابيع ، والأخرى في الشتاء لمدة أسبوعين مع نصاب تدريسي مناسب لكل

منهم ، إضافة إلى منح المعلم تفرغاً دورياً للتدريب وفق استراتيجية شاملة للتعليم المستمر للمعلمين تجعلهم على تواصل تام مع ما يحدث في العالم من تطور. وكشفت الوزيرة لـالاتحاد عن أنّ هذه الخصوصية ، وهذا التميز في النظام التعليمي الفنلندي جعلا فنلندا واحدة من دول العالم المتقدم ، مشيرة إلى أنه في الوقت الذي تُعاني فيه مختلف دول العالم عزوف الشباب حديثي التخرج عن الالتحاق بسلك التدريس ، فإن فنلندا على العكس من ذلك ، تجد إقبالاً كبيراً من الخريجين والخريجات على العمل في هذا القطاع. وحول النموذج الفنلندي ، أكدت الوزيرة أن هذا النموذج الفنلندي في المقام الأول ، حيث تم تصميمه وتنفيذه وفقاً لمعايير ترتبط بالبيئة المحلية ، ويأخذ في الاعتبار الثقافة المجتمعية والهوية الوطنية والتركيز على مواد تم اختيارها بعناية ودقة بما يكفل لهذا النموذج النجاح في الفترة المقبلة. وأكدت هننا فيكرنين وزيرة التعليم والعلوم في فنلندا على سعادتها بما شاهدته من مؤسسات تعليمية ، سواء في المدارس أو الجامعات فقالت: أعتقد أن ما شاهدته من تطور تعليمي في هذه المؤسسات يجعلنا أمام أحد النماذج التعليمية الواعدة في القرن الواحد والعشرين).هـ. ويقول الدكتور / بدر عبد الحميد هميسة عن احترام المعلم ما نصه: (العلم أجلُ الفضائل ، وأشرف المزايا ، وأعز ما يتحلى به الإنسان ، فهو أساس الحضارة ، ومصدر أمجاد الأمم ، وعنوان سموها وتفوقها في الحياة ، ورائدها إلى السعادة الأبدية ، وشرف الدارين. والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وخزَّان العلم ، ودعاة الحق ، وأنصار الدين ، يهدون الناس إلى معرفة الله وطاعته ، يوجهونهم وجهة الخير والصلاح. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. وَيُرْوَى عَنْ مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: (تَعَلَّمُوا العِلْمَ ، فإنّ تعلُّمَهُ لِلّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، ومُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، والبَحْثَ عنهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمهُ مَنْ لا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأهْلِهِ قُرْبَةٌ ، وَهُوَ الأَنِيسُ في الوَحْدةِ ، والصاحِبُ في الخَلْوَةِ ، والدّلِيل على الدِّين ، والمُصَبِّرُ على السرَّاءِ الضَّرَّاءِ ، والوَزِيرُ عِندَ الإخِلاء ، والقَرِيبُ عندَ الغُرَباءِ ، وَمَنارُ سَبيلِ الجَنّةِ ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أقْوَامًا ، فيجعلُهُمْ في الخَيْرِ قَادةً سادةً ، هُدَاةً يُقْتَدَى بهم ، أَدِلّةً لِلْخَيرِ تُقْتَفَى آثارُهمْ ، وَتُرْمَقُ أَفْعالُهُمْ ، وَتَرْغَبُ الملائكةُ في خُلَّتِهِمْ ، وبأَجنِحَتِهَا تمْسَحُهُمْ ، وَكُلُّ رَطْبٍ ويابسٍ لهُمْ يَستغْفِرُ ، حَتَّى حِيتَانُ البَحْرِ وَهَوامُّهُ ، وَسِبَاع البَرِّ وَأَنْعامُهُ ، والسَّماءُ وَنُجُومُها ، لأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوب مِنَ العَمَى ، وَنُورُ الأبْصَارِ مِنِ الظُلَمِ ، وَقوَّةُ الأبْدانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغُ بِهِ العَبْدُ مَنَازِلَ الأَبْرارِ والدَّرَجَاتِ العُلَى ، وَمُدَارَسَتُهُ بالقيام به ، به يُطاع اللهُ عزَّ وجلَّ ، وَبِهِ يُعْبَدُ ، وَبِهِ يُوَحَّدُ ، وَبِهِ يُمَجَّدُ ، وَبِهِ يُتَوَرَّعُ ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعرفُ الحَلالُ والحرامُ ، وهو إمامٌ والعَمَلُ تابعُهُ ، يُلْهَمُهُ السُعداءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِياءُ. يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس. وحينما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز ، وفدت الوفود من كل بلد لبيان حاجاتها وللتهنئة ، فوفد عليه الحجازيون ، فتقدم غلام هاشمي للكلام ، وكان حديث السن ، فقال عمر:- لينطلق من هو أسن منك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام وعَرف فضله من سمع خطابه ، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك. فقال عمر:- صدقت ، قل ما بدا لك ، فقال الغلام: - أصلح الله أمير المؤمنين ، نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة ، وقد أتيناك لمنَّ الله الذي منَّ علينا بك ، ولم يقدمنا إليك رغبة أو رهبة ، أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا ، وأما الرغبة فقد أمنا جورك بعدلك. فقال عمر: عظني يا غلام ، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين ، إن ناساً من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الأقدام فهووا في النار ، فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك

وكثرة ثناء الناس عليك ، فتزل قدمك ، فتلحق بالقوم ، فلا جعلك الله منهم ، وألحقك بصالحي هذه الأمة ، ثم سكت. فقال عمر: كم عمر الغلام؟ فقيل له: ابن إحدى عشرة سنة ، ثم سأل عنه فإذا هو من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهم ، فأثنى عليه خيراً ، ودعا له. ومن احترام المعلم أن: تبدأه بالسلام والتلطف في مناداته وعدم رفع الصوت عليه وتبجيله والإنصات إليه. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (من حق العالم عليك أن لا تكثر عليه السؤال ولا تفشين له سراً ولا تغتابن عنده أحداً ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله مادام يحفظ أمر الله ولا تجلسن أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم). قال أبو معاوية الضرير:استدعاني الرشيد إليه ليسمع مني الحديث ، فما ذكرت عنده حديثاً إلا قال: صلى الله وسلم على سيّدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ، ثم قمت لأغسل يديّ ، فصب الماء علىّ وأنا لا أراه ، ثم قال يا أبا معاوية: أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا. قال: يصب عليك أميرُ المؤمنين. قال: أبو معاوية فدعوت له. فقال: إنما أردت تعظيم العلم. وكان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد ، وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام ، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة. ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له: من أعز الناس؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين! قال : بلى ، إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه ، تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة! فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة فاعتذر الكسائي ، فقال الرشيد: لو منعتهما لعاتبتك ، فإن ذلك رفع من قدرهما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، بل ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر). صحيح سنن أبي داود). وسئل الإسكندر: لِمَ تُكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال: إن أبي سبب حياتي الفانية ، ومعلمي سبب حياتي الباقية. ومن علمني حرفاً صرت له عبداً. فاحترام المعلم دليل على حسن التربية وأصالة الخلق الطيب).هـ. قال الأستاذ رشيد ناجي الحسن الباحث في الدراسات الإسلامية ما نصه: (التعليم أسمى وظيفة يمكن أن يعمل بها إنسان ، إن لم تكن هي الوظيفة الأهم على الإطلاق. ومن يتصدى لهذه الوظيفة ـ أعني التعليم- لا بد من أن يكون نموذجًا مثاليًا فيما يظهر للمتعلمين. ويمكن توضيح هذا النموذج واختصاره في ثلاثة أركان ، هذه الأركان هي: أولا: استيعاب المادة التي يدرسها. ثانيًا: امتلاك وسائل الاتصال. ثالثا: صلاحيته لأن يكون قدوة. إن المعلومات والقواعد التي يتلقاها الأبناء في محاضن التربية وأماكن التعليم ، تبقى رسومًا جامدة لا حياة فيها ولا حراك ، فإذا هيأ الله لها من ينفخ فيها روح التطبيق من أب أو أخ كبير آتت ثمارها وظهرت آثارها ، ورسخت في أذهان الطلاب وعقولهم رسوخ الجبال الراسية ، وأما إذا كان المعلمون يبنون كل يوم لبنة ـ وهي للأسف ضعيفة ـ ثم يهدم المجتمع ألف لبنة بما يراه المتعلم عليهم من مخالفات لما تعلمه ، فأنى لبنيان العلم يومًا أن يقوم ويرتفع؟ وكيف لصرح الأخلاق والآداب أن يصلب ويشتد. وللمعلم أثر كبير في نفس الطالب ، فهو يقوم مقام الأب في البيت ، بل قد يفوقه أثرًا لأن مادته العلم وهو غذاء الروح الذي يفوق غذاء الجسد الذي يقدمه الأب لأفراد أسرته ، ولذلك لا يفوق الأب المعلم في دوره إلا إذا كان يقدم لأبنائه الغذاء المادي للجسد والغذاء الروحي للنفس. يقول مدرس لمادة التربية الإسلامية: تعودت وضع الساعة في يدي اليمنى خِلافًا

لعادة الناس في وضعها في اليد اليسرى ، وذلك حتى تأخذ اليد اليسرى راحتها في الحركة عندما أكتب بها على السبورة ، ولئلا ينشغل الطلاب بالنظر إلى الساعة أثناء الكتابة ، فجاءني طالب بعد فترة من بداية العام الدراسي وقال: يا أستاذ جرى نقاش بيني وبين بعض الزملاء حول لبس الساعة في اليد اليمنى أو اليسرى. فقلت لهم: إن لبسها في اليد اليمنى هو السنة ، وقالوا: ليس في ذلك سنة ، بل تلبس في إحدى اليدين ، فرددت عليهم: بأن أستاذنا يلبس الساعة في يده اليمنى اتباعاً للسنة ، ففوجئت باستدلاله بي في حجته على زملائه ، ثم ابتسمت وبينت له سبب لبسي لها في اليد اليمنى ، ثم سألته مداعبًا له: الرسول صلى الله عليه وسلم لبس الساعة في اليد اليمنى أم اليسرى؟ ففكر ثم ابتسم وانصرف. علمًا أن قاعدة الشرع كما ذكر الإمام النووي رحمه الله: أن ما كان من باب التكريم والتزيين استحب فيه التيامن ، وما كان بضد ذلك استحب فيه التياسر. فهل أدركت أيها المربي الفاضل إلى أي درجة أنت تحت مجهر أعين الطلاب بل وربما سائر أفراد المجتمع. إنه ما لم يكن هناك توافق بين العلم والعمل ، وتناغم بين التنظير والتطبيق ، وبيئة صادقة داخل المدرسة وخارجها ، يتهيأ للمتعلم فيها شواهد حية على إمكانية تحقق ما تعلمه واقعًا ملموسًا ، فلن يزيدنا التعلم حينئذ إلا مقتًا لأنفسنا ، وشاهد ذلك في كتاب ربنا حيث يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}. وحين يكون المعلم هو أول الهادمين بما يلحظه طلابه من فرق بين ما يقوله في المدرسة وما يعمله خارجها ، وبما يرونه من مفارقات بين أوامره المثالية معلمًا في الفصل وتصرفاته المغايرة مواطنًا يمشي في الشارع أو في السوق ، وكأنه لا يعرف مما كان يلقيه في دروسه شيئًا ، فتلك هي أكبر خطيئة يرتكبها في حق مجتمعه ، وأعظم ذنب يقترفه ويهون على طلابه اقترافه. أساتذتنا من القرون المفضلة خرجوا إلى الشعوب الإسلامية في إندونيسيا وماليزيا ، فبلغوا دعوة الله بأعمالهم قبل أقوالهم ، لذا فإنا ندعوك أيها المعلم الفاضل في هذا العام الدراسي إلى أن تقدم للشبيبة المسلمة علمًا نافعًا ، وعملاً صالحًا ورسالة خالدة ، وكلامًا مؤثرًا ، وأن تتقي الله عز وجل في هذا النشء ، الذي ينتظر منك النصح ، إنهم عطشى أمامك ، فاسكب على قلوبهم من فيض حنانك وودك ما يكون بإذن الله بلسمًا شافيًا. إنك تبني عقولاً ورجالاً لخدمة المجتمع ، تستطيع أن تؤثر في طلابك بما يخدم المجتمع في شتى المجالات بتعليمهم كيف يستفيدون من أوقاتهم).هـ. قال الشيخ السعدي في تعليقه رحمه الله على الآية: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات): والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، فيجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وفي هذه الآية فضيلة العلم. تفسير السعدي. قال تعالى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}. هذا سؤال الملاطف والمخاطب المستنزل المبالغ في حسن الأدب. قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: والمعنى: أن تعلمني علماً ذا رشد ، وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلب العلم ، واتباع المفضول للفاضل طلباً للفضل ، وحثت على الأدب والتواضع للمصحوب. زاد المسير. وفيه من أدب الفقه: التذلل ، والتواضع للعالم ، وبين يديه ، واستئذانه في سؤاله والمبالغة في احترامه وإعظامه ، ومن لم يفعل هكذا فليس على سنة الأنبياء ولا على هديهم. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. وروى الإمام أحمد في المسند وغيره ، وحسنه الألباني عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. فالإجلال للكبير هو حق سنَّه الله تعالى أنه تقلب في العبودية لله تعالى في مدة طويلة ، والرحمة للصغير هو موافقة لله تعالى بأنه رَحِمه ورفع عنه العبودية فلم يُؤاخذه بحفظ حد ولا حكم ، ومعرفة حق العالم هو حق العلم أن يعرف قدره بما رفع الله من قدره وآتاه العلم ، قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}. فيعرف درجاته التي رفع الله له بما آتاه من العلم. نوادر الأصول. فاحترام العلماء ورعاية حقوقهم توفيق وهداية ، وإهمال ذلك خذلان وعقوق وخسران. قال الإمام ابن مفلح رحمه الله: وَيَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ وَالتَّوَاضُعُ لَهُ ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ قَبْلَ السَّبَقِ وَالرَّمْيِ فِي الْإِجْمَاعِ: اتَّفَقُوا عَلَى إيجَابِ تَوْقِيرِ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَالْإِسْلَامِ ، وَالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ ، وَالْفَاضِلُ ، وَالْعَالِمُ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ فِي كِتَابِهِ فَاتِحَةِ الْعِلْمِ أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ جداً مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْوَالِدُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، وَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ ، وَأَظُنُّهُ صَرَّحَ بِذَلِكَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْعِلْمِ لَا مُطْلَقًا ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. الآداب الشرعية. وَقَدْ رَجَّحَ كَثِيرٌ مِنْ الْحُكَمَاءِ حَقَّ الْعَالِمِ عَلَى حَقِّ الْوَالِدِ. قال الإمام السفاريني رحمه الله: يَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ ـ الَّذِي هُوَ الشَّيْخُ ـ وَتَوْقِيرُهُ ، وَالتَّوَاضُعُ لَهُ ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْأَبُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ ، فَعَلَى هَذَا تَجِبُ طَاعَتُهُ وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ ، قَالَ فِي الْآدَابِ الْكُبْرَى: وَأَظُنُّهُ يَعْنِي بَعْضَ الشَّافِعِيَّةِ صَرَّحَ بِذَلِكَ ، قَالَ: وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْعِلْمِ لَا مُطْلَقًا. انْتَهَى. وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْمُصْطَلَحِ: الْأَشْيَاخُ آبَاءٌ فِي الدِّينِ ، وَقَالَ لِي شَيْخَانِ أَبُو التَّقِيِّ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ التَّغْلِبِيُّ الشَّيْبَانِيُّ أَغْدَقَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ عَلَى رَمْسِهِ: شَيْخُك أَبُوك بَلْ أَعْظَمُ حَقًّا مِنْ وَالِدِك ؛ لِأَنَّهُ أَحْيَاك حَيَاةً سَرْمَدِيَّةً وَلَا كَذَلِكَ وَالِدُك أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ ، وَقَالَ لِي: النَّاسُ يَقُولُونَ فُلَانٌ ـ يَعْنِي : نَفْسَهُ ـ لَا وَلَدَ لَهُ، وَهَلْ لِأَحَدٍ مِنْ الْوَلَدِ مِثْلُ مَا لِي؟! ، يَعْنِي: تَلَامِذَتَهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ. غذاء الألباب. وقال الإمام النووي رحمه الله: وَمِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ: أَنْ يَتَحَرَّى رِضَا الْمُعَلِّمِ وَإِنْ خَالَفَ رَأْيَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَغْتَابَ عِنْدَهُ ، وَلَا يُفْشِيَ لَهُ سِرًّا ، وَأَنْ يَرُدَّ غَيْبَتَهُ إذَا سَمِعَهَا ، فَإِنْ عَجَزَ فَارَقَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ ، وَأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إذْنٍ ، وَإِذَا دَخَلَ جَمَاعَةٌ قَدَّمُوا أَفْضَلَهُمْ وَأَسَنَّهُمْ ، وَأَنْ يَدْخُلَ كَامِلَ الْهَيْئَةِ فَارِغَ الْقَلْبِ مِنْ الشَّوَاغِلِ ، مُتَطَهِّرًا مُتَنَظِّفًا بِسِوَاكٍ ، وَقَصِّ شَارِبٍ وَظُفْرٍ ، وَإِزَالَةِ كَرِيهِ رَائِحَةٍ ، وَيُسَلِّمَ عَلَى الْحَاضِرِينَ كُلِّهِمْ بِصَوْتٍ يُسْمِعُهُمْ إسْمَاعًا مُحَقَّقًا ، وَيَخُصَّ الشَّيْخَ بِزِيَادَةِ إكْرَامٍ ، وَكَذَلِكَ يُسَلِّمُ إذَا انْصَرَفَ ، وَلَا يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ ، وَيَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ إلَّا أَنْ يُصَرِّحَ لَهُ الشَّيْخُ أَوْ الْحَاضِرُونَ بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّخَطِّي ، أَوْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِمْ إيثَارَ ذَلِكَ ، وَلَا يُقِيمَ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَإِنْ آثَرَهُ غَيْرُهُ بِمَجْلِسِهِ لَمْ يَأْخُذْهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْحَاضِرِينَ بِأَنْ يَقْرُبَ مِنْ الشَّيْخِ وَيُذَاكِرَهُ مُذَاكَرَةً يَنْتَفِعُ الْحَاضِرُونَ بِهَا ، وَلَا يَجْلِسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ إلَّا لِضَرُورَةٍ ، وَلَا بَيْنَ صَاحِبَيْنِ إلَّا بِرِضَاهُمَا ، وَإِذَا فُسِحَ لَهُ قَعَدَ وَضَمَّ نَفْسَهُ ، وَيَحْرِصَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْ الشَّيْخِ ؛ لِيَفْهَمَ كَلَامَهُ فَهْمًا كَامِلًا بِلَا مَشَقَّةٍ وَهَذَا بِشَرْطِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ فِي الْمَجْلِسِ عَلَى أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَيَتَأَدَّبَ مَعَ رُفْقَتِهِ وَحَاضِرِي الْمَجْلِسِ ؛ فَإِنَّ تَأَدُّبَهُ مَعَهُمْ تَأَدُّبٌ مَعَ الشَّيْخِ وَاحْتِرَامٌ لِمَجْلِسِهِ ، وَيَقْعُدَ قَعْدَةَ الْمُتَعَلِّمِينَ لَا قَعْدَةَ الْمُعَلِّمِينَ ، وَلَا يَرْفَعَ صَوْتَهُ رَفْعًا بَلِيغًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ، وَلَا يَضْحَكَ ، وَلَا يُكْثِرَ الْكَلَامَ بِلَا حَاجَةٍ ، وَلَا يَعْبَثَ بِيَدِهِ وَلَا غَيْرِهَا ، وَلَا يَلْتَفِتَ بِلَا حَاجَةٍ! بَلْ يُقْبِلُ عَلَى الشَّيْخِ مُصْغِيًا إلَيْهِ ، وَلَا يَسْبِقَهُ إلَى شَرْحِ مَسْأَلَةٍ أَوْ جَوَابِ سُؤَالٍ إلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِ الشَّيْخِ إيثَارَ ذَلِكَ ؛ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى فَضِيلَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا يَقْرَأَ عَلَيْهِ عِنْدَ شُغْلِ قَلْبِ الشَّيْخِ وَمَلَلِهِ وَغَمِّهِ ، وَنُعَاسِهِ وَاسْتِيقَاظِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَيْهِ ، أَوْ يَمْنَعُهُ اسْتِيفَاءَ الشَّرْحِ ، وَلَا يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إلَّا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُهُ ، وَلَا يُلِحَّ فِي السُّؤَالِ إلْحَاحًا مُضْجِرًا ، وَيَغْتَنِمَ سُؤَالَهُ عِنْدَ طِيبِ نَفْسِهِ وَفَرَاغِهِ ، وَيَتَلَطَّفَ فِي سُؤَالِهِ ، وَيُحْسِنَ خِطَابَهُ. المجموع. وقال رحمه الله: وَيَنْبَغِي: أَنْ يَنْظُرَ مُعَلِّمَهُ بِعَيْنِ الِاحْتِرَامِ وَيَعْتَقِدَ كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ وَرُجْحَانَهُ عَلَى أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ ؛ فَهُوَ أَقْرَبُ إلَى انْتِفَاعِهِ بِهِ ، وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذِهْنِهِ ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ الأولين إذَا ذَهَبَ إلَى مُعَلِّمِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اُسْتُرْ عَيْبَ مُعَلِّمِي عَنِّي ، وَلَا تُذْهِبْ بَرَكَةَ عِلْمِهِ مِنِّي ، وَقَالَ

الشَّافِعِيُّ رحمه الله: كُنْتُ أَصْفَحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ رحمه الله صَفْحًا رَفِيقًا هَيْبَةً لَهُ ؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا ، وَقَالَ الرَّبِيعُ: وَاَللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ ، وَقَالَ حَمْدَانُ بْن الْأَصْفَهَانِيُّ: وَكُنْتُ عِنْدَ شَرِيكٍ رحمه الله فَأَتَاهُ بَعْضُ أَوْلَادِ الْمَهْدِيِّ – رحمه الله - ، فَاسْتَنَدَ إلَى الْحَائِطِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا ثُمَّ عَادَ فَعَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ: أَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ؟ ، فَقَالَ شَرِيكٌ: لَا ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ أَجَلُّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ أَضَعَهُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ شَرِيكٌ: هَكَذَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ: أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ ، وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ ، وَلَا تَعْمِدَنَّ بِعَيْنِكَ غَيْرَهُ ، وَلَا تَقُولَنَّ: قَالَ فُلَانٌ خِلَافَ قَوْلِهِ ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تُسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تُلِحَّ عَلَيْهِ إذَا كَسَلَ ، وَلَا تَشْبَعَ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ كَالنَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْ. المجموع. قال الإمام الماوردي رحمه الله: ثُمَّ لِيَعْرِفَ لَهُ فَضْلَ عِلْمِهِ ، وَلِيَشْكُرَ لَهُ جَمِيلَ فِعْلِهِ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَعْرِفُ فَضْلَ أَهْلِ الْعِلْمِ إلَّا أَهْلُ الْفَضْلِ. وتقول الدكتورة يسرا محمد سلامة: (أزمة التعليم جميعنا نعلمها جيدًا ، بكل ما تحمله من تفاصيل صغيرة ، فكل بيت يحمل جزءًا منها في داخله ؛ لأن كل بيت تقريبًا لا يخلو من طالب في مرحلة التعليم الأساسي. الأزمة الأكبر التي يواجهها تعليمنا تكدس الفصول كل عام بما لا يقل عن 50 أو 60 طالب في المدارس الحكومية ، وفي بعض المدارس الخاصة توجد نفس المشكلة من التكدس إلا أنها أقل فقد يصل العدد مثلاً إلى 30 أو 40 طالب ، ومن هنا تحدث المشكلة الأكبر حين لا يجد المدرس الوقت الكافي لإعطاء ما في جُعبته من شرح مستفيض لتلاميذه ، وبالتالي يخرج الطلبة من حصصهم غير مستوعبين لما تم تدريسه في الحصة ، وتكون النتيجة لجوء الطالب إلى الدروس الخصوصية حتى يفهم المادة. هنا يتحمل العبء الأكبر من الأزمة المدرس ، خاصةً لوجود بعض المدرسين – لا أقول الكل – ممن يتعمد عدم بذل الكثير من الجهد في الحصة المدرسية ؛ من أجل توفير طاقته للدروس الخصوصية ، أو لغرض اضطرار الطالب إلى اللجوء إلى الدرس الخصوصي حتى يتمكن من هضم المادة جيدًا ، كما أنه لا يُرهق نفسه كثيرًا في التواصل مع تلاميذه ، ولسان حاله يقول: سأتواصل مع من ومن ومن! فالعدد - ما شاء الله - لا يمكن إحصاؤه. لكني اليوم سأقدم نموذجًا للمدرس الذي نتمناه جميعنا ، ونطمح في أنْ يكون موجودًا في كل مدارسنا دون استثناء ، فلو وجد مثله حقًا لانضبطت العديد من المساوئ ، ولظهر تعليمنا بشكلٍ أفضل مما هو عليه الآن ، لأني مُقتنعة بفكرة ، هي أنَّ العملية التعليمية قائمة في الأساس لا على اللوائح والقوانين فقط ، بل على المدرس قبل كل شئ. إن نموذج اليوم ، أعرفه حق المعرفة ، فهو شخصية قلما يجود الزمان بمثلها ، يُعطي عطاءً بلا حدود ، لا ينتظر المقابل المادي ، ولا ينظر إليه ، يَهمه أولاً وقبل كل شئ الطالب ولا شئ آخر سواه ، يحاول بناء شخصيته ، قبل توصيل المعلومة إليه ، لا يبخل بوقته أبدًا عن طالبٍ أراده في أمرٍ ما ، لا يقفل بابه في وجه أحد ، فالكل لديه سواسية ، يستمع إليهم بحنان الأب ، يُزيل أى مخاوف قد تكون بداخلهم عن مستقبلهم في مرحلة ما بعد التعليم الأساسي ، فهم سيواجهون حياة جديدة عليهم في الجامعة ، ولا يعرفون شيئًا عن ما هم مُقبلين عليه. عندما يكون التدريس مقرونًا بالشغف ، سيُصبح المعلم أبًا وصديقًا وأخًا لا محالة ، سيبذل كل ما لديه وأكثر دون أن ينتظر عائدًا يعود عليه في المقابل لذلك كله ، وستعم الفائدة على الطلاب جميعهم ؛ لأنَّ الشغف حالة تُلقي دائمًا بظلالها على الغير ، تُعطي نفحات إيجابية لا مثيل لها ، ونموذجنا الذي أتحدث عنه ، يعلم ذلك تمامًا ، أتمنى أنْ أرى مُعلمينا في مثل شغفه ، فإن الحياة ستصبح مختلفة جد الاختلاف ، القدوة مطلوبة في كل مجال ، وهو خير قدوة ومثل يُحتذى به ، فالعطاء دون مقابل نعمة كبيرة لا يمنحها المولى عزَّ وجل ، إلا لمن يرضى عنهم فقط ؛ لأنهم

يظلون دائمًا سببًا بعطائهم لسعادة غيرهم. أنْ يتذكرك تلميذك بعد إتمامه لمرحلة التعليم الجامعي ، وبعد إنهائه لجميع دراساته ، هدية عظيمة معنوية لا يفهم معناها سوى من يتعامل بكل قطرة في دمه ، فالعطاء الذي لا ينضب يُعد نادرًا في زمننا هذا ، ويجب أنْ تُكافأ على نُدرته حتى ولو طال الوقت ، فما عند الله باقٍ ، عندما تُعطي دون جزاءً أو شكورًا. تحية لكل مُعلم زرع في داخل طلابه حبه ، وتمنوا أن يتواصلوا معه ، ويتذكروه بكل خير في حِلهم وترحالهم ، وجزاه الله عنهم خير جزاء في الدنيا والآخرة ، إنه على ذلك قدير ، أنْ تُعلم لهو أمر هين ويسير ، لكن أنْ تُربي وتَحتوي ، وتَهدي إلى الطريق الصواب شباب في مرحلة المراهقة ويحتاجون إلى كل ذرة توجيه ، لهي الرسالة التي من أجلها قال شاعرنا الكبير أحمد بك شوقي كاد المعلم أنْ يكون رسولا).هـ. وعما يجب أن المميزات التي يجب أن يمتاز بها المعلم الناجح يقول الأستاذ الكاتب نجيب روحى وتحت عنوان: المعلم الناجح ما نصه: (إذا سألت نفسك أو أي طالب في المرحلة الجامعية عن أهم شيء طبع مسيرتك التعليمية أو أثر على مستوى تحصيلك الدراسي ، فتأكد أن أغلب الآراء لن تذكر لك كتابا أو محاضرة معينة أو حتى فيلماً سينمائياً. بدل ذلك ، ستسمع اسم معلم أو معلمة ، مرب أو مربية. وهذا طبيعي لأن الطبيعة البشرية تحتاج إلى قدوة ومصدر إلهام للشخصية التي تتكون باستمرار خصوصاً في المراحل الأولى من العمر. هذا كله يطرح تساؤلاً حول ماهية المعلم الناجح الذي سيلعب دور الواسطة بين المتعلم والعلم من جهة وبين الطفل وعالم مليء بالتحديات والأخطار من جهة أخرى. فهل حاولت إذن يوماً أن تتجرد من إكراهات العمل وتوجه لنفسك السؤال المصيري: ما مدى نجاحي في تأدية واجبي كمدرس؟ هذا المقال يحدد 20 صفة على سبيل المثال يمتاز بها المعلم الناجح وهي كالتالي: 1 - المعلم الناجح لديه أهداف واضحة ، فالعمل بخطة واضحة ومنهاج سليم مع لمسة من الإبداع ضرورة قصوى. 2 - المعلم الناجح لا ينتظر ردة فعل إيجابية فورية أو عبارات الشكر والامتنان من الطلاب أو ذويهم ، فتأثيرك عليهم سيرافقهم مدى حياتهم. 3 - المعلم الناجح يعرف متى يستمع لطلابه ومتى يتجاهلهم فلا تكن مستبداً في الفصل وأنصت لطلابك ولا تجعلهم يتحكمون بمجريات الأمور بشكل مستمر. 4 - المعلم الناجح لديه موقف ايجابي من كل الوضعيات ، فالروح الايجابية تنعكس على الطلاب أيضاً - فحبذا لو امتزجت بجرعة من الحيوية والإبداع لخلق مزاج عام من التفاؤل قد يؤدي إلى الهدف المنشود. 5 - المعلم الناجح يتوقع من طلابه تحقيق النجاح ، فالطالب يحتاج إلى من يثق في قدراته ومواهبه ، ويحفزه و يشجعه في مسيرته الدراسية. 6 - المعلم الناجح يملك روح الدعابة ، لدى دعك من الجدية المفرطة واخلق جواً من المرح داخل الفصل فذلك يترك انطباعاً جيداً في نفسية المتعلمين قد يمتد حتى بعد تخرجهم من الجامعة. 7 - المعلم الناجح يثني على طلابه متى استحقوا ذلك ، فمن الواجب عليك تشجيع طلابك والاعتراف بمجهوداتهم لكن في حدود ما أنجزوه من عمل ، أشعرهم دائماً بأنهم في حاجة إلى التطور وأن بمقدورهم تقديم مستوى أفضل. 8 - المعلم الناجح يسعى دائماً إلى التجديد ، فلا تتردد في تجديد الدماء داخل الفصل واستخدام جميع الطرق المتاحة لإزالة جو الملل الذي قد يسود أحيانا. 9 - المعلم الناجح منسجم مع نفسه ، فلا تكن مزاجياً و حاول أن تتخذ قراراتك بذكاء واتزان ، لا داعي للارتباك ودع الأمور تمشي بسلاسة وتلقائية مدروسة. 10 - المعلم الناجح يتواصل مع أولياء الأمور ، فقد خصصنا لذلك مقالاً بعنوان 8 طرق لضمان تواصل إيجابي مع أولياء الأمور. 11 - المعلم الناجح يستمتع بوقته أثناء العمل ، فلا مكان لك في الفصل إذا كنت تكره مهنتك ولا تستمتع بتدريس مادتك لطلابك. تذكر دائماً أن مهنتك من أشرف المهن وتعليمك للأفراد هو تعليم للمجتمعات بأكملها. 12 - المعلم الناجح يتكيف مع احتياجات الطلاب ، فالتواصل معهم والتقرب إليهم سيعطيك فكرة عن الطرق والوسائل التي ستساعدك في تعليمهم

ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي قد تواجههم . 13 - المعلم الناجح يلتزم الحياد ، لا تحاول فرض آرائك السياسية على طلابك ، أنت فقط تقود الحوار والنقاش داخل الفصل ، فالأجدر بك أن تربي فيهم روح احترام الرأي الآخر وأبجديات النقد البناء. 14 - المعلم الناجح يحاول اكتشاف وسائل وأدوات تعليمية جديدة ، فلديك الآن الكثير من الموارد الرقمية والوسائل التكنولوجيا والتطبيقات التعليمية التي ستساعدك فعلاً على تجريب مناهج حديثة أكثر حافزية وفعالية في تعليم الطلاب. 15 - المعلم الناجح يساعد الطلاب على تجاوز المشاكل العاطفية والاجتماعية ، فلا تعتقد أن مهمتك هي فقط التعليم بمفهومه المحدود أنت الآن مسؤول عن طالب ذو انتماء اجتماعي معين وذو شخصية شديدة الحساسية تحتاج منك التوجيه والمساعدة على حل المشاكل المختلفة. 16 - المعلم الناجح يجلب المتعة للفصل الدراسي ، خصوصاً عند المراحل العمرية الأولى . فاللعب لا يتعارض مع التعلم بل يعتبر وسيلة في حد ذاته ، ويعطي نتائج جيدة بالفعل. 17 - المعلم الناجح لا يتوقف أبداً عن التعلم ، سواء من أجل تحيين معلوماته أو من أجل تطوير نفسه فالعديد من المواقع والمنصات التعليمية توفر دروساً وكورسات في جميع المجالات وبالمجان. 18 - المعلم الناجح منفتح على الآخرين ، تعلم من زملاء العمل واستشر ذوي الخبرة في المجال ، تعاون مع الجميع وكون شبكة تعلم خاصة بك PLN. استخدم أيضا حسابا على تويتر أو أحد الشبكات الاجتماعية الأخرى للتعرف على معلمين من بلدان مختلفة. 19 - المعلم الناجح ملم بالمادة التي يدرسها ، فمن غير المعقول أن نرى أخطاء بدائية يرتكبها المدرس ويصر عليها على مرأى ومسمع من طلابه. حاول تعميق وتطوير معارفك في المادة التي تدرسها. 20 - المعلم الناجح يكون مثقفاً ملماً بالكثير من الأمور ، فلا يكفي أن تكون معلماً للرياضيات وجاهلاً بكل ما يحدث من حولك ، قراءة الجرائد وتصفح المواقع الإخبارية والاطلاع على المستجدات التكنولوجية أضحى واجباً على كل مدرس).هـ. وصدق من قال: (أعتقد أنه لا يوجد من يزايد على أهمية ودور الوظيفة التعليمية وشاغلها ، إذ يعتبر العمل في مجال التعليم إدارة أو إشرافاً تربوياً أو تدريساً ، من أهم وأبرز الأعمال التي تقدم للمجتمع ، وذلك لكون المعلم أو المعلمة يقومان بدور حيوي في تربية النشء وتعليمه وتثقيفه وتأهيله لخدمة دينه ووطنه ، وأن مدير المدرسة ووكيله والمشرف التربوي يقومون بدور فعّال عن طريق دفع هذه العملية إلى تحقيق أهدافها عن طريق التوجيه والمتابعة للمعلمين والمعلمات فأبناء المجتمع أمانة في أعناق هؤلاء تتطلّب منهم استشعار المسئولية الملقاة على عاتقهم ، والإحساس بأهمية عملهم ودوره الهام في إعداد الأجيال للقيام بأعباء ومهام ومسئوليات الوطن الغالي ، ونعتقد بأنّ شاغلي هذه الوظائف المتسمة بالطابع التربوي والتعليمي ، يدركون تماماً هذه المسئوليات الهامة لعملهم ، ولكننا أوردنا هذا الأمر في هذا المقال من باب التأكيد والتذكير والتعاون بسبب تلك الأهمية القصوى لهذه الأعمال. فمدير المدرسة أو مديرة المدرسة ووكيلها أو وكيلتها وإن كان عملهما يتسم بالطابع الإداري إلا أنّ هذه السمة ينبغي ألا تتغلب على أعمالهم بل ينبغي أن يكون للعمل الميداني المتمثل في متابعة أداء المعلمين والمعلمات حسب الطرق الحديثة في المجالين التربوي والتعليمي ، وانضباطهم في دوامهم وعدم هدرهم الوقت المخصص للطلبة والطالبات ، وكذلك التأكد من تواجد الطلاب والطالبات بعدم التأخر عن الدوام أو الخروج خلاله وحضورهم في الأوقات المحددة حيز كبير في وقت عملهم. والمشرف أو الموجه التربوي أو المشرفة أو الموجهة التربوية ، عليهما مسئولية جسيمة في متابعة أداء المعلمين والمعلمات ، والتأكد من أنهم يؤدون أعمالهم حسب الخطة الموضوعة وحسب المنهج المحدد ، وعلى المشرف التربوي أو المشرفة التربوية ، ألا يكون للمجاملة والمحسوبية والعاطفة فسحة في عملهما ، فالموضوع غير قابل لذلك لكونه يتعلق بمصلحة الأمة ومستقبلها ، ذلك أن

هؤلاء النشء من الطلبة والطالبات هم قوام المستقبل في بناء الوطن وتقدمه والقيام بسائر شؤونه فهي بحق أمانة كبرى. أما المعلم أو المعلمة فإنهما يمثلان مركز العملية التعليمية وقلبها النابض ، وذلك لأنّ تفعيل العملية التعليمية والتربوية للطلاب والطالبات بصورة مباشرة وفي الميدان يتم عن طريقهما ، وأن أي تقصير في ذلك يقع بشكل مباشر على المعلم أو المعلمة. ولذلك فإنّ الإخلاص في العمل والمحافظة على الوقت والحرص على المشاركة الطلابية والتحلّي بالأخلاق الفاضلة وإصلاح الإعوجاج أو التقصير لدى الطلبة أو الطالبات يأتي في مقدمة ما ينبغي أن يحرص عليه المعلم أو المعلمة. فالمعلم أو المعلمة ينبغي أن يحافظا على الوقت المخصص للطلبة أو الطالبات، وذلك بالحضور في بداية الحصة وعدم الانصراف قبل نهايتها وأن يقوما باستغلال كل دقيقة منها لمصلحة الطلاب أو الطالبات ، وألاّ يخرجا من المدرسة لمصلحة شخصية لهما تاركين الطلبة أو الطالبات لمعلم أو معلمة بديلين ، إلاّ إذا كان الخروج لسبب ملح وضرورة قصوى ، وأن يقوما بتفقد أحوال الطلبة أو الطالبات ذوي المستويات الضعيفة ويعملا على رفع مستوياتهم. وأمر آخر مهم يتطلب من المعلم أو المعلمة التحلي به وهو أن يسعيا بأن يكونا أسوة حسنة للطلبة والطالبات بحيث لا يرى فيهما الطلبة أو الطالبات إلا المعاني الكريمة والتصرفات الطيبة وسماحة الإسلام ووسطيته مما يحصن الطلبة والطالبات أمام دعوات الغلو والتطرف وهدم الأخلاق الفاضلة ، ذلك أن الطالب أو الطالبة يقضي كل منهما مع معلمه أو معلمته وقتاً يتجاوز الوقت الذي يقضيه كل منهما مع أسرته. ومن الأمور ذات الأهمية المطلوبة من المعلم أو المعلمة مراعاة وضع الطلبة أو الطالبات ذوي المستويات الضعيفة والعمل على رفع مستوياتهم لمسايرة زملائهم الآخرين ، فقد يكون هذا الضعف راجعاً لظروف خارجة عن إرادة الطالب أو الطالبة ، وهما في هذه الحالة بحاجة ماسة إلى من يقف معهما لتجاوز هذه الظروف. أن يحرص المعلم والمعلمة على تطوير أساليب عملهما بما يخدم مصلحة الطلاب والطالبات. أن يلتزم المعلم والمعلمة باللغة العربية الفصحى خلال الحصة الدراسية بل في المدرسة. أن يهتم المعلم والمعلمة بالواجبات المدرسية والعناية بتصحيحها. أن يحرص المعلم والمعلمة على الاهتمام بمستوى تحصيل الطلاب والطالبات ومعالجة الإشكالات المتعلقة بذلك. أن يكون المعلم والمعلمة متمكنين من المادة العلمية المكلف كل منهما بها مع القدرة على تحقيق أهدافها. أن يحرص كل من المعلم أو المعلمة على أن يلقي مادته أمام الطلبة أو الطالبات بصورة واضحة ومفهومة وحسب المنهج المقرر. أن يقوم المعلم أو المعلمة بفتح المجال أمام الطلبة أو الطالبات بالمشاركة الذاتية ، وأن يتم التشجيع على ذلك. أن يغرس المعلم أو المعلمة في أذهان الطلاب والطالبات العقيدة الإسلامية الوسطية التي أمرنا الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله علية وسلم باتباعها وهي العقيدة القريبة من التآلف و المحبة والمودة والبعيدة عن التشدُّد والتطرُّف والكراهية. وبعد فإنه بسبب هذه الأهمية للوظيفة التعليمية والعاملين فيها المتمثلة في تعليم وتربية الأجيال ، فقد قوبلت هذه الأهمية بإفراد شاغلي الوظائف التعليمية بمزايا خاصة ، فقد تم إصدار لائحة وظيفية خاصة بهم تتضمّن سلّم رواتب خاص ومزايا مالية أخرى ومكافأة مجزية تصرف في نهاية الخدمة ، كما أنه في هذا الإطار يتم من حين لآخر إحداث الوظائف التعليمية الجديدة من أجل تحسين وضع المعلمين والمعلمات الذين عينوا على وظائف تقل عن الوظائف المناسبة لمؤهلاتهم العلمية ، وهو الأمر الذي يترتب عليه زيادة جيدة في مستويات دخول هؤلاء المعلمين والمعلمات المادية ، وكذلك من أجل دفع العملية التعليمية ، والمؤمل هو أن ينعكس ذلك بصفة إيجابية على أداء العاملين في مجال التعليم بما يتلاءم مع المهام الجسام المطلوبة منهم ، فالدولة والمجتمع يعلقان آمالاً كبيرة في أن يسهم ذلك في تطوير وتحسين العملية التعليمية بمزيد من الإخلاص والانضباط والشعور بالمسئولية من قبل العاملين في مجال

التعليم العام).هـ. كتبت الأستاذة جيهان شعيب تحقيقاً مع عدد من الأدباء حول هيبة المعلم وما ينبغي أن يكون له من احترام ، ومنددة بالحال الذي آل إليه في زماننا جاء في بعض فقرات تحقيقها ما نصه: (في يوم قيل: (قف للمعلم وفه التبجيلا * * كاد المعلم أن يكون رسولا) ، وذلك لتقديس مكانة المعلم التعليمية ، والتربوية ، والإنسانية ، التي طالما كان يحفظها له المجتمع بشرائحه المختلفة. وبمضي الوقت ، ومع تغير كثير من القيم ، واهتزاز كثير من الثوابت ، وارتعاش بعض إن لم يكن أغلب السلوكيات التي ما كنا نعهد فيها سوى الالتزام ، اندثرت نسبياً ، أو كادت أن تندثر هيبة المعلم ومكانته ، فما بين التطاول عليه لفظاً من بعض الطلبة المنفلتين أخلاقياً ، الى التعدي عليه ـ وإن كان ذلك ضمن حالات قلة ـ من طالب أو آخر، والنتيجة ضياع كرامة ، واحترام طالما ظلا محفوظين ، ومصانين ، لأصحاب هذه المكانة التي ما كان يعتقد أحد أن تمس من أي فرد كان في يوم من الأيام. مع إدانتنا الكلية لفكرة الإتيان على مجرد مسمى المعلم بأية صورة من الصور، لا يمكن ان ندفن رؤوسنا في التراب (كالنعام) ، ونتغاضى عن بعض الأفعال غير السليمة يأتي بها ربما عدد محدود من المعلمين ، والتي قد يكونون بها أساءوا إلى مكانتهم ، وهبطوا كذلك بها ، ومنها التبسط مع الطلبة في الحديث ، والخروج بهم من النطاق التربوي ، والتوجيه إلى ما لا يصح من الأحاديث التي لا يجب طرحها مع طلبة يخطون خطواتهم العمرية نحو سنوات المراهقة مع ما يعتريها ويصاحبها من تغيرات قاسية ، ومنها كذلك مخاطبة الطلبة بألفاظ غير أخلاقية ، ومعاملتهم بدونية واهانتهم ، ما قد يدفع بعضهم إلى التجرؤ على المعلم ذاته من هؤلاء ، ومبادلته المعاملة بالمثل ، في ضوء افتقارهم إلى التمييز بين ما يجب وما لا يجب ، نظراً لاعتقادهم أنهم بذلك يردون اعتبارهم الذي أهين من قبل معلميهم أمام زملاء صفهم. وقد لا ينحصر الأمر فيما سبق فقط ، إذ ربما هناك غير ذلك من الأفعال المسيئة للمكانة التي كان وراءها عدد من المعلمين ، فيما وعلى الجانب الآخر ، ما يعود إلى أولياء الأمور الذين نسي أو تناسى عدد منهم وفي غمرة المشاغل الحياتية ، تعزيز مكانة ، وقيمة ، وأهمية المعلم في نفوس وعقول الأبناء. هيبة ومكانة واحترام المعلم أصبحا قاب قوسين أو أدنى من الضياع ، ما لم تكن هناك حلول ناجعة للعودة به إلى ما يستحقه بالفعل من موقع بارز ومتميز ، لائق بكينونته ، ووضعه المهني والحياتي ، وحول ذلك يدور تحقيقنا الآتي الذي نبحث في طياته عن الأسباب التي تدنت بهذه المكانة ، بعدما ـ وكما ذكرنا قبلاً ـ ظلت محفوظة لعقود زمنية طوال. بداية قال د. علي الطنيجي رئيس نائب رئيس مجلس أولياء الأمور في المنطقة الوسطى: هناك حكمة تقول من أمن العقوبة أساء الأدب ، وللأسف العقوبات الحالية في المدارس لا توحي للطلاب باحترام المعلمين ، أو النظام الإداري الموجود في المدارس ، التي أغلبها وللأسف أيضاً لا تطبق لائحة السلوك التي أصدرتها وزارة التربية والتعليم عام 2011 ، تلك التي تتضمن موادا تلزم الطلبة باحترام المعلمين والإدارات المدرسية ، مما أدى بالتالي إلى لجوء بعض الطلاب الى القفز فوق الأنظمة والقوانين ، فمنهم من يتجول في المدرسة خلال سير الحصص الدراسية ، ومنهم من يناطح المعلم بالقول واللفظ دونما خوف أو خشية منه ، في المقابل لم نسمع عن مدرسة لجأت إلى فصل طالب لمدة يوم أو يومين لسوء سلوكه مثلاً ـ إلا إذا كان هناك تعدٍ صارخ منه ـ حيث يتم حل المشكلة التي وقعت ودياً بالاتصال بولي الأمر من هؤلاء ، وإعلامه بما فعله ابنه ، ومن ثم وكأن شيئاً لم يكن ، لذا فظاهرة عدم احترام كثير من الطلبة للأنظمة والمعلمين على وجه الخصوص ، تعود لعدم استطاعتهم اتخاذ أي قرار بحق غير المنضبط من الطلبة. فضلاً عما سبق فهناك الأسر التي لا تعمل على تنمية احترام المعلمين ومكانتهم في عقول الأبناء ، إلى جانب الدروس الخصوصية التي قللت من هيبة المعلم ، حيث أزالت الحواجز فيما بينه وبين الطلبة الذين يحصلون عليها ، في ضوء شعور الطالب

من هؤلاء أن المعلم أصبح مديناً له ، فهو – أي الطالب - الذي يدفع له، وبالتالي لا يستطيع المعلم أن يواجهه بأخطائه ، أو نواقصه ، في الوقت الذي كان فيه قبلاً بمنزلة الاب في البيت ، والمدير في المدرسة.
أما الأستاذ إبراهيم المحرزي رئيس مجلس إدارة مجموعة من المدارس الخاصة ، فيرى أن هيبة المعلم اندثرت إلى حد كبير ليس في الدولة فقط ، بل في معظم الدول التي انساقت وراء النظرية الغربية الحديثة في أسلوب التعليم ، التي تجاهلت قضية عقاب الطالب ، وقال: عبر التاريخ كان التعليم يمتزج بنظريتي الثواب والعقاب ، لأن مسيرة التعليم من دون هذين الجناحين معاً لا يمكن أن تحلق عالياً ، فمبدأ الثواب جميل ، ولكن العقاب أيضاً واجب ، على ألا يكون بمفاهيم النظم التعليمية القديمة من الجلد والضرب المبرح ولكن بأن تؤسس له آليات ونظم محددة ، ليطبقه المعلم على المخالفين ، والمستهترين بالعملية التعليمية.
كما تقع على عاتق بعض أولياء الأمور مسؤولية ضياع هيبة المعلم ، حيث إن كثيراً منهم لا يريد للمدارس ولا للإدارات المدرسية ، أو المعلمين المساس بالأبناء ، ولو بكلمة تجرح المشاعر، ما أدى إلى استقوائهم على جميع من في المدارس ، رغم ما قد يكون الابن من هؤلاء الذين يرتكبون في المدرسة تجاوزات ، ومخالفات جسيمة ، وعدم احترام. وحتى نعيد هيبة المعلم إلى ما كانت عليه من نيل التقدير والاحترام المجتمعي ، فلا بد من أن تسن وزارة التربية والتعليم ، والمجالس التعليمية تشريعات تؤيد مبدأ الثواب والعقاب المقنن ، بحيث يتم العقاب بتدرج. ومن الضروري تنظيم دورات تدريبية للمعلمين لإكسابهم المهارات والأساليب المنهجية الصحيحة في التعامل مع الطلبة ، من احتوائهم واستيعابهم ، ومعاملتهم بود والابتعاد عن الغلظة ، والحدة ، فيما إذا تحول دور المعلم إلى مجرد أداء الواجب ، فعلى العملية التعليمية والتربوية السلام ، لأن المعلم في الأساس بمنزلة الأب في المدرسة والقدوة التي يجب احترامها ، وتقديرها. ومن جهته أشار إبراهيم عبيد منسق مكتب مدير الشارقة التعليمية ، ونائب رئيس مجلس إدارة جمعية الاجتماعيين ، إلى أن المعلم حالياً أصبح في حالة يحسد عليها ، حيث اختفت صورة المعلم القدوة ، فلم يعد هناك المعلم الذي يأتي مدرسته وهو بكامل هندامه ، أو الذي يعطي وقت الحصة الدراسية كاملة للطلاب من دون نقصان ، أو الذي يلتزم في حديثه بالألفاظ التربوية التعليمية المطلوبة ، بما أدى بصورته إلى أن تؤول إلى ما أصبحت عليه ، إلى جانب أسباب أخرى منها! كما قال الآتي: إن راتب المعلم لا يكاد يكفيه لسد احتياجاته الأساسية ، وهو مضطر في كثير من الأحيان للاقتراض. ومن جانب آخر فإن الأهل لم يعودوا يلقنون أبناءهم احترام المعلم ، بل عندما يتعرض ابنهم لعقوبة أو مساءلة من معلم تجد الأهل ينتصرون لأبنائهم ، دون أن يعرفوا مقدار الخطأ الذي ارتكبه الأبناء ، والطلاب لا يرون في المعلم إلا موظفاً يقبض راتبه وفي كثير من الأحيان يمن الطالب على المعلم بهذا الراتب وكأنه هو الذي يدفعه له.
وهناك أسباب أخرى أكبر من الطالب والمعلم نفسه تفرض نفسها في هذا المجال ، فالمعلم كان سابقاً مصدر المعرفة والعلم ، والموسوعة التي يعود إليها الطلاب وربما آباؤهم ، وفي يومنا هذا تعددت مصادر المعرفة ، والموسوعات ، وأصبح الطالب يعرف من المجتمع وشبكة الإنترنت والتلفزيون أضعاف ما يتعلمه في المدرسة. هذا الواقع يضع المعلم نفسه أمام تحد جديد ، فهو بحاجة إلى مواكبة العصر الذي نعيش فيه ، وامتلاك وسائل المعرفة العصرية).هـ. وهذا الذي ذكرناه آنفاً ، وعزوناه لأصحابه ليس بالغريب أو النادر! بل قال أحد المدراء الجهلاء المتعجرفين في أحد اجتماعاته بالهيئة التدريسية ذات يوم: (إنني أرحب بالطالب أكثر من أي واحد منكم! والسبب هو أن الطالب يعطيني نقوداً ، بينما الواحد منكم يأخذ مني نقوداً!) وأيضاً أحد الطلاب المتعجرفين قال لمعلمه: (إن القميص الذي تلبسه من نقودي!) الأمر الذي حدا بالمعلم للاتصال بوالدي الطالب اللذين لم يقصرا في استرجاع الحق! فأما الأم فأعطت المعلم الهاتف

الشخصي للأب والذي كان حكراً عليها هي ، وأما الأب فجاء وعاقب ابنه أمام أعين الطلاب بالعقال! وقال طالب من المرحلة الثانوية: إن عددا من المعلمين هم السبب في عدم احترامنا لهم ، لأنهم يتعمدون إهانتنا والاستهزاء بنا ، ووصفنا بالأغبياء إن لم نستطع إجابة أي من الاسئلة ، أو إذا حصل أي منا على درجة متدنية ، علاوة على أن منهم من يرى في نفسه قوة بدنية ، فيهددنا بالضرب إن لم نلتزم بما يطلبه أو يوجه به ، ومنهم من أجبرني على أداء أحد الاختبارات وأنا جالساً القرفصاء على الأرض في الحصة ، عندما رآني أحدث زميلي الذي يجاورني في الصف ، فكيف أحترمه بعد ذلك ، وقد أهانني ، وأذلني أمام زملائي ، ولولا خشيتي من أن يدعي أنني كنت أغش ، مما اضطره لفعلته معي ، لأخبرت أسرتي لتتخذ معه موقفاً).هـ يقول الأستاذ محمد شركي: (ما الذي طرأ على مكانة المعلم في مجتمعنا؟ ويجيب على سؤاله قائلا: لقد استرعى انتباهي تخصيص قناة الجزيرة القطرية حصة من برنامجها اليومي الصباحي لمناقشة مكانة المعلم في الوطن العربي. وصادف هذا البرنامج نشرعدة مقالات على موقع وجدة سيتي المغربي تتعلق بنفس الموضوع خصوصاً في ظرف الاعتداءات المتكررة داخل المؤسسات التربوية على رجال ونساء التعليم في جهتنا الشرقية التي كانت معروفة في الماضي بالاحترام الكبير للمعلم. ولا زال الناس عندنا يتحدثون عن مكانة المعلم حديث الأساطير. لقد كان المعلم يحظى بأرقى مكانة في المجتمع ، حيث كان يسد مسد كل الفعاليات الخيرة التي يحتاجها المجتمع إذ كان يعلم ويحارب الجهل والأمية على المستوى المؤسساتي ، ويقوم بأدوار شتى داخل المجتمع سواء تعلق الأمر بدور ديني يمس الجانب العبادي أو الجانب المعاملاتي ، أو تعلق بدور إنساني واجتماعي يمس كل ما له علاقة بالمجتمع. لقد كان باختصار رحمة داخل المجتمع ، وتوجد الرحمة حيث يوجد. وكان جديراً ببيت الشعر لأمير الشعراء الذي تردد في جعله رسولاً باستعمال فعل كاد الذي يفيد الاقتراب من الفعل دون حدوث الفعل. والحقيقة أن الرسول معلم بالضرورة ، وقد جاء في الأثر: إنما بعثت معلماً ويستقيم بيت أمير الشعراء لو قال: إن الرسول كان معلماً. وبمناسبة شيوع هذا البيت الشعري الخالد لشاعر خالد أود أن أنبه الذين يستشهدون به للتباكي على المعلم حين يساء إليه ، فأقول لهم إن الرسول لقي من الإذاية أصنافاً وألواناً مما جعله في مستوى صبر أولي العزم ، وإذا ما تشبه به المعلم فلا بد أن يكون مهيئاً لكل إذاية. فإذا كان الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم قد كسرت رباعيته يوم أحد ، وأدمي عقبه وشتم ، وسب واتهم بالكذب والسحر....إلخ فما زال المعلم عندنا لم يذق شيئاً مما ذاقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الأذى العظيم. ولا يجب أن يستاء المعلم من أنواع الإذايات لأن طبيعة مهمته تعرضه لذلك. الكل يتحدث عن معلم عقود انفرطت بكل خير ، ويدعو له بالرحمة ، وقد لقي العديد من معلمي تلك العقود ربهم. لقد كان في تأديبه بركة ، ولم يكن تأديبه يسمى عنفاً كما تسميه المذكرات التنظيمية اليوم. ولا زال الكثير من الناس اليزم يفخرون بتأديبه ، وهو عند البعض أوسمة توشح الصدور بعدما أوصلهم تأديب المعلم إلى ما كانوا يصبون إليه من مراتب. لقد كان مرور المعلم في الشوارع والأسواق بسمته المتعالي عن كل خوارم المروءة كما يقول الفقهاء يحرج المتعلمين وهم في أحوال يأنفون أن يراهم عليها المعلم لما كانت له من قيمة عندهم ، كما كان الصحابة يستحيون من رسول الله عندما يباغتهم في أحوالهم المعيشية. فكم من متعلم ترك فجأة اللعب وهو أشد ما يكون تعلقاً به لأن المعلم عن له من بعيد ، وكم من متعلم تغير سلوكه داخل بيته عند زيارة المعلم لبيته في مناسبة من المناسبات ، فتحول من شغب ونزق إلى هدوء وأدب ، وكم من متعلم استعصى نشوزه على أولياء أمره فما كاد المعلم يقحم في الأمر حتى ترك المتعلم الناشز نشوزه تقديراً لمعلمه. وربما حاول الأولياء تصحيح نشوزه بكل أساليب العنف فلم يجدهم ذلك نفعا ، وكانت النظرة

الواحدة من المعلم الوقور كافية لتصحيح نشوز المتعلم. هذه الصورة الإيجابية بكل المقاييس المسجلة عن معلم الماضي القريب الذي يمكن حصره في عقود معدودة لا ينكرها إلا جاحد أو حاقد ، أو عاق لم يعد لها وجود إلا نادراً. والناس يختلفون في زوال هذه الصورة المثالية ، فبعضهم يرجع زوالها للمعلم الذي يعد في نظرهم مسؤولاً عن تشويه وقاره ، وبعضهم يعيدها إلى تغيير شامل طرأ على المجتمع الذي ترك فترة زمنية إلى أخرى وبين الفترتين تباين من حيث سيادة القيم. ففي فترة سيادة القيم الدينية والأخلاقية كانت للمعلم مكانته التي صنعتها هذه القيم ، ولما حلت فترة سيادة القيم المادية والعلمانية غيرت من مكانة المعلم وصنعت له مكانة داخل منظومة قيمها المادية والعلمانية. لقد تحول المعلم من رسول إلى مجرد مقاول ، وبموجب هذا التغيير سقط وقار المعلم وصار بدون وقار كما هو حال المقاول. لقد صار حال المعلم كحال الرسول عندما يكذبه قومه ، وينكرون رسالته. وحسب هذا الطرح الذي أرجحه أعتقد أن القيم السائدة في مجتمع من المجتمعات هي التي تحدد مكانة المعلم. ولست في طرحي هذا ماركسياً يربط مصير البنى الفوقية بالبنى التحتية ، ويجعل المادة متحكمة في المجتمع بل أقول إن العلاقة أكثر تعقيداً في المجتمعات من مجرد تحكم المادي في المعنوي. إن القيم إذا لم تحكمها عقيدة الله عز وجل وتضمن لها الثبات الإيجابي على النهج الصحيح تكون عرضة للتغييرات التي قد لا تخلو من سلبيات. فالمجتمعات لا تملك أن تحول دون غزو القيم الغريبة عنها بحكم الاحتكاك مع بعضها البعض ، ذلك أن القطار الذي تركبه البشرية يجر عربات عديدة لها أحوال مختلفة ، وليس بينها حواجز ، والناس بحكم تنقلهم بين هذه العربات يتناقلون فيما بينهم هذه الأحوال فتحل بهم أحوال سببها التأثر والتأثير فيما بينهم. فليس بالضرورة حسب العقيدة الماركسية أن يكون الجانب الاقتصادي هو صانع الجانب الاجتماعي ، ذلك أن بعض الظواهر الاجتماعية تظهر في مناطق من هذا العالم حيث لا يوجد ما يبررها اقتصادياً. وأسوق على سبيل الذكر لا الحصر ظاهرة الخنفسائية التي ظهرت في ستينيات القرن الماضي في المجتمعات الغربية التي خاب ظن مواطنيها في حضارة مادية لم تجلب لهم سعادة ، وإنما جلبت لهم خراباً ويباباً على حد تعبير الشاعر إليوت في قصيدته اليبابية الشهيرة ، فكانت الخنفسائية عبارة عن عقيدة أو قيم تعبر عن التمرد والسخط والعصيان من خلال الحنين إلى الحياة البدائية البديلة عن حياة اليبابية ، فطالت بسبب ذلك شعور الشباب ، وارتادوا العوالم الحالمة عن طريق نوع خاص من الفنون الجميلة وخاصة الموسيقى ، ونشدوا هذه العوالم عبر جرع المخدرات إلى غير ذلك من قيم الخنفسائية. وانتقلت عقيدة الخنفسائية إلى كل شباب العالم بما في ذلك شباب ما يسمى العالم الثالث الذي لم يعرف اقتصاده ما عرفه اقتصاد العالم الأول من تعقيدات ، فطالت شعور شباب العالم الثالث ، وقلدوا أقرانهم الخنافيس في كل أحوالهم مع اختلاف المجتمعات. إن ظاهرة تأثر البشرية بالقيم السائدة أمر واقع لا ينكر لهذا فمكانة المعلم في نظري ليست بدعاً من مكانة غيره ، فهي عرضة للتغيير أيضا بسبب التغيير الحاصل في القيم السائدة التي هي خليط غريب ليس من السهل رصد مصدره. فالظواهر الاجتماعية تظهر كأعراض دون سابق إنذار ودون أن تكون متوقعة أو في الحسبان. فليست مكانة المعلم وحدها هي التي طرأ عليها التغيير ، فمكانة كل شريحة اجتماعية عرفت التغيير ، فلم يعد القاضي ولا المحامي ، ولا الطبيب ، ولا المهندس ، ولا الفلاح ، ولا التاجر ولا إمام المسجد أو خطيبه ، ولا الصحفي كما كانوا ، ولا الآباء والأولياء كما كانوا. وينعقد الاجماع داخل المجتمع على أن التغيير كان نحو الأسوأ بالنسبة للجميع. إن الذين يحملون المعلم مسؤولية تغييرمكانته داخل المجتمع من خلال سلوكات ومواقف تعتبر نتائج هذا التغيير لا مسبباته يخبطون خبط عشواء. فليس امتهان المعلم لمهن أخرى ، ولا ممارسته للتجارة ، ولا إعطاؤه دروس الدعم بالمقابل ، ولا جلوسه في

المقهى ، ولا تحركه اليومي بين مقر عمله النائي عن مقر سكناه ، ولا غير ذلك مما يعتبره البعض مسؤولية تغيير مكانته في المجتمع هي أسباب هذا التغيير. لقد تغيرت نظرة المجتمع للمعلم بتغير القيم التي سادت. فالمعلم ما لجأ إلى المهن الأخرى والتجارة المزعومة ، والساعات الإضافية...إلخ إلا بعد أن صارت تكاليف الحياة باهظة ، ويئس من أن يوفر له أجر التعليم الحياة الكريمة الجديرة بمهنة الرسولية الموقرة. فممارسته لهذه المهن ، هي نتيجة وليست سبباً كما يعتقد البعض. لقد عرف سلوك المتعلمين تغييراً مسايرا لقيم غزت المجتمع ، وهي قيم لا ترعى لأحد حرمة ولا قدراً ، فكما صار المتعلمون يتمردون على سلطة آبائهم وأوليائهم ، وعلى كل سلطة مهما كان نوعها ، فهم يتمردون على سلطة المعلم التربوية أيضاً. وبما نسبة استفحال ظاهرة العنف الذي يتعرض له المعلم في جهتنا ، وفي باقي جهات الوطن الصغير والكبير ، أعتقد أن العنف مؤشر على فساد ، قياساً على العنف ضد الرسول الكريم ، فالرسول أسيء إليه لما كان المجتمع فاسداً كما هو حال مكة وثقيف يومئذ ، والمعلم إنما يتعرض للإساءة عندما يفسد المجتمع. وعلي المعلم أن ينتظر الإساءة وأن لا يستغربها ما دام المجتمع قد تغيرت قيمه وصارت قيم فساد ، وعليه أن يتكيف مع الوضع الجديد المزري من أجل استرداد هيبته ووقاره ، بطريقة تختلف عن طرق الماضي التي كانت قيمه مختلفة عن القيم الحالية. وأقول على سبيل المزاح إذا كان طعم اللحوم والخضر والفواكه قد تغير نحو الأسوأ ، وحتى نبات النعناع لم يعد يجلب النحل إلى البراد كما قال شيخ من شيوخ الماضي ، فلا يضير المعلم أن تتغير نظرة الناس إليه. إن الناس ينكرون طعم لحوم وخضر وفواكه اليوم ، ولكن ذلك لا يمنعهم من تناولها بالرغم من غياب شهية مفقودة ، وهم يشربون الشاي بنعناع لا يستهوي النحل! وإنما الناس يتأقلمون من واقع قيم مهيمنة غيرت الكثير من الحقائق على أرض الواقع. وقد يأتي الزمان بقيم تعيد للمعلم مكانته وللمأكولات والمشروبات نكهتها. ولقد عرف التاريخ نكبات طبقات اجتماعية بسبب سيادة قيم أطاحت بمكانتهم ، حتى قال أحد النقاد وهو ابن المعتز عن الخليفة العباسي: أصابته حرفة الأدب فلم يدم حكمه سوى يوماً وليلة. فمعلم اليوم أصابته حرفة التعليم فعرفت مكانته ما عرفته من تغيير إلى أن يصير التعليم رقما يحسب له حساب في معادلة قيم جديدة. وأنا أضحك ملء شدقي من المسؤولين عن الشأن التربوي الذين يروجون لدعاية رخيصة تزعم أن قطاع التربية بخير وعافية ، وهم لا يؤمنون بذلك والواقع يكذبهم ، وإنما يحملهم على هذه الدعاية الكاذبة من قبيل شعار جيل النجاح ومدرسة النجاح الخوف على مناصب تدر عليهم دخلاً إن لم نقل سحتاً ، فلو قالوا الحقيقة المُرة لأعفوا من مناصبهم ، ولهذا فهم يقولون ما يرضي من أوكل إليهم تدبير شأن قطاع أفلس ، ويضيقون ذرعاً بالمشاغبين من أمثالي الذين يفضلون الحقيقة المرة على الدعاية الكاذبة ، لأن التعجيل بالاعتراف بالحقيقة المرة ، هو تعجيل بالتفكير في الحلول الحقيقية عوضاً عن الحلول الترقيعية. وأنهي مقالي بتحية للمعلم حيث ما وجد في عالمنا العربي والإسلامي والعالمي تحية صدق لا تحية مجاملة كاذبة تدغدغ المشاعر المندفعة في زمن سيادة قيم المشاعر المندفعة التي لا تعير اهتماماً لمصداقية أو حق أو صواب أو عدل أو أخلاق).هـ. وفي مقال ظريف مفيد للأستاذ الدكتور / أحمد بشير – وهو من كُتـــّاب موقع بوّابـتي ، وتحت عنوان: (بين هارون الرشيد ومعلم الأمين والمأمون) ، قال ما نصه: (يقول الشيخ محمود شلتوت: وإذا كانت خلافة الإنسان في الأرض هي مهمة الإنسان في الحياة ، وهي حكمة خلْقه ، وحكمة الإنعام عليه بقوى العلم والعمل ، وحكمة تَسخير الكون وإخضاعه له في التفكير والتصريف ، فإنه لا سبيل إلى قيامه بهذه المهمة وتحقيق تلك الحِكَم ، إلا إذا تحصَّن جيداً بالعلم ؛ ليَعرف الخير من الشر ، والنافع من الضار ، والمُعمِّر من المُخَرِّب ، وتحصَّن كذلك بالصحة ؛ ليَكْمُل عقْله ، ويَسْلَم تدبيره ، وتتَّصل جهوده . إن مكانة

المعلم في الإسلام أرفع مكانة ، إنها مهمة الأنبياء والرسل عليهم جميعا صلوات الله وتسليماته ، وهو ما يؤكده قول الله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة). وهذا المعنى ذاته وضحه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بقوله: (ولكن بعثني معلماً ميسراً) (رواه مسلم وأحمد) ، قالوا: ووردت معلماً نكرة لتعم كل أنواع وجنس التعليم. والمراد هنا كل أنواع التعليم والعلم الموافق لكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. وكثيراً ما أتوقف أمام أحوال السلف الصالح في شتى شؤون الحياة ، ومواقفهم إزاء العديد من القضايا والأشخاص والأحداث والموضوعات. تلك المواقف التي تحمل من المعاني والدلالات ما نحن في أمس الحاجة إليه في حياتنا المعاصرة ، إنها مواقف من التراث الغني الزاخر لأمة الإسلام تحمل العديد من المعاني التي غابت عن واقعنا اليوم أو تكاد ، وهنا أستشعر عظم مسؤولية الدعاة والمربين وأهل الفكر والقلم في تبصير أجيالنا الحالية بما كان عليه سلفهم الصالح رضوان الله عليهم أجمعين في جميع أحوالهم ، لتحقق فيهم الأسوة الطيبة ، والقدوة الحسنة لأجيال كثيراً ما نسمع النابهين منهم يقولون نحن جيل بلا أساتذة ، إنهم يضجون بالشكوى مما هم فيه من تيه ، وما هم عليه من ضياع البوصلة التي تدلهم على الطريق القويم وترشدهم إلى سواء السبيل ، ولا شك أن في سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلكوا مسلكهم ، واتبعوا نهجهم هم القدوة التي تفتقدها الأجيال المعاصرة. ولذلك يقول الإمام ابن الجوزي رحمة الله عليه في كتابه الموسوعي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: واعلم أن في ذكر السير والتاريخ فوائد كثيرة ، (وذكر منها) أن يطلع بذلك على عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر، وسماع الأخبار ، فالنفس تجد راحةً بسماع الأخبار ، قال أبو عمرو بن العلاء: قيل لرجل من بكر بن وائل قد كبر وذهبت منه لذة المأكل والمشرب والنكاح ؛ قيل له: أتحب أن تموت؟ قال: لا! قيل له: فما بقي لك من لذة الدنيا؟ قال: أستمع أخبار الرجال وأستمع العجائب. إننا نحسب أن من أهم وسائل إشعال العزائم ، وإثارة الروح الوثابة ، وقدح المواهب ، وإذكاء الهمم ، وتقويم الأخلاق بصمت وهدوء دون أمر ونهي ، والتسامي إلى معالي الأمور ، والترفع عن سفسافها ، والاحتذاء بسير الأجلاء الأسلاف ؛ خير سبيل إلى ذلك كله هو التذكير بالمواقف الثرية من سير العلماء الصلحاء ، والوقوف على بعض أخبار الرجال العظماء ، والتملي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين ، والاقتراب من العلماء النبهاء العاملين المجدين ، والموقف الذي نحن بصدده يجلي لنا كيف كانوا ينظرون إلى مكانة العلم ، ويقدرون دور المعلم ، وجلال مهمته وعظمة رسالته ، الأمر الذي جعلهم يرفعون مكانته ، وينزلونه منزلة مرموقة ، إنه موقف يجسد لنا منزلة المعلم بين تقدير السلف وإهمال الخلف ، وكيف أن حال المعلم اليوم – والذي لا يخفى على أحد – يشي بالهيبة الضائعة ، والمكانة مفقودة. فكيف يمكن أن نعيد للمعلم هيبته ومكانته ، حتى يتسنى له أن يعود إلى مهمته المقدسة العظيمة ودوره الفعال في بناء الأجيال ، إنه المعلم باني الإنسان ، وصانع الأجيال ، ومؤسس القادة. نعم لقد كان سلفنا الصالح يعرف فضل العلم والعلماء ، وفضل المعلم والمربي ودوره الهام في صناعة الأجيال وبناء الإنسان الصالح المصلح ، النافع لنفسه ودينه وأمته ، ومن هؤلاء كان الخليفة هارون الرشيد الذي يعطينا درسا بليغا في قيمة العلم ومكانة المعلم ، فلقد عهد إلى الكسائي (وقيل إلى الأصمعي) بتعليم ابنيْه الأمين والمأمون ، وأوصاه أن لا يدللهما ، وأن يوقفهما على بابه ليدركا أهمية المعلم ورهبته ، وأن يعنفهما إذا لزم الأمر ، وأوصاه قائلا: أقرئهما القرآن ، وعرفهما الأخبار ، وروّهما الأشعار ، وعلمهما السنن ، وبصرهما بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعهما من الضحك إلا في أوقاته ، ولا تمرنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيدهما إياها! وهذا يدلنا على قيمة العلم ، ومكانة العلماء في منظور الإسلام ، حتى أن العلم في الإسلام يأتي قبل العمل فلا عمل

صالح بغير علم ، يقول العلامة الدكتور راغب السرجاني: (العلم من أنبل الغايات وأشرفها ، وله مكانة عظيمة في ديننا ، به يعبد المسلم ربه على بصيرة ، بل ويكون أشد خشية له ، فكان تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، والبحث عنه جهاداً ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة. كما يدلنا ذلك كله على مكانة المعلم والمربي في الإسلام ، فهي مكانة سامية عظيمة حددها القرآن الكريم ، وبينتها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكذا ما سطره السابقون الأولون ومنهم الإمام الحسن البصري حيث يقول: لولا العلماء (والمعلمون) ، لصار الناس مثل البهائم ، أي أنهم بالتعليم يخرجونهم من حضيض البهيمة إلى أفق الإنسانية ، وقال الإمام الغزالي: حق المعلم أعظم من حق الوالدين ، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية. والسؤال الذي يفرض نفسه: متى يأخذ المربي والمعلم المسلم حقه الذي يظهر مكانته وأهميته في حياة الأمة؟ متى يدرك الآباء والأمهات والمجتمع المسلم بأسره فضل المعلم في بناء الإنسان ، وصناعة الأجيال ، وتشييد الأمم ، وإرساء قواعد الحضارة؟ ومن هنا فإنه يجب أن يكون المعلم قدوة صالحة لطلابه وتلاميذه حتى يكونوا له كما كان يفعل الأمين والمأمون ابنا هارون الرشيد ، أورد ابن كثير يرحمه الله في موسوعته التاريخية البداية والنهاية إذ يقول: قال إسماعيل بن عياش وما على وجه الأرض مثله (يقصد عبد الله بن المبارك) ، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك ، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص ، وهو الدهر صائم ، وقدم مرة الرقة وبها هارون الرشيد ، فلما دخلها احتفل الناس به ، وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر هناك فقالت: ما للناس؟ (أي لماذا يتجمع الناس ويتزاحمون هكذا) ، فقيل لها قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فانجفل الناس إليه ، فقالت المرأة: هذا هو المُلك لا ملك هارون الرشيد. تلك هي منزلة العلم ، ومكانة العلماء ، وقيمة المعلم ومنزلته في دنيا الناس ، فمتى تعود للمعلم عندنا مكانته ، وهيبته ، ووقاره؟ فلا خير في أمة لا مكانة فيها للعلماء والمعلمين ، وخاب وخسر مجتمع لا ينزل المعلم منزلته ، وأي مصيبة يمكن أن يبتلى بها قوم في عصر العلم أخطر من أن تتدنى نظرتهم إلى المعلم وتتراجع في سلم أولوياتهم مكانته ومنزلته؟ حتى صار المعلم في ذيل القافلة ، في وقت يتصدر فيه الرويبضة وأنصاف الرجال؟).هـ. ولقد أكد الشيخ إبراهيم بن ناصر الصوافي أمين الفتوى بمكتب سماحة الشيخ المفتي العام للسلطنة أن تخصيص يوم للمعلم هو لفتة تربوية يراد منها شد انتباه الطلبة ، وتوقيفهم على مكانة المعلم العالية وما يجب عليهم تجاه معلمهم من احترام وتقدير وتواضع وحرص على الاستفادة منه. وأضاف: يكفي المعلم شرفاً أن يكون مؤدياً لأعظم رسالة عرفتها الإنسانية ألا وهي رسالة العلم التي هي امتداد لرسالة الأنبياء والمرسلين. وأشار إلى أن ثمرة العلم هي التربية الصحيحة القائمة على الخلق والقيم لأنها الوعاء الحافظ للعلم ، وإن المعلم الذي يتحلى بالأخلاق المحافظ على آداب الدين ينعكس ذلك على طلابه ، وكذلك العكس. جاء ذلك أثناء لقائنا معه للحديث عن يوم المعلم ، حيث قال: المعلم رجل مضحٍ ، وله فضل على جميع فئات المجتمع! فما من شخص منا إلا وتربى على يد معلم ، سواء كان هذا الشخص عالماً في الشريعة أو طبيباً أو مهندساً أو مزارعاً أو في أي تخصص كان ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سمو مكانة المعلم. فالمعلم يقوم برسالة عظيمة هي امتداد لرسالة الأنبياء والمرسلين من عهد أبينا آدم عليه السلام ، ومروراً بسائر الأنبياء والمرسلين ووصولاً إلى خاتمهم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فالله تعالى قد علّم آدم أسماء الأشياء كلها ، ليقوم آدم بأول رسالة تعليمية عندما يبلّغ ما علمه الله إياه إلى أبنائه وذريته ، ثم توالت رسالة الأنبياء والمرسلين من بعد ، وكل واحد منهم يعلم أبناء جنسه ما أوحاه الله إليه ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما بُعث معلمًا. وهو

القائل مثنياً على جبريل إذ جاء في صورة دحية الكلبي: (أتاكم يعلمكم أمور دينكم). وتخصيص يوم ليكون يوماً للمعلم ما هو إلا رمز ولفتة تربوية ، يراد منها شد انتباه الطلبة ، وتوقيفهم على مكانة المعلم العالية وما يجب عليهم تجاهه من احترام وتقدير وتواضع وحرص على الاستفادة منه ، وإلا فإن كل الأيام يجب أن يتحلى فيها الطالب بما يجب عليه تجاه أستاذه ، كما أن الآباء والأمهات عليهم أن يقوموا بما يجب لتوقيف أولادهم على المنزلة السامية لأهل العلم ويربوهم على حسن الاستفادة منه. وأوضح الصوافي قائلاً: إن المجتمع بأسره عليه أن يقوم بهذه الرسالة حتى نربي أجيالاً يستفيد فيها كل جيل فيها من الجيل الذي سبقه ثم يبلغ رسالة العلم الى الجيل اللاحق وهكذا ، ورسالتنا للمعلم نفسه في هذا اليوم أن نقول بأنه عليه أن يعلم أنه يتشرف بحمل رسالة عظيمة شرف بها ، وفيها اقتداء كما تقدم بالأنبياء والرسل. ويعد تعليم العلم النافع إذا صاحبه الإخلاص صدقة جارية يبقى أجرها وثوابها للمعلم ما بقي أحد ينتفع بعلمه ، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم معلم عرفته الإنسانية ؛ لأنه قد بلّغ القرآن وعلّم الصحابة ثم انتقل علمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأجيال المتلاحقة جيلاً بعد جيل ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شريك معهم في الأجر! وهكذا كل معلم أخلص لله سبحانه واجتهد في التعليم فإن كل عالم انتفع بعلمه وعمل به يكون مشاركاً للعاملين في الأجر والثواب. وأضاف: وهذا كله يدفع المعلم إلى الصبر والتحمل وعدم الضجر أو اليأس ولا يقول في نفسه مثلاً: إن استفادة الطلبة مني قليلة ، أو أن الأجيال قد تغيرت ، أو نحو ذلك مما يضعف طاقاته وقدراته الإنتاجية ، بل يؤمر كما تقدم بالصبر واحتساب الأجر عند الله ، فإن الله عز وجل يقول: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). وأبان الصوافي القول: يكفي المعلم شرفًا أن يكون مؤديًا لأعظم رسالة عرفتها الإنسانية ألا وهي رسالة العلم ، الذي أثنى الله عليه كثيرًا في كتابه ، وأثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة الثابتة فالله تعالى يقول: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ). ويقول سبحانه: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ). والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: (تعلموا العلم فإن تعلمه قربة إلى الله عز وجل ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وإن العلم لينزل بصاحبه في موضع الشرف والرفعة ، والعلم زين لأصحابه في الدنيا والآخرة). وأشار إلى أن المعلم تقع على عاتقه رسالتان ، رسالة نقل العلم ورسالة التربية والتنشئة الصحيحة ، ولذلك تسمى وزارة التعليم بوزارة التربية والتعليم ، إذ لا ثمرة ترجى من العلم إن لم تصحبه تربية صحيحة على الخلق والقيم ، فإن الآداب والأخلاق هي الوعاء الحافظ للعلم ، ومن هنا كان من الواجب على المعلم أن يكون قدوة لطلابه في كل شؤونه التي يقتدي الطلبة فيها به ، فإن الطالب يتأثر بمعلمه في كثير من الأحيان اكثر من تأثره بوالديه لذلك تنعكس على الطالب أخلاق وسلوك المعلم فإذا كان المعلم متحلياً بالأخلاق ومحافظاً على آداب الدين كان ذلك ادعى أن تنعكس هذه الأخلاق على طلابه ، والعكس بالعكس ، فكم رأينا من طالب او طالبة تحلوا بالأخلاق وتمسكوا بتعاليم الدين نتيجة وقوعهم في يد معلم مدرك لرسالته ومتحل بما يجب أن يتحلى به ، وليس معنى هذا أنه يسوغ للطالب أن يأخذ الأخلاق السيئة من معلمه ، بل عليه أن يركز على الجوانب الإيجابية والسلوك الحسن عند المعلم ويغض الطرف عما هو سيء فيه ، لأن الله سبحانه قد وهب البشر العقل للتفكير والنظر والاستفادة مما هو متاح لهم في هذا الكون ، فيأخذ الحسن ويترك القبيح ، ولو نظرنا إلى النحلة والذبابة لوجدناهما من نفس الفصيلة (حشرات) ، ولكن النحلة تعطينا عسلاً صافياً فيها شفاء وغذاء ، أما الذبابة فلا تعطينا إلا ما يسبب الأمراض ويشين الإنسان ، والسبب في هذا الفرق بينهما أن النحلة تختار الأماكن الجميلة ، فتقف على

الأزهار والأشجار والمياه النقية ونحو ذلك ، مما من شأنه أن يحسن إنتاجها ، وأما الذبابة فهي على العكس من ذلك تماماً ، إذ تقف على الأوساخ والقاذورات ، فلا يرجى منها إلا أن تنتج ما فيه مضرة! وهكذا الناس في هذه الحياة من حرص على الوقوف على محاسن ما عند الناس اكتسب الخلق والقيم وأصبح عنصراً فعالاً في مجتمعه وأما من صاحب الأراذل ، ووقعت عينه على القبيح وتجاوز الحسن ، فإنه ينقلب إلى مصدر للضرر ، ويكون وبالاً على أسرته ومجتمعه. أما الدكتور محمد عبدالرحيم الزيني – أستاذ الفلسفة بكلية العلوم الشرعية فأوضح أثناء التقائنا معه للحديث عن هذه المناسبة أن المعلمين على مر التاريخ هم الذين شاركوا الأنبياء في تنمية أسس التربية الإسلامية وأساليبها ، ونشر القيم الأخلاقية ، وعملوا على استكمال دور المصلحين الاجتماعيين وزعماء الإصلاح وروَّاد الوعي الإنساني ، وتعديل السلوكيات المعوجة ، وتثبيت المفاهيم الصحيحة والرقي بالنفوس وتهذيبها ، وسكب مشاعر المحبة والمودة. وقد استهل الزيني حديثه قائلاً: (لعل من نافلة القول أن نتكلم عن أهمية العلم بمفهومه الشامل سواء أكنا نقصد العلم الديني أو العلوم الإنسانية التي تتمحور حول الإنسان بأبعاده المتعددة أو العلوم الطبيعية التي تبحث في المادة على تنوع أشكالها مثل الطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء ، فلا غرو أن هذه العلوم تتضافر جميعاً ، وتشارك في رقي الأمم وتمهد لها السبيل للمشاركة الإيجابية في بناء المستقبل وسعادة البشرية. وأضاف: من المعلوم في الأذهان أن القرآن الكريم أعلى من شأن العلم وبشر بمكانة العلماء ، وحث أتباعه على الاستزادة من هذه العلوم الدينية أولاً التي تتحدث عن الفعل الإلهي المباشر في الكون ، والمشيئة الإلهية النافذة ، حتى ينمي محكمة الضمير داخل جوَّانية المسلم فيصبح رقيبًا على نفسه حينما يغيب الرقيب الاجتماعي أو القانوني ، ولم يغفل أن يحث الإنسان على النظر في الكون كي يطمئن قلبه للمضي في هذه الحياة ، وهو يعلم أن الله محاسب الإنسان على ما قدمت يداه من خير لمجتمعه ووطنه والبشرية كافة ، ويلفت انتباهه أيضًا أن هناك حسابًا لكل عمل شرير يضر بمصلحة أخيه الإنسان أو يهدم القيم الأخلاقية. وأشار إلى أننا نشاهد في حياتنا اليومية أن الدول التي اعتمدت على المنهج العلمي هي التي حققت نجاحات متواصلة في كافة المجالات ، وغزت الفضاء بعد أن سيطرت على أرجاء المعمورة بتقنياتها التي غزت الكرة الأرضية ، لا سيما في مجال التقنيات والصناعات الراقية ، ووفرت لشعوبها سبل المعيشة المريحة وأسباب الرفاهية ورغد الحياة وألوانا من السعادة تفتقدها معظم الأمم الإسلامية. واختتم حديثه بالقول: ولا جرم أن نقول أننا مطالبون بإعادة الاعتبار لمكانة العلم والمعلمين ، ونشر المفاهيم الصحيحة عن دور المعلم في قيادة المجتمع تربويًا وأخلاقيًا ودينيًا ، والناظر في تاريخ التعليم يرى أن المعلمين على مر التاريخ هم الذين شاركوا الأنبياء في تنمية أسس التربية الإسلامية وأساليبها ونشر القيم الأخلاقية ، وعملوا على استكمال دور المصلحين الاجتماعيين وزعماء الإصلاح وروّاد الوعي الإنساني ، وتعديل السلوكيات المعوجة ، وتثبيت المفاهيم الصحيحة والرقي بالنفوس وتهذيبها ، وسكب مشاعر المحبة والمودة).هـ. وعن صورة المعلم ووظيفته في الشعر العربي يحدثنا الأستاذ الكبير الداديسي فيقول ما نصه: (تعد مهنة التعليم من أكثر المهن التي أشاد بها المفكرون والعلماء وحتى الصحابة والأنبياء ، فقيلت في المعلم أقوال مأثورة كثيرة ، منها قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النمل في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير! وشبه علي بن أبي طالب العالم بالنخلة دائما (تنتظر متى يسقط عليك منها شيء). ومنهم من وضع المعلم في مكانة الأنبياء والرسل ، وألبسوه من الصفات ما لم يوصف به غيره ، فرأى فيه البعض طبيب المجتمع الواقي من الأدواء والشرور ، يبني العقول التي بدونها لا مستقبل للإنسانية ، لما له من قدرة على تحويل

الظلام إلى نور ، وتنوير العقول ، له دائما أكثر مما يقول ، وقد أفاض الفكر النهضوي في العالم العربي في الحديث عن أهمية العلم ووظيفة المعلم في إصلاح أحوال البلاد والعباد ، باعتبارهم العلم الوسيلة الوحيدة لإخراج الأوطان من التخلف ، وإنقاذ البلاد مرهون بدور المعلمين وأهل العلم. يقول الشاعر المغربي محمد السليماني: (بني العلم الرعاة ألا أفيقوا ** فإن الشاة في وسط الذئاب). ولسنا هنا بصدد مناقشة أهمية العلم ووظيفة المعلم في الحياة وإنما همنا رصد بعض ما صدحت بها حناجر الشعراء في حق المعلمين في وقت باتت فيه صورة المعلم صورة مضببة وباهتة. وإذا كان المعلم قادراً على فعل كل ذلك فإنه يفعله بإخلاص وتفان في العمل ، لأنه على استعداد لأن يحترق من أجل إسعاد الآخرين وإنارة طريقهم. بل أكثر من ذلك وجدنا من الشعراء من يعتبر المعلم أصل كل فضيلة في المجتمع ، كما تجلى في قول عبد الفتاح غازي في قصيدة أنت المعلم من ديوان شمس لا تغيب ذلك الديوان الذي أنصف المعلم إنصافاً لا حدود له: (فاعلم بأنك أصل كل وجـــــــــودها ** هو فيض علمك شاع في الأكوان) ، ثم أثنى على المعلم بقوله: (أنت المعلم أصل كل فضيلة ** أنت الإمام سبقت بالإحسان)! كثيرة إذن هي القصائد التي خلدت فضل المعلم. ومنها قول محمد الدومي ذلك الشاعر النحرير الدقيق الفذ الذي عدد بعض تلك الفضائل في قوله:(تبني العقولَ بإصرارٍ وتضحيةٍ ** فتستنيرُ على أفكارِها النُّسُـــــــــــمُ) هكذا رأى معظم الشعراء المعلم: الإنسان الباني ، المنير المستنير ، الهادي ، بل المنقذ إذا ما عصفت الأهوال بالناس والأمم! استمع لشاعر محترم يخاطب أحد المعلمين رافعاً شأنه وجاعلاً إياه أحد بُناة الحضارة والتقدم: فيقول يخاطب المعلم: (فأنتَ فضلٌ لأقوامٍ لهمْ أمـــلٌ ** في الفكرِ تعلو وفي الآدابِ تُحتـــرَمُ)! ومن الشعراء من نظم شعراً ليعترف بتأثير المعلم على حياته وكيف كان المعلم سبب كل ما حققه من نجاحات في حياته كلها بما بذل: (لـولا المعلم ما قرأتُ كتابـاً ******* يوماً ولا كتب الحروف يراعي) ولأن معلماً هذه صفاته وفضائله ، فإنه حظي بمكانة هامة عند الشعراء ، فدعوا إلى تحيته والوقوف على فضائله قال شاعر محترم: (حيُّوا المعلمَ ما دامتْ عزائمُـــــهُ ** تبني الحياةَ وفيها المجدُ يُغتنَـــمُ)! لكن ، مقابل ذلك الزخم الهائل من الأشعار والأقوال المأثورة في فضل المعلم ، يلاحظ أن مادية العصر ، وتخلي بعض المعلمين عن رسالتهم النبيلة ، وجريهم وراء الماديات في عصر يعاني أزمة قيم كل ذلك وغيره ، جعل عامة الناس ، وخاصتهم ، ومنهم الشعراء طبعاً ، يغيرون من نظرتهم للمعلم ، فغدا محط سخرية وتهكم ، ينظرون إلى كل الفاعلين في التعليم باستصغار يصفون المهنة باحتقار ، فبعدما كان الأطفال المتعلمين بتطلعهم رمزاً للبراءة ، أضحى عدد من الشعراء يرون فيهم رموزاً للبلادة! فها هو شاعر يرى فيهم بهائم يستحيل تعليمها ، والمعلم يقف عاجزاً عن أداء مهمته يستجدي عطف الناس لأن تعليم البهائم فوق طاقته وهو مجرد بشر وليس رسولاً يقول وقد طفح به الكيل وبلغ السيل الزبى ووصل الأمر إلى منتهاه الأقصى ، وفاق احتمال المعلم: (دَفَعُوا إليْه بهائِمًا وَعُجُولا ** ليُقيمَ مِنها أنْفُسًا وَعُقُولا) ويزيد لأمر وضوحاً فيقول بصراحة: (يا قَوْمُ رفقًا بالمعــلِّمِ إنَّهُ ** مِنْ جِنْسِكُمْ بَشَرٌ ، وَلَيْسَ رَسُولا) وذات الشاعر يرى في التلميذ المتعلم حماراً لأنه لا يستوعب ما يعلمه إياه المعلم فيخطئ في تطبيق القواعد اللغوية يقول منددا بمثل هذا الطالب: (فأرى حماراً بعد ذلك كله ** رفع المضاف إليه والمفعولا)! ولم تقتصر هذه النظرة على الشعراء ، بل تسللت إلى المعلمين أنفسهم ، فأمسوا يحتقرون مهنتهم العسيرة ويعتبرونها مصدر مشاكلهم ، وسبب تعاستهم تدفع بعضهم إلى الانتحار ، وهذا المعلم والشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان الذي (ولد في نابلس بفلسطين في 1905م وتوفي في الثاني من مايو سنة 1941م). وإذا كانت هذه النظرة الطوقانية قديمة هكذا ، فما بالنا بنا اليوم؟! وفي الختام يتضح لنا أن هناك تغييراً جذرياً

في منظومة القيم ، ساهمت فيه مادية العصر وعولمة القيم وتعدد الوسائط ، مما غير في نظرة الناس لعدد من الثوابت ، ومن ضمنها نظرتهم للمعلم الذي لم يعد مصدر المعرفة الوحيد ، بل يبدو للناس أن ما يقدمه المعلم في عالمنا العربي متجاوزاً وبطرق عتيقة ووسائل متهالكة جعلوه موضوع النكتة ورمزاً للقيم البالية المتجاوزة ، وأثر ذلك على نفسية المعلم ووظيفته بعد أن سحبوا منه رسالة التربية وقصروا عمله في التلقين والتعليم ، وبعدما كان يشكل القدوة ، ويشعر بقداسة الرسالة التربوية أصبحت مهنة التعليم تشعره بتفاهته).هـ. ويقول الأستاذ أسامة أمين تحت عنوان: (المعلم وظيفة الأبطال والفاشلين في أوروبا) ما نصه: (تحظى وظيفة المعلم في أوروبا الغربية بمكانة مرموقة ، تضمن احترام المجتمع ، وراتبًا مرتفعًا نسبيًا. وتدل الإحصائيات على أن أكثر من 70 في المئة من المعلمين الأوروبيين يشعرون بالسعادة في عملهم ، لكن نصفهم يرون أن هذه المهنة قد أصبحت أكثر صعوبة في السنوات العشر الماضية ، خاصة في التعامل مع الطلاب ومع أولياء الأمور ، وأن ما درسوه في الجامعة ، بعيد عن الواقع ، سواء تعلق الأمر بالمناهج التعليمية ، أو بالواقع العملي في المدارس. وتشير الدراسات إلى أن 20 في المئة من المعلمين فاشلون في عملهم ، وأن استمرارهم في العمل يتسبب في الكثير من الخسائر المادية والمعنوية. تكتب المعلمة قصيدة عن الخريف لأحد كبار الشعراء ، وتطلب من الطالبات قراءتها ، ثم تطلب منهن أن ينطلقن بإبداعهن ، وأن تكتب كل واحدة منهن قصيدة عن الخريف ، لا تركز على الوزن والقافية ، تريد منهن أن يشعرن بالخريف ، ويصفنه بكلماتهن ، الممزوجة بخيالهن ، وكلما قرأتْ إحداهن ما كتبته ، صفقتْ لها الأخريات ، وأثنت المعلمة على ما تراه مميزًا في قصيدة الطالبة. تؤكد المعلمة أنه لا توجد مادة دراسية أخرى ، يقترب المعلم فيها من طلابه ، مثل حصة اللغة الأم ، لأن ما يتعلمه الطلاب هناك يفوق بكثير المنهاج الدراسي ، لأنه يتناول القضايا الكبرى في هذه الحياة ، مثل المثاليات والقيم ، وكيف يستطيع الطالب أن يعبر عن أفكاره ، بكلمات نابعة من داخله ، وأن يقف أمام زملائه ويقرأ عليهم ما كتب ، ويتناقش معهم عندها تنتهي الحصة بسرعة ، دون أن يتسرب الملل إلى قلوبهم. قبل أن تغادر المعلمة الصف ، تنادي على إحدى طالباتها ، وتطلب منها أن تمر عليها في غرفة المعلمات في الاستراحة الفاصلة بين الحصص ، وأن تحضر معها أقرب الصديقات إلى قلبها ، لأنها تريد أن تتحدث معها ، بعد أن لاحظت جروحًا في يدها ، وتريد أن تعرف مصدرها ، وتقدم لها يد العون. تقول المعلمة إنها تهتم بإقامة علاقة شخصية مع كل طالبة من طالباتها ، تكتسب ثقة كل واحدة منهن ، وتطلب منهن دومًا أن يخبرنها ، بأي عيوب في شرحها أو في طريقتها في التدريس ، وتقول لهن: «أريد أن أصبح أفضل ، فلا تترددن في إخباري بأي رأي ، وتقديم النصيحة لي». وترى أن المعلم مثل الطالب ، لا بد أن يكون مستعدًا للاستمرار في التعلم مدى الحياة. ولقد حصل هانس أوتو كار ميسين على لقب المعلم المثالي في العلوم الطبيعية في ألمانيا ، ولم تكن تقارير مدير المدرسة أو المشرف هي السبب في حصوله على هذا اللقب ، بل كانت نتائج طلابه وآراؤهم فيه ، هي المعيار الذي دفع جامعة أولدنبورج ، لمنحه هذه الجائزة. يصفه الطلاب بأنه مثل مدرب السيرك ، لكنه لا يحمل الكرباج الذي يلوح به المدربون ، هو دائم التنقل بينهم ، فإذا تناول في درسه موضوع المخاطر التي تتسبب فيها المصابيح الكهربائية الموفرة للطاقة ، كان حديثه شيقًاً طريفاً ، قريبًا من واقعهم اليومي ، يقوم الطالب تلو الآخر من مقعده ، ويرسم على اللوح مكونات المصباح ، والضوء المنبعث منه ، وفي كل مرة يصفق المعلم لطالبه ، ويصفق الطلاب لزميلهم ، بعدها يقسمهم المعلم إلى مجموعات لتتناقش كل مجموعة حول الموضوع ، ثم يقف متحدث باسم كل مجموعة ، ليشرح ما توصلوا إليه من نتائج ، ويجمع المعلم من كل فريق هذه النتائج ، ويصل إلى محصلة مفادها أن حصة الضوء

الأزرق في هذه المصابيح لا ينبغي أن تكون عالية ، حتى لا تضر بالبصر ، ثم ينتقل معهم إلى معمل العلوم حيث يشاهد الطلاب التجربة على المصابيح بأنفسهم ، ويعرض عليهم فيلمًا عمليًا يتناول هذا الموضوع ، وبعد نهاية الدوام يرسل إليهم على بريدهم الإلكتروني نتائج التجارب العلمية العملية. يوضح المعلم أنه يحرص على استخدام خليط من الطرق التعليمية المختلفة ، بحيث يستطيع كل طالب أن يجد الطريقة المناسبة له في التعلم ، ويشعر الجميع بنفس القدر من الحماس للمعرفة ، ويشارك كل واحد منهم ، إما من خلال مجموعات العمل ، وإما بالخروج إلى السبورة ، أو بالقيام بالتجارب المعملية ، ويساعد القيام من المكان ، والحديث المشترك بينهم ، على بقائهم في حالة نشاط مستمر طوال الحصة. ويشير الخبير كارميسين إلى أن المدارس الثانوية اليوم ، تستقبل كلها طلابًا متفاوتين من مختلف البيئات الاجتماعية ، ذات الخلفيات الثقافية والدينية والمعرفية المتباينة ، وأن المعلم مطالب بمراعاة ذلك ، وألا ينحصر اهتمامه على مجرد وجود الطلاب في الصف ، حتى ولو كانت عقولهم في مكان آخر. يقول أيضًا إن هناك تحولًا ضخمًا لم يدركه البعض بعد ، ففي الماضي كان المفروض على الطالب أن يتكيف مع المدرسة ، وكانت إدارة المدرسة تضع التصور الذي يجب أن يسري على الجميع بدون استثناء ، أما مدرسة اليوم فهي مطالبة بأن تتكيف مع طلابها ، وهو الأمر الذي يربط نجاح المعلم ، بمدى قدرته على تطوير طريقته في التدريس يوميًا وفي كل صف يدخله ، بما يتناسب مع ميول الطلاب ، أما المعلم الفاشل فهو الذي يحتفظ بدفتر التحضير الذي كتبه قبل سنوات ، ويكرر نفس الشرح عامًا بعد عام. ولقد توصلت دراسة أمريكية حديثة إلى أن الفرق في مستوى طلاب المعلم الجيد والمعلم الفاشل ، يصل إلى عام دراسي كامل ، أي أن طلاب الصف السادس لدى المعلم الفاشل ، لا يزيد مستواهم عن طلاب الصف الخامس ، كما توصلت الدراسة إلى أن المعلم الجيد يستطيع أن يرتفع بمستوى طلابه من أبناء الطبقة المنخفضة اجتماعيًا ، إلى نفس مستوى أبناء الطبقة الراقية ، رغم أن الطبقة الفقيرة ، لا تهتم في العادة بتعليم أطفالها ، ولا تستطيع توفير الكثير مما يحصل عليه أبناء الوالدين الأكاديميين الأغنياء من قصص وألعاب تعليمية ورياض أطفال راقية. وإذن فالمعلم الفاشل هو الذي يقتل الحماس في طلابه ، ويعجز على التواصل معهم ، يقوم بعمله بأقل قدر ممكن من الجهد ، ولا يعرف روح الفريق ، فيعمل بمفرده ، ويتهم زملاءه بعدم التعاون معه ، ولا يقبل النصح من الآخرين ولا الاستفادة من خبراتهم ومواهبهم. وقد توصلت دراسة ألمانية إلى أن المعلم الذي فقد القدرة على العطاء ، وأصابته أعراض (الاحتراق النفسي) ، يكلف الدولة 370 ألف يورو ، أي أن التخلص من ثلاثة معلمين من المصابين بهذه الأعراض الخطيرة ، يوفر على خزانة الدولة مليون يورو ناهيك عن الأضرار التي تصيب الطلاب ، الذين يقوم بتدريسهم ، أو على الأصح الذين لا يقوم بتدريسهم ، رغم وجوده في الصف. كل ذلك دفع الكثير من كليات التربية لأن تشترط إجراء اختبار شخصي ، للتعرف على مدى صلاحية الشخص لهذا العمل ، وتستمر هذا الاختبارات لمدة يوم كامل ، يقوم فيه الطالب بشرح موضوع ، قام بالتحضير له من قبل ، ثم يشترك مع طلاب آخرين متقدمين للدراسة في العمل كفريق لعرض قضية ما ، بحيث تظهر قدرته على التعاون مع الآخرين ، ومدى إسهامه في عمل الفريق ، وأخيرًا يقوم المتقدمون بتبادل الأدوار ، مرة كمعلم ومرة أخرى كطالب ، لإظهار قدراتهم العملية على فهم الطرف الآخر ويراقبهم طوال الوقت فريق من ثلاثة معلمين ، وطبيب نفسي ، يقومون بعد ذلك بطرح أسئلة عن دوافع الطالب للالتحاق بكلية التربية ، وما الذي يجتذبه لوظيفة معلم. هناك جامعات تتعاون مع مدارس ، وتضع في الصف التجريبي أربع كاميرات ، ويقوم كل طالب بتدريب عملي أسبوعي في هذا الصف ، لمدة فصل دراسي كامل أثناء دراسته ، ويشاهده طوال الوقت ثلاثون طالبًا وطالبة ، علاوة على أساتذته في الجامعة ،

وبعد انتهاء الحصة ، يتناقش الجميع فيما شاهدوه ، ومدى قدرة هذا الطالب على التحكم في الصف ، وشرح المادة بطريقة مفهومة للجميع ، واستخدامه للوسائل التعليمية ، كما يقومون بإبداء الملاحظات حول استخدامه لصوته في الصف ، وقدرته على فرض مناخ من الاحترام المتبادل بينه وبين الطلاب. وقد تسببت هذه الاختبارات الشخصية في استبعاد الكثيرين من الطلاب ، بعد أن ثبت عدم قدرتهم على تحمل الجهد ، أو عدم امتلاك الشخصية القيادية ، أو عدم القدرة على التعاون مع الآخرين ، أو النفور من الأطفال أو أن يكون الدافع الوحيد للعمل كمعلم ، هو البحث عن وظيفة تضمن دخلًا ثابتًا ، حتى بلوغ سن المعاش. ولكن هناك من ينتقد هذه الاختبارات ، ويرى أنها تجري في ظروف استثنائية ، يكون الطالب فيها متوترًا للغاية ، علاوة على أن الدراسة الجامعية في كليات التربية ، يمكن أن تسهم في صقل شخصية الطالب ، وتجعلها أكثر نضجًا. ويشير رافضو هذه الاختبارات ، إلى أنها السبب وراء العجز في بعض التخصصات مثل الرياضيات والعلوم الطبيعية. والسؤال الذي يدور حوله الجدل بين الفريقين المؤيد لاختبارات القبول والرافض لها ، هو: هل وجود معلم فاشل أفضل من عدم وجود أي معلم ، أم أن ما يتسبب فيه المعلم الفاشل ، أكثر فداحة من عدم وجوده؟ وهناك في ولاية بافاريا الألمانية ، والمعروفة بارتفاع المستوى التعليمي في مدارسها ، اختارت في العام الماضي 302 خريج فقط من بين 936 تخرجوا في كليات التربية بجامعاتها ، ورفضت تعيين البقية في مدارسها ، وقررت أن تعوض النقص في مدارسها من خلال اجتذاب المعلمين المتفوقين من بقية الولايات الألمانية ، بتقديم رواتب ومميزات أفضل ، وهو الأمر الذي أغضب وزارات التعليم في بقية الولايات ، لكنه أسهم في حصول طلابها على أفضل مستوى تعليمي. فما هو المطلوب من المعلم؟ يرى الخبراء أن المطلوب من المعلم في الوقت الحالي ، يفوق طاقة الإنسان العادي ، وأن من يفشل في هذه المهمة أحد شخصين ، إما أن يكون شخصًا لا يملك المؤهلات الشخصية والعلمية لهذه الوظيفة الصعبة ، أو يكون شخصًا فقد طاقته شيئًا فشيئًا أثناء سنوات هذا العمل. لم تعد مهمة المعلم تقتصر على نقل المعلومات ، بل أصبح المطلوب منه أن يكون متابعًا جيدًا للطالب أثناء التعلم ، قادرًا على تقديم المشورة في الأمور الحياتية ، وعلى التعرف على نقاط القوة والضعف عند كل طالب ، وأن يكون مؤمنًا بدوره الإصلاحي في هذا العالم ، وبتقديم الرعاية الاجتماعية والنفسية لطلابه ، ومحفزًا للطلاب على التفكير ، وشريكًا في التربية مع الوالدين ، وأن يملك الكثير من المعارف عن الكمبيوتر ، الذي يقضي الطلاب الكثير من الوقت أمامه. لا يكتفي معلم اليوم بالمعلومات التي درسها قبل سنوات في الجامعة ، بل هو في عملية اطلاع وتعلم مستمرين ، يعرف أحدث ما وصل إليه العلم في تخصصه ، ولا ينتظر أن تصل هذه الاكتشافات الحديثة المعاصرة إلى الكتاب المدرسي ، حتى يشرحها لطلابه ، ويملك من المهارات التربوية ما يجعله قادرًا على أن يخاطب كل طالب بالأسلوب المناسب له. توصلت الدراسات الحديثة أيضًا إلى أن المعلم المتمكن علميًا من مادته ، الواسع الاطلاع على كل ما يستجد فيها وما يبتكر ، يكون أقدر على توصيل المعلومات لطلابه ، من المعلم الذي يتقن المهارات التربوية ، دون أن يمتلك المعرفة اللازمة إذ لا يستطيع أكثر التربويين مهارة أن ينقلوا لطلابهم ، ما لا يملكونه من العلم والمعرفة. كما توصلت الدراسات إلى أن المعلم المتمكن يكون له القدرة على الإقناع ، وتشجيع طلابه ، ويلمس الطلاب حماسه للمادة ، وما يبذله من جهد فيها ، فيكون مثلاً أعلى لهم. معلم اليوم لا يضيع وقت الحصة في التركيز على جلوس الطلاب دون حركة ، وعلى عدم تحدثهم أبداً مع زملائهم ، ولا أن يضحكوا ، ولا يرفع صوته بالصراخ عليهم ، لأن الحجة القوية لا تحتاج إلى الصوت العالي ، والمعلم الناجح هو الذي يقدم للطلاب العلم بصورة شيقة ومتنوعة ، ولا يجلس في الحصة على طاولة المعلم ، بل يظل متنقلًا بينهم ، متحدثًا مع

كل واحد منهم ، مشجعًا ومثنيًا على كل جهد يقوم به الطالب ، بحيث يجعل من الصف خلية نحل نشطة ، وليس قفصًا للقرود ، بينهم حارس لا يملك سوى الصياح. يقول مدير إحدى المدارس ذات السمعة الممتازة إنه توصل إلى قناعة بأن المدرسة مثل أي مؤسسة تقدم خدمات ، والطلاب هم الزبائن ، الذين نسعى لإرضائهم، بتوفير أفضل الخدمات لهم ، وعلى المعلم أن يقدم الخدمة في أفضل صورة ، بما يتناسب مع احتياجات العملاء ، ويسعى لأن تكون كل حصة إضافة جديدة للطلاب ، تتوافق مع ميولهم ، وتراعي رغباتهم ، ولا يكون هم المعلم هو تشخيص قدرات كل طالب ، وتحديد الدرجة التي يستحقها في الاختبار فحسب ، بل أن يعرف كيف يحقق أفضل النتائج ، انطلاقًا من إمكانيات كل طالب. يرى بعض المعلمين الصادقين أن أسباب الفشل لا ترتبط بضعف قدراتهم أو تكاسلهم عن العمل فحسب ، بل يشتكون من الصفوف الكبيرة ، ومن انتهاج وزارات التعليم لسياسيات فاشلة ، ففي حين جرى توحيد دراسة التربية لمعلمي مختلف المراحل الدراسية في كثير من الدول الأوروبية ، إذ يحصل معلم المرحلة الابتدائية على نفس مؤهل معلم المرحلة الثانوية ، فإن معلم المرحلة الابتدائية يبدأ وظيفته في درجة وظيفية معينة ، ترافقه حتى يخرج إلى المعاش ، في حين يحصل معلم الثانوي على ترقية كل ثماني سنوات ، مما يصيب معلمي المرحلة الابتدائية بالإحباط. مثال آخر يوضح سبب فتور بعض المعلمين عن العمل ، فالمعلم الذي يجتهد ويبدع ، ويتخلى عن إجازاته لكي يواظب على حضور دورات تكميلية تنفعه في تخصصه ، ويحصل على تقدير (ممتاز) عامًا وراء عام ، لا يحصل على أية علاوات إضافية ، ويتساوى مع المعلم الذي لا يفعل أي شيء من ذلك ، بل ويكون معروفًا بإهماله ، ولا يحصل إلا على تقدير (مقبول). كما يشتكي المعلمون من أن المعلم الذي يشرف على طالب كلية التربية في فترة التدريب العملي ، التي تستمر فصلًا دراسيًا كاملًا ، ويرافقه في الصف ، ويجلس معه بعد الحصة ليشرح له ما وقع فيه من أخطاء ، ثم يساعده في تحضير الدروس ، وتجهيز المعمل أو توفير المواد التعليمية المساعدة ، يحصل بعد كل هذه الجهد على 100 يورو فقط. والمعلمون الأبطال أو المثاليون يقولون: إن وظيفتهم ليست مناسبة لمن يريد أن يحقق المكاسب المادية ، أو من يسعى إلى الحصول على الترقيات والبدلات ، فمكافأة المعلم أن يرى طالبه وقد كتب قصيدة جميلة ، أو توصل إلى حل مسألة رياضيات معقدة ، أو قام بعمل تجربة معملية صعبة ، وتوصل إلى النتائج بنفسه ، المعلم هو الشخص الوحيد غير الأهل المسموح له أن يقوم بتشكيل عقلية الطالب وشخصيته ، أليست هذه أكبر مكافأة للمعلم الذي استحق صفة (البطل)؟ إن المعايير القاسية التي يضعها الغرب في المعلم ، والمهام والمتطلبات التي لا حصر لها ، هي التي أدت إلى اعتبار 20 في المئة من المعلمين هناك فاشلين! فكم يا ترى نسبة الفاشلين في مدارسنا العربية ، إذا طبقنا نفس هذه المعايير؟).هـ. يقول الأستاذ أحمد أبو زيد ما نصه: (يقول صني فاركي ، مؤسس ورئيس أمناء مؤسسة جواهر فاركي البريطانية غير الربحية: «يحق لي أن أفخر أن والداي كانا معلمين ، وقد تحدثت مؤخرًا مع أمي وسألتها ما الذي حققتماه من عملكما كمعلمين؟ فحدثتني بإعجاب قائلة: «إن من يدرّسون الطلاب يحظون باحترام بالغ باعتبارهم أكثر الناس ثقافة في المجتمع ، ومن ثم ، يلجأ إليهم الآخرون باعتبارهم مصدرًا للنصح والإرشاد ، والأكثر أهمية في هذا الأمر أنهم يطلقون شرارة الخيال لدى الأطفال الذين يمضون نحو تحقيق وإنجاز أشياء عظيمة لأنفسهم وللمجتمع». الزمن تغير للأسف ، ولم يعد المعلمون يحظون في كثير من البلدان بتلك المكانة الرفيعة التي اعتادوا التمتع بها ، ومن ثم كان لهذا الأمر آثار بالغة الضرر على الفرص الحياتية للأجيال القادمة. فإذا لم ينعم المعلمون بالاحترام في المجتمع ، فلن ينصت الطلاب لهم في الفصل ، ولن يدعم الآباء الرسائل القادمة من المدرسة ، وسيستمر الخريجون الموهوبون في هجر العمل في وظيفة

التدريس. وبمرور الوقت ، سيؤدي هذا التراجع في احترام التعليم المعلمين إلى إضعاف التعليم والتدريس ، والإضرار بالفرص التعليمية للملايين ، وفي النهاية ستضعف المجتمعات في جميع أنحاء العالم).هـ. ويقول الأستاذ سليم مصطفى بو دبوس تحت عنوان: (المعلم من جديد) ما نصه: (لماذا المعلم من جديد؟ أمن قلة المواضيع في التربية والتعليم؟ ألم يأخذ حظه بمناسبة اليوم العالمي للمعلم؟ أم أنت اليوم قادح في فضله؟ متقصّ بعض أخطائه؟ كما يفعل من لا شغل له سوى الانتقاص من مجهود المعلم؟ لا عفواً ، ولكن أذكر فيما قلت من مقالات أن المعلم لا يكفيه يوماً ليُحتفَى به بل كلّ يوم هو عيد للمعلم ففيه يرفع عنا حجاب الجهل ويبسط فينا نور العلم. واخترت اليوم أن أستقيل نسبياً من موقع الكاتب لأحيل القلم إلى الشعراء فحسبك أن تقرأ بعض الشعر عن المعلّم لتسترد وعيك بدوره أو لأشحنك أيّها المعلم وأرفع من معنوياتك في زمن استهان بفضلك ، وحسبي أيها القارئ أن أريحك من جديّة قلمي وهمومه التربوية التي لا تنتهي وأمتعك بالشعر الجميل فإليك هذه الباقة الشعرية التي موضوعها «المعلم» ، فاستمتع بأريجها علّك يوما تنصفه مما ينعته به بعض المنتقصين من شأنه طلاباً وحتى عامة الناس وخاصتهم. (ويذكر هنا أبيات لشوقي وغيره!). ولمّا كان خير الكلام بعد القرآن حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فإننا نستهل بقوله هذه المائدة الفاخرة حيث يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير». كما يكون المعلم ملاذ التلميذ يلجأ ، إليه يستودعه أسراره ويحكي له همومه فيستمع إليه ويحنو عليه).هـ. وقال الأستاذ بدر بن جزاع بن نايف النماصي واصفاً المعلم صاحب رسالة وليس المعلم المرتزق وتحت العنوان ذاته ما نصه: (المعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها ، ويؤمن بأهميتها ، ولا يضن على أدائها بغال ولا رخيص ، ويستصغر كل عقبة دون بلوغ غايته من أداء رسالته. وقد كان بذل الجهد في تعليم التلاميذ واحترامهم وتوقيرهم وإجلالهم منهجًا ثابتًا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال ابن مفلح ـ رحمه الله ـ: وقال عمرو بن العاص لحلقة قد جلسوا إلى جانب الكعبة ، فلما قضى طوافه جلس إليهم ، وقد نحَّوُا الفتيان عن مجلسهم ، فقال: لا تفعلوا ؛ أوسعوا لهم ، وأدنوهم ، وألهموهم ؛ فإنهم اليوم صِغار قوم يوشك أن يكونوا كبارَ قوم آخرين ، قد كنا صِغار قوم فأصبحنا كبارَ آخرين. ثم أيد ابن مفلح هذا المنهج الأصيل في التربية الإسلامية ، ذلك المنهج الذي يقوم على بذل الجهد للمتعلم وتوقيره وإجلاله ، فقال بعد قصة عمرو بن العاص: وهذا صحيح لا شك فيه ، ثم ذكر السبب في هذا البذل والعطاء والتوقير للمتعلم فقال: والعلم في الصغر أثبتُ ، فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة ، لا سيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم ، فلا ينبغي أن يُجعَل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعًا من مراعاتهم ، والاعتناء بهم).هـ. والحقيقة أنني قد أكثرت من النقول والاستشهادات والأدلة من هنا وهناك ، في محاولة مني لأجعل قضية العلم والتعليم، وواجبات المعلم وما ينبغي أن يكون للمعلم ، أكثر وضوحاً في أذهان من يطالعون هذه المعارضة الطويلة لشوقي! وحاولت جاهداً عقد المقارنات بين الماضي والحاضر ، وبين علماء السلف الكرام وعلماء زماني المعاصرين! وكنت قد استبعدت الآراء الغثة التي تصيب القراء بالملالة والسآمة ، وتجعلهم ينهزمون أمام هذا الواقع المزري للقيم والأخلاق في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره! والله المستعان عليه وعلى أهله! وكوني معلما تجاوز العقدين في سلك التدريس ، جعل للقصيدة شيئاً من الواقعية والمصداقية ولا شك. وإن كنت قد تبنيت الرؤية الشوقية ، إلا أنني آثرت إيراد بعض الشعراء المعارضين لشوقي إن على وجه الموافقة أو الرفض. وذلك لأجعل القراء يدركون الفرق بين الفهوم والعقول والرؤى. كما أنني أوردت في التقديم تجارب الأمم عبر العصور في منظومة العلم والتعليم. كما

أوردت الآيات والأحاديث التي تحض على طلب العلم وتجعل العلم والتعليم من أرقى المهام وأعظمها. ولا يزال الشعراء يبدعون في تقدير معلميهم. وأراهم أولى الناس بالاعتراف بفضل معلميهم عليهم. إذ كان الواحد منهم قد تعلم على يد معلم رباه ووضع يديه على أسرار العلم الذي تخصص فيه. كما أنه أزال عنه المبهمات وعلمه ما لم يكن يعلم. كما أوردت الحكم والأمثال التي تحبذ العلم والتعليم وتمتدح القائمين عليهما. وأحب أن أورد هنا في التقديم أن قصائد الشعراء الذين عارضوا شوقي كثيرة جداً ، ولكن هذا الذي طالته يدي. وأظن أنه قد آن الأوان لكل شاعر محترم ذي رسالة يعيش بالقيم وللقيم وعلى القيم وفي القيم أن يحتوي ديوانه قصيدة أو أكثر يرد فيها الجميل لمعلميه! كما وأشكر من قلبي الأديبة الإماراتية الجليلة الأستاذة أمينة آل علي ، إذ كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى ، في إنشادي من شعري معارضاً شوقي في قصيدة المعلم! وما كنتُ أدرك من ذلك الشيءَ الكبيرَ حتى طالعت مقالًا كتبته أمينة صالح آل علي ، في مجلة المعلم (الإماراتية) العدد 88 والصادر في ديسمبر لعام 1998م. فأدركت ما للقصيدة من صدى في أوساط الشعراء. فأخذتني الغيرة من اتجاهين: الأول: أنني أنظم الشعر مثلهم فليكن لي ما لهم ، وليسعني ما يسعهم. والاتجاه الثاني: كوني معلمًا للغة الإنجليزية على مدى عقدين كاملين من العمر ويزيد. فقررت أن أدلي بدلوي عسى أن أحظى بالسبق أو على الأقل يكون لي شرف المحاولة إن أنا لم أبلغ بقصيدتي المستوى العملاق الذي عليه قصيدة شوقي. وأذكر هنا للقارئ محورين أساسيين هما بمثابة المدخل لهذه المعارضة السليمانية لشوقي.

- **المحور الأول:** هو أنني سوف أصدر في هذه المقدمة محاولات الشعراء المعارضين أو الموافقين

لشوقي. وهذا من خلال الاقتباس من مقال الأخت أمينة من مجلة المعلم مهما طالت المقدمة. فإن هذا ضروري جدًّا ، إذ إنه بمثابة التوثيق للمحاولات الشعرية في معارضة شوقي ولبيان الفرق بينهما. والحق أن مقالة الأستاذة أمينة آل علي فيلسوفة الإمارات كانت المحفز الأول لي على تأليف هذه المعارضة!

- **المحور الثاني:** هو أنني لم أشأ أن أستهل قصيدتي بقول: (قم للمعلم) كما فعل غيري من الشعراء. ذلك أن الرسول الكريم ﷺ يقول فيما رواه أحمد: «مَنْ أَحبَّ أَنْ يتمثلَ الناسُ له قيامًا فَلْيَتَبوأْ مَقْعَدُه مِنَ النَّارِ»! وإذن فلفظ (قم) استبدلته بلفظ (حيِّ) ، وهو أليق بالمعلم وأبعد عن مخالفة السنة. وقد جاوزت بها المائة في عدد الأبيات. فإن أحسنت فمن الله وحده. وإن أسأت فمن نفسي. وهذه مقتطفات من مقالة الأخت أمينة صالح آل علي - تقول: لم يزعم أحد من النقاد - يومًا - أن قصيدة أحمد شوقي قم للمعلم هي من عيون الشعر العربي. أو حتى من عيون الشعر الشوقي ، لكن هذه القصيدة حظيت بانتشار جماهيري ، فاق كثيرًا من عيون الشعر والآذان المستمعة له ، متجاوزة المدار الفني إلى المدار الموضوعي في حقل الجاذبية الشعرية. جاء انتشار هذه القصيدة ليؤكد طغيان الهم التعليمي في هموم الناس الحياتية - شعروا أم لم يشعروا. وكذا النفوذ الاجتماعي (الكمّي) للمعلمين وسط شرائح المجتمع ، سواء كانت صورة هذا النفوذ إيجابية أم سلبية. من منا الذي يسمع أحدهم يقول:(قم للمعلم وفّه التبجيلا). فلا يجاوبه فورًا- دون حكِّ الذاكرة الشعرية:(كاد المعلم أن يكون رسولا). أما حكاية هذا الكتاب - الديوان - فهي أن مجلة المعرفة والتي تصدر عن وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية - لم تجد بُدًّا - وهي المجلة التربوية - من أن تنشر قصيدة أحمد شوقي في المعلم ، زعمًا منها أن هذه القصيدة هي وثيقة شرف فينبغي أن يعتز بها كل معلم فخور بمهنته. حتى وقعت أعيننا على قصيدة الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان الجريحة ، والتي

عارض بها قصيدة شوقي ، وحشدها بآلام ومعاناة شاعر مارس التعليم بنفسه ، ولم يسمع عنه من بعيد فحسب! كان ظننا أن قصيدة قم للمعلم جاءت من أمير الشعراء باقة من الشكر ، وإكليلًا من العرفان ، لمهنة التعليم وللمعلمين. لكن الشاعر المعلم إبراهيم طوقان ـ الذي ضاق ذرعًا بمهنة التعليم ـ لم تَرُقْ له مرافعة شوقي عن تلك المهنة العويصة! استل طوقان لسانه في وجه التعليم ، وراح يطعنه في القلب والخاصرة. ويحرق منه الأخضر واليابس! لم يكتف طوقان بذلك ، بل صوّب سبابته نحو شوقي قائلاً:

لَـوْ جَـرَّبَ التَّعْلِـيمَ (شَـوْقِي) سَـاعَةً لَقَضَـى الحَيـاةَ شَـقَاوَةً وَخُمُـوْلا

أما شوقي فكان كأنه يشعر بهذا الضجر عند طوقان وبعض المعلمين (الطوقانيين) فقال في قصيدته- من قبل وقد أحس نسبيا بعبء المعلم وجهده وثقل رسالته ، رغم أنه لم يعمل معلماً يوماً:

إِنِّـــي لأعْـــذرُكم وَأحْسَـــب عِبْـــئكُم مِـــنْ بَـــينِ أعْبَـــاءِ الرِّجَـــالِ ثَقِـــيلا

وكان ظننا أن طوقان حالة خاصة من التذمر والإحباط ، حتى وقعت أعيننا ـ مرة أخرى ـ على قصيدة للشاعر السعودي محمد الثبتي (معلم سابق). لا تقل ألمًا وتذمرًا عن جريمة طوقان. والعجيب ، بل وعجب العجاب ، وإن شئت قلت على حد تعبير القرآن الكريم: (وإن تعجبْ فعجب قولهم!) ، وإن شئت قلت: (وشر البلية ما يُضحِك!) ، أن بعض الكتب وبعض المواقع الإليكترونية تعزو قصيدة طوقان الركيكة لحافظ إبراهيم! وكأن حافظ كان ركيك الشعر إلى هذا الحد! وكأنه كان يبغض وظيفة المعلم ورسالته إلى حد الإسفاف هذا الذي وجدناه ولمسناه في قصيدة طوقان!

الرؤية الشوقية

عندها رأت مجلة المعرفة أن تعيد النظر فيما ارتأته من قبل في قصيدة شوقي ، وأن تفتح صفحاتها على مصراعيها لكل معلم يرغب أن ينثر مشاعره شعرًا ضمن الرؤية الشوقية أو الطوقانية لمهنة التعليم ، فكانت هذه القصائد من المعلمين حول هذه المرافعة. سواء منها ما كان مع ، أو ضد ، أو معضدًا. أما لماذا جمعت هذه القصائد في كتاب؟! فهو احتفالية بسيطة تقدمها مجلة المعرفة هدية منها للمعلمين والمعلمات كافة في ذكرى اليوم العالمي للمعلم. وعليه فلن يغيب عن فطنة القارئ الناقد أن يراوح عند قراءته هذه القصائد في المدار الموضوعي ـ لا الفني ـ لصقل الجاذبية الشعرية ، حتى لا يمنح هذه القصائد من النقد الفني أكثر مما تحتمل.

سر نهضة الأمة

فمهما يكن من اختلاف في هذه القصائد بين متفائل ويائس. وفخور ومحبط ، فإن الذي يجب الاتفاق عليه هو أنه ينبغي للأمة حقًّا أن تقوم للمعلم بكل إمكاناتها وأحاسيسها ؛ لأنَّ المعلم هو سر نهضة الأمة إذا أريد لها أن تسير. وهو سر قعودها إذا أريد لها أن تبقى كما هي عليه الآن ، كما أن المعلم مطالب بأن يجعل من نفسه جديرًا بهذا القيام. يقول أحمد شوقي في مستهل قصيدة «قم للمعلم» مقدراً جهود المعلم الجمة ، وشاكراً له معروفه الجزيل ، ومعترفاً بجميله العظيم:

قُـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـــيلا كَـــادَ المُعَلِّـــمُ أنْ يكُـــوْنَ رَسُـــوْلا!

أعَلِمْـتَ أشْـرَفَ ، أو أجَـلَّ مِـنَ الّـذِي يبْنِـــي وَيَنْشِـــئُ أنْفُسًـــا وَعُقُـــوْلا؟

سُــبْحَانَكَ اللهــمَّ خَيــرَ مُعَلِّــمٍ عَلّمْــتَ بِــالقَلَمِ القُــرُوْنَ الأُوْلَــى
أَخْرَجْــتَ هَـذَا العَقْـلَ مِـنْ ظُلَمَاتِـهِ وَهَدَيتَــهُ النّــوْرَ المُبِــينَ مَصْــقُوْلا
أَرْسَـلْتَ بِـالتَّوْرَاةِ مُوْسَـى مُرْشِـدًا وَابْــنَ البَتُــوْلِ فَعَلّــمَ الإِنْجِــيلا
وَفَجَّــرْتَ يَنْبُــوْعَ البَيــانِ مُحَمَّــدًا فَسَـقَى الحَـدِيثَ ، وَنَـاوَلَ التَّنْـزِيلا

ثم يستطرد قائلاً:

يــا أَرْضُ ، مُـذْ فَقَـدَ المُعَلِّـمُ نَفْسَـهُ - بَينَ الشَّمُوْسِ - وَبَينَ شَرْقِكِ حِيلا
ذَهَـبَ الّـذِينَ حَمَـوا حَقِيقَـةَ عِلْمِهِـمْ وَاسْــتَعْذَبُوا فِيهَــا العَــذَابَ وَبِــيلا
فِــي عَــالَمٍ صَــحِبَ الحَيــاةَ مُقَيــدًا بِــالفَرْدِ ، مفتخــراً بِــهِ ، مَــذْلُولا
صَرَعَتْهُ دُنْيـا المُسْتَبِدِّ ، كَمَـا هَوَتْ مِنْ ضَرْبَةِ الشَّمْسِ الرُّءُوسُ ذُهُوْلا

ويتابع ذكر محاسن المعلم وخلاله التي يتميز بها عن سائر المهن والحرف فيقول:

فَهْـوَ الّـذِي يبْنِـي الطبِّـاعَ قَوِيمَـةً وَهْـوَ الّـذِي يبْنِـي النّفُـوسَ عُـذُولا
وَيُقِـيمُ مَنْطِـقَ كُـلِّ أَعْـوَجِ مَنْطِـقٍ وَيُرِيــهِ رَأيــاً فِــي الأُمُــوْرِ أَصِــيلا
وَإِذَا المُعَلِّـمُ لَـمْ يكُـنْ عَـدْلاً ، مَشَـى رُوْحُ العَدَالَــةِ فِــي الشَّــبَابِ ضَـئِيلا
وَإِذَا المُعَلِّــمُ شَــاءَ لَحْــظَ بَصِــيرَةٍ جَــاءَتْ عَلَــى يــدِهِ البَصَــائِرُ حُــوْلا

ويعارض إبراهيم طوقان قصيدة شوقي مغتاظًا متذمراً رافضاً رؤيته وتصوره ، فيقول:

(شَــوْقِي) يقُــوْلُ وَمَــا دَرَى بِمُصِــيبَتِي قَــمْ لِلمُعَلِّــمِ وَفِّــهِ التَّبْجِــيلا
أَقَعُــدْ ، فَــدَيتُكَ ، هَــلْ يكُــوْنَ مُــبَجَّلاً مَنْ كَانَ لِلنَشْءِ الصِّغَارِ خَلِيلا؟!
وَيكــادُ (يُفْلِقُنِــي) الأَمِيــرُ بِقَوْلِــهِ كَــادَ المُعَلِّــمُ أَنْ يكُــوْنَ رَسُــوْلا!
لَــوْ جَــرَّبَ التَّعْلِــيمَ (شَــوْقِي) سَــاعَةً لَقضَـى الحَيـاةَ شَـقَاوَةً وَخُمُـوْلا
حَسْــبُ المُعَلِّــمِ غَمَّــةً وَكَــآ بَةَ مَرْأى (الدَّفَاتِرِ) بُكْرَةً وَأَصِيلا

ويختم قصيدته بالنصح لمريد أن يكون معلماً بأن لا يكون! ليعيش هانئاً ، فيقول:

يــا مَــنْ يرِيــدُ الانْتِحَــارَ وَجَدْتُــهُ إِنَّ المُعَلِّــمَ لا يعِــيش طَــوِيلا!

أما محمد الثبتي ، فيثني على المعلم ، ويثمّن رسالته ، ويعظم وظيفته ، فيقول:

هَلْ كُنْتَ يوْمًا فِي الحَياةِ رَسُوْلا؟ أَمْ عَـامِلاً فِـي ظِلِّهَـا مَجْهُـوْلا؟!
تَسْـخُو بِرُوْحِـكَ للخُلُـوْدِ مَطِيـة وَحُبِيـتَ خَطّـا فِـي الخُلُـوْدِ ضَـئِيلا
وَوَقَفْتَ مِنْ خَلْفِ المَسِيرَةِ مُعْرِضًا عَنْ أَنْ تَكُوْنَ مَعَ الصُّفُوفِ الأَوْلى
قَـالُوا بِأَنّـكَ فِـي الحَيـاةِ مُجَاهِـدٌ تَبْنِـي وتُنْشِـئُ أَنْفُسًـا وَعُقُـوْلا
ضَـحِكُوا لِشَـوْقِي حِينَ قَـالَ مُفَلْسِفًا قُـمْ للمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا

وفي هذا المجال يردد سلمان بن زيد الجربوع مقالة شوقي ويرى بعينيه فيقول:

قُـلْ للمُعَلِّـمِ إِنْ أَرَدْتَ قَبُـوْلا قُـمْ لِلأَمَانَـةِ! وَفِّهَـاالتَّبْجِيلا
كُـنْ لِلصِّـغَارِ طَرِيـة أَغْصـانَهُم كَنَسَـائِمِ الحَبْـلِ الجَمِيـلِ أَصِـيلا
وَاسْكُب عَلَى أَسْمَاعِهِم فِي صَفْوِهَا اقْـرَأ ، وَرَتِّلْهَـا لَهُـم تَـرْتِيلا

وتعددت أشعار الشعراء ما بين مؤيد لشوقي ومعارض له ، فهذا هو الدكتور حمد الزايدي ، الشاعر العملاق ، فقد تبنى نظرية شوقي الإصلاحية ، وراح يثني على شوقي شاعراً ، ويثني على قصيدته معتبرا إياها بحق من عيون شعر العرب المعاصر ، فقال:

أَكْـرِمْ بِشَـوْقِي شَـاعِرًا وَنَبِـيلاً حَـازَ الثَّنَـاءَ وَحَصَّـلَ التَّبْجِـيلا
قَـالَ الأَمِيـرُ قَصِـيدَةً فَكَسَـا بِهَـا رَأْسَ المُعَلِّـمِ فِـي الـوَرَى إِكْلِـيلا
يكْفِيـهِ مِنْهَـا فِـي المُعَلِّـمِ قَوْلُـهُ: كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا
كَـانَ المُعَلِّـمُ فِكْـرَةً وَضَّـاءة فِـي ذِهْـنِ شَـوْقِي دُوْنَـكَ التَّفْصِـيلا

وعارض أحمد بن نجا الرحيلي شوقيًا ، معترفا أن هذه الرؤية الشوقية مضى زمنها ، فقال:

قُـمْ لِلْمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا صَـدَقَ الأَمِيـرُ ، فَقُـمْ وَحَـيِّ جَلِـيلا
وَافْرِشْ بِسَـاطَ الزَّهْرِ فِي طُرُقَاتِـهِ أَكْـرِمْ بِـهِ وَارْفَـعْ لَـهُ القِنْـدِيلا
فَاسْـأَلْ مُعَلِّمَنَـا: يقُـوْلُ أَمِيرُنَـا كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا
قَـالَ المُعَلِّـمُ ذَاكَ فِـي زَمَـنٍ مَضَـى أَمَّـا الأَوَانُ فَقَـدْ تَـرَاهُ قَتِـيلا
وَلَـوْ اَنَّ (شَـوْقِي) عَـاشَ فِينَـا لَحْظَـةً لَغَـدَا يؤَلِّـفُ فِـي القَصِـيدَ طَـوِيلا
وَلَقَـالَ فِـي وَصْـفِ الزَّمَـانِ مَقَالَـةً تُشْـفِي العَلِيـلَ وَتَـروِي فِيـهِ غَلِـيلا
كَتَـبَ اليـرَاعُ عَلَـى الزَّمَـانِ بِخَطِّـهِ قُـمْ لِلمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّنْكِـيلا!

الشاعر أحمد سليمان اللهيب فيؤيد شوقي ويرى المعلم بعيون قصيدته فيبدأ كلامه بـ:

قَـمْ فِـي الجمْـوعِ وَعَـاوِدِ التَّـرْتِيلا وَاسْـمِعْ لِصَـوْتِ مَشَـاعِرِي تَبْجِـيلا
حَـي المُعَلِّـمَ فِـي الوُجُـوْدِ وَقُـلْ لَـهُ كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا
إِنَّ المُعَلِّـمَ فِـي الوُجُـوْدِ كَنَخْلَـةٍ تُـؤْتِي مَـعَ الثَمَـرِ الرَّطِيـبِ ظَلِـيلا
لَكِـنْ زَمَانُـكَ لِلعَجَائِـبِ مَـنْجَمٌ مَـا عَـادَ يفَـرِقُ أَنْفُسًـا وعُقُـوْلا
إِنْ كَـانَ شَـوْقِي قَـدْ أَصَـابَ بِقَوْلِـهِ فَلَعَلَّـهُ يعْنِـي القُـرُوْنَ الأُوْلَـى!
أَمَّـا زَمَـانِي مَـا أَرَاهُ كَمَـا رَأى لِلعِلْـمِ إِلاّ نَـادِرًا وَقَلِـيلا

ويبدأ الشاعر عبد الله العيسى قصيدته مهاجمًا ومقللا من نبرة شوقي ومكفكفا من غلوائه:

قُـلْ لِلمُعَلِّـمِ نَفِّـذِ المَرْسُـوْلا وَدَعِ التَّـذَمُّرَ إِنْ أَرَدْتَ وُصُـوْلا
وَاسْـلُكْ سَـبِيلَ الرُّشْـدِ أَو لا فَانْتَبِـذْ بَـينَ المَعَـالِمِ معلمـاً مَبْـذُوْلا
إِنَّ المُعَلِّـمَ لا يـزَالُ مُنَكِّـدًا حَتَّـى يـوَارَى نَـاحِلاً مَغْلُـوْلا
هَـذَا أَمَـرَّ الصَّـبْرِ مَـنْ يظْفَـرْ بِـهِ يلْـقَ المُنَـى مِـنْ صَـبْرِهِ وَالسُّـوْلا

أما محمد عصام علوش فيوافق إبراهيم طوقان فيما جاء به ، ويضيف لقصيدته روح الفكاهة ببعض المواقف التي تحصل للمعلم من التلاميذ ، ويتذمر من كثرة أعباء التدريس في الوقت الحالي ، فهو يرى أنه في زمن طوقان لم تكن توجد الحافلات المدرسية ، ولم يكن التدريس بطريقة الأهداف السلوكية ، ولم يكن التكليف بالأنشطة المدرسية قائمًا على عهده.

ولكنه يختم قصيدته بحسرة ، قائلاً:

لا تَعْجَبُـوا إِنْ صـحْتُ يوْمًـا صَـيحَةً ووَقَعْـتُ مَـا بَـين الفُصُـوْلِ قَتِـيلا
يـا مَـنْ يرِيـدُ الانْتِحـارَ وَجَدْتَـهُ إِنَّ المُعَلِّـمَ لا يعِـيش طَـوِيلا

وأما الشاعر سعد بن حمد أبو حمد فيوافق شوقياً ولكن على استحياء ، فيقول في قصيدته:

أَنَـا لا أُرِيـدُ – صَـرَاحَةً - تَبْجِـيلا وَكَفَـى أَكُـون مُكَرَّمًـا مَقْبُـوْلا
لَـوْ أَنَّ شَـوْقِي وَاقِـفٌ فِـي فَصْـلِهِ لَنَعَـى الشَّـبِيبَةَ وَالزَّمَـانَ فَصُـوْلا
لَـكَ فِـي المُعَلِّـم أُسْـوَة فَتَحَرَّهَـا لا يـذْهَبَنَّ بِـكَ الجَفَـاء طَـوِيلا
كُنَّـا نُقَبِّـلُ رَأسَ كُـلِّ مُعَلِّـمٍ وَلَقَـدْ نَـرَاهُ مُرَبِّيًـا مَسْـئوْلا
وَانْظُرْ إِلَـى شَـوْقِي وَحُسْـن مَقَالِـهِ (قُـمْ لِلمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا)

وأما الشاعر عيسى محمد الحكمي ، فيهاجم شوقياً برثاء حال المعلم ، فيبتدئ قصيدته بقوله:

(قُـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـــيلا) شَـوْقِي يقُـوْلُ وَمَـا دَرَى التَّبْـدِيلا

يـا لَيـتَ شَـوْقِي شَـاهِدٌ فِـي عَصْـرِنَا لِيـرَى المُعَلِّـمَ كَيـفَ صَـارَ ذَلِـيلا

وَيـرَى المُعَلِّـمَ كَيـفَ أَمْسَـى حَالُـهُ يُرْثَـى؟ وَيشْـكُو بُكْـرَةً وأَصِـيلا

أَمْسَـى المُعَلِّـمُ مُجْرِمًـا فِـي عُـرْفِهِمْ فَكَأَنَّـــهُ قَـــدْ خَـــالَفَ التَّنْـــزِيلا

وأما قصيدة الشاعر رزق بن محمد بن جبريل فقد تتممت ما بدأ به إخوانه الشعراء ، فيقول:

يا ابْنَ النّجَا قد قَالَ شَوْقِي مِنْ عَلِ قَـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـــيلا

أَمَّـا ابْـنُ طَوْقَـان المُعَلِّـمُ خَاضَـهَا بَـذْلاً فَعَـانَى ثُـمَّ مَـاتَ عَلِـيلا

إِنَّ الرَّسُـوْلَ لَخَيـر مَـنْ يهْـدَى بِـهِ أَمَـلٌ ، وَكَـانَ مُعَلِّمًـا مَسْـئولا

فَكُّـوا القُيـوْدَ عَـنِ المُعَلِّـمِ لَـنْ تَـرَوا فِـي أُمَّتِـي جَهْـلاً ولا تَضْـلِيلا

ويقول الشاعر الكبير سعد جبر في قصيدة جديدة فيلقي باللائمة على المجتمع لا على المعلم:

يـا مَـنْ يكَـادُ بَـأَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا قُـمْ لِلرِّسَـالَةِ وَفِّهَـا التَّبْجِـيلا

مَـا كَـانَ شَـوْقِي مُخْطِئًـا فِـي قَوْلِـهِ (قُـمْ وَفِّـهِ) ، بَـلْ مَـنْ أَسَـاءَ سَـبِيلا

أَيـنَ المُعَلِّـمُ مُسْـتَحِقّا وِقْفَـة ثُـمَّ السَّـلامُ عَلَيـهِ والتَّقْبِـيلا؟

أَيـنَ المُعَلِّـمُ فِـي زَمَـانِ مَفَـاتِنٍ قَـدْ زَلْزَلَـتْ بَعْـدَ النّفُـوْسِ عُقُـوْلا؟

وأما الشاعر محمد باقر الشرفا فيتحول في قصيدته للمعلم للمنى الشوقي مطرياً ومثنياً فيقول:

قَـدْ سَـلَّ سَـيفَ العِلْـمِ يفْنِـي حَـدُّه سَـهَامَ الجَهَالَـةِ صَـارِمًا مَسْـلُوْلا

إِنَّ المُعَلِّـــمَ إِنْ تَفَـــانَى مُخْلِصًـــا وَأَرَادَ وَجْهًـــا لِلإِلَـــهِ جَلِـــيلا

فَهُـوَ الجَـدِيرُ المُسْـتَحِقُّ بِقَوْلِنَـا (قُـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـــيلا)

وَهُـوَ المُنِيـرُ إِلَـى الـدُّرُوْبِ فَحَسْـبُهُ (كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا)

وأما الشاعر علي بن يحيى الفيفي فيُعَقب على شوقي مفاخراً بشوقي ورؤياه في المعلم فيقول:

قَـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـــيلا كَـــادَ المُعَلِّـــمُ أَنْ يكُـــوْنَ رَسُـــوْلا

قَـوْلٌ وَرَبِّـي صَـائِبٌ أَعْظِـمْ بِـهِ وَبِشَـــاعِرٍ قَـــدْ صَـــاغَهُ تَبْجِـــيلا

شَـتَّانَ بَـينَ مُعَلِّـمٍ مِمَّـنْ مَضَـوا وَمُعَلِّمِـــي ذَا العَصْـــرِ لا تَمْثِـــيلا!

شَـتَّانَ بَـينَ مُعَلِّـمٍ فِـي عِلْمِـهِ تُلْفِيـهِ بَحْـرًا إِنْ غَـدَا مَسْـئولا!

وأما الشعر طه بخيت فينعى حظًّا عاثرًا أصاب المعلم في زماننا وطغت عليه روح الانهزام فردد:

مَـنْ مُبْلِـغٌ شَـوْقِي رِسَـالَةَ شَـاعِرٍ نَثَـرَ اليـرَاعَ مَنَاحَـةً وَعَـدِيلا؟

وَنَعَـى لَنَـا التَّـدْرِيسَ حظًـا عـاثِرًا وَرَمَـى عَلَيـهِ البُئـوسَ والتَّنْكِـيلا

وَمَضَـى يعَارِضُ لَيـتَ شَـوْقِي سَـاعَةً أَفْنَـى الحَيـاةَ مُدَرِّسًـا وَوَكِـيلا

إِنِّـي رَأَيـتُ وَهَـلْ أَجَـلُّ مَـنِ الّـذِي يبْنِـي وينْشِـئ أَنْفُسًـا وَعُقُـوْلا؟

وأما الشاعر جلوى يحيى حكمي فيبكي الحال المزري الذي لحق بالمعلم فيقول في قصيدته:

قُـمْ لِلمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا قَـوْلٌ مَضَـى يـا لَيتَـهُ مَـا قِـيلا

مَـنْ ذَا يقُـوْلُ وَفِـي الأَوَامِـرِ لا تَقُـم أَبَـدًا فَلَـمْ تَـكُ يـا بُنَـي ذَلِـيلا

فَقَـدَ المُعَلِّـمُ نَفْسَـهُ فِـي عَـالَمٍ يحْتَـاجُ فِيـهِ السَّـائِرُوْنَ دَلِـيلا

وأما الشاعر عبد العزيز بن سعد آل جناح فيضيف للقصائد الفائتة التصديق لشوقي فيقول:

صَـدَقَ الّـذِي قَـالَ فِـي وَقْـتٍ مَضَـى كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا

أَكْـرِمْ بِهَـا مِـنْ حِكْمَـةٍ وَفَضِـيلَةٍ سَـادَتْ لَـدَى الأَخْيـارِ جِـيلاً جِـيلا

قَـدْ قَالَهَـا شَـوْقِي بِكُـلِّ أَمَانَـةٍ لا تَقْبَـلُ الإِيضَـاحَ وَالتَـأوِيلا

إِنَّ المُعَلِّـمَ لِلأَنَـامِ مَنَـارَةٌ لا بَـلْ دَلِـيلاً صَـادِقًا مَسـئولا

وأما الشاعر ناصر بن نايض الصراح يقول في معارضته مثنيا على الرؤية الشوقية ومنافحا عنها:

شَـوْقِي يقُـوْلُ مُؤَكِّـدًا وَمُـدَلِّلاً قُـمْ لِلمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا

صَـدَقَ الأَمِيـرُ بِوَصْـفِهِ وَبِقَوْلِـهِ كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا!

مَنْ يُنْكِرِ الفَضْـلَ الذِي يَحْظَى بِهِ إِلاّ الّـذِي جَحَـدَ الأُصُـولَ جَهُـولا؟

ونختم بقصيدة الشاعر أحمد مجرشي التي حاول فيها التوفيق بين شوقي ومن خالفوه فيقول فيها:

شَـوْقِي يَقُـولُ مُضْـخِمًا ومُعَظِّمًـا كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يَكُـونَ رَسُـولا

وَأَرَى بِطَوْقَـانَ الشِّـكَايةَ قَـدْ بَـدَتْ إِنَّ المُعَلِّـمَ لا يعِـيشُ طَـوِيلا

والنّـاسُ بَـينَ مُؤَيـدٍ وَمُعَـارِضٍ كُـلٌّ يقُـوْلُ وَيكْثِـرُ التَّـدْلِيلا

هَـــذَا المُعَلَّـــمُ وَارِثٌ لِرَسُـــوْلِهِ حَقّـــا ، وَذَا يسْـــتَأهِلُ التَّقْبِـــيلا

والحقيقة أنني منذ زمن بعيد وأنا أنتوي أن أعارض شوقياً في قصيدته التي هي من عيون شعر العرب في العصر الحديث لما حوت من الجزالة والقوة وحسن السبك والدلالة اللغوية والمعنوية! ولكن لم يشأ الله حتى طالعتُ مقالة الكاتبة الأديبة المحترمة أمينة آل علي! فبعد مطالعتي للمقالة مرات عديدة وجدتني أتغنى بالمطلع ذاته وأخذت أعارض شوقياً ، فمن الله عليّ بما يقارب الأبيات المئة وزادت عشراً! والآن لنتابع قراءتنا لمعارضتنا السليمانية الصعيدية الانتصارية لشوقي وأعتذر عن الإطالة.

حَـــيِّ المُعَلَّـــمَ ، جَـــازِهِ التَّبْجِـــيلا إِنِّـــي أَرَاهُ مِـــنَ العُلُـــوْمِ رَسُـــوْلا

وَانْثُـــر عَلَـــى مَجْهُـــودِهِ وَرْدَ الهَـــوَى وَانْصُـــبْ عَلَـــى آلائِـــهِ الإِكْلِـــيلا

وَاشْـــكُرْ جَمِـــيلاً ، بـــات شـــكرُكَ دُوْنَـــهُ فَالشَّـــهْمُ مَـــنْ يجْـــزِي الجَمِيـــلِ جَمِـــيلا

وَاحْمِـــدْ إِلَـــى اللهِ الكَـــرِيمِ عَطَـــاءَه فَعَطَـــاؤهُ الفَيَـــاضُ أَنْشَـــأَ جِـــيلا

وَاعْـــرِفْ لِأَسْـــتَاذ أَقَامَـــكَ شَـــأنَهُ مُـــذْ كُنْـــتَ - مَـــنْ بَـــينِ الـــوَرَى - مَشْـــلُوْلا

وَاقْـــدُرْ لِأَسْـــتَاذٍ أَعَـــزَّكَ قَـــدْرَهُ مُـــذْ كُنْـــتَ قَبْـــلَ عَطَائِـــهِ مَـــذْلُوْلا

وَاخْفِـــضْ لَدَيـــهِ الصَّـــوْت ، كُـــنْ مُتَأَدِّبـــاً فَـــالجُعْرُ أَقْـــبَحُ مَـــا اكْتَسَـــبْتَ مُيـــوْلا

وَارْحَـــمْ إِذَا زَلَّ المُعَلَّـــمُ زَلَّـــةً! وَاعْتِـــبْ عِتَابًـــا طَيِّبًـــا مَقْبُـــوْلا

لا تَـــنْسَ أَنَّـــكَ مِـــنْ صِـــنَاعَةِ عِلْمِـــهِ وَعَلَيـــكَ فَضْـــلٌ مِنْـــهُ كَـــانَ جَـــزِيلا

لَمَّـــا يكُـــنْ يوْمًـــاً عَلَيـــكَ مُسَـــلّطَاً بَـــلْ كَـــانَ أَقْـــوَمَ فِـــي المَلامَـــةِ قِـــيلا

وَاعْطِـــفْ عَلَـــى شَـــيبٍ غَـــزَاهُ مُبَكِّـــرًا وَكَأَنَّـــهُ جَـــدُّ القُـــرُوْنِ الأَوْلَـــى!

وَأَدِمْ نَوَالَـــكَ لِلمُعَلَّـــمِ حِسْـــبَةً فَيمِينـــهُ كَانَـــتْ عَلَيـــكَ الطَّـــوْلَى

وَاحْـــذَرْ سِـــبَابَ مُعَلِّـــمٍ مُتَفَضِّـــلٍ إِنَّ السِّـــبَابَ يُحَطِّـــمُ التَّفْضِـــيلا

وَاعْـــذَرْهُ إِنْ شَـــغَلَتْهُ عَنْـــكَ شُـــؤونُهُ! إِنـــي أرى عِبئـــاً عليـــه وَبِـــيلا

وَأَطِـــلْ دُعَـــاءَكَ لِلمُعَلَّـــمِ ، طَالَمَـــا لَـــكَ كَـــانَ يـــدْعُو لاهِثًـــا وَمُجِـــيلا

وَأَظِلَّـــهُ بِتَقَـــرُّبٍ يعْلُـــو بِـــهِ شَـــأنًا ، وَيشْـــتَرِعُ الرَّشَـــادَ سَـــبِيلا

إِنَّ المُعَلَّـــمَ ذَا الرِّسَـــالَةِ جَنَّـــةٌ تُهْـــدِي العُلُـــوْمَ ، وَتَمْـــنَحُ التَّحْصِـــيلا

أَرَأَيـــتَ كَيـــفَ أَلانَ كُـــلَّ عَوِيصَـــةٍ وَشَـــفَى بِشَـــرْحِ المُعْضِـــلاتِ غَلِـــيلا؟

وَأَبَـــانَ أَلْغَـــازَ العُلُـــوْمِ ، فَـــلا تَـــرَى ... عَـــنْ فَهْـــمِ أَعْتَـــى مَـــا يُثَـــارُ عُـــدُوْلا

وَأَقَـــامَ مُعْـــوَجَّ الفُنُـــوْنِ ، فَـــلا تَـــرَى ... عِوَجًـــا وَلا أَمَتًـــا ، وَلا مَتْبُـــوْلا

وَأَشَـــادَ بِـــالأَوْلادِ ، رَبَّـــاهُمْ عَلَـــى ... قِـــيمٍ تُعِـــزُّ الـــدِّينَ وَالتَّنْـــزِيلا

وَأَعَـــدَّهُمْ لِرَحَـــى الوَقَـــائِعِ وَالـــوَغَى ... وَأَعَـــارَ أَسْـــيافًا لَهُـــم وَخُيـــوْلا

وَأَمَـــدَّهُمْ بِـــالعِلْمِ وَهَّـــاجِ السَّـــنَا ... حَتَّـــى غَـــدَوْا فِـــي التِّقَنِيـــاتِ فُحُـــوْلا

وَأَبَـــادَ أَجْبَـــالَ الجَهَالَـــةِ عَامِـــدًا ... إِذْ كَيـــفَ يَحْتَـــرِمُ التُّقَـــاةُ جَهُـــوْلا؟

وَعَلَـــى الفِرَاسَـــةِ كَـــانَ يفْـــتَحُ أَعْيُنًـــا ... وَبَصَـــائِرًا مِمَّـــا تُقَـــارِفُ حُـــوْلى

لَـــوْلا المُعَلَّـــم بَعْـــدَ رَبِّـــي لَـــمْ نَجِـــدْ ... أَحَـــدًا بِأَعْبَـــاءِ العُلُـــوْمِ كَفِـــيلا

مِـــنْ عِنْـــدِهِ طَلَـــعَ الإِمَـــامُ بِفِقْهِـــهِ ... فَغَـــدَا يُفَقِّـــهُ أَنْفُسًـــا وَعُقُـــوْلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ دَرَسَ الطِّبِيـــبُ عُلُوْمَـــهُ ... فَمَضَـــى يُعَـــالِجُ فِـــي الـــوَرَى المَعْلُـــوْلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ حَـــذَقَ المُهَنْـــدِسُ فَنَّـــهُ ... حَتَّـــى غَـــدَا مَـــا يبْتَنِيـــهِ دَلِـــيلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ خَبَـــرَ الفَضَـــائِيّ الفَضَـــا ... حَتَّـــى اسْـــتَطَاعَ إِلَـــى النّجُـــوْمِ وُصُـــوْلا

وَلَدَيـــهِ قَـــارِئُ ذِكْرِنَـــا علَـــمَ الهُـــدَى ... فَتَـــرَاهُ رَتَّـــلَ ـ خَاشِـــعًا ـ تَـــرْتِيلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ نَهَـــلَ المُرَبِّـــي عِلْمَـــهُ ... حَتَّـــى يُبْصِّـــرَ جِيلَنَـــا الضِّـــلِّيلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ دَرَسَ القُضَـــاةُ سَـــنَا الهُـــدَى ... كَـــي لا نَـــرَى (القـــانون) عَنْـــهُ بَـــدِيلا

بَـــلْ يَحْكُمُـــوْنَ النّـــاسَ بِالشَّـــرْعِ الّـــذِي ... هـــو دينُنَـــا ، وَكَفَـــى الـــوَرَى تَعْطِـــيلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ صَـــارَ المُحَاسِـــبُ نَابِغًـــا ... يـــزِنُ الحســـابَ ، وَيـــدْرِكُ المَعْقُـــوْلا

فَلَـــهُ عَلَـــى كُـــلِّ الأَنَـــامِ فَضَـــائِلٌ ... وَاللهُ فَضَّـــــلَهُ إِذَنْ تَفْضِـــــيلا

وَاللهُ مَيّـــزَهُ بِـــأَنْفَعِ مِيـــزَةٍ ... وَاللهُ خَيـــرٌ مُنْعِمًـــا وَوَكِـــيلا

وَاللهُ مَتَّعَـــهُ بِخِدْمَـــةِ غَيـــرِهِ ... يـــا رَبِّ بَـــارِكْ سَـــعْيهُ المَبْـــذُوْلا

لَـــمْ يـــدَّخِرْ جَهْـــدًا ، وَلَـــمْ يـــكُ قَاسِـــيًا ... فَتَـــرَاهُ ذَلَّـــلَ مَـــا التَـــوَى تَـــذْلِيلا

لَـــمْ يحْتَقِـــرْ مَـــنْ كَـــانَ ينْشُـــدُ عِلْمَـــهُ ... وَتَـــرَاهُ يُسْـــعِفُ بِالرَّشَـــادِ السُّـــوْلا

تَخِـــذَ العُلُـــوْمَ أَمَانَـــةً وَرِسَـــالَةً ... مِـــنْ أَجْـــلِ ذَلِـــكَ أَدْرَكَ المَـــأْمُوْلا

فَـــإِذَا بِطَـــلاّبٍ لَـــهُ بَلَغُـــوا الـــذُرَى ... كُـــلٌّ غَـــدَا فِـــي أَهْلِـــهِ قِنْـــدِيلا

إِنَّ المُعَلِّمَ عَبْقَرِيٌّ جَهْبَذْ ... وَالجُهْدُ لَيسَ مُضَيّعًا مَجْهُوْلا

لمّا يراقب رُتْبَةً أَوْ رَاتِبًا ... بَلْ كَانَ سِتْرُ رِضَائِهِ مَسْدُوْلا

وَسِوَاهُ أَعْطِيَ رَاتِبًا وَمَكَانَةً ... وَمَزَارِعًا فِيهَا الجَنى وَسُهُوْلا

وَتَرَاهُ لَمْ يَتَمَنَّ مَا المولى بِهِ ... مِنَحَ الأنام بجهدهم تَفْضِيلا

لَكِنّمَا احْتَسَبَ اللبِيب عَطَاءَهُ! ... أَمْسَى بطَاعةِ رَبِّهِ مَشْغُوْلا

وَالنّاسُ أَغْلَبهُمْ بِدُنْياهُ التَهَى ... وَرَأَيتُ مَنْ يرْجُو النّجَاةَ قَلِيلا

وَالقَوْمُ أصْحَابٌ لِمَنْ لَفَظَ الهُدَى ... وَمُعَلِّمُ الأَجْيَالِ لَيس خَلِيلا

إِنَّ المُعَلِّمَ فِي البَرَايَا سِدْرَةٌ ... تُعْطِي الوَرَى سِدْرًا أَرَاهُ أَسِيلا

وَتَمُدُّ رَحْمَتَهَا عَلَى مَنْ تَحْتَهَا ... ظِلاً بِأَوْقَاتِ الهَجِيرِ ظَلِيلا

حَتَّى إِذَا حَانَتْ دَقَائِقُ حَتْفِهَا ... سَقَطَتْ عَرِيشًا جُلْمُدًا مَفْتُوْلا

وَكَذَا المُعَلِّمُ عَيشُهُ نَفْعُ الوَرَى ... وَمَمَاتُهُ خُسْرٌ يجرُّ عَوِيلا

إِنَّ الدِّيارَ يزِينُهَا تَعْلِيمُهَا ... وَيزِيدُهَا فِي ذِي الدُّنَا تَبْجِيلا

وَيُقِيل عَثْرَتَهَا ، وَيحْمِي أَهْلَهَا ... وَيخُطّ لِلخَلَلِ الفَظِيعِ حُلُوْلا

إِنَّ المُعَلِّمَ مِحْوَرُ التَّعْلِيمِ إِنْ ... أَعْطَى وَجَاهَدَ بُكْرَةً وَأَصِيلا

لَوْلا المُعَلِّمُ بَعْدَ رَبِّكَ لَمْ يقُم ... صَرْحُ الحَضَارَةِ شَامِخًا مَأهُوْلا

وَلَمَا رَأَيتَ - مِنَ الأَنَامِ - جَهَابِذًا ... تَبْنِي وَتُنْشئ مَجْدَنَا المَثْلُوْلا

وَلَمَا رَأَيتَ مِنَ الأسُوْدِ كَتَائِباً ... تَتْلُو رَعِيلَ الفَاتِحِينَ رَعِيلا

وَلَمَا رَأَيتَ مُنَافِحًا مُتَفَقِهًا ... يَهْدِي الأَنَامَ ، وَيُتْقِنُ التَّأوِيلا

وَلَمَا رَأَيتَ لِضَادِنَا مِنْ شَارِحٍ ... يُقْرِي العَرُوْضَ ، وَينْصِبُ المَفْعُوْلا

وَلَمَا رَأَيتَ مُفَنِّدًا شُبْهَ الوَرَى ... فَيُبِيدُ مِنْ سَاحِ القُلُوْبِ ذُحُوْلا

وَلَمَا رَأَيتَ مُقِيلَ عَثْرَةَ أَمَّةٍ ... أَمْسَى عِمَادُ رَشَادِهَا مَطْلُوْلا

وَلَمَا رَأَيتَ مُبَيِّنًا سُبُلَ الهُدَى ... مِنْ بَعْدِ أَنْ أَضْحَى الحِجَا مَخْبُوْلا

إِنَّ المُعَلِّمَ - فِي الدِّيارِ- مَنَارَةٌ ... قَدْ بَدَّدَتْ - رغْمَ العَنَا - التَّضْلِيلا

وَالنّاسُ تَعْلَمُ فَضْلَه وَجُهُوْده ... وَالعِلْمُ صَيَّرَهُ فَتًى بُهْلُوْلا

مَهْمَـــا تَغَافَـــلَ عَـــنْ جَمَائِلِـــهِ الـــوَرَى ... فَالفَضْـــلُ لَـــيسَ عَلَـــى المَـــدَى مَغْفُـــوْلا

فَلَعَـــلَّ جِـــيلاً يغْتَـــذِي بِعُلُوْمِـــهِ ... فَيـــرُدَّ فَضْـــلاً غَـــابَ عَنْـــهُ طَـــوِيلا

فَيُـــرَى المُعَلِّـــمُ فِـــي رَفِيـــعِ مَكَانَـــةٍ ... يرْتَـــاعُ مِنْهَـــا الشَّـــامِتُوْنَ ذُهُـــوْلا

وَيبَـــالِغُ الأقْـــوَام فِـــي تَقْـــدِيرِهِ ... إِنِّـــي أوَمِـــلُ - مَـــا أرَى - تَـــأمِيلا

وَتُـــزَالُ مِـــنْ قَلْـــبِ المُعَلِّـــمِ لَوْعَـــةً ... ظَنّـــوْهُ عَـــنْ غَصَّـــاتِهَا مَسْـــوْلا

وَلَـــئِنْ سَـــعَى غَيـــرُ المُعَلِّـــمِ خُطْـــوَةً ... لَسَـــعَى المُعَلِّـــمُ بِالسَّـــعَادَةِ مِـــيلا

وَالعِلْـــمُ إِنْ رُفِعَـــتْ دَعَـــائِمُ شَـــأنِهِ ... وَغَـــدَا إِلَـــى نَشْـــرِ السَّـــلامِ سَـــبِيلا

لَرَأيـــتَ كُـــلَّ مُعَلِّـــمٍ مُتَبَـــتِّلاً ... وَجِـــلاً- إِلَـــى رَبِّ السَّـــمَا - تَبْتِـــيلا

وَتَعُـــوْدُ كُـــلُّ حُقُوْقِـــهِ وَشُـــؤوْنِهِ ... إِذْ لَـــيسَ يظْلِمُـــهُ البُغَـــاةُ فَتِـــيلا

أنَـــا إِنْ دَعَـــوْتُ إِلَـــى إِعَـــادَةِ حَقِّـــهِ ... وَأخُـــصُّ شُـــبَّانًا طَغَـــوْا وَكُهُـــوْلا

فَلأنْتَنِـــي- فِـــي ذِي الحَيـــاةِ - مُعَلِّـــمٌ ... وَلَقَـــدْ أقَمْـــتُ - عَلَـــى الهَـــوَانِ - دَلِـــيلا

وَعَـــذَرْتُ كُـــلَّ مُعَلِّـــمٍ مُـــتَمَكِّنٍ ... لَمَّـــا يُـــرِدْ – بِعُلُوْمِـــهِ - تَنْـــوِيلا

لَـــمْ يرْتَـــزِقْ بِـــالعِلْمِ ، بِـــئْسَ طَبِيعَـــةْ! ... فَـــاللهُ خَوَّلَـــهُ الهُـــدَى تَخْـــوِيلا

حَتَـــى يُعَلِّـــمَ ، لا لِيحْصُـــدَ دِرْهَمًـــا ... أمْسَـــى الـــدَّعِي - عَلَـــى العُلُـــوْمِ - دَخِـــيلا

العِلْـــمُ لَـــيسَ وَظِيفَـــةً مَرْذُوْلَـــةٍ ... حَتَّـــى يكُـــوْن مُرِيـــدُهَا مَـــرْذُوْلا

العِلْـــمُ - إِنْ فَقِـــهَ الأنَـــامُ - رِسَـــالَةْ ... وَاللهُ أوْسَـــعَهُ الثَّنَـــاءَ مَكِـــيلا

(اقْـــرَأْ) أَلَيسَـــتْ – صَـــاحِ - أوَّلَ آيـــةٍ؟ ... تُـــرْدِي الضَّـــلالَ ، وَتَـــدْحَرُ التَّجْهِـــيلا

وَعَـــنِ المُعَلِّـــمِ فَـــالْتَمِسْ دِيـــنَ الهُـــدَى ... تَلْقَـــاهُ شَمْسًـــا ، لا تَـــوَدُّ أفُـــوْلا

شَـــتَّانَ بَـــينَ مُعَلِّـــمٍ يَهْـــدِي الـــوَرَى ... وَمُعَلِّـــمٍ يُهْـــدِي الأنَـــامَ وُحُـــوْلا!

إِنَّ المُعَلِّـــمَ إِنْ يكُـــنْ ذَا مَبْـــدَإٍ ... فَلَسَـــوْفَ يمْـــنَحُ غَيـــرَهُ التَّحْصِـــيلا

وَإِذَا اسْـــتَكَانَ لِـــدِرْهَمٍ أوْ رُتْبَـــةٍ ... فَالدَّارِسُـــوْنَ سَيرْضَـــعُوْنَ خُمُـــوْلا

وَالعِلْـــمُ لَـــيسَ يُقَـــاسُ قَـــطّ بِـــدِرْهَمٍ ... قَـــدْ نَشْـــتَرِي بِالـــدِّرْهَمِ المَـــأكُوْلا

وَكَرَامَـــةُ الإِنْسَـــانِ لَيسَـــت تُشْـــتَرَى ... وَالعِلْـــمُ خَيـــرٌ مَـــوْئِلاً وَمَقِـــيلا

وَعِبَـــادَةُ الـــدِّينَارِ تُـــرْدِي مَـــنْ سَـــمَا ... فَيعِـــيش نَـــذْلاً سَـــاقِطًا وَعَمِـــيلا

تَعِسَ الّذِي هُوَ لِلدَّرَاهِمِ عَابِدٌ! يُمْسِي وَيُصْبِحُ لِلسَّرَابِ قَتِيلا

عِشْ يا مُعَلِّم لِلرِسَالَةِ ، إنّها شَرَفٌ ، فَجَمِّلْ بَذْلَهَا تَجْمِيلا

هِي مَغْنَمٌ دُنْيا وَأخْرَى ، فَالْتَمِسْ مَا تَشْتَهِيهِ ، وَحَصِّل التَّنْفِيلا

وَاتْرك لِمُرْتَزِقٍ مَكَاسِبَ سُخرَتْ! فِي نَيلِهَا قَرَعَ السَّفِيهُ طُبُوْلا

هَانَتْ عَلَيهِ كَرَامَةً وَشَهَامَةً فَمَضَى يُكَمِّلُ دَوْرَهُ تَكْمِيلا

وَيُلَفِّقُ الحِيَلَ الرَّخِيصَةَ هَازِلاً وَمَشَى يُدَجِّلُ عَابِثًا تَدْجِيلا

يسْطَو عَلَى هَذَا ، وَيخْدَعُ هَذِهِ! وَغَدَا يُمَثِّلُ زيفَهُ تَمْثِيلا

فِي وَجْهِ (زَيدٍ) بَسْمَةً مَصْنُوْعَةً وَعُمَيرُ قَبَّلَ مَكْرهَا تَقْبِيلا

أَمَّا (شُحَيْطَ) لَهُ الهَدِيةَ جُهِّزَتْ وَ(مُحَيْطَ) خُوِّلَ مَا يشَا تَخْوِيلا

أَنَا مَا كَتَبْتُ لِمِثْلِ هَذَا مَادِحًا بَلْ كُنْتُ أَمْدَحُ جَهْبَذًا بُهْلُوْلا

وَكَذَاكَ (شَوْقِيْ) لَمْ يُرِدْ بِقَصِيدِهِ جِيلاً يتَاجِرُ فِي العُلُوْمِ رَذِيلا

وَأَنَا بَرِئْتُ مِنَ الهُرَاءِ وَأَهْلِهِ وَمِنِ ارْتِزَاقٍ يسْتَبِيحُ عُقُوْلا

أَنَا لَسْتُ مِنْ هَذا الفَرِيقِ ، وَلا أَرَى يوْمًا لِمِثْلِي لِلحَضِيضِ نُزُوْلا

مَهْمَا طَوَى الإمْلاقُ قَسْرًا هِمَّتِي فَأَرَانِيْ عَنْ نَشْرِ الهُدَى مَسْؤولا

لَسْتُ الّذِي بِخِلالِهِ مُتَفَاخِرًا أمْسَى المُفَاخِرُ شَائِنًا مَرْذُوْلا

لَكِنّهُ فَضْلُ القَدِيرِ حَبَاهُ لِي وَعَلَى كَثِيرٍ زَادَنِي تَفْضِيلا

فَالحَمْدُ للهِ الّذِي خَلَقَ الوَرَى وَاللهُ خَيرٌ رَازِقًا وَوَكِيلا

واللهِ قال: بنعمتي فتحدثوا وَاللهُ خوّلني التقى تخويلا

واللهِ قد وعد التقاة جنانه! مَنْ مِنه في ذا الكون أصدقُ قِيلا؟

وَصَلاةُ رَبِّيْ عَلَى النّبِي المُصْطَفَى مَنْ كَانَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ رَسُوْلا

يوسف أعرض عن هذا

(قال صاحبُ الظلال ـ رحمة الله عليه ـ معلقاً على الآية: (قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ).هكذا: (إنه من كيدكن ، إن كيدكن عظيم). فهي اللباقة في مواجهة الحادث الذي يثير الدم في العروق. والتلطف في مواجهة السيدة بنسبة الأمر إلى الجنس كله فيما يشبه الثناء. فإنه لا يسوء هذه المرأة أن يقال لها: إن كيدكن عظيم. فهو دلالة في حسها على أنها أنثى كاملة مستوفية لمقدرة الأنثى على الكيد العظيم. والتفاتة إلى يوسف البريء (يوسف أعرض عن هذا) فأهمله ، ولا تعره اهتمامًا ولا تتحدث به. وهذا هو المهم فقط المحافظة على الظواهر. وعِظة إلى المرأة التي راودتْ فتاها عن نفسه وضُبطتْ متلبسة بمساورته وتمزيق قميصه (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين). إنها الطبقة الأرستقراطية من رجال الحاشية في كل جاهلية ، قريب من قريب).هـ. وأما ابن عاشور فيقول: (يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) ، ثم أمر يوسف عليه السلام بالإعراض عما رمته به أي عدم مؤاخذتها بذلك وبالكف عن إعاده الخوض فيه ، وأمر زوجه بالاستغفار من ذنبها أي في اتهامها يوسف عليه السلام بالجرأة والاعتداء عليها! قال المفسرون: وكان العزيز قليل الغيرة ، وقيل كان حليماً عاقلاً ولعله كان مولعا بها ، أو كانت شبهة المُلك تخفف مؤاخذه المرأة بمراودة مملوكها وهو الذي يؤذن به حال مراودتها يوسف عليه السلام حين بادرته بقولها: هيت لك! والخاطىء فاعل الخطيئة وهي الجريمة وجعلها من زمرة الذين خطئوا تخفيفاً في مؤاخذتها وصيغة جمع المذكر تغليب وجملة (يوسف أعرض عن هذا) من قول العزيز إذ هو صاحب الحكم! وجملة (واستغفري لذنبك) عطف على جملة (يوسف أعرض عن هذا) في كلام العزيز عطف أمر على أمر ، والمأمور مختلف ، وكاف المؤنثة المخاطبة متعين أنه خطاب لامرأة العزيز ، فالعزيز بعد أن خاطبها بأن ما دبرته هو من كيد النساء ، وجه الخطاب إلى يوسف عليه السلام بالنداء ثم أعاد الخطاب إلى المرأة ، وهذا الأسلوب من الخطاب يسمى بالإقبال ، وقد يسمى بالالتفات بالمعنى اللغوي عند الالتفات البلاغي ، وهو عزيز في الكلام البليغ! ومنه قول الجرمي من طيء من شعراء الحماسة: (أخالك موعدي ببني جفيف وهالة إنني أنهاك هالا). قال المرزوقي في شرح الحماسة: والعرب تجمع في الخطاب والإخبار بين عدة ثم تقبل أو تلتفت من بينهم إلى واحد لكونه أكبرهم أو أحسنهم سماعاً وأخصهم بالحال).هـ. وأما القرطبى فقال: (يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ، قوله تعالى: يوسف أعرض عن هذا ، القائل هذا هو الشاهد ويوسف نداء مفرد ، أي يا يوسف ، فحذف أعرض عن هذا أي لا تذكره لأحد واكتمه! ثم أقبل عليها فقال: وأنت استغفري لذنبك! يقول: استغفري زوجك من ذنبك لا يعاقبك ، إنك كنت من الخاطئين ، ولم يقل من الخاطئات لانه قصد الإخبار عن المذكر والمونث فغلب المذكر ، والمعنى من الناس الخاطئين ، أو من القوم الخاطئين ، مثل (إنها كانت من قوم كافرين) و (كانت من القانتين). وقيل: إن القائل ليوسف أعرض ولها استغفري زوجها الملك ، وفيه قولان أحدهما أنه لم يكن غيوراً ، فلذلك كان ساكنا وعدم الغيرة في كثير من أهل مصر موجود! والثاني أن الله تعالى سلبه الغيرة وكان فيه لطف بيوسف حتى كف بادرته وعفا عنها).هـ. وإنني أكتب (يوسف أعرض عن هذا) من ذات الباب. لأثبت أن هناك أناسًا يدافع الله عنهم ؛ لأنهم قوم صالحون مخلصون موحدون ، لا يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل. إن الناس عندما ترى دفاع الله عن المؤمنين يتشجعون على اتباع الحق وتبني قضيته والدخول في

ذلك الدين والثبات عليه والدفاع عنه. فيوسف ـ عليه السلام ـ وقضيته يجب أن تكون مثلًا يحتذى وقدوة تتبع وأسوة يُسار على نهجها. لقدِ انتشرتِ القضية وشاعت وحارَ العزيزُ ماذا يفعل؟ وكان المشهدُ هناك: (يوسفُ أعرض عن هذا واستغفري لذنبك!) إنَّ كُل يوسف يواجَهُ بمثل ما يقولُه كل عزيز. والمبادئُ والكرامةُ غالية. ولا بد من مضح يكون في فوهة المدفع! وثمنُ العقيدةِ الروح ، والنَّصرُ حليفُ الحق.)

أَلا فِـــي القَصْـــرِ مَـــا فِيـــهِ مِـــنَ الأَوْحَـــالِ وَالتِّيـــهِ
فَكَـــمْ بَلْـــوَى يخَبِّئُهَـــا! وَكَـــمْ بِيـــدَ الـــوَرَى فِيـــهِ!
وَكَـــمْ وَأَدَ الهُـــدَى بَطَـــلٌ وَغَـــالَى فِـــي بَلاوِيـــهِ!
وَقَـــدْ شَـــرِبَ الـــدِّمَا جَهْـــرًا بِحَاضِـــرِهِ وَمَاضِـــيهِ
وَأَمْسَـــى يـــدَّعِي التَّقْـــوَى وَتُهْنَـــا فِـــي دَعَاوِيـــهِ
وَضَـــجَّ الشِّـــعْرُ مِـــنْ سَـــأَمٍ وَأَدْمَتْنَـــا قَوَافِيـــهِ
وَبَـــاتَ الخَيـــرُ مُـــنْفَعِلاً يُعَـــانِي مِـــنْ أَعَادِيـــهِ
نِفَـــاقٌ فِـــي تَرَائِبِـــهِ يُقَطِّـــعُ فِـــي أَعَالِيـــهِ
وَيطْعَـــنُ فِـــي سَـــوَاعِدِهِ وَيمْحَـــقُ فِـــي مَرَامِيـــهِ
وَآخَـــرُ يلْـــبَسُ التَّقْـــوَى يـــذَرُّ الآيَ مِـــنْ فِيـــهِ
وَيسْـــعَى فِـــي حَوَاضِـــرِهِ وَيشْـــدُو فِـــي بَيادِيـــهِ
وَلَـــمْ يُخْلِـــصْ ، وَلَـــمْ يَصْـــدُقْ وَأَسْـــفَرَ عَـــنْ مَخَازِيـــهِ
وَتَـــاجَرَ فِـــي الهُـــدَى عَلَنًـــا وَقَـــدْ أَضْـــحَى يُوَارِيـــهِ
وَأَعْلَـــنَ قَبْحَـــهُ جَهْـــرًا وَأَمْسَـــى مِـــنْ مَوَالِيـــهِ
وَآخَـــرُ بِالهُـــدَى يلْهُـــو وَيُكْثِـــرُ مِـــنْ خَطَاوِيـــهِ
وَكَرَّسَـــهُ لِمَرْضَـــاهُ أَسِـــيفٌ مَـــنْ يدَاوِيـــهِ
فَيقْـــرَأُهُ عَلَـــى المَرْضَـــى وَيشْـــكُرُ مَـــنْ يُجَازِيـــهِ
وَآخَـــرُ يُـــتْقِنُ الشَّـــكْوَى وَنَعْـــرِفُ عَـــنْ أَمَانِيـــهِ
لَـــهُ فِـــي السِّـــلْمِ أَغْنِيـــةٌ وَقَـــدْ رَاجَـــتْ أَغَانِيـــهِ
يُرِيـــدُ العَـــيشَ دُوْنَ أَذًى وَيحْلُـــمُ فِـــي أَمَالِيـــهِ
وَرَابِـــعُ فِـــي الـــدَّرُوْبِ غَـــدَا خَفَـــاءً لَسْـــتُ أَدْرِيـــهِ

تَنَكَّـــــرَ فِـــــي مَلابِسِـــــهِ وَجَمَّـــــلَ فِـــــي أَسَـــــامِيهِ
فَلَـــمْ نَعْـــرِفْ لَـــهُ شَـــكْلاً وَأَكْثَـــرَ مِـــنْ رَشَـــاوِيهِ
لِأَسْـــــــيادٍ تُمَكِّنُـــــــهُ وَتَـــــنْفَخُ دِينَهَـــــا فِيـــــهِ
إِلَـــى أَنْ صَـــارَ خَـــادِمَهُمْ وَتَـــابِعَ مَـــنْ يُوَالِيـــهِ
وَسَـــيفًا فَـــوْقَ هَامَتِنَـــا وَجَمْـــرَةَ مَـــنْ يُعَادِيـــهِ
فَيـــا هَـــذَا العَزِيـــزُ كَفَـــى فَهَـــذَا القَـــدَرُ يكْفِيـــهِ
غَـــزَتْ أَرْحَابَـــكَ البَلْـــوَى وَأَمْسَـــى الشَّـــعْبُ فِـــي التِّيـــهِ
وَيوْسُـــفُ فِـــي اللظَـــى عَمْـــدًا بَـــرِيءٌ مَـــنْ ينَجِّيـــهِ؟
لَـــهُ السَّـــجَّانُ مُنْتَبِـــهٌ وَمِـــنْ عَجَـــبٍ يُنَادِيـــهِ
تَقُـــوْلُ: اسْـــتَغْفِرِي وَكَفَـــى وَأَمْـــرُكَ فِـــي تَرَدِّيـــهِ
تُخَطِّئُهَـــا ، تُوَبِّخُهَـــا؟ وَمَـــا قَالَـــتْ تُجَارِيـــهِ
وَتَـــأْمُرُ يوْسُـــفَ الصِّدِّيـــ ـــقَ أَنْ ينْسَـــى وَتُرْضِـــيهِ
وَكَـــمْ فِـــي السِّـــجْنِ مِـــنْ رَجُـــلٍ بَـــرِيءٍ مَـــنْ مَسَـــاوِيهِ!
وَيـــدْخُلُ سِـــجْنَهُ أَلِقًـــا وَلَـــمْ يعْبَـــأْ بِمُزْجِيـــهِ
هُـــوَ العِـــزَّ المُنِيـــفُ إِذَنْ وَمَعْنًـــى مِـــنْ مَعَانِيـــهِ
وَيُمْسِـــي فِـــي ضِـــيا عِـــزٍّ وَمَرْقَـــى مِـــنْ مَرَاقِيـــهِ
يُسَـــبِّحُ رَبَّـــهُ أَبَـــدًا وَيطْـــرَحُ مِـــنْ شَـــكَاوِيهِ
لِـــرَبٍّ سَـــوْفَ ينْصُـــرُهُ وَيضْـــرَعُ فِـــي أَمَاسِـــيهِ
لَـــهُ مِنِّـــي السَّـــلامُ وَفَـــا وَمِـــنْ قَلَمِـــي تَهَانِيـــهِ
وَمِـــنْ رُوْحِـــي تَشَـــوُّقَهَا وَمِـــنْ قَلْبِـــي تَعَازِيـــهِ

جريدة الوحدة العربية في يوم 1995/11/4م.

يوم السبت11 من جمادى الآخرة1416هـ .4 من نوفمبر1995م.

عدد جريدة الوحدة العربية رقم: (6980)

النسر والوجه الآخر

(من الأدب مع الله الخالق القدير أن يحسن العبد الظن بربه. روى الإمام مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُم إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عزَّ وجلَّ». وروى الشيخان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي ، وأنا معه ، فَإِنْ ذَكَرني في نَفسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي ، وإِنْ ذَكرني في مَلأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وإِنْ تَقَرَّبَ إليَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا ، وإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبتُ مِنهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». وروى أحمد (والحديث صحيح) أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ ، وإن ظَنَّ شرًّا فله... » وإذن فكل عبدٍ صالح مخلص لدينه ولعقيدته يحسن الظن بالله الرحيم الغفور اللطيف لما يشاء الرءوف بعباده. وتاريخنا الإسلامي حافل برجالات ونساء لهم مواقف تستلهم منها الدروس والمواعظ أبد الآبدين ودهر الداهرين! أذكر على سبيل المثال لا الحصر أربعة منها: هذا هو الإمام البخاري - رحمه الله - مع أمير بخارى: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل البخاري: أن احمل إليَّ كتاب الجامع والتاريخ لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: قل له: إني لا أُذِلُ العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن كانت له حاجةٌ إلى شيءٍ منه فليحضرني في مسجدي أو في داري ، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطانٌ فامنعني من المجلس ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة: أني لا أكتم العلم فكانت سبب الوحشة بينهما. وهذا هو موقف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مع أعدائه: عندما ضيقوا عليه ، قال: ما يفعل أعدائي بي ، أنا جنتي في صدري ، سجني خلوة ، ونفيي سياحة ، وقتلي شهادة! وهذا هو موقف المهندس المصري مع الضابط الفرنسي في قناة السويس: طلب الضابط الفرنسي إحضار أحد المهندسين لعملٍ ما كان في بيته ، فأُحضر له المهندس المصري ، وكان مسلماً موحداً. فلما حضر عنده وسأل عن العمل أخبره الضابط بنوع العمل المطلوب ، وقال له الضابط: بكم القيمة ، فلما رأى المهندس المطلوب ، قال له: قيمة العمل كذا من المال ، فقال الضابط في غضبٍ شديدٍ: أنت حرامي وغشاش ، فقال المهندس: أنا لست حرامياً ولا غشاشاً ، أنا مسلم! فقال: بل حرامي وغشاش! فقال له المهندس: أحضر من شئت من المهندسين واسأله عن قيمة العمل المطلوب فإن كان أقل أو مثل ما طلبت فسوف أقوم بالعمل بلا مقابل ، فطلب إحضار مهندسٍ آخر فلما جاء وأخبره بالعمل ، فقال المهندس: قيمة العمل كذا من المال. وكان أكثر من المهندس الأول بكثير ، فرجع الضابط إلى المهندس الأول وطلب منه العمل بما طلب ، فرفض المهندس حتى يعتذر له عن غلطه فرفض الضابط الاعتذار وأمره بالقيام بالعمل وإلا سيعاقبه ، فرفض المهندس حتى يعتذر له ، فلما رأى الضابط إصرار المهندس اعتذر له ، ثم قام المهندس وأنهى العمل فأعطى الضابط المهندس القيمة وزيادة. فقال المهندس: ما هذه الزيادة؟ فقال الضابط: البقشيش. فقال المهندس: لا آخذ البقشيش ، ورده عليه. فتعجب الضابط من ذلك الموقف. وأخيراً موقف يعقوب بن يوسف الموحديّ مع الأذفونش الإفرنجي: كان يعقوب بينه وبين الأذفونش صاحب غرب جزيرة الأندلس هدنة ثم انقضت وذلك عام (590هـ) وضعفت حال المسلمين بالأندلس ، فكتب الأذفونش رسالةً إلى الأمير يعقوب يتهدده ويتوعده ويطلب بعض الحصون ، فلما وصل كتابه إلى يعقوب مزَّقه ، وكتب على ظهر قطعةٍ منه: ارجع إليهم فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون والجواب ما ترى لا ما تسمع. ثم أمر بالاستنفار واستدعى الجيوش وجمع العساكر ثم سار حتى دخل بلاد الإفرنج وقد تأهبوا لقتاله فكسرهم كسرةً شنيعةً). والنسر - الذي أعني في قصيدتي - هو رجل بائسٌ مسكينٌ

تآمرت عليه قُوى الشر من المنافقين والخاذلين والأهلين الأراذل فراح يتخبط ويتلبط ، للذي ألم به من جراء التخرص عليه بالباطل والبهتان والزور. وأما الوجه الآخر فهو قُوته بالله تعالى وامتثاله شرفَ العبودية له سبحانه. النسرُ مهما نال منه سائرُ الطيورِ أو الجعلان أو الهوام فإن ذلك لا ينقِصُ مِن كَونِهِ نَسرًا ، وتأتي على النَّسرِ أيامٌ تصدأُ فِيها عزيمته كَما يصدأُ الحديد ، ثم ما يلبثُ أن يزولَ صدأها وتعودَ إلى قُوةِ الحديدِ ولَمعانِ الذهب ، وتبوء الجُعلانُ والهوامُ بالحسرةِ والندامة!)

عَيــــبٌ عَلَيــــكَ أيــــا رَجُــــلْ ... فِـــي الحَـــقِّ إنّـــكَ لَلْبَطَـــلْ

أنْـــتَ المَضَـــا ، أنْـــتَ المُنَـــى ... وَعَلَيـــكَ ينْعَقِـــدُ الأَمَـــلْ

لَـــوْلا الخِيانَـــةَ وَالرِّيـــا ... لَـــوْلا العَمَالَـــةَ وَالخَطَـــلْ

لَـــوْلا النِّفَـــاقُ وَأَهْلُـــهُ ... وَعِبَـــادَةُ الصَّـــرْعَى هُبَـــلْ

وَالحِقْـــدُ فِـــي قَلْـــبِ العِـــدَا ... لَـــوْلا التَّـــرَدِّي فِـــي الـــدَّجَل

وَضَـــلالُ مَـــنْ عَبَـــدَ الهَـــوَى ... مَـــا ذَلَّ مِثْلَـــكَ يـــا رَجُـــلْ

فِـــي الحَـــقِّ كَانَـــتْ صَـــوْلَةً ... إذْ فِيـــهِ لا يُجْـــدِي الخَجَـــلْ

وَبَـــذَلْتَ قَلْبَـــكَ لِلْـــوَرَى ... وَأَبَنْـــتَ لِلقَـــوْمِ السُّـــبُلْ

وَكَـــذَا سَـــبِيلُ اللهِ قَـــدْ ... بَيْنَتَهَـــا كُنْـــتَ المَثَـــلْ

لَـــمْ تَرْتَـــزِقْ بِالـــدِّينِ لا! ... وَكَـــذَاكَ يفْعَـــلُ مَـــنْ عَقَـــلْ

وَحَمَلْـــتَ مِشْـــعَلَ نَاصِـــحٍ ... وَسِـــوَاكَ جَـــاهَرَ بِالعِلَـــلْ

وَبَـــدَأتَ مِـــنْ حَيـــثُ الـــوَرَى ... لا مِـــنْ خَيـــالِ المُنْفَعِـــلْ

لَـــم تَفْتَـــرِضْ فِـــيهِم هُـــدَى ... وَكَـــذَاكَ مَـــا احْتَلْـــتَ الحِيـــلْ

وَرَحِمْـــتَهُم ، فَنَصَـــحْتَهُم ... بِالـــذِكْرِ لا بِسَـــنَا الزَّجَـــلْ

إنَّ البَرِيـــقَ لَخَـــادِعٌ ... وَإذَا بَـــدَا مِثْـــلَ العَسَـــلْ

وَالزَّيـــفُ لَـــيسَ وَرَاءَهُ ... إلاّ الضَّـــياعُ ، وَقَـــدْ حَصَـــلْ

خَمْسُـــوْنَ عَامًـــاً وَالـــوَرَى ... فِـــي التِّيـــهِ تَضْـــرِبُ كَالجُعَـــلْ

قَـــدْ عَـــجَّ بِـــالقَيحِ الحِمَـــى ... إنْ فِـــي السُّـــهُوْلِ أوِ الجَبَـــلْ

أوْ فِـــي البِطَـــاحِ أوِ الـــذُرَى ... أوْ فِـــي السُّـــفُوْحِ أوِ القُلَـــلْ

(السَّـــيلُ قَـــدْ بَلَـــغَ الزُّبَـــى) ... وَالصَّـــاعُ طَـــفَّ فمَـــا العَمَـــلْ؟

وَالنّسْـــــرُ فِـــــي أَغْلالِـــــهِ يـــــدْعُو الإِلَـــــهَ وَيبْتَهِـــــلْ
وَالقَلْـــــبُ فِـــــي أَحْزَانِـــــهِ يرْجُـــــو الخَـــــلاصَ وَيعْتَمِـــــلْ
والـــــنّفْسُ فِـــــي ثَوْرَاتِهَـــــا تَبْكِـــــي الوَفَـــــاءَ وَتَشْـــــتَعِلْ
وَالعَـــــينُ فِـــــي أَنّاتِهَـــــا وَالـــــدَّمْعُ مِنْهَـــــا ينْهَمِـــــلْ
وَالـــــرُّوحُ مَلّـــــتْ وَالنّهَـــــى أَوْدَى بِـــــأَحْلامِي المَلَـــــلْ
يـــا نَسْـــرُ طَيـــفٌ مَـــا لا تَـــرَى؟ أَمْ قَـــدْ دَنَـــوْتَ مِـــنَ الأَجَـــلْ؟
هَـــلْ أَنْـــتَ عَـــانٍ فِـــي اللّظَـــى؟ إِنْ كَـــانَ ذَلِـــكَ فَارْتَحِـــلْ
وَاصْـــمُدْ فَـــأَمْرُكَ هَـــينٌ وَعَلَـــى المُهَـــيمِنِ فَاتَّكِـــلْ
مَـــا كَـــانَ سَـــوْفَ يُصِـــيبُكُمْ سَيُصِـــيبُكُمْ ، لا تَنْفَعِـــلْ
وَصَـــلاحُ أَمْـــرِكَ فِـــي التَّقَـــى بَـــادِرِ إِلَيـــهِ عَلَـــى عَجَـــلْ
وَاثْبُـــتْ إِذَا نَـــزَلَ القَضَـــا كَيـــفَ الجَـــوَارِحُ تَعْتَـــزِلْ؟
إِنْ آلَمَتْـــكَ مُصِـــيبَةٌ فِيهَـــا سَـــيَنْتَحِرُ الحَمَـــلْ
فَـــدَعِ الأُلَـــى قَـــدْ نَـــافَقُوْا وَالنّصْـــحُ دُوْنَـــكَ ؛ فَامْتَثِـــلْ
وَجْـــهُ النِّفَـــاقِ مُلَـــوَّنٌ وَيُجِيـــدُ أَصْـــنَافَ المِلَـــلْ
وَكَـــذَا الخِيانَـــةَ وَجْهُهَـــا مَـــنْ يلْقَـــهُ دَوْمًـــا يَضِـــلْ
وَالنّسْـــرُ فِـــي قَلْـــبِ الفَضَـــا أَبَـــدًا يتُـــوْقُ إِلَـــى زُحَـــلْ
وَيَهِـــيمُ فِـــي بَـــدْرِ السَّـــمَا وَيَصُـــوْغُ مِـــنْ شِـــعْرِ الغَـــزَلْ
أَمَّـــا النِّفَـــاقُ فَبَائِـــدٌ! يهْـــوَى الحَضِـــيضَ كَمَـــا الجُعَـــلْ
وَلِكُـــلِ وَغْـــدٍ سَـــاعَةٌ صُـــنْ مَـــاءَ وَجْهِـــكَ ، وَاحْتَمِـــلْ
مَاضِـــيكَ وَلّـــى وَانْتَهَـــى فِـــيمَ البُكَـــاءُ عَلَـــى طَلَـــلْ؟
وَاللهُ كَافِيـــكَ الـــوَرَى كُـــنْ مُسْـــتَقِيمًا ، وَاعْتَـــدِلْ

جريدة الوحدة العربية في يوم1995/10/29م.

الوحدة العربية: (6975) يوم الأحد 5 من جمادى الآخرة 1416هـ . 29من أكتوبر1995م.

حسابي مع هازل

(لشد ما يعاني أصحاب القيم في هذا الزمان الذي عمّت فيه البلوى وطمَّت فيه النَّكَبات. والهزل يستحق أن يؤخذ منه موقف. وإلا يكنْ ذلك كذلك استشرى خطره وازداد فساده وشره. أكون مريضًا وعندما أكتب في الانتصار للقيم والفضائل أرى أنني أُعافى بقدرة الله. ولقد طف الصاع ، وطفح الكيل ، وبلغ السيل الزُّبى ، وأشرف الأمر على المنتهى في قضية الشعر العربي الإسلامي الأصيل ، وما يصيبه على أيدي المستشعرين الحاقدين الكائدين. إنني في هذه القصيدة أصفِّي الحساب. وأوقف كل هازل عند حده. نعم أرد القوس إلى باريها ، وأعيد الأمر إلى نصابه. وليت الأمر وقف عند شعر التفعيلة ، وما هو بالشعر أو النثر الشعري ، وما هو بالشعر ولا النثر. بل زاد الحد وأصبحت العملية أو المؤامرة حربًا ضروسًا على القيم والمبادئ ، وليست فقط حربًا على الوزن والقافية. إن هناك هجومًا عامًّا ضاريًا على الثوابت العقدية والإيمانية التي تلقتْها الأمة بالقبول على مدى تاريخها الطويل ، ولم يجرؤ أن يجادل فيها أحد أبدًا. إن هناك ردة شرعية وأخرى شعرية لغوية ، ولا أبا بكر للأولى ، ولا القُرطاجنيَّ للثانية. تقول الأستاذة حرة طيبي في مقال عنوانه: (خطر الشعر العربي المعاصر على اللغة العربية) ما نصه: (منذ بداية القرن الماضي واللغة العربية تئن تحت ضربات سياط أبنائها من كل جانب ، دون رحمة أو هوادة ، وهو ما دفع بالشاعر القدير حافظ إبراهيم إلى نظم قصيدته الشهيرة عن اللغة العربية. ومن المعروف أن اللغة ، هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير ، والإبانة عن الذات ، وهي أول شيء يصادفنا ، وهي النافذة التي من خلالها نطل عن العالم ، هي المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب ، والجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق. إن الإنسان لم يعرف السحر إلا يوم أدرك قوة الكلمة ، ولم يعرف الشعر إلى يوم أدرك قوة السحر. فاللغة والسحر والشعر ظواهر مترادفة في حياة الإنسان. غير أنه لولا وجود اللغة لما وجد السحر ، ولا كان الشعر ولا كان العلم ، فاللغة إذن أعظم اختراع توصل إليه الإنسان في حياته حتى اليوم! فهل يحق لأحد أن يتلف هذه الوسيلة العجيبة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه من تقدم وازدهار ، وتواصل عبر آلاف السنين؟).هـ. وقد نذرتُ قلمي للرد على هذه المهزلة القائمة الضاربة الأطناب في الأرض اليوم باسم التسهيل على الناس والشعراء. وما هي إلا مؤامرة على الإسلام ولغته وكتابه ليس إلا. وإن قوماً يفعلون هذا من باب أنهم يُسْدون إلى الناس جميلاً عظيماً ، والأصل أن لهم نصيباً من قوله تعالى: (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا). جاء في (شرح كتاب التفسير من مختصر صحيح مسلم للمنذري ـ من أحب أن يُحمَد بما لم يفعل): باب في قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا}. عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّ رِجَالًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم ـ كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ [إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَنَزَلَتْ: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ}. عنَّ حُمَيْد بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أَخْبَرَهُ أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ لِبَوَّابِهِ ، إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى ، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا ، لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ! إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} هَذِهِ الْآيَةَ وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ....} وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَهُمْ النَّبِيُّ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ ، فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ ،

وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ مَا سَأَلَهُمْ عَنْه). فالذي كان من المنافقين في عهد رسول الله أنهم تخلفوا عنه في الجهاد ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، فإذا قدم النبي من سفره ، اعتذروا إليه وحلفوا له كذباً ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت الآية: {لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ....}. إن كل مستهتر يجب أن يعلم أن هذا الدين العظيم له رجاله الصناديد الذين يمكن بسهولة أن يعيدوا له شأنه بقوة الله تعالى ومشيئته. وكذلك هذه اللغة وذلك الشعر لهما رجالهما الأفذاذ العمالقة المغاوير الأشاوس الذين ينافحون عنهما ولا يخافون في الله لومة لائم. إن الهزل والهازلين سيصلون جميعًا إلى قاع الهاوية عما قريب. وهذا شاعرٌ هازلٌ يلعبُ بالقِيم ويعبثُ بالمبادئ. ويستغلُ قلمَهُ في الهَزْل. وعجيبٌ أنْ ترى مخلوقاً بذلك الوصْف. يؤتَى سَعَةَ القَوْل والكِتَابة ويلانُ له البيانُ. ثم لا يبْدِعُ ولا ينبغ إلا فِي الهَزْل! فإلى كل هازلٍ كانتْ هذهِ الأبياتُ!)

يـــا هَـــازِلاً وَالهَـــزْلُ يكْتَسِـــحُ الأنُـــوْفْ ... كُـــفَّ ادِّعَـــاءَ الشِّـــعْرِ وَالنَّثْـــرِ السَّـــخِيفْ

وَاسْـــكُبْ عَلَـــى مَـــا قَـــدْ كَتَبْـــتَ النَّـــارَ إنْ ... عَـــزَّ الوَقَـــوْدُ وَلَـــمْ تَجِـــدْ وَهْـــجَ الكُسُـــوفْ

هَـــذِي قَصَـــائِدُكَ التِـــي لَفَقْتَهَـــا ... قَـــدْ ضُـــمِّخَتْ بِـــالزَّوْرِ وَالحَـــرْفِ الخَنِيـــفْ

لَيسَـــتْ تُسَـــاوِي الحِبْـــرَ قَـــدْ كُتِبَـــتْ بِـــهِ ... أَبَـــدًا ، وَقَـــيحُ الغِـــشِّ يصْـــرُخُ فِـــي الكُفُـــوفْ

أَتَظُـــنُّ شِـــعْرًا مَـــا كَتَبْـــتَ ، وَفِكْـــرَةً؟ ... الشِّـــعْرُ يبْـــرَأُ مِـــنْ تَقَـــاطِيعِ العَزِيـــفْ

فَالشِّـــعْرُ فَـــوْقَ الهَـــزْلِ ، فَـــوْقَ هُـــرَائِكُم ... كَالبَـــدْرِ لا يعْـــرُوْهُ ظِـــلٌّ أو خُسُـــوفْ

إنَّ القَـــرِيضَ رِسَـــالَةٌ يـــا صَـــاحِبِي ... فَـــوْقَ الـــدَّعَاوِي وَالتَّكَسُّـــبِ والعُكُـــوفْ

أَتْقَنْـــتَ صُـــنْعَ الشِّـــعْرِ ، لَـــمْ تَـــكُ شَـــاعِرًا ... وَهَزَلْـــتَ فِـــي زَمَـــنٍ تَغَشَّـــتْهُ السُّـــيوفْ

أَلْبَسْـــتَ بَاطِلَـــكَ ؛ الضَّـــياءَ فَزَانَـــهُ ... أَضْـــلَلْتَ قَوْمًـــا قَـــدْ رَأَوْا فِيـــكَ الشَّـــرِيفْ

وَسَـــخِرْتَ مِـــنْ نَسْـــجِ القَـــرِيضِ عَلَـــى البُحُـــو ... رِ جَهَـــارَةً. مِـــنْ أيـــنَ هَاتِيـــكَ الزَّيـــوفْ؟

لَفَقْـــتَ كُـــلَّ مَقَالَـــةٍ وَقَصِـــيدَةٍ ... لَحَّنْتَهَـــا حَســـبَ الجَلاجِـــلِ وَالـــدُّفُوفْ

يـــا ذُلَّ قَـــوْمٍ يقْـــرَأُوْنَ هَشِـــيمَكُمْ! ... يـــا لَـــوعَتِي! فَالشِّـــعْرُ مَجْنُـــوْزٌ أَسِـــيفْ

أيـــنَ الحَقِيقَـــةُ فِـــي دُجُنّـــاتِ الهَـــوَى؟ ... وَالشِّـــعْرُ أيـــنَ؟ وَأيـــنَ أطْـــلالُ الطّيـــوفْ؟

وَالشَّـــاعِرِيةُ أيـــنَ بَاتَـــتْ والصَّـــدَى ... وَالأمْنِيـــاتُ؟ وَأيـــنَ إحْسَـــاسٌ رَهِيـــفْ؟

وَالألْمَعِيـــةُ فِـــي سَـــرَادِيبِ النّـــوَى ... وَكَـــذَا ضَـــمِيرٌ نَـــابِضٌ شَـــهْمٌ نَظِيـــفْ

وَسَـــحَائِبُ الشِّـــعْرِ انْجَلَـــتْ وَتَقَهْقَـــرَتْ ... وَتَخَلْـــلَ الأجْـــوَاءَ تَضْـــلِيلٌ كَثِيـــفْ

وَمَضَـــتْ بِلَيـــلِ الشِّـــعْرِ أَعْطَـــرُ عَبْـــرَةٍ ... وَغَـــدَا بِثَـــوْبِ القَهْـــرِ إصْـــرَارِي الشَّـــفِيفْ

أَبْكِيـــكَ يـــا شِـــعْرَ الرُّجُوْلَـــةِ وَالوَفَـــا ... وَأَعَطَـــرُ الـــذِّكْرَى بِإحْسَاسِـــي الوَرِيـــفْ

أَبْكِـــي عَلَـــى جُـــلِّ القَصَـــائِدِ جُنْـــدِلَتْ ... وَتَبَعْثَـــرَتْ فَـــوْقَ الرَّوَابِـــي وَالرُّفَـــوفْ

تَشْـــكُو لِمَـــنْ لا يرْعَـــوِي لِشَـــكَاتِهَا ... وَأَنِينِهَـــا ، تَحْيـــا مَـــعَ الشَّـــبَحِ المُخِيـــفْ

دَمَعَـــتْ عُيـــوْنُ قَصَـــائِدِي وَقَلائِـــدِي ... تَنْعَـــى الهُـــدَى ، تَبْكِـــي عَلَـــى هَـــزَلِ الصُّـــفُوفْ

تَبْكِـــي العَـــرُوْضَ وَأَهْلَـــهُ وَعَبِيـــرَهُ ... تَبْكِـــي الأُلـــى كَتَبُـــوا عَلَـــى البَحْـــرِ الخَفِيـــفْ

تَبْكِـــي الطَّوِيـــلَ كَـــذَا البَسِـــيطَ ووَافِـــرًا ... وَالكَامِـــلَ الفِضِّـــي وَالرَّجَـــزَ العَفِيـــفْ

تَبْكِـــي عَلَـــى هَـــزَجِ القَـــرِيضِ وَمُحْـــدَثٍ ... يـــا شِـــعْر كَفْكِـــفْ حُرْقَـــةَ الـــدَّمْعِ الحَنِيـــفْ

فَلَقَـــدْ نَحَلْـــت قَصَـــائِدِي مِمَّـــا جَـــرَى ... وَأَنَـــا الفِـــدَا ، مَـــا حِيلَـــةَ المَـــرْءِ الضَّـــعِيفْ؟

أَمَّـــا الإِمَـــاءُ وَلَـــدْنَ رَبَّـــاتٍ هُنَـــا ... وَكَمَـــا نَـــرَى فِـــي الـــبَهْمِ قَـــدْ نَطَـــقَ الخَـــرُوفْ

مَـــاذَا إِذَا طَحَـــنَ الكَـــلامَ بِصَـــوْتِهِ ... وَتَلَعْثَمَـــتْ فِـــي النّطْـــقِ أَرْبَـــاعُ الحُـــرُوفْ؟

وَتَحَشْـــرَجَتْ فِـــي الصَّـــمْتِ كُـــلُّ حَقِيقَـــةٍ؟ ... وَتضَـــمَّخَتْ بِالغِـــلِّ أَعْطَـــافُ النّزِيـــفْ؟

وَتَعَرْقَلَـــتْ فِـــي الـــوَهْمِ أَقْـــدَامُ الصِّـــبَا؟ ... وَتَحَطَّـــمَ الإِحْسَـــاسُ وَالـــذَّوْقُ الظّرِيـــفْ؟

وَالهَـــازِلُوْنَ عَلَـــى الـــدُّرُوْبِ كَمَـــا الثَّـــرَى ... كُـــلٌّ يصُـــوغُ الشِّـــعْرَ مِـــنْ جَـــوْفِ الكَنِيـــفْ

يتَخَبَّطَـــوْنَ ، وَلا سَـــبِيلَ سِـــوَى الجَفَـــا ... وَيُتَوِّجُـــوْنَ الشِّـــعْرَ بِـــالوَهْمِ الكَفِيـــفْ

وَيُـــدَجِّلُوْنَ عَلَـــى القَطِيـــعِ بِدَمْعَـــةٍ ... كَـــمْ ذَا نُعَـــانِي مِنْـــكَ يـــا أَعْتَـــى لَفِيـــفْ!

حَتَّـــى إِذَا كَانَـــتْ مُنَاسَـــبَةً بَكَـــوْا ... وَتَصَـــنّعُوْا الـــدَّمْعَ الأَبِـــيَّ المُسْـــتَنِيفْ

وَهُـــمُ المَنَاشِـــيرُ الّتِـــي لا تَرْعَـــوِي ... رَتَعُـــوا ، وَمَـــا مِـــنْ بَيـــنِهِمْ رَجُـــلٌ نَحِيـــفْ

لَكِنّمَـــا قَلَـــمٌ بِكَفَـــيْ شَـــاعِرٍ ... يُعْطِيـــكَ مِـــنْ جَمْـــرِ الغَضَـــى بَعْـــضَ الحَفِيـــفْ

وَيَصُـــوغَ صَـــمْتَ الصَّـــمْتِ أَعْظَـــمَ ضَـــجَّةٍ ... وَيصُـــوغَ مِـــنْ مَطَـــرِ السَّـــمَا الطَّـــلَّ الخَفِيـــفْ

وَيَصُـــوْغَ مِـــنْ لا شَـــيءَ شَـــيئًا وَاقِعًـــا ... حَقّـــا ، ومِـــنْ قَـــيظِ الصِّـــبَا بَـــرْدَ الخَرِيـــفْ

وَيُصَـــوِّرُ الأَطْـــلالَ دُنْيـــا تَنْتَشِـــي ... وَيُحَـــرِّكُ المَشْـــلُوْلَ فِـــي رَحِـــمِ الوُقُـــوفْ

يُبْكِيـــكَ دَهْـــرًا ، ثُـــمَّ يضْـــحَكُ سَـــاخِرًا ... وَيَـــرُوْغُ مِنْـــكَ ، وَفِـــي مَآرِبِـــهِ يطَـــوفْ

الشَّـــاعِرُ الحَـــقُّ الّـــذِي يحْيـــا عَلَـــى ... صِـــدْقِ القَـــرِيضِ ، وَتَنْتَشِـــي مِنْـــهُ الأُنُـــوفْ

وَالشَّـــاعِرُ الحَـــقُّ الجَسُـــورُ فَـــلا يخَـــا ... فُ مِـــنَ الـــوَرَى أَبَـــدًا ، وَإِنْ سَـــكَنَ الشُّـــعُوفْ

وَتَـــرَاهُ لِلمَظْلُـــوْمِ سَـــيفَ عَدَالَـــةٍ ... وَتَـــرَاهُ لِلمَنْكُـــوْبِ مِـــنْ أَنْـــدَى حَلِيـــفْ

وَتَـــرَاهُ فَـــوْقَ الجَـــوْرِ صَـــرْخَةَ ثَـــائِرٍ ... تُـــرْدِي الغَشُـــوْمَ ، وَإِنْ أَحَاطَتْـــهُ الزُّحُـــوفْ

وَتُذِيقُـــهُ مِـــنْ جِـــنّسِ مَـــا كَسَـــبَتْ يـــدَا ... هُ مَـــرَارَةً ، وَمِـــنَ العَـــذَابَاتِ الصُّـــنُوفْ

وَتَـــرَاهُ يحْيـــا فِـــي أَصِـــيلِ حَياتِـــهِ ... لا فِـــي الكُهُـــوْفِ ، وَلَـــيسَ فِـــي ظِـــلِّ الرَّصِـــيفْ

وَتَـــرَاهُ بُرْكَانًـــا إِذَا نِيـــلَ الهُـــدَى ... يهْتَـــاجُ هَـــدَّارًا كَمَـــا القَـــوْسُ الهَتُـــوفْ

وَيثُـــوْقُ لِلعَـــدْلِ الّـــذِي يُحْيـــي الـــوَرَى! ... يحْيـــا يثُـــوْقُ لِنَصْـــرِهِ تَـــوْقَ اللهيـــفْ

وَيعِـــيشُ آلامَ الحَنِيفَـــةِ دَاعِيًـــا ... رَبَّ الـــوَرَى حَتَّـــى يُزِيـــلَ أَسَـــى الصُّـــرُوفْ

وَيُجِيـــبُ صَـــرْخَةَ مُسْـــلِمٍ عَبْـــرَ الـــدِّمَا ... وَيسُـــلَّ سَـــيفَ الشِّـــعْرِ للبَـــاغِي العَنِيـــفْ

وَيُسَـــعِّرُ التَّفْعِيـــلَ نَـــارًا تَجْتَنِـــي ... بَغْـــيَ العَـــدُوِّ وَجَـــوْرَهُ العَـــاتِي الطَّفِيـــفْ

تَنّـــوْرُ شِـــعْرِ الفَـــذِّ لَـــيسَ بِهَـــازِلٍ ... دَوْمًـــا يفُـــوْرُ ، وَفِـــي الوِئَـــامِ هُـــوَ الأَلِيـــفْ

لا يكْتُـــبُ الشِّـــعْرَ الّـــذِي يحْيـــا عَلَـــى ... هَـــزْلِ الخَنَـــا وَغِوَايـــةِ الجِـــنْسِ اللّطِيـــفْ

مَخْمُـــوْرَةٌ رَأسُ اليـــرَاعِ بِسُـــكْرِهِ ... وَعَلَـــى قَـــرَاطِيسِ الهَـــوَى كَـــانَ الخَلُـــوفْ

وَالـــزَّوْرُ يشْـــرَبُهُ الـــوَرَى بِجَهَالَـــةٍ ... يـــا لَلأَسَـــى ، وَالزَّيـــفُ قَـــدْ مَـــلأَ القُحُـــوفْ

وَتَسَـــرْبَلَتْ بِالتِّيـــهِ كُـــلُّ رِكَابِنَـــا ... وَالخَيـــلُ عَانَـــتْ مِـــنْ دَيـــاجِيرِ الوَجِيـــفْ

وَالجِيـــلُ يحْيـــا فِـــي سَـــرَادِيبِ اللّظَـــى ... وَتَـــرَاهُ يجْتَـــرُّ المَذَلّـــةَ كَالعَسِـــيفْ

وَكَـــذَاكَ أُمَّتُنَـــا غَـــوَتْ وَتَقَهْقَـــرَتْ ... خَـــرَّتْ عَلَينَـــا مِـــنْ أَعَالِيهَـــا السُّـــقُوفْ

وَالشِّـــعْرُ مَجْنُـــوْزٌ بِغَيـــرِ جَنَـــازَةٍ ... وَالقَـــوْمُ صَـــرْعَى فِـــي مُجَامَلَـــةِ الضُّـــيوفْ

وَالشِّـــعْرُ (لَيلَـــى) أَوْ عِبَـــادَةُ ظَـــالِمٍ ... أَوْ قِصَّـــةٌ قَـــدْ صَـــاغَهَا القَلَـــمُ الطَّرِيـــفْ

أَوْ دَمْعَـــةً فَـــوْقَ السَّـــرَابِ وَحُرْقَـــةً ... فِـــي شَـــكْلِ شِـــعْرٍ ثَـــائِرٍ يبْكِـــي السُّـــعُوفْ

أَبْيـــاتُ شِـــعْرِكُمُ السَّـــرَابُ وَظِلّـــهُ ... كَـــمْ ذَا فَجِعْنَـــا بِـــالمِئِينَ وَبِـــالأُلُوفْ!

إِنْ كَـــانَ مَـــا كَتَبَـــتْ يمِينُـــكَ بِـــالقَرِيضِ ... فَقُـــلْ لَنَـــا ، أَوْ كَـــانَ لا ، فَلِـــمَ الكُسُـــوفْ؟

يـــا قَـــوْمُ كُفّـــوا عَـــنْ هُـــرَاءٍ فَاضِـــحٍ ... وَتَـــذَكَّرُوا يـــوْمَ التَّنَـــاوُشِ وَالوُقُـــوفْ

وَالأَمْـــرُ مُلْتَـــبِسٌ عَلَـــيكُم صَـــدِّقُوا ... إِنِّـــي لِنُصْـــرَةِ حَقِّنَـــا أَبَـــدًا شَـــغُوفْ

عدد الوحدة العربية: (6959) 16 من جمادى الأولى1416هـ. الموافق:10أكتوبر1995م

العنبة الطافية

(لقد وصف لنا النبي ﷺ الدجال كأننا نراه رأي العين. روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية». وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: «الدجال أعور العين اليسرى جُفالُ الشعر ، معه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار». وروى أحمد وأبو داود (والحديث صحيح) أن الرسول ﷺقال: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا ، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحجُ جَعْدٌ أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء ، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور ، وأنكم لن تروا ربكم». إن قصيدتي هذي عن الدجال تحمل في طياتها البشارة التي تنبئ أنه هالك لا محالة مهما علا باطله في الأرض بغير الحق. وذلك عندما ينزل المسيح الحق عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية عن أهل الكتاب فليس يقبل منهم إلا الإسلام أو القتال ويكسر المسيح الصليب ويقتل المسيح الدجال. عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: (سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي ، مُنَادِى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، يُنَادِي (الصَّلاَةَ جَامِعَةً). فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَكُنْتُ فِى صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِى تَلِى ظُهُورَ الْقَوْمِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ: « لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ ». ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنِّى وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيماً الدَّارِىَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ ، وَحَدَّثَنِى حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ، حَدَّثَنِى أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْراً فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَرْفَأُوا (أي: التجأوا) إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ (وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم ، الجمع قوارب والواحد قارب). فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ (أي: غليظ الشعر) كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ (قيل سميتْ بذلك لتجسسها الأخبار للدجال). قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ! انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. قَالَ لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا (أي خفنا) مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ فَانْطَلَقْنَا سِرَاعاً حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً ، وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي ، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ، رَكِبْنَا فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ (أي هاج) ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْراً ، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا ، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعاً ، وَفَزِعْنَا مِنْهَا ، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِى عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِي كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِى عَنْ عَيْنِ زُغَرَ؟ (وهي بلدة تقع في الجانب القبلي من الشام) قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِى الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ ، هِي كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي ، إِنِّى أَنَا الْمَسِيحُ ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا ، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِى الْمِنْبَرِ -: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ». يَعْنِى الْمَدِينَةَ «أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. « فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ ، لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»! (قال القاضي: لفظة (ما هو) زائدة ، صلة للكلام ، ليست بنافية ، والمراد إثبات أنه فِي جهات المشرق) وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ. قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)؟ رواه مسلم في صحيحه ، فهو حديث صحيح ، رواه أهل العلم فِي كتبهم ، من طريقين عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقال الترمذي رحمه الله: هذا حديث صحيح غريب انتهى. وقال ابن عبد البر في الاستذكار: ثابت صحيح من جهة الإسناد والنقل انتهى. عن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ ، حتى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ فلما رُحْنَا إليه عَرَفَ ذلك فِينَا فقال: ما شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً ، فَخَفَّضْتَ فيه وَرَفَّعْتَ حتى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فقال: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إن يَخْرُجْ وأنا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي على كل مُسْلِمٍ ، إنه شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العزي بن قَطَنٍ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ، إنه خَارِجٌ خَلَّةً بين الشام وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا ، يا عِبَادَ اللَّهِ فاثبتوا ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ وما لَبْثُهُ في الأرض؟ قال: أَرْبَعُونَ يَوْمًا :يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُم ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الذي كَسَنَةٍ ، أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قال:لَا ، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ ... الخ). ومن هذه الرؤية والتصور أكتب عن العنبة الطافية التي سوف يفقأها المسلمون مع نبيهم عيسى - عليه السلام -. ويقاتل المسيح النصارى الذين غلوْا فيه كذلك. إنها عينُ الدَّجالِ كما وصفها النبي ﷺ.. والدَّجَل طَابَعُ العَصْرِ ، والله المستعان على الدجل وأصحابه. وما أكثر الدجَّالين. وهُم في الحقيقة يمهدون للأعور المسيخ الدجال. حتى إذا جاء لمْ تكُنِ الفتنةُ به بعيدة.)

مَازَالَـــــتْ فِـــــي وَجْهِـــــكَ تَطْفُـــــو ... وَتُعَرْبِـــــدُ فِـــــي الأَرْضِ وَتَعْلُـــــو

وَالبَاطِـــــلُ عِنْـــــدَكَ مَقْـــــرُوْرٌ ... فَبِـــــهِ تَسْـــــعَى ، وَلَـــــهُ تَهْفُـــــو

مَقْتُـــــوْلٌ مَـــــنْ يهْـــــوَى عِنَبًـــــا! ... مَيـــــتٌ مَـــــنْ كَـــــانَ لَكُـــــمْ يرْنُـــــو!

وَالمَـــــاءُ عَلَـــــى عَجَـــــلٍ يجْـــــرِي ... وَالصَّـــــخْرُ عَلَـــــى وَجَـــــلٍ يكْبُـــــو

وَكُنُـــــــــوْزُ الأَرْضِ فَمُخْرجَـــــــــةٌ وَالـــــذَّهَبُ عَلَـــــى السُّـــــنْدُسِ يعْـــــدُو

وَالفِضَّـــــــــةُ رَطْـــــــلٌ بِرَغِيـــــــفٍ وَالمَـــــــــالُ بِأَيـــــــــدِيكُمْ يرْبُـــــــــو

مَـــــنْ كَـــــانَ يرِيـــــدُ سَـــــلامَتَهُ لا ينْسَـــــــى أَبَـــــــدًا ، أَوْ يسْـــــــهُو

عَـــــنْ إِخْـــــــلاصٍ لِعِبَـــــــادَتِكُمْ أَوْ يرْحَـــــــلُ ، لا وقـــــــت ليلْهُـــــــو

لَـــــمْ يعْـــــرِفْ قَلْـــــبُكُمُ رِفْقًـــــا لَـــــمْ يُخْلِـــــصْ أَبَـــــدًا ، أَو يصْـــــفُو

فَالقَلْـــــــبُ المُخْلِـــــصُ فَيَّـــــاضٌ بِـــــالنُّوْرِ وَبِـــــالتَّقْوَى يشْـــــدُو

وَالقَلْـــــــبُ البَائِـــــدُ مَـــــرْذُوْلٌ وَعَلَـــــى تَهْوِيلَتِـــــهِ يطْفُـــــو

وَإِذَا فِـــــي الأَرْضِ رَأَى دَعَـــــةً لا يتْرُكُهَـــــا ، وَلَهَـــــا يسْـــــطُو

كَـــمْ فِـــي شُـــطْآنِكَ مِـــنْ مَرْسَـــى! والمُـــؤمِنُ فِـــي قَـــاعٍ يرْسُـــو

وَعَـــدُوُّكَ مَـــنْ حَـــرَّكَ طَرْفًـــاً أَو حَتَّـــى فِـــي حُلْـــمٍ يشْـــكُو

أَوْ نَـــوَّهَ بِالكَيـــدِ وَأَغْـــرَى أَو حَتَّـــى بِالآهَـــةِ يخْلُـــو

أَو حَتَّـــى فـــي السِّـــرِّ تَلَـــوَّى أَوْ بَـــاتَ عَلَـــى شخصـــك يـــدْعُو

أَوْ يوْمًـــا فِـــي الـــدَّمْعِ تَـــوَارَى أَوْ لَـــيلاً فِـــي الظُّلْمَـــةِ يعْنُـــو

أَوْ تَـــوًّا فِـــي الصَّـــخْرَةِ أَمْسَـــى أَوْ فَـــرْدًا فِـــي الخَيبَـــةِ يجْثُـــو

لَـــــوْ مَـــــاتَ بِحَالَتِـــــهِ هَـــــذِي أَعَلَيـــــهِ - تُـــــرَى - مِثْلُـــــكَ يحْنُـــــو؟

وَكَـــــذَا أَتْبَاعُـــــكَ فِـــــي عَمَـــــهٍ وَعُيوْنُـــــكَ عَـــــنْ نُـــــوْرٍ تَغْشُـــــو

هُـــــمْ مِنْـــــكَ ، وَثَـــــمَّ إِلَيـــــكَ إِذَنْ وَعَلَـــــى أَقْـــــدَامِهِمُ تَخْطُـــــو

مَـــــنْ بَـــــاتَ بِمَـــــرْكَبِكُم يمْضِـــــي فَـــــإِلَى نَـــــارٍ أَبَـــــدًا يسْـــــمُو

وَكَـــــذَا مَـــــنْ كَـــــانَ يمَـــــازِحُكُم فَـــــأَرَاهُ بِمَـــــا يُـــــرْدِي يلْغُـــــو

مَـــــنْ كَـــــانَ يحِـــــبُّ صَـــــحَابتَكُم فَلِمَـــــاءِ نَضَـــــارَتِهِ يَمْحُـــــو

وكـــــذا مـــــن ظـــــل يُناصـــــحكم فـــــي وادٍ قفـــــر هـــــو يمكـــــو!

وَيمُـــــوْتُ بِعِلَّتِـــــهِ حُـــــرٌ يفْضَـــــحُ بَـــــاطِلَكُمْ ، أَوْ يهْجُـــــو

وَالـــــنَّفْسُ لِـــــذَلِكَ فِـــــي قَلَـــــقٍ وَالقَلْـــــبُ بِلَوْعَتِـــــهِ يقْسُـــــو

فِـــــي يُمْنَـــــى المَـــــرْءِ تَجَارِبُـــــهُ أَمَّـــــا اليسْـــــرَى فَثَـــــرىً تَحْثُـــــو

بَـــــينَ حَدِيـــــدٍ وَجَـــــلاوِذَةٍ وَالمَـــــرْءُ لِحُفْرَتِـــــهِ يحْبُـــــو

وَالعِنَبَـــــةُ مَازَالَـــــتْ تَطْفُـــــو وَالعَـــــينُ الأُخْـــــرَى لا تَغْفُـــــو

هِـــــي تَفْصِـــــلُ فِـــــي كُـــــلِّ قَضَـــــاءٍ هِـــــي سَـــــيفٌ أَبَـــــدًا لا يخْبُـــــو

هِـــــي فَـــــوْقَ الكُـــــلِّ مُسَـــــلَّطَةٌ هِـــــي قَـــــوْلٌ ، وَالحَـــــادِي يتْلُـــــو

هِـــــي نَثْـــــرٌ ، والنَّـــــاسُ تُحَيـــــي هِـــــي شِـــــعْرٌ ، وَالسَّـــــارِي يرْغُـــــو

هِـــــي سَـــــوْطٌ وَالجَـــــلاَّدُ مَعًـــــا هِـــــي قُفْـــــلٌ وَالحَـــــارِسُ يـــــدْحُو

هِـــــي حَبْـــــلٌ وَالقَصَّـــــابُ مَعًـــــا هِـــــي رُمْـــــحٌ ، وَالقَاضِـــــي يبْلُـــــو

وَالنَّـــــاسُ تُرِيـــــدُ لَهَـــــا فَقْـــــأً لِيـــــزُوْلَ مُصَـــــابٌ ، أَوْ يجْلُـــــو

أَوَتُفْقَـــــأُ عَـــــينٌ بِـــــتَمَنٍّ؟ الأَمْـــــرُ إِلَـــــى الضَّـــــحْكَةِ يـــــدْعُو!

أَوَتَفْقَـــــأُ عَينًـــــاً آمَـــــالٌ؟ أَوَتَفْقَأهَـــــا كَلِمَـــــةُ (نَرْجُـــــو)؟

يـــــا عِنَـــــبَ الـــــوَهْمِ ، وَلا عِنَـــــبٌ عُنْقُـــــوْدُكَ بِـــــالبَلْوَى يزْهُـــــو

لَمْلِـــــمْ حَبَّاتِـــــكَ ، وَاعْصِـــــرْهَا فِـــــي لَيـــــلِ الغَفْلَـــــةِ لا تَغْلُـــــو

يوْمًـــــاً تَنْـــــدَحِرُ دَغَـــــاوِلكُمْ وَكَـــــذَا مَـــــنْ لِخُطَـــــاكُمْ يقْفُـــــو

جريدة الوحدة العربية: (6953). 9من جمادى الأولى 1416هـ ، 3 من أكتوبر لسنة1995م

غابة يرسمها القريض!

(إنَّ الحضارة الغربية التي يعايشها الناس اليوم قد غيرت كثيرًا من القيم والمبادئ التي اصطلح على العمل بها على مدى الحقب والأجيال ولم تمس. إنها حضارة اللذة والمتعة. إنَّ الناس عندما لا يلتزمون بأوامر الله ولا يتبعون سنة رسوله ﷺ لا يهلكون إلا أنفسهم. ففي الدنيا الضنك والتخلف والشقاء والخزي وطمع الأعداء وذيل الأمم والشعوب ومؤخرة الحضارات. وفي الآخرة عذابُ الله. ومنذ زمن بعيد والشريعة الربانية سجينة في بطون الأسفار والكتب والمخطوطات والمراجع. ولا وجود لها البتة في عالم الشهادة الملموس. وكأن الناس يعتقدون أن الشريعة تنزلت لتسكن بطون الأسفار والكتب ، لا لتكون نبراسًا يضيء الدروب. ونسأل الله العافية على العهود التي مرجت ، وعلى الذمم التي خربت ، وعلى القلوب التي فسدت ، وعلى الضمائر التي بيعت ، وعلى الأعراض التي انتهكت ، وعلى الأموال التي نُهبت ، وعلى الأراضي التي اغتُصبت ، وعلى المكاييل التي طففت. إن بُعد الناس عن الشرع والتقوى خلَّف كوارثَ وطوى ما ليس يستطيع اليراع وصفه. إن جُلَّ الناس اليوم يعيشون في غابة لا أخلاق فيها ولا قيم ، ولا آداب ، ولا زواجر ، ولا روادع. يقول الأستاذ عمر عبد الله المقبل واصفاً ظلمات الظلم يوم القيامة: (إن هذه القاعدة النبوية الجليلة: الظلم ظلمات يوم القيامة لا تستثني أحداً من الناس ، ويعظم الوعيد ويشتد على من استغل قوتَه أو مكانتَه أو سلطتَه في ظلم العباد ، وانظر كيف كانت نهاية فرعون حين تجبر وطغى. فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ، ولمّا ذكر اللهُ قصةَ ثمود وما حلّ بهم ، قال تعالى: فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، فظلم العباد من أسرع موجبات الهلاك والخراب للأمم والمجتمعات ، وفي التاريخ عبرة. وإن من الظلمة من يغتر بإمهال الله له ، فيأْكُل أَمْوَال النَّاس ، ويَأْخذهَا ظلماً ، أو يظلم النَّاس بِالضَّرْبِ والشتم والتعدي ، والاستطالة على الضُّعَفَاء ، ولكن ليعلم كل ظالم أن له يوماً لا يُخلف ، قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) ، وقال: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ، وقال: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ).هـ. والغابة التي أصورها في قصيدتي ليست تشبه عالم الحيوان الذي هو آية في السلام والمعاني العظيمة التي تقاعس بنو البشر عن أن يحاكوا صورتها. إن عالم الحيوان ليعيش في سلام ووئام ومحبة وتكافل ونسأل: لماذا؟ والجواب: لأنه لم يخرج على شرع الخالق المشرع القدير الحكيم اللطيف الخبير. إن الحيوانات لها ناموس رباني لا تتخلف عن سُننه ولا تحيد عن قوانينه قط. (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى). وإذن فالغابة التي أعني هي غابة عالم الإنسان. تَغَيرَ الزمانُ وتغيرَ الحالُ إلى أنْ عاشَ المرءُ في عالمٍ يحْقِدُ بعضُهُ على بعض. ويودُّ المرءُ لوْ أنْ يفارقَه إلى العالم الآخر. والحبُّ هِبَةُ الله. والحنيفيةُ هي الجديرةُ بأنْ تُعيدَ الحقَّ إلى نِصابِه والقَوْسَ إلى باريها.)

بِفَحْـــــوَاكَ الـــــوَدُوْدُ السَّـــــاجِيةْ ... تَصَـــــوَّرْ يـــــا قَرِيضِـــــي الهَاوِيـــــةْ

وَمُـــــجَّ الحِبْـــــرَ فِـــــي قِرْطَاسِـــــهَا ... وَحَبِّـــــرْ بِـــــاليرَاعِ القَافِيـــــةْ

وَأَوْغِـــــلْ فِـــــي الأَمَـــــانِي وَالمُنَـــــى ... وَصَـــــوِّرْ بِالـــــدَّوَاةِ الطَّاوِيـــــةْ

وَجُـــــدْ بَـــــالنَّوْرِ كَثْـــــرْ عِطْـــــرَهُ ... وَجِـــــدَّ السَّـــــيرَ نَحْـــــوَ البَادِيـــــةْ

أَلا يـــــا رُوْحَ شِـــــعْرِي غَـــــرِّدِي ... وَكُـــــوْنِي بِالوَصَـــــايا دَارِيـــــةْ

وَإِنَّ الضَّـــــيفَ شِـــــعْرِي وَالصَّـــــدَى ... وَرُوْحِـــــي لِلتَّحَايـــــا صَـــــاغِيةْ

وَهَـــــاتِي الشَّـــــهْدَ زَهْـــــرًا يُشْـــــتَهَى ... وَهَـــــاتِي اللَّفْـــــظَ كُـــــوْنِي وَاعِيـــــةْ

دِنَـــــانُ الشَّـــــعْرِ دُوْنِـــــي عَجِّلِـــــي ... وَصُـــــبِّي الشِّـــــعْرَ فِـــــي ذِي الآنِيـــــةْ

وَكُـــــوْنِي النّـــــوْرَ فِـــــي لَيـــــلِ الـــــدُّجَى ... وَكُـــــوْنِي الصَّـــــحْبَ عِنْـــــدَ الدَّاهِيـــــةْ

عَجِيـــــبٌ أَنْ يُـــــوَارَى شِـــــعْرُنَا! ... قَـــــوَافِي الشِّـــــعْرِ أَمْسَـــــتْ دَامِيـــــةْ

وَصَـــــدْرُ البَيـــــتِ فِـــــي صَـــــدْرِي خَبَـــــا ... وَرُوْحُ البَيـــــتِ أَمْسَـــــتْ نَائِيـــــةْ

وَأَطْيـــــافُ الهَـــــوَى تَهْجُـــــو الحِمَـــــى ... وَتَفْتَـــــاتُ الظَـــــلال الآنِيـــــةْ

وَدَمْـــــعُ العَـــــينِ فِـــــي القَلْـــــبِ اكْتَـــــوَى ... بِنَـــــارِ البَـــــينِ تِلْـــــكَ العَاتِيـــــةْ

وَوَهْـــــجُ الـــــوَهْمِ أَدْمَـــــى أَضْـــــلُعِي ... بِـــــرُمْحِ العَـــــينِ تِلْـــــكَ الجَافِيـــــةْ

وَشِـــــعْرِي فِـــــي القَـــــرَاطِيسِ اشْـــــتَكَى ... وَأَلْقَـــــى مِنْـــــهُ لامَ النّاهِيـــــةْ!

أَنَـــــاغِي فِيـــــهِ مَجْـــــدًا شَـــــارِدًا ... فَـــــأَلْقَى مِنْـــــهُ لامَ النّافِيـــــةْ!

وَإِنَّ الشِّـــــعْرَ يكْـــــوِي أَضْـــــلُعِي ... بِأَلْفَـــــاظٍ تَعَالَـــــتْ هَاذِيـــــةْ

وَمَـــــا أَذْنَبْـــــتُ لَكِـــــنْ صِـــــدْقَهُ ... عَلَـــــى مِثْلِـــــي سَـــــتَبْكِي البَاكِيـــــةْ

وَإِنَّ الـــــدَّرْبَ أَعْيـــــاهُ النّـــــوَى! ... وَحَـــــالُ الجَمْـــــعِ بَاتَـــــتْ جَاسِـــــيةْ

أَفِـــــي الغَابَـــــاتِ نَحْيـــــا يـــــا تُـــــرَى؟ ... أَبَـــــاتَ الصِّـــــدْقُ بَلْـــــوَى قَاسِـــــيةْ؟

أَيُمْسِـــــي المَـــــرءُ طَعْمًـــــا سَـــــائِغًا ... وَتُرْدِيـــــهِ الخُطَـــــوْبُ الطّاغِيـــــةْ؟

أَيغْـــــدُو آكِـــــلاً لَحْـــــمَ الـــــوَرَى؟ ... أَذْوَبَـــــانٌ تَزِيـــــدُ الدَّاهِيـــــةْ؟

أَيطْغَـــــى دُوْنَ حَـــــدٍّ عَاقِـــــلٌ ... وَيحْيـــــا كَـــــالوُحُوْشِ الضَّـــــارِيةْ؟

عَلَـــــى سَـــــاقَينِ يسْـــــعَى الـــــوَحْشُ لا ... يُبَـــــالِي مِـــــنْ حَـــــدِيثِ الغَاشِـــــيةْ

وَفِيـــــهِ الـــــرُّوْحُ مَاتَـــــتْ وَالنّهَـــــى ... تَـــــرَدَّى فِـــــي نَعِـــــيمِ الفَانِيـــــةْ

وَيرْضَـــــى العَـــــيشَ ظَلْمًـــــا كُلّـــــهُ ... حَيـــــاةٌ بِالمَعَاصِـــــي دَاجِيـــــةْ

وَيهْـــــذِي فِـــــي بَلايـــــا ظَلْمـــــهُ ... وَيخْتَـــــرعُ الزَّيـــــوْفَ الوَاهِيـــــةْ

يُـــــدَاجِينَا ، وَيسْـــــعَى هَـــــازِلاً ... وَيُزْجِـــــي فِـــــي التَّـــــدَاجِي حَاشِـــــيةْ

وَيمْضِـــــي فِـــــي سَـــــرَابٍ بَائِـــــدٍ ... لَـــــهُ فِـــــي الهَـــــزْلِ فَحْـــــوَى طَافِيـــــةْ

كَـــذَاكَ الفِيـــلُ فِـــي الغَـــابِ انْـــزَوَى ... وَحَيـــاتٌ خَبَـــتْ فِـــي زَاوِيـــةْ

وَبُـــوْمُ الغَـــابِ يوْذِيهَـــا الضِّـــيا ... وَيُشْـــجِيهَا الـــدُّجَى كَالغَانِيـــةْ

فَتَعْـــرُو فِـــي الخَفَـــا كَـــيلا تُـــرَى ... أَبَاتَـــتْ سُـــنّةَ ذِي جَارِيـــةْ؟

نُمُـــوْرٌ تِلْـــكَ نَحْيـــا بَينَهَـــا ... وَتَطْـــوِي لَحْمَنَـــا كَالمَاشِـــيةْ

أَمَانَـــاتٌ لَوَتْهَـــا أَكْلُـــبٌ ... تُحَـــابِي فِـــي البَـــوَادِي عَاوِيـــةْ

وَحَـــقٌ ضَـــاعَ مِـــنْ أَصْـــحَابِهِ ... وآمَـــالٌ لِهَـــذَا خَاوِيـــةْ

وآسَـــادٌ لَهَـــا أَوْجُ الـــذُرَى ... وَغِـــزْلانٌ تُرَائِـــي غَاوِيـــةْ

تَعِـــيشُ الأُسْـــدُ ، إِنّـــا لَلْفِـــدَا ... وَتَحْيـــا أَنْسُـــرٌ فِـــي عَافِيـــةْ

كَـــذَاكَ الـــذِّئْبُ يحْيـــا بَاسِـــمًا ... وَيطْـــوِي بِـــالنّيوْبِ العَاتِيـــةْ

وَلَـــمْ أَشْـــهَدْ كَـــأَفْعَى غَابَـــةٍ ... لَهَـــا فِـــي كُـــلِّ وَادٍ حَامِيـــةْ

فَـــلاَ حـــزنٌ وَلاهَـــمٌ إِذَنْ ... حَيـــاةٌ تِلْـــكَ جِـــدًّا شَـــافِيةْ

فَيـــا هَـــذِي الضَـــوَارِي ، أَبْشِـــرِي ... وَعِيشِـــي العُمْـــرَ هَـــذَا لاَهِيـــةْ

بَقَـــاءٌ صَـــارَ لِلأَقْـــوَى لِـــذَا ... يمُـــوْتُ الكُـــلُّ ، أَنْـــتِ البَاقِيـــةْ

وفِـــي شَـــمْسِ النّهَـــارِ اسْتَأسِـــدِي ... لَـــكِ الـــدُّنْيا إِمَـــاءٌ عَانِيـــةْ

وَمَـــنْ أَعْطَـــى أَمَانًـــا سَـــاذِجٌ ... وَأَثْمَـــانُ النّوَايـــا غَالِيـــةْ

سَـــيُطْوَى لَـــيسَ يُنْجِيـــهِ الجَـــوَى ... وَيُرْمَـــى فِـــي ظَـــرُوْفٍ قَاسِـــيةْ

لِـــذَا فَاسْـــمَعْ وَصَـــايا مُخْلِـــصٍ ... تَـــذَأَبْ تَنْـــتَعِشْ بِالعَافِيـــةْ

وَكُـــنْ لَيثًـــا بِقَلْـــبٍ مُـــوْقِنٍ ... وَحَـــاذِرْ مِـــنْ عُيـــوْنٍ سَـــاجِيةْ

وَدَقِّـــقْ فِـــي تَصَـــارِيفِ الـــوَرَى ... وَعَاشِـــرْ كُـــلَّ نَفْـــسٍ زَاكِيَـــةْ

وفِـــي كُـــلِّ الأُمُـــوْرِ احْسِـــمْ ولا ... تُمَاطِـــلْ مَـــنْ تَغَـــابَى ثَانِيـــةْ

فَقَـــدْ سَـــادَتْ ضَـــوَارِي غَابَـــةٍ ... وَلَـــمْ تُصْـــبِحْ لِحُـــرٍّ نَاحِيـــةْ

عدد جريدة الوحدة العربية: (6978)

8من جمادى الآخرة1416هـ. الموافق1 من نوفمبر لسنة1995م.

يا صاح فيم اعتذاري؟!

(جرت العادة أن يساوم أهل الباطل أصحاب الحق علي تقديم شتى التنازلات للباطل وأهله. وكم هي حيرة مُرة بغيضة مقيتة من جانبهم. حَيرة بين تنازل عن حق وقيمة فى جهة ، وتهديد ووعيد فى جهة أخرى. ولا يخسر صاحب القيم الجولة ، بل يخسر مطلقاً أصحاب الباطل. إذ يجمعون على أنفسهم خزى الدنيا بكونهم من أهل الضلال سمتاً ، وعذاب الآخرة لأنهم أتوا أعمال الباطل ونقموا من أهل الحق. تقول الأستاذه سميرة بيطام وتحت عنوان (ليس منطقياً عدم نصرة المظلوم) ما نصه: (قضية السكوت عن نُصرة المظلوم ، فيتجاوز الساكت نصابه من المنطق ، بل يَخترقه لأبعد حدٍّ من السذاجة ، فتتحوَّل حِكمة الصمت من حكمة الرضا وتجاوز الأزمات ، إلى فتنة التولي عن قول الحق وملازَمة الضعيف لحين يستعيد قوَّته وعُنْفوان لياقته العقلية والنفسية ، فيُصبح الدور هنا هو الخذلان وعدم الوقوف وقت الأزمات ، لتبدو الصداقة أو الأخوة على غير ما هو متعارف عيله على أكمل وجه من نصاب الشجاعة والصدق والوفاء ، ثم بغير عُرى العلاقة المتينة التي تربط بين المسلمين لن ننتصر على ما يُهدِّدنا من ضعف ؛ فقد حثَّ ديننُا الحنيف على التآزُر والتواصي بالحق ، والوقوف وقت الأزمات ؛ ليتحقَّقَ فينا مصطلح مسلمين ؛ لأن الوصول إلى المطلوب لا يتوقَّف على الهَجر والابتعاد والاكتفاء بالسكوت ؛ وإنما بالمبادرة وأداء الميسور من الدور بحسب القُدرة وبحسب الظرف من غير أن يزيد ذاك التدخل إلى مزيد من الفتن وتَشتيت الشمل ، فالإنسان المؤمن والساعي للخير كيِّس فَطِن ، يُمسك زمام الأمور بوسطية مُعتَدِلة ؛ حيث لا يكون فيها إفراط ولا تفريط ، وما أحوَجَنا لعامل الصدق في سلوكياتنا ، فحتى لو لم تتوفَّر القدرة والطاقة اللازمتان للنُّصرة فلا ضرر ولا ضرار في الاكتفاء بالدعاء ؛ لأنَّ ما يؤلم هو ذاك الصمت المفتعل والمعبِّر عن مكنونات نفس خبيثة تتمنى الألم والعذاب والأسى والضعف للغير ، ثم ما الفائدة ، وما هو المغزى ، وما هي النتيجة من كل هذا الحياد السلبي؟ والله هو الناصر حقيقة أولاً وأخيرًا ، لكننا بشر ، ونتفاعل وسط مجتمع ، ويحتاج فينا الضعيف للقويِّ كسند ظاهر بحسب درجة القرابة وبحسب صلة الضعيف بالقويِّ ، فإن دعت ويسرت الظروف لمد يد العون والمساعدة فلا بدَّ من تقديمها وعلى أكمل أداء من غير إحراج أو إشعار بأن ذاك الواجب قد يتحول إلى نوع من العطاء بمُقابل مستقبلي ، فتتحول الروحانيات إلى ماديات وإلى مصالح ، فيغيب الفهم الحقيقي لتعاليم الدين ، ويختلط بذلك الهوى النفسي مع ما كان واجبًا بل لازمًا أحيانًا من نصرة المظلوم).هـ. والاعتذار عن الخطأ أمر منطقي. ولكن الاعتذار عن الحق أمر غير طبيعي. ويوم يراود المرء عن حقه ، ويُحمل على أن يعترف بما لم يقترف فعليه أن يصمد ويواجه. والاعتذار كما أسلفنا ثقافة غابت عن حس وشعور وعاطفة الكثيرين اليوم! والعجيب أن من يُخطئ ويتجاوز في حق أخيه لا يعتذر رغم وضوح الخطأ والتجاوز! والأعجب من هذا أن يُطلب من المظلوم الذي هُضِمَ حقه أن يعتذر للظالم المتجاوز غاصب الحق! وتحت عنوان: (ثقافة الاعتذار في الإسلام) كتبتْ الأستاذة الأديبة أبرار عليان تقول نصاً بتصرف: (ألا إن الاعتذار أدب إسلامي محض ، حيث يُعتبر اعتذار الإنسان المذنب مع اعترافه بالخطأ من الآداب الإسلامية في التعامل مع الآخرين ، والذي يبعد عن الإنسان شعوره بالتكبر ، وينفي من قلوب الآخرين شعور الحقد والكراهية ، ويعتبر خلق الاعتذار عند الخطأ من التواضع ، فالإنسان المتواضع بعيدٌ كل البعد عن المكابرة في الدفاع عن نفسه ، وهو يدرك جيداً أن الاعتراف بالخطأ هو أطيب للقلب ، وأدعى إلى العفو ، وأن منزلته لن تنتقص عندما يعترف بخطئه ، والمسلم لا ينتظر أن يُسيء ليعتذر ، بل من الممكن أن يكون الاعتذار توضيحاً للقصد أو الموقف. ويعتبر خلق الاعتذار من الأخلاق الإسلامية التي تقي المجتمعات الإسلامية من سوء الظن ، وتبادل التهم التي إن استقرت في القلب ، لم يعد يجدي معها أي اعتذار ، أما فيما يتعلق بالشخص المعتذر إليه ، فعليه أن يعفو ويصفح عن المخطئ ويتقبل

اعتذاره بطيب نفس ، فذلك مما يشجع الناس دائماً على الاعتذار والإقرار بالخطأ ، فسوء مقابلة المعتذر ، وتشديد العتاب عليه ، قد تجعل النفوس تصر على الخطأ ، وتأبى الاعتراف بالزلل. ومن هنا فلنعلم أن فوائد الاعتذار متعددة جداً ونافعة لكلا الطرفين! نعم هنالك العديد من الفوائد للاعتذار ، والتي تنعكس إيجابياً على المجتمعات المسلمة ، منها ما يأتي: الاعتذار يمحو الذنب ، فهو دال على تواضع المعتذر وعدم مكابرته على الخطأ. والمسلم الذي يقبل العذر من أخيه ، يُعينه دائماً على الاعتراف بالخطأ ، وعلى فعل الخير. والاعتذار يجنب الناس الهلاك بسوء الظن وتقاذف التهم ويصفي القلوب. والاعتذار ينبع عن تواضع وإنصاف ، كما أن قبول المعتذر إليه العذر يدل أيضاً على تواضعه ، وإن الله يحب المتواضعين. والاعتذار يؤدي إلى استجلاب المنافع من المعتذر إليه. والاعتذار يجعل المجتمعات الإسلامية أكثر مرونة. وفوق ذلك كله اقتداء المعتذر بالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، فقد كان الاعتذار أدباً مميزاً لمجتمع الصحابة. وهنالك العديد من الأحاديث النبوية الواردة في الاعتذار ، ومنها ما يأتي: قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إيَّاك وكلَّ ما يُعتذَرُ منه) ، فالاعتذار من الأخلاق الحسنة ، ولكن الأفضل منه هو أن يحذر الإنسان من الوقوع في موقف يجعله مجبراً على الاعتذار. وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخطَّائينَ التوَّابونَ) ومن التوبة الاعتراف بالخطأ ومحاولة علاجه. عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: (كَانَتْ بيْنَ أبِي بَكْرٍ وعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ ، فأغْضَبَ أبو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عنْه عُمَرُ مُغْضَبًا ، فَاتَّبَعَهُ أبو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أنْ يَسْتَغْفِرَ له ، فَلَمْ يَفْعَلْ حتَّى أغْلَقَ بَابَهُ في وجْهِهِ ، فأقْبَلَ أبو بَكْرٍ إلى رَسولِ اللَّهِ ، فَقالَ أبو الدَّرْدَاءِ ونَحْنُ عِنْدَهُ: فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمَّا صَاحِبُكُمْ هذا فقَدْ غَامَرَ قالَ: ونَدِمَ عُمَرُ علَى ما كانَ منه ، فأقْبَلَ حتَّى سَلَّمَ وجَلَسَ إلى النبيِّ ، وقَصَّ علَى رَسولِ اللَّهِ الخَبَرَ ، قالَ أبو الدَّرْدَاءِ: وغَضِبَ رَسولُ اللَّهِ ، وجَعَلَ أبو بَكْرٍ يقولُ: واللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أظْلَمَ ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ: هلْ أنْتُمْ تَارِكُونَ لي صَاحِبِي ، هلْ أنْتُمْ تَارِكُونَ لي صَاحِبِي ، إنِّي قُلْتُ: يا أيُّها النَّاسُ ، إنِّي رَسولُ اللَّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعًا ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ ، وقالَ أبو بَكْرٍ: صَدَقْتَ قالَ أبو عبدِ اللَّهِ: غَامَرَ: سَبَقَ بالخَيْرِ).هـ. وفي هذه القصيدة أبين هذا المعنى الغائب والذي تبينه ثقافة الاعتذار! إن المخطئ ينبغي أن يعتذر لمن أخطأ في حقه! ولا يحمله حملاً على الاعتذار له! لأن من حقه أن يسل هذا المتجاوز: فيم اعتذاري وأنت الذي تجاوزت في حقي؟!)

ألا فـــــيم اعتـــــذاري يـــــا أخَـــــيّ؟ أتهـــذي فـــي اليبـــاب النرجســـيّ؟

ألا يـــــا صـــــاحبي فـــــيم الأســـــى وقـــد بـــات اللظـــى قـــوت الأبـــي؟

وإن الغـــــــدر يُـــــــودي بالوفـــــــا وقلّـــــتْ حِيلتـــــي خلـــــف الـــــدوي

وخـــــان الصـــــحبُ عهـــــداً بيننـــــا وعـــــانى الصـــــدقُ أشـــــواقَ المُضـــــي

وجنـــــــات تعاماهـــــــا الـــــــورى ألا ، هـــــذا صـــــنيعُ الجـــــاهلي

ســـــأحكي قصـــــتي مـــــعْ صـــــاحب ســـــقاني الغـــــبنَ بـــــالقول الغـــــوي

وأودى بالأمـــــــــــاني والصِـــــــــبا ... وأردى بـــــــالتجني كـــــــل شـــــــي

تعارفنـــــــا ، وزرنـــــــا بعضـــــــنا ... وأعطـــــــاني المَعـــــين العَســـــجدي

وكانـــــت رغبتـــــي وصـــــلَ الفتـــــي ... وأضـــــحى بيننـــــا الحـــــب الحفـــــي

وكـــــان القلـــــب يرجـــــو أنســـــه ... رجـــــاء المســـــتهام العبقـــــري

وقـــــد زارت فـــــؤادي فكـــــرة ... يـــــدوم الـــــود هـــــذا اللـــــؤلئي؟

أم الواشـــــون يرمـــــون الحِمـــــي ... بأحجـــــار التجنـــــي يـــــا أخَـــــي؟

وقوّانـــــــا صـــــــديقٌ ثـــــــائرٌ ... وفـــــي المَكـــــروه مِعـــــوانٌ قـــــوي

تحـــــدّي الكـــــل فينـــــا صـــــابراً ... وجلـــــي مـــــن أحاديـــــث النبـــــي

وأعطـــــى مـــــا تبقـــــى عنـــــده ... مـــــن الأقبـــــاس والرشـــــد الخفـــــي

ولـــــم يبخـــــل علينـــــا لحظـــــة ... وخـــــص الصـــــحب بـــــالجود الرضـــــي

وكـــــان النـــــور فِـــــي ليـــــل الـــــدجي ... وكـــــان الصـــــحب فِـــــي الـــــدرب العصـــــي

وأمســـــى دربنـــــا نحـــــو الهـــــدى ... وكـــــان الحِـــــب والخِـــــل الـــــذكي

وأســـــدى عقلـــــه فـــــي هـــــامتي ... وأزجـــــى فكـــــره فـــــي مُقلتـــــي

تحابينـــــا ، وودعنـــــا الكـــــرى ... وأخلصـــــنا لحـــــب ســـــرمدي

وذابـــــت بيننـــــا أفكارنـــــا ... وقـــــوّى عزمَنـــــا نـــــورٌ ســـــوي

وأمســـــيْنا صـــــحاباً فِـــــي الـــــورى ... ومَـــــن أضـــــحى بعيـــــداً فالـــــدعي

ولـــــم نقبـــــل صـــــديقاً رابعـــــاً ... تعاهـــــدنا علـــــى الوصـــــل الـــــوفي

وبتنـــــا خيـــــر مـــــن داس الثـــــرى ... خلعنـــــا كـــــل عُـــــرفٍ جـــــاهلي

تآخينـــــا بـــــأرواح ســـــمتْ ... وأخـــــلاق يُـــــدانيها التقـــــي

وعُـــــدنا للـــــدليل المهتـــــدي ... ولـــــم نعـــــرف هِيـــــاج المـــــذهبي

علونـــــا فـــــوق أخطـــــاء الـــــورى ... ومـــــا مـــــن بيننـــــا غِـــــر عَتـــــي

وشـــــــاء الله أن ينـــــــأى الضـــــــيا ... بعيـــــداً - بـــــات هـــــا ذاك - الفتِـــــي

وعانينـــــــا فراقـــــــاً لاعجـــــــاً ... وظـــــن المـــــوت مـــــأفون غبـــــي

وناشـــــــدناه: هيـــــــا فانتشـــــــلْ ... رفاقـــــاً أنـــــت مـــــنهم يـــــا ولـــــي

ولا تـــــــنس الوصـــــــايا والوفـــــــا ... وكـــــن خـــــلاً ، لـــــه قلـــــبٌ تقـــــي

وقـــــد كنـــــت الصـــــديق المرتجـــــي ... تـــــذكرْ ، أنـــــت بالـــــذكرى حـــــري

وإن الـــــــود بـــــــاق بيننـــــــا ... عـــــن التعريـــــف أتقانـــــا غنـــــي

فآتانـــــــا خطابـــــــاً عـــــــاجلاً ... وطـــــال الوعـــــد بالحســـــني علـــــي

فعـــــاودت اتصـــــالي لـــــم أثـــــرْ ... ورجعـــــتُ التحايـــــا والـــــروي

وطـــــــرزت احتفـــــــائى بـــــــالمُنى ... وآفـــــاق الأمـــــاني فِـــــي يـــــدَي

وأمّلـــــــتُ الرحيـــــــل المجتبـــــــي ... وأمســـــي الطـــــوق ممتـــــداً إلـــــي

ووفـــــى العهـــــدَ حتـــــى ســـــرني ... وداري قـــــد قلتنـــــي والمُطـــــي

وفارقـــــــتُ الأهـــــــاليَ باســـــــماً ... فلـــــي فـــــي غربتـــــي خـــــلٌ شـــــجي

وغطـــــت فرحتـــــى بلـــــوى النـــــوى ... بلقيـــــا صـــــاحب شـــــهم نـــــدي

وعشـــــنا شـــــعلة تهـــــدي الـــــورى ... لـــــدين الله والـــــدرب العلـــــي

وكانـــــت محنـــــة المـــــولى لنـــــا ... ليُـــــدرى الشـــــهمُ مِـــــن ذاك الـــــردي

وضـــــم الله نبراســـــاً لنـــــا ... فقلنـــــا العـــــون فِـــــي الحـــــال الـــــدني

يشـــــد الأزر يحمـــــي ظهرنـــــا ... بـــــآي الـــــذكر يحمـــــي والعِصِـــــي

يـــــرد الكيـــــد ، لا يخشـــــى العِـــــدا ... وفـــــوق الســـــاعد الفـــــذ القِسِـــــي

ولكـــــنْ فيـــــه أغضـــــى ظننـــــا ... وأمســـــى ســـــيف عـــــدوان عيـــــي

وأخفى كيده في خِسةٍ ... وقد أمسيت نهباً للشقي

وثانينا تمطى هازلاً ... طواه الهزلُ طياً أي طي

وباع الدين والتقوى معاً ... ولوى الإيمانَ ليّاً بعد لي

وصارا مِشفراً فوق الهُدى ... يُدَمّي في الدياجي كل حي

وقد هزا فؤادي جهرة ... وشجا قلب مولودٍ لدي

وما ذاقا اغترابي في الدنا ... ولا ارتاحت أساريرُ الصبي

وما صدقت فيهم واشياً ... وأكثرتُ احتسابي ثم وي!

وفي جمع تناقشنا معاً ... فقالا: قد فعلنا كل شي

نقاشٌ دام ساعاتٍ ، وما ... سمعت الحق لكنْ كل غي

وقد ملت أساريرُ الملا ... مِن البهتان والزيف الغوي

فقلتُ: اللهُ قاضٍ بيننا ... وسُم الزيف أعمي ناظري

دعوتُ الله يقضي بيننا ... وأعلنتُ اعتصامي بالقوي

وإن الله مولى جنده ... وربي عن براياه الغني؟

إذن فيم اعتذاري يا أخَيّ؟ ... أعن حق؟ أعن قول النبي؟

وما ذنبي إذا ذل الفتى ... وأفضى مثلما تُفضي البغي؟

وأدمى عِرضنا ، باع الهُدى ... ويهذي أنه فينا الوصي

وأمسى لقمة تكلا العدا ... وأضحى عندهم نعم النجي!

ومحشو بأهواء الدنا ... وخال من هُدى ، بئس الخلي!

على اسم المصطفى كان اسمه ... ويأتي الزيف وضاح الفري

يبيع الحق ، يُردي أهله ... ولا تلقى لهذا من سَمي

لقـــــد أمســـــى بقيعـــــان الثـــــرى ... ويبـــــرا منـــــه دينـــــي والنبـــــي

أمـــــا زالـــــت تناغيـــــه الـــــرؤى ... هنـــــا مـــــن فجـــــر ربـــــي للعشـــــي

وقـــــد غاضـــــت فيوضـــــات الهُـــــدى ... علينـــــا مثلمـــــا اليـــــوم الشـــــتي

مضـــــى كـــــل الـــــذى بينـــــي سُـــــدى ... وبـــــين الغـــــادر الوغـــــد الـــــدجي

ولـــــن آســـــى علـــــى مـــــا قـــــد مضـــــى ... ويـــــوم الفصـــــل آتٍ ، يـــــا نسِـــــي

لقـــــد زالـــــت ســـــجايا عُرْبنـــــا ... وغابـــــت عـــــن ســـــنا الـــــدنيا (عـــــدي)

وقـــــد بـــــادت أمـــــالي شـــــرقنا ... مضـــــى مـــــن عـــــالم الـــــذكرى (لـــــؤي)

فلـــــيس الغِـــــر مـــــن أحنافنـــــا ... ولا مـــــن عُرْبنـــــا ذاك الـــــدعي

أرى أمثالـــــك - اليـــــوم - الغثـــــا ... وفـــــي ســـــاحتنا بـــــئس الـــــدلي!

وللجبـــــار إنـــــي أشـــــتكي ... ولقيانـــــا مُحـــــال يـــــا قصـــــي

عدد جريدة الوحدة العربية: (6951)
في يوم الأربعاء 7 من جمادى الأولى 1416هـ . والموافق1 من أكتوبر لسنة1995م.

سبيكة من هواء

(يتراءى لكثير من المتكلمين الذين أوتوا فِي صنع الكلام جدلاً ، أنهم يمكن – في لحظة من اللحظات - أن يزيفوا الحقيقة. ونجومُ السماء أقرب لهم. لذا فكلماتهم وإن كانت تأخذ شكل السبائك ، إلا إنها من هواء يُغلفها البريق الخادع الخاطف. وقد تستمر هذه الكلمات بين الناس حيناً من الدهر استدراجاً فقط! قال عبدُ الله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه: (لِسَانُكَ سَيْفٌ قَاطِعٌ يَبْدَأُ بِكَ وَكَلَامُكَ سَهْمٌ نَافِذٌ يَرْجِعُ عَلَيْكَ ، فَاقْتَصِدْ فِي المَقَالِ ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُوْغِرُ صُدُوْرَ الرِّجَالِ). وقال الأحنفُ رحمهُ الله تعالى: (الصَّمْتُ أَمَانٌ مِنْ تَحْرِيْفِ اللَّفْظِ ، وعِصْمَةٌ مِنْ زَيْغِ المَنْطِقِ ، وسَلَامَةٌ مِن فُضُولِ القَوْلِ ، وهَيْبَةٌ لِصَاحِبِهِ). وقال أبو سليمانَ رحمهُ الله تعالى: (المعْرِفَةُ إِلَى السُّكُوتِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى الكَلَامِ ، وقِيلَ: إِذَا كَثُرَ العِلْمُ قَلَّ الكَلَامُ ، وإِذَا كَثُرَ الكَلامُ قَلَّ العِلْمُ). وقال محمد بن واسع رحمه الله تعالى: (حِفْظُ اللِّسَانِ أَشَدُّ عَلى النَّاسِ مِنَ حِفْظِ الدِّينارِ والدِّرْهَمِ). يقول واسيني الأعرج: (الكذب في بلادنا ليس استثناء ، ولكنه من فرط التكرار صار يشبه الحقيقة). وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ». أخرجه البخاري. فليحذر الإنسان من لسانه وليتفقد كلماته! قال الحكماء: (ليسَ مِن شيءٍ أطْيَبَ مِن اللسانِ والقلبِ إذا طَابَا ، وليسَ مِن شيءٍ أَخْبَثَ منهما إذا خَبُثَا). وعن أبي عون الأنصاري رحمه الله تعالى قال: (مَا تَكَلَّم الناسُ بكلمةٍ صعبةٍ إلّا وإلى جَانبها كلمةٌ أَلْيَنُ منها تَجري مَجْرَاها). وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (الكلامُ كالدَّواءِ ، إنْ أقْلَلْتَ مِنهُ نَفَعَ ، وإنْ أَكْثَرتَ منه قَتَلَ). وقال الحكماء: (الكَلامُ اللَّينُ يَغْلِبُ الحقَّ البَيِّنَ). وقال شميط بن عجلان رحمه الله تعالى: (يا ابنَ آدم ، إنّكَ ما سَكَتَّ فأنتَ سالمٌ ، فإذا تكلَّمتَ فَخُذْ حِذْرَكَ: إمّا لكَ وإمّا عليكَ). وقال لقمان رحمه الله تعالى لولده: (يا بنيّ ، إذا افتخرَ الناسُ بِحُسْنِ كلامِهم ، فافتخرْ أنتَ بِحُسْنِ صَمْتِكَ). وهذه الحكمة من لقمان غاية في الجمال والإبداع! ويقول وليم شكسبير: (السمعة أكثر الخدع زيفاً وبطلاناً ، فهي كثيراً ما تكتسب دون وجه حق وتُفقد دون وجه حق). ويقول مصطفى صادق الرافعي (شكسبير مصر) : (الوعد الهازل جريء في الكذب. جريء في الاعتذار. حتى إنّه ليعد بإحضار القمر حين يستغني عنه الليل في آخر الشهر. فإذا لم يجيئوا به قالوا: سيتركه الليل في الشهر القادم). ويقول فريدريك نيتشه: (المُنحطّون في حاجة إلى الكذب. إنه أحد شروط بقائهم). ويقول: (ما من أحد يرتكب الكذب ، إلاّ تكلم ضد ضميره). ويقول: (الشاعر الذي يتقن الكذب عن وعي ومعرفة وحده القادر على قول الحقيقة). ومثل هذه الممارسات تصنع الفتنة بين الناس ولا شك!)

فتنـــــــــة هـــــــــذي وشـــــــــيكة ... وتســـــــــمّيها عريكـــــــــــة

إنمـــــــــا جـــــــــورٌ وطـــــــــيْشٌ ... وتخـــــــــاريفٌ ضـــــــــريكة

أتســـــــــمي الحُمـــــــــق عقـــــــــلاً؟ ... هـــــــــذه الـــــــــدعوى ربيكـــــــــة

فـــــــارسٌ فـــــــي كـــــــل زيـــــــفٍ ... بطـــــــلٌ أغـــــــرى المليكـــــــة

سـوف تغـدو ذات يـوم ... فـي دُنـا القـوم النسـيكة

سـوف لـن تسـعى لزيـفٍ ... أو لأوهـام ركيكـة

الـتمسْ هـدياً ودينـاً ... وادعُ للتقـوى الشـريكة

واهـدِ للإسـلام طفـلاً ... إنهـا نعـم الألوكـة!

بـتّ لـم ينفعـك مـالٌ ... لا ، ولا هـذي الفلوكـة

لا، ولا دنيـاك هـذي ... بـل ولا أرض مَديكـة

قيمـة الأرض التسـامي ... للفـراديس الضـحوكة

لـيس فـي الطـين الأمـاني ... بـئس هـذي مـن شـكيكة!

كُـفّ مـا تـدعو ، ونـوّر ... بـالتقى تلـك السـبيكة

إنمـا زيـفٌ ، وغـدرٌ ... وديـاجيرٌ وشـيكة

ودخـانُ الظلـم فيهـا ... سُـحْبُه فيهـا سـميكة

تقتـل المخلـوق عمـداً ... مثلمـا تهـدَى النسـيكة

عدد جريدة الوحدة العربية: (6979)
يوم الخميس 9 من جمادى الآخرة 1416هـ. والموافق2 من نوفمبر لسنة1995م.

غيض من فيض

(إن المجتمع الذى يرفع الأرذال في كل قطاعاته وشئونه ، ويجعلهم في الصدارة ، ويسلط عليهم الأضواء ، ويرفع فيهم من روح الإقدام والمجابهة والمواجهة والتحدى ، ويخلع عليهم الألقاب والشعارات ويغدق عليهم بالخيرات والعطايا والرواتب والهبات التي لا يستحقون ظلالها فضلاً عن حقيقتها ، أقول: إنه في الوقت الذي يفعل هذا مع الأرذال والأوباش ، الذين هم معدمو المواهب والقدرات والعطاءات والميزات والكفاءات بكل ما تعنيه الكلمة ، في الوقت الذى يفعل المجتمع هذا معهم ، نجده يحرم الكفاءات والمواهب وأصحاب المؤهلات والقدرات العلمية والفنية ، وأصحاب الضمائر الحية من رعاة العقيدة وحُماة القيم والمبادئ ، نجده قد حرم هؤلاء وحاربهم وقتر على من تُلجِئُهُ الحاجة إليه منهم. فنجد الكفاءات والمواهب والعباقرة والجهابذة والنوابغ المغاوير الأشاوس الصيد ذوى الاستعدادات العطائية المبدعة ، نجدهم على هامش الحياة فى مثل هذا المجتمع الضرير الكسيح الأشل. إن مجتمعات الأرض اليوم تصنع الشئ ذاته. والحق أن مثل هذه الممارسات الملعونة الرخيصة القذرة المبتذلة لتنشئ في النفس حسرة وحزناً وكرباً ، ويدور فيها الصراع. وخاصة إن جمع المجتمع إلى هذا التردى وتلك الخيبة البعد عن الشرع المنزل من عند الله ، وجعل المرتزقة الذين يلوون أعناق النصوص لتكون خادماً ذلولاً ذليلاً لما يريد الظالمون ليضفوا الشرعية على الجاهلية. قال الأستاذ محمود عاشور في وصف النفس الأمارة بالسوء ما نصه: (من الأنفس التي تحدث عنها القرآن الكريم النفس الأمارة بالسوء ، وهي التي تأمر صاحبها بالسيئات وارتكاب المعاصي والمحرمات ، وهي نفس غاب عنها الورع والخوف من الله ، لذا تغرق صاحبها في المعاصي والذنوب ، قال الله تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) ، وقال عنها الله تعالى: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم). والنفس الأمارة بالسوء تدفع صاحبها للوقوع في المعاصي ، ومجتمعات المسلمين ابتليت في هذه الأزمان بكثرة المعاصي والذنوب وانتشار المنكرات ، وقال ابن القيم: (المعاصي لها أضرار على القلوب مثل السموم في الأبدان ، وما في الدنيا والآخرة من شرور وداء إلا بسبب المعاصي والذنوب). ومن الناس من توسوس له نفسه الأمارة بالسوء ارتكاب الذنوب والمعاصي ويتساهل فيها طالما يؤدي أركان الإسلام وفرائضه ، ويعتقد أن الذنوب أمرها سهل والله غفور رحيم ، وهذا فكر غير صحيح ، فإن الله غفور رحيم وشديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ، قال تعالى: (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم). والمعاصي تورث الذل لصاحبها ، والوحشة بين العبد وربه وبين العبد والناس وقال عبد الله بن عباس: إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القبر والقلب وَوهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق. ومجاهدة النفس وإخضاعها للسير على صراط الله المستقيم وكبح جماحها من أن تشذ عن طاعته إلى معصيته أمر شاق ، لما جبلت عليه النفس من محبة الانطلاق نحو الشهوات والملذات ولكثرة تلك الشهوات التي لا تدع النفس تطمئن لحظة من اللحظات دون أن تهيج إلى هذه الشهوة ، وشاق لأن أكثر الناس هم شياطين إنس يعيشون على ارتكاب المعاصي وترك الطاعات ولأن الشيطان لا يكل عن الحث على التمرد على الله بشتى الأساليب والوسائل ، والإنسان إذا أراد النجاة في الدنيا والآخرة من عذاب الله يجب أن يحارب هذه النفس الأمارة بالسوء ويقف ضد هواها ، وإلا بعُد عن الصراط المستقيم إلى طريق الضلال ، والنفس تأمر

الإنسان بما تهواه وتصده عما يأمره الله به في كل لحظة ، فإذا انقطع عن مجاهدتها لحظة أوقعته فيما فيه حتفه وهلاكه).هـ. إن النفس الموحدة لتتحسر. وهي دائماً فى صراع مع النفس الأمارة بالسوء. فإذا كانت الجولة للأمارة بالسوء أتى دور النفس اللوامة. إلى أن ينتهى المصير إلى نفس مطمئنة. وإذن فالإنسان في صراع مع نفسه قبل أن يكون في صراع مع العالم حوله! وإنه ليجد ويجتهد في تعهد نفسه حتى تزكو!)

حبيسٌ في دجى الأرضْ ... يُعاني القهرَ والخفضْ

يصب الحزن في الكأسْ ... ويبكي سُخرة العِرض

وينعي غيبة الأهلْ ... ويشكو هجمة البعض

ويهجو عيشة الذل ... وإنْ بالطول والعَرض

ولم يهدأ له بالْ ... ولمّا يطعم الغمض

وراضٍ رغم ما حلْ ... ولمّا يعرفِ الرفض

وساج من أسى النفسْ ... ولا يقوى على الركض

يذرّ الخيرَ للغيرْ! ... وخلقٌ تتقن الدحض

وحربٌ كلها كيدْ ... وقومٌ أتقنوا القبض

فراتٌ ذلك القبضْ ... وطعمُ الحِل كالحِمض

عجيبٌ ذلك الأمرْ ... كأن الكيد كالرفض

وعبدٌ حطم الغُل ... ويحيا في دجى الأرض

ظلامٌ كله الجو ... ولا تقوى ، ولا وَمض

تتوق النفسُ للخيرْ ... وتطغى غصة الغيض

وتبدو لوعة الهجرْ ... وشوقٌ للهنا المحض

وتعلو فورة اللومْ ... ويحلو للسنا النهض

وقومي في ذرى الصمتْ ... ويدنو موكبُ البغض

وعهـــــــدٌ كـــــــان بـــــــالأمس وأمـــــــا اليـــــــوم فـــــــالنقض

وسُـــــــوق قـــــــام بـــــــالأمس وأمـــــــا اليـــــــوم فـــــــالفض

عيـــــــونٌ ترقـــــــبُ الحـــــــق وأمـــــــا اليـــــــوم فـــــــالغض

قلـــــــوبٌ تنصـــــــر الهـــــــدْي ولا دمـــــــــــعٌ ولا نـــــــــبض

وشـــــــرعٌ يشـــــــمل العـــــــيش فلـــــم يشـــــمل ســـــوى الحـــــيض

وديـــــــنٌ أصـــــــله الصـــــــدق وقـــــــد أودى بـــــــه الخـــــــوض

وغـــــــيضٌ هـــــــالني غـــــــيض وهـــــذا الغـــــيض مـــــن فـــــيض

عدد جريدة الوحدة العربية: (6965)
الثلاثاء 23 من جمادى الآخرة 1416هـ. والموافق17 من أكتوبر لسنة1995م.

فقاقيع الطلح

(يقول الأستاذ عزام الحملاوي واصفاً أصحاب القيم ما نصه: (تعتبر القيم والمبادئ والأخلاق فى أي مجتمع هي الأساس لأي مشروع نهضوى ، فلا تقوم أي نهضة حقيقية بدون أساس أخلاقي. وإذا كانت هناك أي مشاكل أو رياح مسمومة ومختلطة بالحقد فإنها تضرب وتنعكس على أصحابها وتكشف زيفهم ، ويظل المجتمع ومواطنيه بأخلاقهم وقيمهم ومبادئهم ليساهموا بنشاط وفاعلية في تحقيق الاستقرار فى مجتمعهم ، ولذلك فإن القيم والمبادئ والأخلاق والإيمان بالله سبحانه وتعالى هم طريق النجاة والخير. لذلك يجب التمسك بالمبادئ والقيم والصفات النبيلة والإنسانية والأخلاق الحسنة والعمل على نشرها بين الناس حتى لا يتحول المجتمع إلى غابة لا يمكن العيش به ، لهذا يجب على الإنسان أن ينشر ويدافع عما يؤمن به من مبادئ وقيم وصفات طيبة مهما كانت الظروف قاسية).هـ. وفي الظلال (4\2394) يقول صاحبه: (إنه لا يجوز للدعاة أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب ، مهما واجهوا من إنكار وتكذيب ، من عتو وجحود ، فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب ، فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة ، وقد تصل المرة الواحدة بعد الألف ، ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ، ولم يقنطوا لتفتحت لهم أوصاد القلوب. إن طريق الدعوة ليس هيّناً ليّناً ، فهناك ركام من الباطل والضلال ، والتقاليد والعادات يجثم على القلوب ، ولا بد من إزالة هذا الركام ، من استيحاء القلوب بكل وسيلة ، ولا بد من لمس جميع المراكز الحساسة ، ومن محاولة العثور على العصب الموصل. وإحدى هذه اللمسات ستصادف المثابرة والرجاء ، ولمسة واحدة قد تحوّل الكائن البشرى تحويلاً تاماً فى لحظة متى أصابت اللمسة موضعها).هـ. إن هذا المعنى هو الذى يجب أن يدركه اليوم دعاة الحق خاصة بعد تصدر المرتزقة من الآكلين الشاربين بـ (لا إله إلا الله). إن الناس قد فتنوا بهذه الطائفة الارتزاقية. وهذه الشرذمة المتسولة على حساب العقيدة. وأصبح العلاج عسيراً للغاية. ومن هنا يشقى أصحاب الدعوة الحقة ، وهم يتقدمون للناس بهذا الدين العظيم. إن المبادئ والقيم لا بد وأن تكون لها تضحيات. ويتعين على أصحاب القيم أن يعملوا جيداً لهذا الأمر. ذلك أنهم في طريق الفضائل سوف يجدون العقابيل! وعليهم أن يعلموا أن الله يهب العصمة على قدر البلاغ ، والنصر للمؤمنين!).

الطلـــــحُ فـــــي شـــــوك الرمـــــا ... دِ ، معـــــــــــذبٌ يتـــــــــــأرجحُ

يهتـــــاجُ مِـــــن حـــــر الكثيـــــ ... ـــــب ، وقـــــد غـــــدا يتـــــرنح

ويثـــــور فـــــي وجـــــه العنـــــا! ... ويمـــــــور فيـــــــه ، ويكـــــدح

متســـــــربلٌ فـــــي حيـــــرةٍ ... وينـــــال منـــــه الصـــــيدح

يـــا طلـــح ، يـــا ملـــك الفـــوا ... كـــــه ، كلهـــــا ، بـــــل أملـــــح

أرح الفـــــــؤادَ ولا تثـــــــر! ... إن الـــــــدياجيَ تلفـــــــح

والجهـــــلُ قاتـــــلُ طلعِكـــــم ... إن اللظـــــــــى لا يمـــــــزح

فـــي غابـــةٍ يـــا طلـــح نحـــ ـــــيا ، والكرامـــــة تُجـــرَح

والكـــــل فيهـــــا غـــــادرٌ! والكلـــــبُ فيهـــــا ينـــــبح

إلا التقـــــــيّ فصـــــــامتٌ وإذا تـــــــنفس ، يُكـــــــبح

فـــي غابـــةٍ تئـــد الـــورى والوغـــــدُ فيهـــــا يُفلـــــح

تطفـــــو الأفـــــاعي فوقهـــــا والقـــــرش فيهـــــا يســـــبح

والنـــــاسُ بعـــــد فمُحْـــــدِثٌ فتنـــــاً تمـــــوج ، وتكســـــح

أو مســـــــتريبٌ عابـــــــثٌ أو ببّغـــــــاءٌ يصـــــــدح

والعمـــــرُ بعـــــدُ فمُســـــخة والأمـــــر حقـــــاً فـــــادح

والشـــــوكُ أدمـــــي طلحَنـــــا! والجيـــــلُ هـــــذا مَســـــرح

كـــــــلٌ يـــــــؤدّي دوره! والكـــــبشُ فيهـــــا يـــــنطح

والقـــــوم فـــــي مـــــوت الفنـــــا فـــــوق الكثيـــــب تضـــــرحوا

أمـــــا الظـــــلامُ فقـــــوتهم وإليـــــه كـــــلٌ يطمـــــح

وجـــــدوا طعـــــام الـــــبطن سهـــــ ـــــلا فانتشـــــوْا ، وتبجحـــــوا

وكـــــذا طعـــــام الفـــــرْج يمـــــ ـــــلأ دورهـــــم ، فتوقحـــــوا

أخِـــــذوا مـــــن الـــــدين اســـــترا حـــــوا ، والمنيـــــة تطفـــــح

يـــــا طلـــــح كُـــــف عـــــن الجـــــوى فـــــالجفن قـــــد يتقـــــرح

أمـــــا الوضـــــيعُ فســـــامقٌ فـــــي غيّـــــهِ يتوشـــــح

فـــــارحم فـــــؤادك طلحنـــــا إن الفـــــؤاد ســـــيُذبح

والحـــــب مـــــذخورٌ لمـــــن يُرضـــــي المليـــــك ، فيفـــــرح

وعطـــــاؤه للشـــــرع غـــــ ـــــضٌ ، عـــــن يقـــــين يُفصـــــح

لا يســـــــــــتحِلّ محرمـــــــــــاً إن الحـــــــــــرام لأقـــــــــــبح

كـــــــالورد فـــــــواحُ الشـــــــذى وعلـــــــى الســـــــنا يتفـــــــتح

لا يعبـــــــأ الطلـــــــح الأريـــــــ ـــــــب بحاقـــــــد يتقـــــــيح

زبـــــــدُ العميـــــــل سينقضـــــــي وابـــــــن الســـــــلول سيُفضـــــــح

وعصـــــــابة الطـــــــاغوت يـــــــو مـــــــاً تســـــــتكين وتنـــــــزح

والشـــــــعر يومـــــــاً فـــــــي الأنـــــــا م بـــــــلا عنـــــــا يُتصـــــــفح

والطلـــــــح ســـــــاعتها يُسَـــــــ ـــــــرّ ويســـــــتريحُ ويمـــــــرح

عدد جريدة الوحدة العربية: (6963)
الأحد 9 من جمادى الآخرة 1416هـ. والموافق15 من أكتوبر لسنة1995م.

أنين النخيل

(لا يحس بأنين النخيل إلا قلبُ رجل شاعر ، والشاعر يمكن أن يخاطب النخلة ويستمع إلى حديثها بما أوتي من شاعرية وحس وجداني ، وإلا يكن ذلك كذلك فليس بشاعر. وأنا في هذه القصيدة أنصت إلى النخلة وأستجيب لأنينها بكل جوارحي. إن الجلوس بين النخيل متعة نفسية ونزهة قلبية. فيها يتذكر الإنسان قول الله تعالى: (والنخل باسقات لها طلع نضيد)! قال الأستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب في مقالة طويلة عريضة جامعة مانعة عنوانها: (فقه المجد) ما نصه: (كان محمد صلى الله عليه وسلم - سيد الخلق وأشرف المرسلين - مؤهلاً بأن يقوم بهذا الأمر ولو لم يكن إلا نفسه. وقد تنسحب الرؤية على الصحابة الكرام. الذين قد أخذوا التربية والتأهيل المناسب من الأنبياء! ليأخذوا دورهم سيراً على دربهم واقتفاءً للأثر. ليكونوا نماذجاً لا يشق لها غبار في البطولة. فكان منهم نماذج لو لقي أحدهم خصوماً وهم طلاع الأرض كلها ، ما بالى وما استوحش. كما قال علي أن أبي طالب (والله لو لاقيتهم وهم طلاع الأرض كلها ما باليت وما اشتوحشت). أو كما قال الإمام على: [أنا لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة]. وكان هناك خالد بن الوليد الذي قال للكفر: لو ذهبتم إلى السحاب لحَملنا اللهُ إليكم أو أنزلكم الله إلينا. وهو القائل لماهان قائد الروم: نحن قوم نشرب الدم ، ولم نجد أشهى ولا أطيب من دم الروم فجئنا لذلك. كان هناك فرسان العقيدة. فبعد فقط 100 عام من وفاة الرسول ، كانت جيوش الزحف الإسلامي تحت أسوار باريس. هذا الجمع القليل الذين رباهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ليكونوا القوة الصاعقة على وجه الأرض في زمن قياسي قد فهموا قضيتهم. ودورهم في هذا الوجود. ليخرجوا على المنظومة الدولية للباطل العالمي في أشكاله المختلفة سواء فرعون أو كسرى أم هرقل...الخ آنذاك ويُشهروا السيف آحاداً في وجوه العالمين ويُخرجوا البشرية من الظلمات إلى النور. فمن آثر العمى على الهدى ، فالسيف دواؤه وفيه شفاؤه ، ولتتغير الجغرافية السياسية والاجتماعية ، تبعاً للحق المنزل وإن كان الناس على دين ملوكهم كما يقول المثل. فيأتي هؤلاء العمالقة ليقولوا لأتباعهم من المستضعفين مهمتكم في الكون أن تنكسوا هامة هؤلاء الملوك الجبابرة للملك القهار ، بل وكل صاحب كرسي من هؤلاء الطغاة لا مناص أن يسجد عنوة لمن وسع كرسيه السماوات والأرض. حكم المسلمون العالم بكلمة الله فملأوها سلاماً وحباً وعدلاً!).هـ. وعن مجد الإسلام يقول الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري: - (إذا كان للمجد كلمات فكلمة الإسلام من أكبرها مجداً). نعم هناك ثمة آصرة لا تنفصم بين الإسلام والمجد. فالإسلام هو بمثابة نظرية للمجد ، ويؤهل اتباعه تأهيلاً جاداً لبناء صروح المجد. إن الإسلام هو (المجد) ولا نقول هذا من باب التنطع بل مما اتفق عليه المفكرون ، ومنهم الأميري ما ساقه أعلاه. وتلك المعادلة الصعبة في فقه المجد من منظورالإسلام وضحها الصحابي عُبادة بن الصامت للمقوقس: قائلاً لنا مجد الآخرة إن ظفرتم بنا ، ولنا مجد الدنيا إن ظفرنا بكم ، وما من أحد إلا ويدعو ربه صباحاً ومساءً بألا يعود إلى أهله وولده وماله ، وما منا من أحد إلا وخرج ولا يبتغي الرجوع. تلك هي المعادلة بكلا طرفيها! ألا وهي المجد في الدنيا والآخرة. فإن لم تكن هذه فلتكن تلك ، وإن لم تكن تلك فلتكن هذه ، هو المجد والإصرار عليه وعلى أي وضع انتهت إليه الأمور وحسمتْ فيه المفاصلة).هـ. أعود إلى النخيل فأقول: عدتُ بخيالي وأنا أنظر إلى نخلة ، شعرت أنها تئن كغيرها فعُدت بذكرياتي إلى الوراء إلى المجد الضائع ، وإلى العزة التي رحلتْ ، وإلى المنعة التي ودعناها وداعاً لا ملتقى بعده ، وتركت النخلة في أنينها ، وعشت مع الأنين).

عجبـــــتُ للنخلـــــة العصـــــماء ترمقنـــــي ... كـــــأنني فـــــي دجـــــى الـــــدنيا بـــــلا محـــــنِ

أو أننـــــي ســـــببٌ فـــــي حزنهـــــا أبـــــداً ... والحـــــق أنـــــيَ لـــــم أذنـــــبْ لتحرقنـــــي

إنْ قصّـــــر الغيـــــرُ إنـــــي بـــــازلٌ رمقـــــي ... يـــــا نخلـــــة أفزعـــــتْ قلبـــــي لتـــــذبحني

إنـــــي لـــــك المـــــاءُ أجـــــري دائمـــــاً أبـــــداً ... والنـــــارُ غيـــــري ، وأوزاري تلاحقنـــــي

طوّقـــــتُ يـــــا فتنتـــــي ، والـــــوهم حاصـــــرني ... أصـــــبحت غـــــوراً ، وربـــــي ســـــوف ينزلنـــــي

خلقـــــاً جديـــــداً ، يُـــــروِّي كـــــل ضـــــاحيةٍ ... يـــــا نخلتـــــي صـــــدّقي قـــــولاً ، بـــــلا دخـــــن

هـــــا ، فـــــارحمي مُقلـــــة فـــــي جوفهـــــا رمـــــدٌ ... والنـــــاس تنظرهـــــا مـــــن غيـــــر مـــــا حَـــــزن

أكمامُـــــكِ انقبضـــــتْ ، والنـــــوحُ خانقهـــــا ... والأصـــــلُ منتبـــــه - يشـــــكو - يُعـــــاتبني

فـــــي الرمـــــل دمعتـــــه ، والقـــــوم فـــــي عمـــــهٍ ... والصـــــخر تقذفـــــه الأغيـــــارُ فـــــي الإحـــــن

المســـــتبدُ يلـــــوكُ التمـــــر فـــــي يـــــده ... ومَـــــن لـــــه التمـــــرُ يحيـــــا فـــــي دجـــــى الـــــدمن

لـــــو أنـــــه ناصـــــحٌ - للـــــنفس - أدَّبهـــــا ... حتـــــى تعـــــيش علـــــى إشـــــراقة الســـــنن

وعنـــــدها تفـــــتح الأبـــــوابُ مُغدقـــــة ... خيـــــر الإلـــــه الـــــذي يُعطـــــي لـــــذي فِطـــــن

لكنـــــه مُعْـــــرضٌ عـــــن وحـــــي خالقِـــــه ... واللهُ صـــــارفه حتمـــــاً عـــــن الســـــنن

فـــــيم الأنـــــينُ إذن يـــــا نخلـــــة جُرحـــــتْ ... فـــــي قومهـــــا ، فهـــــم فـــــي النـــــاس كـــــالوُثن؟

قـــــد حـــــار فيهـــــا الجـــــوى وانفـــــل خاطرهـــــا ... تبكـــــى الوفـــــا فـــــي الـــــدنا بالـــــدمع والشـــــجن

يـــــا ذي النخيـــــل كفـــــى ، دمعـــــي بـــــرى أملـــــي ... يـــــا ذي العيـــــون كفـــــى حُزنـــــي يســـــاورني

أبكـــــي علـــــى غـــــدنا ، بـــــالأمس ودّعنـــــا ... ومحجـــــرُ العـــــين قـــــد أمســـــى يعـــــذبني

جريدة الوحدة العربية: (6967) 9 من جمادى الأولى 1416هـ ، أكتوبر لسنة1995م

جحا واليراع الذهبي

(التقينا من قبل مع جحا الرمز والمعنى ، وها نحن أولاء نلتقى معه للمرة الثانية. ولعله تعقب هذه المرة مرات أخرى. فإن الحديث مع جحا أو عنه لا يُمل ولا يكل. وتحت عنوان: (روايات صادمة.. جُحا كان فقيهاً عبقرياً وضحية خصومة سياسية) يقول الأديب الأستاذ عماد البليك نصياً بتصرف: (تعتبر شخصية جحا من الشخصيات المثيرة للجدل في التاريخ العربي والإسلامي ، إذ يتراوح ما بين الحقيقة والأسطورة والخيال ، في حين يصعب التأكيد بشكل دامغ على مصدر هذه الشخصية ، من أين بدأت بالضبط ولمن تنسب ، حيث تتعدد المرويات حولها وتتناسل الحكايات. لكن جحا ترك في المخيلة الشعبية صورة جلية للفيلسوف البسيط الذي يتراوح كلامه الممتزج بممارسته في الحياة ، مع صور متناقضة ما بين الحكمة والبلاهة ، حتى يكاد المرء يحار من أين يبدأ الذكاء الفطري الإنساني وأين ينتهي ليكون حد السذاجة. كما أن المنهج الساخر في حكايات جحا العديدة ، يكشف عن بنية الحكيم الذي يهزم صرامة الواقع وصلفه بالانتباه ، الذي بدلاً من أن ينسجم مع هذا المألوف ، يعمل على تهشيمه وتعريته بالسخرية منه. وفي كل الأحوال وكما يرى الدكتور محمد رجب النجار في كتابه "جحا العربي" ، فإن هذه الشخصية تعبر عن الناقد السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، ولكن بأسلوب ساخر ، ذلك "الذي يهوّن على الناس ما يعانون". ويعود السبب في انتشار شخصية جحا والاشتغال المتواتر عليها بحسب النجار إلى "أن الوجدان الجمعي للشعوب ، يبادر فينتخب رمزاً فنياً ساخراً ، يعكس من خلاله آراءهم في السلطتين العسكرية والسياسية". وهاتان السلطتان ظلتا المؤثرتين في الحياة العربية والمجتمعات العربية والإسلامية على مدار عقود طويلة ، بحيث إن حكايات الصراع والهيمنة تدور حولهما. وهذا يعني أن الرمز الجحوي هو اختزال تعبيري لصورة الاحتجاج في شكل النكتة الموظفة سياسياً عبر تاريخ القمع والتسلط والخوف من الحاكم. فجحا بحسب النجار نفسه "استطاع الجمع بين الذكاء اللمّاح والتهكّم ، فكان لسان حال الشعب العربي من الحاكم ، وذلك من خلال نوادره التي كانت تجسيداً حياً وفعّالاً لما شاهده الناس عبر العصور من ظلم واستبداد ، ولكن بشكل ساخر". وتعود أقدم القصص المنسوبة إلى جحا في التراث العربي إلى القرن الأول الهجري ، أي السابع الميلادي ، وبالتحديد إلى رجل يدعى دُجين بن ثابت الفزاري ، وقد كان يلقب بجحا وكان ظريفاً ، لكن يقال إن الكثير من القصص المنسوبة حوله هي مكذوبة في واقع الأمر. وقد أورد ذكره العلامة الحافظ ابن عساكر وقال إنه عاش أكثر من 100 سنة ، وذكر أنه من التابعين ، وكانت أمه تعمل خادمة لأنس بن مالك ، وكان الغالب عليه السماحة وصفاء السريرة ، وحذر لهذا "فلا ينبغي لأحد أن يسخر به". كما أن السيوطي والذهبي والحافظ ابن الجوزي ، أتوا على ذكر جحا في كتبهم ، وأورد ابن الجوزي عن رجل يدعى جحا ويكنى أبا الغصن يرجح أنه دجين الفزاري نفسه ، وروى عنه ما يدل على الفطنة والذكاء "إلا أن الغالب عليه التغفيل" ، وهناك من يرى أن الحكايات المضادة كان مصدرها المعادين لفطنة جحا وحكمته من زمرة السلطة. وقد وصف أبو الغصن جحا بحسب الإمام الذهبي بأنه كان من العقّال ، وقال عنه نقلاً عن عباد بن صهيب "ما رأيت أعقل منه" ، ويروى أنه كان يمزح في أيام شبابه ، وعندما كبر وشاخ أصبح مصدراً للحكمة والرسوخ العميق).هـ. وجحا في مرتنا هذه هو جحا المرتزق الذي تصدر مواجهة الناس داعية إلى الحق. على حين أنه لا يدرك من ذلك الحق شيئاً. تماماً كما يفعل المرتزقة المعاصرون الذين هم أجهل الدواب التي تركض في البرية ، يعمد الواحد فيهم إلى غنيمة يزعم أنها باردة هينة لينة مريحة مربحة بأقل جهد وبذل ممكنيْن ، ومن هنا أصبح المرتزقة يتسابقون نحو

الارتزاق. زاعمين لأنفسهم أنهم يخدعون الناس كل الناس. ووالله لا يخدعون إلا أنفسهم في حقيقة الأمر. إذ العقلاء من الناس لا يأبهون بهؤلاء. وأيضاً لا يعطونهم أذناً ولا يعيرونهم انتباهاً البتة. لا يفتن بهم صدقاً إلا الغوغاءُ أتباعُ كل ناعق ، الهمجُ الرعاع. وأعود إلى جحا. فإنه ذات يوم صعد المنبر ، ووقف خطيباً في الناس ، فقال: أيها الناس ، هل تعلمون ما أقول لكم؟ فقالوا: لا. فقال جحا: حيث إنكم لا تعلمون ما أقول: فلا مجال لمخاطبة الجهال! ونزل من فوق المنبر. ثم صعد في اليوم التالي ، وقال: أيها الناس ، هل تعلمون ما أقول لكم؟ فقال الناس: نعم. فقال جحا: حيث إنكم تعلمون ما أقول ، فلا فائدة من إعادة قوله مرة ثانية ونزل من فوق المنبر. وفي اليوم الذي تلاه ، اتفق الناس على أن يقول فريق منهم نعم ، وأن يقول فريق آخر لا! وعندما صعد جحا المنبر ، سأل كعادته: أيها الناس ، هل تعلمون ما أقول لكم؟ فقال بعضهم: نعم ، نعم! وقال البعض الآخر: لا ، لا! فقال: إذن على الذين يعلمون أن يخبروا الذين لا يعلمون. فكتبت قصيدتي أعبر فيها عن جحا وأمثاله من المرتزقة العملاء الخونة الآكلين بالدين والعقيدة فتعساً لهم.)

جحـــا - فـــي القـــوم - يخطـــب لا يهـــابْ ... ولـــيس يخـــاف مـــن بـــأس الحِـــرابْ

ويـــــزعم أنـــــه بلـــــغ الـــــذرى ... ومَـــن هـــم دونـــه فهـــم الـــذباب

تـــــرُجّ القـــــوم صـــــولته ، وإن ... فـــــزع الـــــورى قطـــــعَ الرقـــــاب

تمـــــادى فـــــي الـــــتهكم هـــــازلاً! ... ويضـــــرب فـــــي متاهـــــات الخـــــراب

قـــــد احتقـــــر الأنـــــام ، ونـــــالهم ... وبـــات الأمـــر فـــي أعتـــى المُصـــاب

ولـــــم يـــــرحم ذكيـــــاً بيـــــنهم ... ولا طفـــــلاً ، ولا الغِيـــــدَ الكِعـــــاب

ولا امـــــــرأةً ، ولا شـــــــيخاً ، ولا ... كهـــــولاً ، بـــــل ولا حتـــــى الشـــــباب

وينعـــــق فـــــوق منبـــــره جحـــــا ... تمامـــــاً مثلمـــــا نعـــــق الغـــــراب

وحـــــرَّفَ لـــــم يبـــــال بمـــــا جـــــرى ... ويســـــأل لـــــيس يـــــدري مـــــا الجـــــواب

وبـــــدد عِلـــــم أســـــلافٍ مَضـــــوْا ... وطـــــوّق كـــــل آيـــــات الكتـــــاب

وزوّر فـــــي النصـــــوص مرَادهـــــا! ... تـــــذأب ، صـــــار فـــــي عـــــدد الـــــذئاب

مَـــــلا بطنـــــاً بآيـــــات الهُـــــدى ... ولا يرضـــــى بمـــــا فعـــــل الـــــذباب!

تمـــــادى فـــــي الصـــــياح علـــــى الـــــورى ... وقـــــد بلـــــغ الصـــــياحُ مـــــدى الربـــــاب

وينضـــــح فـــــي الكـــــلام رماحـــــه ... وتفعـــــل فـــــي الأنـــــام كمـــــا الصِـــــلاب

ويُخلـــــص فـــــي العمالـــــة والأذى ... يريـــــد الأجـــــرَ حقـــــاً والثـــــواب

ويـــــزعم أنـــــه رجـــــلُ الهـــــدى ... ومـــــا فـــــي قلبـــــه غيـــــرُ الصـــــواب

ويقفـــــز لا هيـــــاً كجـــــرادةٍ ... حقيـــــرٌ فـــــي الكـــــلام وفـــــي الوثـــــاب

يُشـــــير بإصـــــبع ليُخـــــيفهم ... ويحســـــر تـــــارة طـــــرف الثيـــــاب

يُجيـــــد القـــــذف والفحشـــــا كـــــذا ... ضـــــليعٌ فـــــي تعـــــابير الســـــباب

شـــــديد البـــــأس فـــــي شـــــتم الـــــورى ... ليُثبـــــت أنـــــه لا ، لا يهـــــاب

ويبســـــط وجهـــــه زلفـــــى لهـــــم ... ليُثبـــــت أنـــــه يرجـــــو التحـــــاب

وتشـــــغله القشـــــور ، ولا يـــــرى ... حقيقـــــتهم ، فلـــــيس يـــــرى اللبـــــاب

يُحَيـــــيّهم ، ويهـــــذي ســـــاخراً ... ومـــــن يكشـــــفْ جحـــــا فلـــــه العِقـــــاب

ومَـــــن ينقـــــدْ ولكـــــنْ ذو قـــــوىً ... لـــــه دُررٌ تغلـــــف بالعِتـــــاب

عجيـــــبٌ مـــــن جحـــــا مـــــا قـــــد أتـــــى ... لقـــــد فعـــــل الفتـــــى العجـــــبَ العُجـــــاب

وأعجـــــبُ مِـــــن تمـــــادى هزلـــــه ... يُجيـــــدُ الســـــبك فـــــي فصـــــل الخطـــــاب

ولـــــو بـــــين الأنـــــام موحـــــدٌ ... لجَلـــــى للدهاقنـــــة الســـــراب

وخـــــاض التيـــــهَ ينشـــــد مرفـــــأ ... فقـــــد أودتْ بمركبـــــه العُبـــــاب

ومـــــن عجـــــب تلـــــوث كـــــل شـــــي! ... وبـــــات الحـــــق فـــــي جـــــوف التـــــراب

وذاب النـــــور فـــــي غســـــق الـــــدجي ... وقـــــد زالـــــت يواقيـــــتٌ عِـــــذاب

وقـــــد رحلـــــتْ أســـــاريرُ المُنـــــى ... ومـــــا عرفـــــت طريقـــــاً للإيـــــاب

وجيـــــلٌ قـــــد تغشـــــاه الكـــــرى ... تفـــــنن فـــــي الطعـــــام وفـــــي الشـــــراب

ومِـــــن بلـــــواه أفلـــــس كـــــالهوى ... تنكـــــر للصـــــلاح وللركـــــاب

ومـــــن عجـــــب يُفضّـــــل ظلمَـــــة ... يتـــــوق إلـــــى غيابـــــات العـــــذاب

ويُصـــــبح فـــــي معـــــاقرة الخنـــــا ... ويُمْســـــي فـــــي ســـــراديب الشـــــعاب

ولـــــم يعـــــرف صـــــديقاً مِـــــن عِـــــدا ... ومِـــــن عَجـــــب لـــــه البلـــــوى تـــــذاب

فيشـــــــربها ، ويشـــــــكر ســـــــاقياً ... ويُمســـــــي يَجـــــــرَعُ الســـــــم المـــــــذاب

وفـــــــي الســـــــاحات داع ثـــــــائرٌ ... ولـــــــيس إلـــــــى تصـــــــوره يُجـــــــاب

إلـــــــى أن بـــــــات كمّـــــــا مُهمَـــــــلاً ... يُعـــــــاني مـــــــن مخاذلـــــــة الصـــــــحاب

وقـــــد أعطـــــى ، ولـــــم يـــــكُ بـــــاخلاً ... ويـــــزأر مثلمـــــا الأسْـــــد الغضـــــاب

ولكـــــنْ كبلـــــتْ أســـــد الشـــــرى ... وولـــــت فـــــي تلافيـــــف الســـــحاب

وبـــــات جُحـــــا يُضـــــلل فـــــي الـــــورى ... ويكشـــــف عـــــن مفاســـــده النقـــــاب

وأعطـــــــاه الـــــــورى أمـــــــوالهم ... وأمـــــرُ جحـــــا غِـــــلابٌ فـــــي غِـــــلاب

وأفســـــد كـــــل شـــــئ فـــــي الـــــدنا ... وطـــــال الهُـــــزءُ فـــــي شـــــتى الرحـــــاب

وأمســـــى الحـــــق عيبـــــاً والهـــــدى ... وأمـــــا الـــــزورُ حتـــــى لا يُعـــــاب

جحـــا فـــي النـــاس مرفـــوع اللـــوا ... ألا خـــاب المُـــدلس ثـــم خـــاب!

ومفـــــروضٌ علـــــى دنيـــــا الـــــورى ... ويـــــدخل للـــــورى مـــــن كـــــل بـــــاب

ليســـــــحَرهم بكـــــــل نقيصـــــــةٍ ... وأضـــــحى مـــــن قلـــــوب النـــــاس قـــــاب

لقـــــد فضـــــحَ اليـــــراعُ زيوفـــــه ... وعـــــاد النـــــور مـــــن بعـــــد الغيـــــاب

فكُـــــف عـــــن التعـــــالي ، وانتصـــــحْ ... وأعلـــــنْ فـــــي الـــــدنا بـــــدءَ المتـــــاب

عدد جريدة الوحدة العربية: (6987)
والصادر في يوم الأحد 19 من جمادى الأولى 1416هـ
والموافق12 من نوفمبر لسنة1995م.

قراصنة القلوب

(شاع لفظ قراصنة على لصوص البحر. وقد يغفل الناسُ عن لصوص القلوب الذين يصرفونهم عن الخير والحق. وهم أخطر من لصوص البحر. وأخذتُ أناجي فؤادي وأحذره لصوص العقول وقراصنة القلوب. الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاَ ، وعدت بذاكرتي إلى الوراء ، فأدركت أن قلبي استسلم دهراً للقراصنة وأضعت فترة ذهبية من عمري ولم أخطط لأولادي وللمستقبل ، فخسرت الكثير! يقول الأستاذ السيد طه أحمد موضحاً قيمة التخطيط في الحياة ما نصه: (لقد أمر الله عز وجل بالتخطيط في القرآن فأمر المؤمنين بإعداد القوة فقال: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُون). والأمر بإعداد القوة أمر يتضمن الأمر بالتخطيط لأن إعداد القوة نشاط هادف ، ولأنه يحتاج لكثير من المعلومات بعضها متعلق بالحاضر وبعضها متعلق بالمستقبل ، ومن معلومات الحاضر مستوى قوة المسلمين ومستوى قوة العدو ؛ ومن معلومات المستقبل نشاط العدو ومحاولاته تحسين قوته والفرص المتاحة أمامه للنجاح ومثل ذلك فيما يتعلق بالمسلمين. ومن الآيات المتضمنة الأمر بإعداد القوة والمتضمنة ـ بالتالي ـ الأمر بالتخطيط قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ).هـ. ولنتابع قصيدتنا!)

هـــذه الســـاعات ـ فـــي الـــدنيا ـ مطايـــا ... وضـــياعُ المـــرء مِـــن فعـــل الخطايـــا

فـــي زوايـــا العمـــر فكـــرتُ طـــويلاً ... واحتـــواني الصـــمتُ فـــي هـــذه الزوايـــا

فـــى سِـــنيّ العمـــر أعملـــتُ يراعـــي ... وحَللـــتُ القيـــد عـــن هـــذي الســـبايا

ورفعـــتُ الســـتر عـــن ماضـــي حيـــاتي ... فرأيـــت الأمـــس ســـاعاتٍ خزايـــا

يـــا فـــؤادى فابـــكِ ســـاعاتكَ هـــذي ... جُلهـــا فـــي الهـــزل ولـــى ، والـــدنايا

ودمـــوعُ الهـــزل لا ترجـــع شـــيئاً ... وكـــذا لـــم ترجـــع الجـــد الرزايـــا

باســـماً قـــد كنـــت تحيـــا للمعـــالي ... تحتويهـــا مثلمـــا تُهـــدَى الهـــدايا

وطرحـــت الـــوحيَ أرضـــاً والأمـــاني ... يـــا ضـــميري ، وتجاهلـــت الوصـــايا

وضـــربت الـــذكر صـــفحاً واحتيـــالاً ... يـــا فـــؤادي وتناســـيت الضـــحايا

وســـباكَ الـــوهمُ ، لـــم تختـــرْ مكانـــاً ... وســـبقت الكـــل فـــي ســـرد البلايـــا

وطـــواك الأســـر لـــم تحْطِـــم شِـــراكاً ... لـــم تكـــن تـــدري ســـراديب النوايـــا

والريـــاحُ الهُـــوجُ كـــم أذرت قلوبـــاً ... فـــي ضـــباب الصـــحب! كـــم عنـــتْ منايـــا!

يـــا فـــؤادي أغلـــق البـــاب مليـــاً ... وليســـعك البيـــتُ ، ذرْ كـــل البرايـــا

وابـــكِ مـــا قصـــرتَ فـــي ماضـــي حيـــاتي ... هـــذه الأيـــام فاجعلهـــا مطايـــا

وافتكـــر فـــي حفـــرةٍ عمـــا قريـــب ... فـــي ثراهـــا ســـوف تجتـــر الخفايـــا

فـــي نعـــيم أو جحـــيم ســـوف تبقـــى ... لســـتُ أدرى فأنـــا أحيـــا البقايـــا

والـــذي يخفيـــه غيـــبٌ كيـــف يُـــدرى ... قـــدرُ المـــولى بـــه كـــل القضـــايا

فاجعـــل الفرقـــان معـــراجَ الأمـــاني ... واعتـــزل مُـــر القـــوافي والصـــبايا

ســـوف تُعطـــى طفلـــة عمـــا قريـــب ... فـــارحم الأنثـــى ، ترفـــقْ بالولايـــا

خُلـــقُ الرفـــق جميـــلٌ يـــا فـــؤادي ... نعمـــة المـــولى ، ومـــن أحلـــى الســـجايا

واللبيـــب الفـــذ مَـــن يحيـــا رحيمـــاً ... وادعـــاً فـــي النـــاس محبـــور الطوايـــا

والفـــؤاد العـــذبُ تحييـــه الثـــواني ... عنـــدما يثـــري بهـــا أغلـــى القضـــايا

الوحدة العربية: (6965) 23 من جمادى الأولى1416هـ17من أكتوبر1995م.

(عندما يحيا الشاعر بين متناقضات يحْطِم بعضها بعضاً ، فهي أشبه ما تكون بالبحر الذى يتلاطم موجه ، فيتألم الشاعر كما يتألم البحر ، ويأتي عليه يوم يهبط فى المد على الشاطئ وتنزاح الغيوم. يقول الدكتور عبد الله عبد الرحمن الرومي معلقاً على معجزات الله تعالى في البحر ما نصه: (يقول الله عز وجل: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ). وتخصيص البحر بالذكر في الآية قد يكون لأنه من أعظم مخلوقات الله ، أو لأنه أكثر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيه. وعلم الله تعالى لما في البحر مثال محسوس مُكمّل للعظمة الحاصلة تحت قوله: (وعنده مفاتح الغيب). (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا). جاء البحر في القرآن الكريم على أنه من مظان الضر والغرق من الله تعالى على من خالف أمره وأشرك مع الله تعالى أحدًا من خلقه. (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا). (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ). هذا الحاجز بين البحرين لحكمة من الله تعالى فيه منافع للناس وفيه عظيم قدرة الله تعالى الذي منع اختلاط ماء البحرين. والحاجز بين البحرين المالح والعذب من خصائص ربوبية الله تعالى. وجاء في القرآن ما يدل على ظهور الفساد في البحر في قوله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ). وقال ابن جزي: وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما فعله الناس من الكفر والعصيان. وجاء قسَمُ الله تعالى بالبحر المسجور: أي الممتلئ ، وهو مع امتلائه لا يفيض ويجري ويغمر وجه الأرض ، وذلك في قوله تعالى: (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ). وهذا الأغلب من معاني السّجر. وقال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه البحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض ، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد ، كما يقال سجرتُ التنور بمعنى أوقدت ، أو الامتلاء. فإذا كان الأغلب من معاني السجر الإيقاد ، وكان البحر غير موقد اليوم ، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور ، فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد ، صحّت الصفة الأخرى التي هي له اليوم وهو الامتلاء لأنه كل وقت ممتلئ. وورد في القرآن ضرب المثل بالبحر بأن لو كان مدادًا لكلمات الله تعالى لنفد البحر وما نفدت كلمات الله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا). ولو أن أشجار الأرض كلها بُريت أقلامًا ، والبحر لهذه الأقلام مِدادًا ومن بعده سبعة أبحر تكتب كلام الله تعالى بذلك المداد من البحار ، لتكسرت الأقلامُ ولنفد المِدادُ ولم تنفد كلمات الله وعلمه تعالى. (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ، مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). وفي هذا دلالة على أن آيات البحر لا تنتهي!).هـ. يصف الدكتور راغب السرجاني البحر بقوله: (البحر بالنسبة للإنسان عالم ثان ، يثير في نفسه المشاعر والأحاسيس المختلفة ، فهو يثير في نفسه الخوف والرهبة والاضطراب والقلق ، كما يبعث من ناحية أخرى على الارتياح والاطمئنان والسلام. ورغم جبروت البحر وهياجه أحيانًا ، فهو هادئ مسالم مريح أحيانًا أخرى. والعجيب أن النفس البشرية

تعشق النظر إلى البحر في جميع أحواله ، وهذا يذكرنا بقول لطبيب عالم: ثلاثة تريح النفس: النظر إلى الكعبة المشرفة ، والنظر إلى الطبيعة ، والنظر إلى البحر. والبحر بالنسبة للإنسان أيضًا ، مخزن للأسرار فهو يبعث على الحيرة والتساؤل دائمًا ، ويثير فيه الفضول لمعرفة ما يحويه من عجائب وكنوز وثروات دفينة ومخلوقات عجيبة. وكم من أناس غامروا من أجل ذلك ، وأبحروا في مجاهيل البحار ، فمنهم من غرق ومات ، ومنهم من ضاع في متاهاته ، ولم يُعرف مصيره ، ومنهم من عاد سالمًا ليقصّ على الناس ما مرّ به من أخطار ، وما رآه من عجائب في رحلته ، منها ما هو حقيقي ومنها ما هو خيال. إن الإنسان ليقف مبهورًا حائرًا ، معترفًا بضعفه وعجزه أمام عظمة البحر وجبروته ، لاسيما وأن البحر هو من آيات الخالق المبدع العظمى ، ففي خضم هذا الملكوت البحري العظيم ، تجد هذا الإنسان المغتر بقوته ، وبسعة حيلته ، وحدة ذكائه ، وتدفق أفكاره ، تجده يستحيل هو وأمثاله إلى ذرة من الهباء لا تكاد تذكر. وللنظر إلى قوله تعالى عن سفينة نوح: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ} ، لنلمس بعضًا من ملامح الصورة المهولة والعظيمة التي يستحيل إليها الإنسان هو ووسائله في خضم ذلك الملكوت الهائل).هـ. ومن هنا وازنت بين أمواج البحر وظروف الحياة!)

أواه مـــــن قـــــيح الغـــــبشْ ... غطـــــى الحنايـــــا ، والفـــــرُشْ!

والنـــــاس غطتهـــــا الـــــدما ... والـــــزور بـــــات المنـــــتفش

والحـــــق فـــــي الأســـــر اكتـــــوى ... والنـــــور وارتـــــه الحُشـــــش

والفســـــق فـــــي الـــــدنيا عـــــوى ... والمـــــوج يجتـــــاح (العِشـــــش)

والحُـــــر فـــــي جمـــــر اللظـــــى ... أرداه فـــــي التـــــو العطـــــش

والعبـــــدُ يحيـــــا رافعـــــاً ... رأســـــاً وحيـــــداً والكَـــــرِش

والهـــــزل عـــــاتٍ والخنـــــا ... والجـــــد أعيـــــاه الـــــرعش

والقـــــوم فـــــي قـــــيح الـــــدجي ... والـــــزور قـــــد عـــــم العُـــــرُش

والعقـــــل ولـــــى ، وانـــــزوى ... والعـــــينُ أضـــــناها العمَـــــش

والخيـــــر وارى نفســـــه ... والـــــنجم يهـــــدينا الغـــــبش

والقـــــومُ نيلـــــتْ ضـــــادهم ... إذ فضـــــلوا ضـــــادَ الحَـــــبَش

والأرض مـــــلأى بـــــالأذى ... قـــــد أمّهـــــم وغـــــدٌ وبـــــش

فـــــي غابـــــةٍ يحيـــــا الـــــورى ... أمـــــرٌ تمـــــادى فـــــي الـــــدهش

أمـــــا الضـــــعيفُ المشـــــتكي ... فـــي الحـــال يطويـــه الحـــنش

والفجـــــر مـــــاض ســـــيفه ... فاعجـــب لـــه ، بـــل وانـــدهش

هـــل بعـــد هـــذا مِـــن مَضـــا ... والجيـــل فـــي وهـــج الغشـــش؟

هـــل قـــد ســـمعتم بأســـه؟ ... أم أزهـــق الســـمعَ الطـــرش؟

هـــل قـــد رأيـــتم بأســـه؟ ... أم أحـــزن العـــينَ الغفـــش؟

واللهِ مـــا بـــالعين مـــن ... بـــأس ولا أدنـــى مَـــدَش

لكنمـــا المهـــزومُ مَـــن ... ذا يـــدعى بعـــض الحفـــش

والحـــق ســـاع للـــذرى ... مهمـــا طغـــى بعـــضُ الـــنمش

عدد جريدة الوحدة العربية: (6990)
الأربعاء 22 من جمادى الآخرة 1416هـ. والموافق15 من نوفمبر لسنة1995م.

الليث الجريح

(إن الليث في عالم الغاب كالقمر في دنيا الظلام. وجُرح الليث يعنى – في عالم الغاب – خسوف القمر فى دنيا صارت يعمها الظلام الكثيف. ويحق ساعة يجرح الليث للهوام والذباب أن يأخذوا مكان الليوث. ولما كان المألوف في عالم الغاب أن الليث ساعة يسقط ، فليس هناك أحد يأخذ بيده. بل هي فرحة كبرى أن استراحوا جميعاً من الليث. وكذلك تفرح ذرات الظلام الكثيفة عندما تصيب القمر حالات الكسوف ، وذلك لأن نور القمر يبدد جميع ذرات الظلام. وأقول للذباب والهوام في عالم الغاب ، وكذلك لذرات الظلام في دنيا الأنام: إن جرح الليث – يوماً ما – سوف يلتئم ، وإن خسوف القمر – يوماً ما – سوف ينجلي. يقول الأستاذ علي مصطفى الدنف واصفاً اختلال الموازين في مقال يحمل ذات العنوان ما نصه: (إن من الأمور التي ينبغي أن نتفكر فيها جيداً ونمعن النظر فيها ونأخذ منها العبر ، الفروق بين موازين الله وموازين البشر. نحن نعيش الآن في عصر غابت فيه شمس القيم النبيلة وظهرت عوضاً عنها قيم الأخلاق الفاسدة التي جرفت أمامها كل شيء جميل وعفوي ونظيف ، انقلبت الموازين واختلت ، وأصبح اختلال القيم سمةٌ بارزةٌ من سمات هذا الزمان ، فالأقزام يتعملقون ، والهوامش يُشار إليهم بالبنان ، والتوافه همُ الأكثر جاذبية ، ويسيل لعاب الأمنيات نحوهم ، وفي مقابل ذلك لا نرى أثرًا للعمالقة ؛ وإذا ما ذُكروا فإما تهمّش أدوارهم أو تشوّه صورتهم ، وما تزال صورة المعلمين وعلماء الدين على شاشات التلفاز أو السينما تثير الاشمئزاز والسخرية ، فذهبت هيبة الدين واللغة والعلم والتقاليد ، وتحطمت الأخلاق والقيم بتحطيم هذه الشخصيات وتشويهها. حتى إننا في كثير من الأحيان من حيث لا ندري نشارك في انقلاب الموازين ، نحكم على الأشخاص والأحوال من منظار الدنيا ، ونقوّم الناس والمواقف والأحداث من المناظير الدنيوية التي تنظر إلى هؤلاء الأشخاص والأحوال من خلالها ، بينما يكون الأمر عند الله مختلفا تمام الاختلاف. ومن هنا كان لا بد أن نعدّل النظرة ، وأن نقوّم الميزان حتى ننظر للأمور بمنظار الشرع لا بمنظار الهوى والعادات والتقاليد وما استحدثه الناس من موازين. جاء في الصحيح عن أنس رضي الله عنه: {أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، كان يُهدي للنبي - صلى الله عليه وسلم - الهدية من البادية ، فيجهزه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يخرج ، لذلك قال النبي: {إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه}. وكان النبي - صلى الله عليه وسلم – يحبه وكان رجلاً دميماً ، قبيح المنظر والخلقة ليس فيه جمال ، فأتاه النبي يوماً وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال الرجل: من هذا؟ فالتفت فعرف النبي وجعل النبي صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول ممازحاً لزاهر: من يشتري العبد؟! فقال زاهر: يا رسول الله! إذن والله لتجدني كاسداً من يرغب فيّ؟ ومن يطمع في شكلي؟! فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ولكنك عند الله غالٍ}. بالله عليكم ، كم من المواقف والأحداث حكمنا فيها على الناس بموازين البشر من خلال أشكالهم ومناظرهم وملابسهم وسياراتهم وبيوتهم؟! وعند الله اختلف الميزان ، تجد الرجل بين الناس عظيماً ، ذا جاه ، ذا سلطان يخفض له وُيرفع ، وهو في حقيقة الأمر فاجر كافر لا يزن عند الله جناح بعوضة! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة! وقال: اقرأوا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً). ربما يكون الرجل أجمل الناس وهو عند الله من أحقر خلقه ، وربما يكون الرجل أكثر الناس تشويهاً وهو من أعظم الناس عند الله يوم القيامة. لقد كان عطاء بن أبي رباح – رحمه الله – مفتي مكة وقاضيها ، عبداً أسود مجدوع الأنف أعور مشوّه الخلقة رأسه داخل جسده لا يكاد يوجد له رقبة ومع ذلك كان مقدماً على الناس لدينه وتقواه).هـ. وأخيراً أهدى هذه

القصيدة لليث الجريح الذي أثخنته الجراح والآلام ، وآثر أن يكمل مسيرته التي أخذ على عاتقه إكمالها. وذلك بعد أن تخلى عنه رفاق دربه ، وعدم خيار الصحب والآل ، ولم يلق من يحمل عنه هموم الطريق ووعورة الدرب ومجاهيل السبيل! ولم يكن نادماً على هؤلاء المتخاذلين لأنه لا خير فيهم ديناً ولا دنيا أبداً!)

مَـــوءودُ مثلـــي ، يـــا قمـــرْ ... تشـــكو إلـــى الله البشـــرْ

إنـــي أرى فيـــك الســـنا ... يبكـــي لمـــا نـــال القمـــر

كانـــت لنـــا كـــل الـــدنا ... واليـــوم تأوينـــا الحُفـــر

خـــاف الـــورى مِـــن بأســـنا ... يومـــاً ، ولـــم نخـــش الغِيـــر

مَـــن كـــان لا يأســـى علـــى ... ماضـــيه لـــيس المنتصـــر

والنصـــر كـــان الملتقـــى ... كـــادت قـــريشٌ أو مُضـــر

واليـــوم هـــذا حقنـــا ... نـــادى الـــورى: مـــاذا الخبـــر؟

صـــاح الـــورى: يـــا حـــق نـــم ... هـــذا القضـــا ، هـــذا القـــدر

مخســـوفُ يـــا هـــذا الهُـــدى ... حـــاذر ، ومـــا أقســـى الحـــذر

البـــدرُ كـــان المُرتجـــي ... ســـادت عـــراجينٌ أخـــر

كنـــا ، وكانـــت صـــولة ... أواه ، مـــا أعتـــى الخطـــر!

واليـــوم عـــادت ذلـــة ... عَمّـــت قفـــاراً ، والحَضـــر

في يوم الخميس 9 من جمادى الآخر لسنة 1416 هـ
الموافق : 2 من نوفمبر لسنة 1995 م.

إصلاح الذات قبل الذوات

(كثيرون يميلون إلى تخطئة الآخرين ورمى التبعة واللائمة عليهم بلا دليل تقوم به الحجة. والحقيقة أن إصلاح ذات المرء مقدم على إصلاح ذوات الآخرين ، فهل يدرك هذه الحقيقة من يخطئون غيرهم. أورد أبو داوود في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه - قال: (بينما نحن حول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ ذكر الفتنة فقال: إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه - قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: الزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ، ودع ما تنكر! وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة). قال الله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين النَّاس). وقال سبحانه: (والصلح خير). وقال: (وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإنْ بغتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيىء إلى أمر الله فإنْ فاءتْ فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنَّ الله يحبُّ المقسطين). عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلّم -: ألا أخبركم بأفضلَ من درجة الصيام والصلاة والصَّدقة. قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البيْن ؛ وفساد ذات البيْن الحالقة. ويُروى أنه - صلى الله عليه وسلّم - قال: هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلّم - قال: إياكم وسوء ذات البيْن ؛ فإنها الحالقة. أخرجه الإمام الترمذي. وعن عبادة بن عمير بن عوف – رضي الله عنه - قال: قال لي أبو أيوب - رضي الله تعالى عنه -: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلّم -: يا أبا أيوب ، ألا أدلك على صدقةٍ يحبُّها الله ورسوله ؛ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير. وعن أبي أمية الشعباني – رضي الله عنه - قال: (أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أيّة آية؟ قلت: قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا! سألت عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيًا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فإن من ورائكم أيامًا الصبرُ فيهن مثل القبض على الجمر! للعامل فيهن مثلُ أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم). قال عبد الله بن المبارك: وزادني غير عتبة قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم). وهذا الحديث رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه ، وهو ضعيف فقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع. حديث الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة). ومن هنا فلا بد من الإصلاح وأولى خطواته ذات البين! والعاقل الذكي العبقري من شغله عيبه عن عيوب الناس ، وكان بصيراً بحال نفسه!)

يـــا طالبـــاً منـــي الإبانـــة شـــاحذة ... قـــد حيّـــر الإحســـاسَ فعـــلُ النوخـــذة

يـــا ســـائلاً عـــن جيلنـــا (ذاليتـــي) ... صـــدّق مُصـــارحتي بغيـــر مؤاخـــذة

هـــو فـــي هجيـــر العشـــق عـــذبَ نفســـه ... وغـــدتْ عشـــيقاتٌ تحـــب جـــلاوذة

ورمـــوز هـــذا الحـــب تجتـــاح الـــورى ... وبـــرغم أنـــف الحـــق تلـــك منفـــذة

وقصـــائدُ العشـــاق تمـــلأ أرضـــنا ... وذكـــورُ هـــذا الجيـــل فيـــه أســـاتذة

نبـــذوا كـــلام الله خلـــف ظهـــورهم ... وتململـــوا دهـــراً ، وبـــئس مُنابـــذة!

فلهـــاثهم عشـــقٌ وميعـــادٌ وصـــ ... ـــدٌ تفتريـــه حبيبـــة وجهابـــذة

وسُـــعارُهم حـــبٌ ولقيـــا وافتـــرا ... قٌ واختـــراعُ مشـــاعر ومُجابـــذة

وهِتـــافهم قـــدٌ وخصـــرٌ والشـــعو ... رُ طويلـــة تنســـابُ دون مُـــلاوذة

ويظـــل يخـــدعُنا بـــأنْ لا مثلهـــا ... ويقـــدِّم القربـــان ، بـــئس هرابـــذة!

وهـــو الـــذي لـــيس المصـــدّق نفســـه ... ويَبيـــتُ بـــين تـــأرج ومُخـــاوذة

يـــا أيهـــا العشـــاق دونكـــم الهُـــدى ... فهـــو الـــدوا ، كـــي يُقتفـــى ونحبـــذه

واعشـــق ، ولكـــنْ وفـــق شـــرع قـــيم ... فـــإذا العشـــيق أخٌ لنـــا ، لـــن ننبـــذه

والـــذاتَ أصـــلحْ يـــا شـــباب ، ولا تكـــن ... ذا خســـة فـــي الخـــذل دومـــاً شـــاحذة

❁❁❁

في يوم 24 من شوال 1415 هـ

الموافق : 25 من مارس لسنة 1995 م .

دعوة للتعقل

(إنني عانيت كثيراً من النفاق وأهل النفاق. وتحدثت كثيراً عن النفاق وأهل النفاق! وذات يوم أهداني القلم هذا الدعوة الهادئة للتعقل والتروي وأخذ الحيطة. ذلك أن الحياة يوما سوف تنتهي ويذهب كل شئ. وكل صادق سوف يجني ثمرة صدقه ، وكل منافق سوف يجني أشواك نفاقه! والدنيا على هذه وتلك ، والذكي من وطنَ نفسه. والعبقري مع تأقلم وصارع أقدار الحق بالحق!)

تـــــأرجحْ فـــــي الفضـــــا أبـــــدا ... ولا تســـــــألْ ـ هنـــــا ـ أحـــــدا

فأنـــــــت النـــــــور مؤتلقـــــــاً ... وأنـــــت البـــــدرُ حـــــين بـــــدا

فـــــإن شـــــئت العُـــــلا دومـــــاً ... فنـــــــوّر بالهُـــــــدى الأمـــــــدا

وجانـــــبْ مـــــن طغـــــى وبغـــــى ... ومَـــــن بالموبقـــــات شـــــدا

ومَـــــن يبكـــــي علـــــى (ليلـــــى) ... ومـــــن للهـــــزل قـــــد ســـــجدا

فـــــــــإن الله لا يرضـــــــــى ... لـــــك الكفـــــران والكمـــــدا

وإن تشـــــكرْ لـــــه يرضـــــى! ... وفـــــارق مَـــــن لـــــه جحـــــدا

وأمـــــرُ الله فـــــارض بـــــه ... وكـــــن فـــــي كربـــــك الأســـــدا

وإن الحـــــــــق منتصـــــــــرٌ ... وســـــوف يُبـــــدّد العُقـــــدا

ولكـــــنْ سُـــــنة المـــــولى ... ســـــيُذهب ربنـــــا الزبـــــدا

وأنـــــت الصـــــلبُ لا تيـــــأسْ ... وســـــائل ربـــــك المَـــــددا

وأنـــــت الخيـــــرُ لا تقـــــنط ... ومِثلـــــك لـــــم نجـــــد أبـــــدا

في يوم 29 من محرم 1415 هـ
الموافق : 27 من يونيو لسنة 1995 م .

البحر الطويل والليل الطويل

(سهرة كانت مع الشعر عبر الليل الطويل الذي كان يمد بعباءته على حجرتي! فأنشدت عبرها هذه الأبيات أسلي بها حزين خواطري وأطمئن بها وجداني.عن عبيد بن عمير - رحمه الله -: (أنه قال لعائشة - رضي الله عنها -: أخبرينا بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: فسكتت ثم قالت: لمّا كانت ليلة من الليالي قال: (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي!) قلت: والله إني أحب قُربك ، وأحب ما يسرك. قالت: فقام فتطهر ، ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي ، حتى بل حِجرهُ! قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي - صلى الله عليه وسلم - حتى بلّ لحيته! قالت: ثم بكى حتى بلّ الأرض! فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: (أفلا أكون عبداً شكورا؟!) لقد أنزلت عليّ الليلة آية ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها! {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... }) رواه ابن حبان وغيره - صحيح الترغيب للألباني. تقول الأستاذة نورة السعد نقلاً عن علي عزت بيجوفيتش في مقالة له عنوانها: (التربية طريق التغير الحضاري) يربط بين الثبات الأخلاقي ودوره في النهوض الحضاري وعلى العكس (الانهيار الأخلاقي) ودوره في الهزيمة على المستوى الإنساني ثم الحضاري. يتحدث عن الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم والحالة المعنوية للعالم الإسلامي. هذا الواقع الذي ينتشر فيه الانحراف ، وسيطرة الفساد والخرافة والكسل والنفاق وسيادة التقاليد والعادات غير الإسلامية ، وترسخ المادية ، والغياب المذهل للحماسة والأمل. ويتساءل إذا كان بالإمكان البدء بأي نوع من أنواع الإصلاح الاجتماعي أو السياسي مباشرة في مثل هذه الظروف؟ حيث إنه على كل أمة - قبل دعوتها لأداء دورها في التاريخ - أن تحيا فترة من التطهير الجوّاني والتسليم العملي بمبادئ أخلاقية أساسية معينة. إن كل قوة في العالم تبدأ بثبات أخلاقي ، وكل هزيمة تبدأ بانهيار أخلاقي وهذه الحقيقة تثبتها دراسات في آلاف المجلدات في الدورة الحضارية ، ابتداء من ابن خلدون ، ومروراً بشبنجلر وبتيريم سوروكن ، وانتهاء بعصرنا هذا! فالعلاقة بين المبدأ الأخلاقي وبناء الحضارة وكيف تسيطر على مجريات الحياة وكيف ترتقي بالمجتمعات إلى المستوى الحضاري. ثم كيف بانهيارهما تنهار الحضارة في جانبها المعنوي وتبقى في جانبها المادي الذي لا يقوى على الصمود! يقول علي عزت بيغوفيتش: (كل ما يراد تحقيقه لا بد أن نبدأ بتحقيقه أولاً في أنفس الناس. فعندما تذكر الصحوة الدينية كمطلب أساسي للنظام الإسلامي. فذاك لأن الصحوة الدينية هي وعي واضح بالغاية الحقيقية للحياة لمَ نحيا؟ ولأجل أي هدف نحيا؟ وهل هذا الهدف شخصي أم هدف مشترك؟ هل يتعلق الهدف بعظمة العنصر (الذي أنتمى إليه)؟ أم بمجد الأمة؟ أم هو تأكيد شخصيتي الفردية؟ أم هو هيمنة شريعة الله على الأرض؟).هـ.

ألا يـــا بحـــور الشـــعر غنـــي قصـــيدتي ... فـــإني المعنـــى فـــي مغـــاني قريحتـــي

ومـــا مـــن خليـــل يمـــنح الـــنفس أنســـها ... ومـــا مـــن صـــديق يســـتجيب لنصـــرتي

ظمئـــتُ فـــلا مـــاءٌ ، وجعـــتُ ولا قِـــرَىً! ... تشـــتتُ فـــي دنيـــاي ، عانيـــتُ غربتـــي

علـــى عِزنـــا الماضـــى بكيـــتُ ديارنـــا ... وكـــم ذا تهـــاوت فـــي الـــدجُنات دمعتـــي!

تجاهلـــتُ قـــومي فـــي الســـراب ، كـــأنني ... عـــدِمتُ صـــحابي ، بـــل وأهلـــي وضـــيعتي

تخـــذتُ القـــريض العـــذب صـــحباً ومرفـــأ ... أحـــط رحـــالي عنـــده ، بـــل وجُعبتـــي

وســـافرتُ فـــي دنيـــا القـــريض وجُبتهـــا ... وعنـــد القـــوافي قـــد وجـــدتُ صـــبابتي

وعبـــر الشـــعاب انـــزاح هـــمٌ وكربـــة ... وأبيـــاتُ شـــعري الأصـــدقاءُ ورفقتـــي

ولـــي فـــي طويـــل الشـــعر طـــولاً يزينهـــا ... وطالـــت تفاعيـــل القـــريض بفكرتـــي

فغنيتهـــا مثـــل اليواقيـــت نفحـــة ... وعطرتهـــا مـــن زعفـــران ســـريرتي

فيـــا ليـــت شـــعري ، كيـــف صـــارت عرائســـا ... مرصّـــعة بالـــدر يُزكِـــي عزيمتـــي؟

وطـــال المســـاءُ العـــذب أهـــدى ســـوادهُ ... لشـــعري فضـــجّتْ فـــي بُكاهـــا قصـــيدتي

وضـــاعت علـــى أخطـــاء دربـــي مشـــاعري ... وخـــذلان أهـــل الخيـــر أبكـــى شـــبيبتي

فآهـــاتهم للمـــال ، ليســـت لقيمـــةٍ ... وغايـــاتهم للطـــين ، ليســـت لرفعتـــي

وضـــلت حيـــاةٌ تجعـــل الـــنفس مرتعـــاً ... للـــذاتها ، مـــاذا تفيـــد طـــويتي؟

فغنـــي الوفـــا يـــا ذي القصـــائد بـــالهوى ... وذرّي عبيـــر الشـــوق فـــوق مُشـــتّت

عدد جريدة الوحدة العربية: (6973). والموافق 2 من جمادى الآخرة 1416هـ

مستنقع الرماد

(عندما يستر القومَ الفساد. وعندما يستفحل الشر ويستأسد الضلال لا يكون للخير مكان. وتسود الغابة. ويكون للأقوى السؤدد دون غيره. وتغدو القيم هباءً منثوراً. ويترعرع النفاق ويمد جذوره في أعماق الإخلاص ، ويطغى الرماد على نور اليقين. ويعم الجميع مستنقع الرماد.)

أكـــــــل الفســـــــادُ نفوســـــــهمْ ومضـــــــى الرقـــــــادُ بعـــــــزمهمْ

عـــــــمّ الـــــــدنا إفلاسُـــــــهم وطغـــــــى علـــــــيهم جهلهـــــــم

أخِـــــــذوا إلـــــــى إهلاكهـــــــم ســـــــعِدوا بـــــــذلك كلهـــــــم

هـــــــذا الرمـــــــاد قـــــــرينهم عجبـــــــاً لأمـــــــر هُـــــــزالهم

(مســـــــتنقعٌ) قـــــــد عمّهـــــــم وعصـــــــا تجمّـــــــع شـــــــملهم

والحقـــــــدُ مَـــــــلءُ قلـــــــوبهم والغـــــــش فـــــــوق دروبهـــــــم

الـــــــزور تحـــــــت أديمهـــــــم والغـــــــيظ بـــــــين ضـــــــلوعهم

والكيـــــــد مـــــــلءُ رؤســـــــهم والغِـــــــل فـــــــوق ربـــــــوعهم

إبلـــــــيسُ طَهـــــــرٌ عنـــــــدهم والحـــــــق رجـــــــسٌ بيـــــــنهم

مَـــــــن ذا يزيـــــــل غـــــــرورهم؟ مَـــــــن ذا يغيّـــــــر أمـــــــرهم؟

الله ربـــــــك فـــــــوقهم ونـــــــراه فـــــــوق كبيـــــــرهم

ربـــــــاه دمـــــــر صُـــــــنعهم وأذلّ جمعـــــــاً فيـــــــهِ هُـــــــم

عدد الوحدة العربية (6994) ، 20 \ 11\1995
والموافق الإثنين 27 من جمادى الآخرة 1416هـ

نائمٌ لا يفيق

(الغرب الماكر الخبيث راح يطلق علينا في خبث ودهاء (البلاد النامية). والحق أنه ربما كان لنا نصيب من هذه التسمية في أول عهدها. أما الآن فنحن الآن (البلاد النايمة). وإن هو إلا تسبق الياء الميم ليستقيم المعنى الحقيقي. وجمعتني المقادير بحفنة من المرتزقة في مدرسة ما ، هنا في غربتي. ومن بين هؤلاء المرتزقة التقيت بنفر قليل على النقيض من ذلك: فالتدريس عندهم رسالة ، لا وظيفة ، ولا رتبة ، ولا راتب. ومن بين هذا النفر المحترم أخ حبيب محبب إلى قلبى (وإن كان الوصف لا يتناسب مع مطلع القصيدة في اللوم والعتاب والتوبيخ). ولكنْ أقطع أنه إن كان حبيباً إلى قلبي من بينهم جدّا. اعتاد هذا الحبيب على النوم الإغفائي بين الحصص ، فإذا صحا من نومه صاح في الجمع مبكتاً على أدنى مخالفة يراها أو يسمعها أو تتناثر أمامه حكاية. ولم أكن قد توغلت بعدُ في أعماق نفسه ، ولا كنت قد سبرت أغوار فؤاده ، ولا عرفت من حقيقة أمره ، (وهذه هى ظروف كتابة القصيدة) فأسأت الظن بالرجل الكريم وكانت (نائم لا يفيق). وكلما صحت فيه: أفق من نومك ، عاد إلى نومه ، ونظرت حولي فإذا الكل نيام ، وإن كانوا يسيرون على الأقدام ويتكلمون ويأكلون ويشربون. إنه نوم الغفلة والركون إلى الإفلاس. قال الحارث المحاسبي: (طول الأمل يُنسي الْآخِرَة وَيُذكّر الدُّنْيَا ويُحَسّنها ويحببهما إليك وَيُورث الْحَسَد والتسويف وَيُقَوِّي الْهوى وَيكثر الشَّهَوَات). ويقول أبو حامد الغزالي: (اعلم أنه إذا طال الأمل هاج منه أشياء: ترك الطاعة ، والكسل فيها ، وترك التوبة وتسويفها والحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا ، وقسوة القلب ونسيان الآخرة ، وفي الأثر: (أربعة من الشقاء: جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا). يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: اعلم أن الإنسان ما دام يأمل الحياة فإنه لا يقطع أمله من الدنيا ، وقد لا تسمح نفسه بالإقلاع عن لذاتها وشهواتها من المعاصي وغيرها ، ويرجيه الشيطان بالتوبة في آخر عمره ، فإذا تيقن الموت ويئس من الحياة أفاق من سكرته في شهوات الدنيا ؛ فندم على تفريطه ندامة يكاد يقتل نفسه ، وطلب الرجعة إلى الدنيا ليتوب وليعمل صالحاً فلا يُجاب إلى شيء من ذلك ، فيجتمع عليه مع سكرات الموت حسرات الفوت. {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}. قال الله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} ، وقال: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}. يقول الحسن: (إياك والتسويف ؛ فإنك بيومك ولست بغدك ، فإن يكن غد لك فكن في غد كما كنت في اليوم ، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم). ولقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابن عمر: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ، فكان ابن عمر يقول: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لمرضك). قال علي بن أبي طالب: (إن أخوف ما أتخوف عليكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوى ؛ فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق. وقال الفضيل: (إن من الشقاء طول الأمل ، وإن من النعيم قصر الأمل). وقال ابن القيم: (مفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك.) وليتنا نحسن اغتنام الخمس الاغتنام الأمثل قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله! ومن هنا فالفرصة أمامنا والأمل يحدونا والاعتبار بالغير نعمة!)

تنـــــــام كأمتـــــــك النائمـــــــة؟ تنـــــام كمـــــا الـــــوُثن والســـــائمة؟

ولســـــت تفكـــــر فـــــي حالنـــــا ... ألا أنهـــــا طعنـــــة قاصـــــمة

فـــــؤادٌ يغـــــط بنـــــوم الفنـــــا ... تداعبـــــة هجعـــــة حالمـــــة

ودنيـــــا تعـــــجُ بإفلاســـــها ... وليســـــت بإعراضـــــها عالمـــــة

وجيـــــل يُفضّـــــل أن لا يـــــرى ... حقيقـــــة نكبتـــــه الداهمـــــة

عشـــــيرٌ يحـــــارب رب الســـــما ... تعـــــامى عـــــن القوْمـــــة الحاســـــمة

وقـــــومٌ إذا جوّعـــــوا أزبـــــدوا ... وإن غـــــاب ديـــــنٌ فـــــلا قائمـــــة

ودارٌ يضـــــــمّخها شِـــــــركُها ... وكانـــــت بـــــأمس مضـــــى ســـــالمة

وأرضٌ بأيـــــدي العِـــــدا استصـــــرختْ ... وباتـــــت لـــــه دولـــــة دائمـــــة

وفـــــوق الـــــرؤوس علـــــتْ جَوْقـــــة ... بخيبتهـــــا فـــــي الـــــورى جازمـــــة

وكـــــبشُ الفـــــداء الـــــذي قـــــال: لا ... ســـــتذبحه اللحظـــــة الهاجمـــــة

عزيـــــزي: أفـــــقْ إننـــــا أمـــــة ... لهـــــا فـــــي الـــــورى سِـــــيرة باســـــمة

وســـــلطانها كـــــم عـــــلا فـــــي الـــــدنا! ... ولمّـــــا تكـــــن فـــــي الـــــورى نائمـــــة

ويعلـــــم ذلـــــك أعـــــداؤها ... ودعـــــوى التـــــردي لهـــــا واهمـــــة

وعـــــادت إلـــــى جهلهـــــا أمـــــة ... ويعلـــــم ربـــــك مـــــا الخاتمـــــة

وباتـــــت تـــــذبّح أزهارهـــــا ... وتبـــــدو بسِـــــحنتها القائمـــــة

وفـــــي كـــــل يـــــوم لهـــــا مِحنـــــة ... وسُـــــحْبُ الرزايـــــا بهـــــا غائمـــــة

عزيـــــزي أفـــــقْ ، إنهـــــا صـــــيحة ... كمـــــا إنهـــــا سَـــــقطة جاثمـــــة

وإنـــــك ـ فـــــي الأفـــــق ـ أبصـــــرتها ... مُصـــــيبتها فـــــي الفضـــــا حائمـــــة

ســـــتذهب يومـــــاً صـــــنوف الرخـــــا ... ويُظلـــــم جـــــو الـــــدنا الناعمـــــة

ومهمـــــا تمـــــادت بأصـــــحابها ... ســـــتبكي عليهـــــا بـــــلا لائمـــــة

كفاهـــــا معيشـــــتها فـــــي الهنـــــا! كفاهـــــا حيـــــاة الهـــــوى الســـــالمة!

أســـــائل مـــــاذا أفـــــاد الهـــــوى؟ ومـــــاذا أفـــــادت دُمـــــىً رازمـــــة؟

وأولـــــى بهـــــذا التـــــردي الفنـــــا كفـــــى يـــــا أخـــــي حُججـــــاً راغمـــــة

فإنـــــا نتـــــوق لإرهاصـــــةٍ علـــــى المُلتقـــــى بالعِـــــدا عازمـــــة

تعيـــــد إلـــــى القـــــوم إســـــلامهم وتمـــــنحُهم هيعـــــة قادمـــــة

وترفـــــع أمتنـــــا للعُـــــلا وتســـــحق مِحنتهـــــا الهائمـــــة

عزيـــــزي أفـــــق ، لا تـــــنم ، لا تهـــــن فقـــــد داهمتنـــــا القـــــوى الغاشـــــمة

وكيـــــف تنـــــام وأنـــــت الفـــــدا؟ فقـــــم أيقـــــظِ الأمـــــة النائمـــــة!

الوحدة العربية: (6958). والصادر في 15 من جمادى الأولى 1416هـ. 9 من اكتوبر 1995م.

الدوامة

(إنها عجلة الحياة تدور ، والناس يسيرون فيها ولا يدورون ، ولكنها تدور وتدري أنها تدور. ذلك أنها تدور على سُنن وضعها المليك وسنها. والناس لم يتركهم المليك بلا أمر ونهى ، بل أمرهم ونهاهم ، وشرّع لهم شرائع وقنن لهم شعائر ، فأعرض أكثرهم وأطاع أقلهم ، ثم يأتى الموت.)

على عجل تدور بنا الحياة ... وحتماً سوف تمضي الذكرياتُ

فلا ألم يدور ، ولا سرورٌ ... ولا ضحكٌ يدومُ ، ولا شكاة

خلِقنا للعبادة ، ما امتثلنا ... حَيينا مثلما يحيا المَوات

أضعنا عمرنا لعباً ولهوا ... كأن حياتنا هذي ممات

ولم تدمع عيونٌ أو قلوبٌ ... فعانى الكونُ منا والحياة

وتبكي العين ، لكنْ في حقير ... وفي دنياهمُ يبكي الغفاة

كتابُ الله في الأيدي نفاقاً ... وقد كانت لنا فيه النجاة

ولا عذرٌ لنا في دين ربي ... فإنا في الحقيقة للجُناة

أطعنا سادة ضلوا كثيراً ... حسِبنا أننا نحن الأباة

وجاء الموت يعدو ، لا يبالي ... ومِتنا مثلما مات الغواة

وقد تبنا ، ولكن بعد ماذا؟ ... وهل يجدي؟ لقد حل الفوات

عدد جريدة الوحدة العربية: (7002)
والصادر في يوم 7 من رجب 1416هـ
والموافق29 من نوفمبر لسنة1995م.

المرتزقة في بحر الظلمات

(الارتزاق على حساب العقيدة دناوة في النفس تورد الذي يقترفها موارد الهلاك وموت القلب. قال ابن رجب - رحمه الله -: (واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضاً كحال المنافقين. كما قال تعالى: (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا). وهذا هو الرياء المحض! والنفاق المستبين لا يكاد يصدر عن مسلم مؤمن موحد في فرض الصلاة والصيام. وقد يصدر في الصدقة أو الحج الواجب أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها للغير ، فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط ، وأن صاحبه يستحق المقت والغضب من الله والعقوبة. قال الحافظ: الرياء مشتق من الرؤية. والمراد به: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيَحمدون صاحبها. والفرق بينه وبين السمعة: أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة. والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله. وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا). أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شئ ، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له ، أوحاه إليّ (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي: يخافه: (فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً). وقوله: (أحداً) نكرة في سياق النهي تعم ، وهذا العموم يتناول الأنبياء والملائكة والصالحين والأولياء وغيرهم. قال شيخ الإسلام رحمه الله: أما اللقاء: فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة ، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة وذكر الأدلة على ذلك).هـ. يقول الأستاذ عزام الحملاوي واصفا أصحاب القيم ما نصه: (لقد اتضح أن أصحاب المبادئ والقيم والأخلاق والهمّة والخير هم وحدهم المرتبطون بعلاقة طاهرة مع ربهم ، لأنهم يتسابقون إلى غرس وترسيخ الوفاء والتسامح والأخلاق والمحبة والقيم والمبادئ ، ولذلك تجدهم يشاركون الناس في أفراحهم وأحزانهم ، ومن هنا فإن هذه العادات الحسنة والمواقف الطيبة تعرّي أصحاب المنافع والمصالح الشخصية الذين لا يعترفون بالقيم والمبادئ ، وتعرفك بأصحاب القيم والأخلاق والمبادئ والثوابت الدينية والإنسانية ، بالاضافة إلى أنها تعرفنا أيضاً معاني القيم الدينية والإنسانية التى لا تقبل التغير! إن الحديث عن المبادئ والأخلاق ، والقيم الدينية والوطنية والإنسانية ، يحتاج إلى عمل يُجسد قيم الوفاء والمحبة التي لا تربطها المصالح الشخصية ، فقد بيّنت الأزماتُ معدنَ الشخصيات والناس الأوفياء للمبادئ والقيم الإنسانية ، وكشفت أصحاب المنافع والمصالح الشخصية الذين لا يؤمنون إلا بمصالحهم الشخصية لذلك كان أصحاب المبادئ والقيم الدينية والإنسانية نجوما بارزة في سماء الإنسانية ، وسقط كل من كان لا علاقة له بالقيم الدينية والإنسانية ، وظل يجري وراء منفعته ومصلحته الشخصية من أجل تحقيق رغباته العدوانية فقط).هـ. ومن هذا المنطلق رحتُ أصب جام غضبي شعراً على المرتزقة المرائين الذين أراهم يسبحون في بحر الظلمات والعمالة والنفاق والرياء!)

بـــــــدين الله يرتـــــــــزق الجبـــــــانُ ... وبـــــين النـــــاس يقتلـــــه الهـــــوانُ

يبيـــــع الـــــدين بخســـــاً للطـــــواغي ... لتغمـــــــره الـــــــدراهمُ والأمـــــــان

ويلـــــوي الـــــنص فـــــي خبـــــثٍ ومَكـــــر ... ومِـــــن شِـــــدقيه ينطلـــــق البيـــــان

ويختـــــــرعُ المَحـــــــاور والأحـــــــاجي وتســـــبق قولـــــه الحُجَـــــجُ الحِســـــان

ويَحْبـــــــكُ دَوْره فـــــــي كـــــــل وادٍ تزخرفـــــــه اللآلـــــــئُ والجُمـــــــان

ويقمـــــــع مـــــــن يناوئـــــــه بلفـــــــظٍ تُـــــــؤازره القـــــــذائف والســـــــنان

وقـــــد يُوشـــــي بمـــــا لـــــم يـــــأت منـــــه وفـــــي حبـــــك الزيـــــوف لـــــه لســـــان

ديـــــاجي الـــــزور لـــــيس لهـــــا حـــــدودٌ ولا يســـــــــعى لهـــــــــا إلا الجبـــــــان

ومَـــــن يعـــــدل بحـــــب الله شـــــيئاً فقـــــد حَرمـــــتْ علـــــى الغـــــر الجنـــــان

وبحـــــر الزيـــــف لـــــيس لـــــه قـــــرارٌ وربـــــــانُ الخديعـــــــة لا يعـــــــان

يـــــراهن فـــــي العُبـــــاب علـــــى حيـــــاة وفلـــــكُ الـــــزور يُغرقهـــــا الرهـــــان

ولـــــم تقـــــفِ العمالـــــة عنـــــد جيـــــل! ويشـــــــهد بالـــــــذي قلـــــــت الزمـــــــان

ولـــــيس يضـــــم مَـــــن فســـــقوا أوانٌ ولـــــيس يَحُـــــد مَـــــن ركنـــــوا مكـــــان

إذا عبـــــدٌ عصـــــى مـــــولاه جهـــــراً فضـــــاع فمـــــا علـــــى المـــــولى ضـــــمان

ومـــــن خـــــان الأمانـــــة باختيـــــار فمِـــــن أصـــــفى أقاربـــــه يُخـــــان

تحية للشاعر / أبي عاصم القارئ

(أحيي الشاعر أبا عاصم القارئ على ديوانه شجون غريب حيث جسّم آلام الغربة تجسيماً فى غاية الإبداع. قال يحي بن معاذ الرازي: (يا ابن أدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها ، والدنيا قد كُفيتها وإن لم تطلبها ، والأخرة بالطلب منك تنالها فاعقل شأنك). وعَن أَبِي هُرَيْرَة - رَضِي اللَّه عَنْه - أَن النَّبِي - صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم - قَال: (طُوَبَى لِعَبْد آخِذ بِعِنَان فَرَسه فِي سَبِيل اللَّه أَشْعَث رَأْسُه مُغْبَرَّة قَدَمَاه ، إِن كَان فِي الْحِرَاسَة كَان فِي الْحِرَاسَة ، وَإِن كَان فِي السَّاقَة كَان فِي السَّاقَة ، إِن شَفَع لَم يُشَفَّع ، وَإِن اسْتَأْذَن لَم يُؤْذَن لَه). وعَن أَبِي أُمَامَة عَن النَّبِي - صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم – قَال: (إِن أَغْبَط النَّاس عِنْدِي عَبْد مُؤْمِن خَفِيف الْحَاذ ذُو حَظ مِن صَلَاة أَطَاع رَبَّه وَأَحْسَن عِبَادَتِه فِي السِّر وَكَان غَامِضا فِي النَّاس لَا يُشَار إِلَيْه بِالْأَصَابِع وَكَان عَيْشُه كَفَافا وَكَان عَيْشُه كَفَافا قَال وَجَعَل رَسُوْل اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم - يَنْقُر بِأُصْبُعَيْه وَكَان عَيْشُه كَفَافا وَكَان عَيْشُه كَفَافا فَعَجَّلْت مَنِيَّتُه وَقُلَّت بَوَاكِيْه وَقَل تُرَاثَه). قال محمد بن الحسن الآجري: من ألزم نفسه العمل بالحق بين ظهراني من قد جهل الحق بل الغالب عليهم اتباع الهوى ، ثقل ذلك عليهم فمقتوه وخالفوه وطلبوا له العيوب فأهله به متضجرون وإخوانه به مثقلون. وأهل الأهواء له على مذهب الحق مخالفون ، فصار غريباً في دينه لفساد دين أكثر الخلق غريباً في معاملته لكثرة فساد معاش أكثر الخلق ، غريباً في جميع أمور الدنيا والآخرة لا يجد على ذلك مساعداً يفرح به ولا مؤانساً يسكن إليه. فمثل هذا غريب مستوحش لأنه صالح بين فساق وعالم بين جهال وحليم بين سفهاء يصبح حزيناً ويمسي حزيناً كثير غمه قليل فرحه كأنه مسجون كثير البكاء، كالغريب الذي لا يعرف ولا يأنس به أحد يستوحش منه من لا يعرفه. فلو تشهده في الخلوات يبكي بحرقة ويئن بزفرة ودموعه تسيل بعبرة فلو رأيته وأنت لا تعرفه لظننت أنه ثكلى قد أصيب بمحبوبه وليس كما ظننت ، وإنما هو خائف على دينه أن يصاب به لا يبالي بذهاب دنياه إذا سلم له دينه قد جعل رأس ماله دينه ، يخاف عليه الخسران كما قال الحسن البصري: (رأس مال المؤمن دينه حيث مازال زال معه لا يخلفه في الرحال ولا يأتمن عليه الرجال). قال الأستاذ / عبد الجواد خفاجي تحت عنوان (الغربة والاغتراب) ما ملخصه: (إن الاغتراب يتخذ مفهومات عدة متسعة حسب سياقات التوظيف فهو يستخدم في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب وفي العلوم الإنسانية عموماً وسوف يظل مفهوماً نامياً ومتطوراً تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والتصور الفكري والفلسفي ، وإن ظلت الذات الفردية مرتكزاً للاغتراب إذ ينبثق منها التنافر بين الإنسان وذاته وبين غيره إنساناً ومجتمعاً ، كوناً وطبيعة ، فهو مفهوم يؤكد التجاذب النفسي بين الرضا والرفض ، بين الحرية والقهر ، بين الانفتاح والانغلاق ، بين الرجاء والإحباط ، بين سقوط الإنسان ومحاولة تجاوز هذا السقوط ، بين التوازن والاضطراب. إنه تعبير عن التوتر والقلق النفسي ، وضياع الذات أو استشعار الخوف من فقدان الأمن والأمان. ويمكننا أن نخلص إلى استعمالات أربعة ، أجمع عليها الباحثون تشير إلى المعاني اللغوية لهذا المصطلح ، حسب تحديداته وتجريداته اللغوية في المراجع اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية هي: 1 ـ الانتقال غير الشرعي للملكية من إنسان إلى إنسان آخر ، أو من شعب إلى شعب آخر. 2 ـ فقدان القدرة العقلية أو غياب الوعي. 3 ـ اضمحلال العلاقات الوديَّة بين شخص وآخر. 4 ـ ابتعاد الإنسان عن الله)هـ. وأنا أكتب في مواساة كل غريب هذه القصيدة لأرفع معنوياته! والحقيقة أن ديوان: (شجون غريب) لأبي عاصم القارئ يُصور الأحزان والكروب التي تعتمل في قلب كل غريب! وتزداد آلام الغربة وأشجانها وكروبها إن كانت في الإسلام! ففرق كبير جداً بين مغترب مرتزق يعبد الدينار والدرهم

ويبيع في سبيلهما الغالي والنفيس ابتداءً من دينه وانتهاءً بعرضه إن كان له دين وعرض ، وبين مغترب دُفع إلى الاغتراب دفعاً في سبيل دينه وعقيدته ، وذلك بعد أن أصبحت الحياة في دياره مستحيلة أو شبه مستحيلة في دياره التي برئتْ منه وبرئ منها براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليهما سلام الله!)

شـــجونك يـــا غريـــبُ رؤىً حكيمـــة ... تحَطـــم بالمضـــا غـــل الهزيمـــة

وتقـــتحم المَـــدى دون اكتـــراثٍ ... بمـــا تزجيـــه أوهـــامٌ ســـقيمة

وتبعـــث فـــي الفـــؤاد طيـــوفَ نصـــر ... وتجتـــث الـــدياجير الأليمـــة

ألا طـــال اغترابُـــك عـــن ديـــار ... بمثلـــك يـــا أخـــي كانـــت كريمـــة

فهـــل مـــن عـــودةٍ يومـــاً إليهـــا؟ ... فللأخيـــار عـــودتكم غنيمـــة

هـــمُ ارتقبـــوا ، وأنـــت نأيـــتَ عـــنهم ... ونـــارُ الشـــوق مُوقـــدة حطِيمـــة

ألا يهتـــاج فـــي القلـــب إشـــتياقٌ ... إلـــى الأطـــلال والـــدور القديمـــة؟

ألا يلتـــاع فـــي الإحســـاس شـــوقٌ ... لـــذكر العـــز والـــدور القويمـــة؟

ففكّـــرْ يـــا غريـــب ، وكـــن ذكيـــاً ... لمَـــا يرجـــوه أربـــابُ الجريمـــة

رأوا مـــن بعـــد مثلـــك كـــل غـــنم ... ففـــوت فرصـــة صـــدقاً وخيمـــة

قـــد اشـــتاقتْ ديـــارُك ، كـــن رفيقـــاً ... أراهـــا بافتقـــادك كاليتيمـــة

وأنـــت بمـــا النـــوى أرداهُ أدرى ... فكابـــدْه تحُـــز مجـــداً وقيمـــة

لبيـــبٌ مَـــن تصـــارعه المنايـــا ... فيصـــرعُها بـــروح مســـتقيمة

فـــلا تجتـــرّ فـــي المنفـــى الأمـــاني ... لترحمهـــا ، فـــذي ليســـت رحيمـــة

وودّع يـــا غريـــب شـــجون قلـــب ... وإن أهـــدتْ إليـــك رؤىً حكيمـــة

(نهاية الطريق)

(بعد أن فرغت من قصائد هذا الديوان ، انطلقت النهاية معلنة بداية النهاية ونهاية البداية ، وذلك بعد رحلة شاقة مع قوم هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا يلبسون للناس مسوح الرهبان وهم في الحقيقة ذئابٌ بشرية تعمل لحساب الشيطان ، وبعد أن أسفر الحق عن صباح ، وضحك الفجر الوليد ، واندحر قرن النفاق تعشمت أن أنطلق من جديد بعيداً عن نهاية هذا الطريق المليء بالأوهام والريب ، والله تعالى المستعان. يقول الدكتور علي القرني تحت عنوان: (طريق الدعوة محفوف بالمكاره والمخاطر) وهو جزء من محاضرته الشهيرة الجهيرة: (صراع الدعاة مع المنافقين) ما نصه: (إن طريق الدعوة والجهاد طريق محفوف بالمكاره ، كله عراقيل ، كله عقبات ، وقد لاقى الدعاة في سبيل الله في هذا الطريق مكاره عظيمة فما صدتهم ولا ردتهم عن دعوتهم. ها هو صلى الله عليه وسلم يَخرج من مكة من بين الأهل والجيران والإخوة والخلان حسيراً حزيناً كئيباً طريداً في تلك الفيافي والقفار ، ما معه من مظلة إلا (لا إله إلا الله) ، يصعد إلى أهل الطائف لأنه ما وجد هناك بيئة تتقبل لا إله إلا الله ، ويذهب إليهم فيسخرون منه ويستهزئون به ، فهذا هو طريق الدعوة. وهذا هو المصطفى صلى الله عليه وسلم لقي ما لقي من أذىً في سبيل الدعوة إلى الله ، فطريق الدعوة هذا هو. وإلى عهد قريب ليس في ذاك العهد ، وإنما إلى عهد قريب نرى سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب حفيد إمام الدعوة رحمه الله يصدح بدعوة الحق ، فيجعله أعداء الإسلام في فوهة المدفع ، ثم يطلقون به المدفع لتتطاير أشلاؤه لتقول لكل الدعاة: قدموا أنفسكم في سبيل الدعوة إلى الله ، فما نقموا منه إلا أن آمن بالله العزيز الحميد. طريق الدعوة إلى الإسلام طريق تضحيات ، ومن يفزع من هذا الطريق فليس بداعية حق الدعوة ، إن الحافظ الله ، إن الولي هو الله ، إن المسدد هو الله. ها هو موسى ذلك الغلام الذي رآه فرعون في منامه ، ورأى هلاك ملكه على يديه ، قتل من قتل من أولاد بني إسرائيل ، ويربى هذا الطفل في بيت فرعون ، ويترعرع أمام عينيه ؛ لأن الله عزَّ وجلَّ حفظه ومن حفظه الله فلا خوف عليه. وهذا والله درس عظيم للدعاة إلى الله ؛ إذ مهما علا الباطل وزمجر ، وارتفع هديره ؛ فإن الله سيجعله زبداً ويبقى ما ينفع الناس ، لا خوف فالله ناصر دينه شاء من شاء وأبى من أبى ، أما كيد البشر فكيد ضعيف مهما عظم ، ووالله لا تستطيع أي قوة في الأرض أن تصل لقلب مؤمن صادق في إيمانه ويقينه).هـ. فهل عنوان قصيدتي هذي مناسب لما كُتبت له؟ بالطبع لا! لقد عنيتُ بالنهاية نهاية التعامل مع المنافقين والجاهليين ولو كانوا أولي قربى من بعد أن تبين لي إعراضهم عن الحق المبين! ولكنها بداية انطلاقي في عالم الشعر والتأليف! ولقد احترت بين تسمية القصيدة: (بداية الطريق أم نهايته)؟ واستقر الرأي على (نهاية الطريق) لأن إنها التعامل مع المنافقين والجاهليي هي بداية السير في الطريق الصحيح! وهناك في موقع اسمه منتدى التحرير يقول أحد العباقرة وقد رمز لاسمه بالكُنية (أبو أحمد) وذلك بعد أن عنون لكلمته الذهبية بـ: (المنافقون والمنافقات ـ خطرهم وصفاتهم في كتاب الله) ما نصه: (تعريف المنافق في الشرع هو الذي يظهر غير ما يبطن. فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص ، وحكمه في الآخرة حكم الكافر وقد يزيد عليه في العذاب لخداعه المؤمنين ، بما يظهره لهم من الإسلام قال تعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار). وإن كان الذي يُخفيه غير الكفر بالله وكتابه ورسوله ، وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق. ولكن: أين يوجد المنافق؟ والجواب عندما تنتصر الدعوة ، ويستأصل الكفر ، ويذهب سلطان الكافرين! عند ذلك يمكن أن يظهر النفاق. وفي السيرة ، ظهرت حركة النفاق في المدينة بعد غزوة بدر. ولكن هل المنافق

أسوأ من الكافر؟ والجواب: المنافق أضر وأسوأ من الكافر ، لأنه ساواه في الكفر ، وزاد عليه بالخداع والتضليل فيكون ضرره شديداً ، والحذر منه قليلاً ، بخلاف الكافر. فكيف نعرف المنافقين؟ وما هي صفاتهم؟ إنها الصفات التالية: وإن كانت صفات منافقين فلا يمنع ذلك من أن يقع في بعضها المسلم! ووقوع المسلم في بعض هذه الصفات خطأ لا شك فيه ، ولكن لا يدل ذلك على أنه منافق. فمن وقع في شيء من هذه الصفات ، فعليه التخلص منها قبل أن تنمو وتتزايد وتنتشر فيه. يجب الحذر من المدخل الشيطاني الذي يشعر صاحب الذنب والخلق المنحرف أنه منافق ، ويجب أن لا يترك الصالحين فتزداد مصائبه. من صفاتهم: - مرض القلب. {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً}. - الطمع الشهواني. {فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض}. - الزيغ بالشبه. {ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض}. - الظن السيئ بالله {ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً}. - الاستهزاء بآيات الله. - الجلوس الى المستهزئين بآيات الله {وقد نزل عليكم أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً}. - التستر ببعض الأعمال المشروعة للإضرار بالمؤمنين {والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون}. - (من النقطة السابقة واللاحقة) التفريق بين المؤمنين والدس والوقيعة وإشعال نار الفتنة واستغلال الخلافات وتوسيع شقتها. الإفساد في الأرض. - وادعاء الإصلاح {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} ، {وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها}. – السفه ورمي المؤمنين بالسفه {وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء}. اللددُ في الخصومة مع إتيانه في بعض الأحيان بالقول الجميل {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام}. - عدم الأوبة للحق وتأخذه الحمية والغضب بالباطل وبالإثم {وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد}. موالاة الكافرين. التربص بالمؤمنين {بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً... {الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً}. - الاتفاق مع أهل الكتاب ضد المؤمنين. - والتولي في القتال {ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون* لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون}. الطبع على القلوب فلا يفقهون {ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم}. فتنة النفس والتربص والاغترار بالأماني {يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * ..... ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور}. مخادعة الله. - الكسل في العبادات. – الرياء. - قلة الذكر. - التذبذب بين المؤمنين والكافرين {إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى

هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً}. - مخادعة المؤمنين أيضاً {يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون}. - التحاكم إلى الطاغوت. - الصدود عما أنزل الله وعدم الرضا بالتحاكم إليه {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً}. - الإفساد بين المؤمنين {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين}. الحلف الكاذب. - والخوف والجبن والهلع. - وكره المسلمين والخروج عن دائرتهم {ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدّخلاً لولوا إليه وهم يجمحون} {يحسبون كل صيحة عليهم}. - ظهور الرعب عليهم عند ذكر القتال في آيات الله {ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم}. – الكذب. - إخلاف الوعد. - خيانة الأمانة. للحديث (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان). وفي رواية (وإذا خاصم فجر). - يعيبون العمل الصالح. - يرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم {ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون}. - يسخرون من العمل القليل من المؤمنين - ولا يرضيهم شيء {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}. - الرضا بأسافل المواضع {وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين} ، {رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون}. - الأمر بالمنكر. - والنهي عن المعروف. – البخل. - نسيان الله {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون}. - الغدر وعدم الوفاء بالعهود مع الله {ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون}. - الفرح بالتخلف عن الجهاد وكره ذلك. - التواصي بالتخلف عن الجهاد {فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون}. - التخذيل والتثبيط. - الإرجاف {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً}. - لا ترى نصرة الله لهم {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً}. - قطع الأرحام {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم}. - طاعة الكفار والمنافقين والفاسقين في بعض الأمر {ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم}. - لا تكره ما يرضي الله {ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم}. - ظهور الأضغان منهم. - التعرف عليهم في لحن القول {أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم * ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم}. - البطء عن المؤمنين {وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً * ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً}. - لا ينفعهم القرآن بل يزيدهم رجساً إلى رجسهم {وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً

فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم رجس فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون}. - العودة إلى ما نهوا عنه. - التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول {ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول} الآية. - الاستئذان عن الجهاد بحجة الفتنة {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا}. - اتخاذ الأعذار عند التخلف {يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم ..} الآية. - الاستخفاء من الناس {يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً}. - يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا (قصة الإفك) {إن الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون}. - الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء والاستياء بما يمكن الله لهم {إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون}. - زيادة في الجسم في بعض الأحيان {وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم} {فلا تعجبك أموالهم ولا أجسامهم ..} الآيات. ومن هذا المنطلق أمر الله تعالى بجهادهم فقال: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم). وقال: (هم العدو فاحذرهم). ومن طرق الوقاية منهم ومن خطرهم: - التعرف على صفاتهم وطرق كيدهم من القرآن الكريم. - التعريف بالنفاق وطرقه وأساليبه وصفات أصحابه وفضح مخططاتهم وأساليبهم. - ترك موالاة من بدت عليه مظاهر النفاق وصدرت عنه أعمال المنافقين وأقوالهم. والله تعالى يقول (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا * ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله). - مقاطعة المنافقين واجتناب مجالسهم التي يخوضون فيها فيما لا يرضي الله عز وجل وقد قال تعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا * وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً). - وضعهم موضع الشك وعدم الثقة بأقوالهم وإشاعاتهم وأراجيفهم . فهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يفسدون ويثبطون ويرمون المسلمين بالإفك والفاحشة ويستعينون بالحلف والحديث الحسن في ظاهره. - فالأصل فيهم الإساءة والإفساد حتى يثبت خلاف ذلك وقد قال الله فيمن يسمع لهم (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين). - الحيلولة بينهم وبين المراكز الخطرة والهامة وإخراجهم من صفوف المسلمين عند العزم على القيام بأعمال خطيرة وخاصة عند الجهاد. فالمنافقون لا يستأمنون على ثغور المسلمين لأن في هزيمة المسلمين تحقيق لمأربهم. ويكثرون الأراجيف. - صيانة الصف المسلم من التنازع والتدابر والتقاطع وذلك حتى لا يجد المنافقون أرضاً خصبة يلقون فيها الفتن (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم). - الحرص على رباط الأخوة الإيمانية بين المؤمنين ورفعه وتقديمه على كل علاقة أخرى مهما كانت لأن المنافقين ينطلقون من منطلقات عصبية نتنة في فتنهم وهذا يجب أن يرد بالاستمساك بالأخوة الإيمانية التي تربطهم بالله تعالى وتفضيلها على كل رابطة دنيوية سواء كانت قرابة أو صداقة أو تجارة أو غير ذلك. - حسن الظن بالمؤمنين وعدم الالتفات إلى ما ينسبه المنافقون إليهم من التهم والفواحش فهذا من أحسن الوقايات أمام نقد المنافقين وإشاعة الفواحش بينهم (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين). - الاحتياط والحذر من أهل

النفاق عند العزم على اتخاذ إجراءات مهمة وذلك بالكتمان والسرية وتعمية الأخبار على المنافقين والجهلة حتى لا ينقلوا إلى هؤلاء المنافقين وحتى لا ينقلها المنافقون إلى أوليائهم من الكفار. وكان رسول الله إذا أراد غزوة ورى بغيرها. ومن الطرق العلاجية كذلك: {أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً}. - تذكيرهم بما سيكون لهم من العذاب الشديد في اليوم الآخر ما يزيد عن عذاب الكفار المجاهرين. (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً). - التبيين بأن باب التوبة مفتوح لهم قبل انتهاء أجلهم في الحياة الدنيا (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً * ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً). - تذكيرهم بعلم الله الشامل المحيط بما تكنه صدورهم من النفاق وأنهم إن استطاعوا ستره عن المؤمنين فإن الله علام الغيوب مطلع على السرائر (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب). - تذكيرهم بقضاء الله النافذ وقدره وأن الأمر بيد الله سبحانه لا بأيديهم وأن خططهم ومكائدهم لن تنجيهم من قدر الله عز وجل ولن يثمر إلا ما يأذن به الله وأن ما كتب عليهم لن يدفع بالمكر والخديعة. - الغلظة عليهم في معاملتهم في الحياة الدنيا وعدم التساهل معهم وزجرهم بشدة في كل مرة تظهر عليهم علامة من علامات النفاق قال تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم). وقال: (يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين). - حرمانهم من الفرص التي يحققون بها شهواتهم ويشبعون بها نزعاتهم المادية وعدم تكليفهم بما يرغبونه من التكاليف السهلة التي يكون غنمها أكبر من غرمها (سيقول المنافقون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً). وينبغي وضعهم في امتحانات كاشفة تكشف صدقهم من كذبهم (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً). - من العقوبات المعنوية للمنافقين أنهم إذا عرفوا لا يجوز الاستغفار لهم كما قال تعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وقال عن رد نفقاتهم وعدم قبولها (قل أنفقوا طوعاً أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون). - الإعراض عنهم والصبر على ألفاظهم وكلماتهم. {أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً}. - ولما كان للمنافقين من أثر سيء في الفتن والمصائب كانت هذه الوقفة مع كتاب الله تعالى. مررت على الآيات واستخرجت الآيات التي توضح وصف المنافقين والمنافقات وكيفية الحذر منهم – وما فاتني قد يكون أكثر-. وهذه الآيات جمعتها حتى نقرأها ونمحصها جيداً ونقرأها للناس في صلواتنا ومجالسنا. أسأل الله أن أكون على صواب وعلى إخلاص: - (يحلفون بالله لكم ليرضوكم). - (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين). - (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً). - (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض). - (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام). - (وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا). - (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة). - (ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول). - (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين). - (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم). - (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا

أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم). - (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله). - (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين). - (لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة). - (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً). - (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم). - (وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً). - (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل). - (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً). - (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب). - (سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم). - (ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم). - (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً). - (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات). - (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله). - (فويل للمصلين). - (يستخفون من الناس ولا يتخفون من الله). - (لا خير في كثير من نجواهم). - (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله). - (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون). - (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني). - (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله). - (يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون). - (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات). - (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم). - (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم). - (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم). - (إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء). - (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم). - (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله). - (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين).هـ. والمخرج من هذا البلاء يكون بالصدق ومصاحبة الصادقين! قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظاً* لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً). وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه ، وكونوا مع الصادقين). وقال تعالى: (فلو صدقوا اللَّه لكان خيراً لهم). وقال الله تعالى: (والصادقين والصادقات).عَنْ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: (إن الصدق يهدي إِلَى البر وإن البر يهدي إِلَى الجنة ؛ وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللَّه صديقاً ، وإن الكذب يهدي إِلَى الفجور وإن الفجور يهدي إِلَى النار ؛ وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللَّه كذاباً) *مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ* وعَنْ أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال حفظت مِنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (دع ما يريبك إِلَى ما لا يريبك ؛ فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ *. ويحدثنا أستاذنا الدكتور علي القرني وتحت عنوان: (صراع الدعاة مع المنافقين فيقول ما نصه: (يقول الحق تبارك وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً). ها هو صلى الله عليه وسلم يقارب الأربعين من عمره ذاهب إلى الغار ، ما يمر بشجر ولا حجر إلا سلم عليه صلى الله عليه وسلم ، ويأتيه جبريل بالوحي فيعود فزعاً خائفاً إلى زوجه خديجة رضي الله عنها وأرضاها يقول: {زملوني زملوني }!

فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، وأخبر خديجة بالأمر ، وقال: {قد خشيت والله على نفسي }. قالت: [كلا والله لا يخزيك الله أبداً إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة]. ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وقد قرأ الكتب السابقة فأخبرته الخبر فقال: [هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك]. قال: {أَوَمُخرِجِيَّ هم}؟ قال: [نعم. ما أتى أحد بمثل ما جئت به إلا عودي]. والآن: (أرى خلل الرماد وميض جمر وأخشى أن يكون لها ضرام) أقول هذا في وقت لا نزال نسمع عن كثير ممن قل حظهم من مراقبة الله وخشيته والخوف منه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ، لا تحلوا لهم مجالسهم ، ولا يطربون في حديثهم ، ولا ينبسطون في جلساتهم حتى يتناولوا أعراض عباد الله القائمين بأمر الله من علماء الأمة ، ودعاة الملة ، ورجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من الذين جردوا سواعدهم لرفع راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذين بذلوا أوقاتهم وأنفسهم لله عزَّ وجلَّ في وقت خرست فيه الألسن ، قالوا وقد سكت الناس ، ونطقوا وقد خرست الألسن ، وجاهدوا في وقت ركن فيه كثير من الناس إلى الدعة والسكون ، وأخلدوا إلى الحياة الدنيا وملذاتها ، وتسابقوا إلى الوظائف والمناصب ، ومع ذلك فقد قام هؤلاء المخلصون بأمر الله ؛ لا يبتغون إلا رفعة وإعلاء كلمة الله ، ودحر الباطل وأهله من أعداء الله. تجد هؤلاء الفسقة بل كثير منهم يسارع إلى تناول أعراض الدعاة وتتبع عوراتهم ، والتلذذ بالحديث عنهم في المجالس ، يلمز هذا ، ويتكلم في عرض هذا ، ويردد ما أشيع عن هذا لم تتورع ألسنة بعض هؤلاء من اختلاق الأكاذيب وإلصاق التهم بهم ، وترديد بعض الأباطيل التي تلصق بهم ، والتي هي – والله - من اختلاق أعداء الإسلام وخصومه الذين تتقطع قلوبهم غيظاً وهم يرون راية الدعوة إلى الله ترفع في هذه البلاد ؛ لأن هؤلاء المحتسبين من الدعاة والعلماء يُقِضُّون مضاجعهم ، ويفسدون عليهم ملذاتهم وسكرهم وعربدتهم وفجورهم ، ودعوتهم إلى منكرهم ؛ ولهذا فإن كثيراً من هؤلاء يلفق التهم والأكاذيب ليرميهم بها ، فيتلقفها خفاف الأحلام والسذج من الناس ، ويطيرون بها فرحاً يبلغون بها الآفاق! (أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا). لكن لا ضير ولا ريب ، هذه هي سمة الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، أوذي صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل عنه بأنه ساحر ، وقيل عنه بأنه كاهن ، و قيل عنه بأنه مجنون ، و رمي في عرضه صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك أتم الله النور وأكمل الدين رغم أنف الكفار والمشركين والمنافقين ، خرجت فئة المنافقين يوم عز الإسلام تدعي الإسلام وهي منه براء ، تريد ضرب الإسلام ودعاته ؛ فاتخذت النفاق طريقاً ويا له من طريق موحش مظلم مبتور ، إنه مرض عضال ، ومقت ووبال ، من تلبس به فقد أغضب الله الواحد القهار ، وأسكن نفسه الدرك الأسفل من النار. لا إله إلا الله! ماذا فعل المنافقون والمغرضون والحاقدون بالإسلام ودعاته في الماضي والآن؟! لا إله إلا الله كم كادوا لرسول الأنام عليه الصلاة والسلام؟ هم في كل عصر يعيشون ، يعشعشون ويبيضون ويفرخون ، همهم إطفاء كل نور يدعي له المسلمون. تهاونوا بنظر الله تعالى ، وعملوا من المنكر أعمالاً. في المنكرات والصد عن سبيل الله ينشطون ، وعن الصالحات والدعوة إلى سبيل الله يتباعدون: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ). (يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً). يستهزئون بأهل الاستقامة والصلاح ، ومن الدعاة إلى الله يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، فالله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. لا يريدون أن يتكلم داعية ، لا يريدون أن يأمر بمعروف ولا ينهى بناهية ، لا يريدون علماً ولا دعوة ولا أن تقام ولو محاضرة. لا إله إلا الله ما أخس و أنذل حالهم! إن سألتهم عن آيات الله البيانات ما عرفوا إلا المغنيين والممثلين والراقصات أحياءهم وأمواتهم ، يدّعون الإيمان وما هم بمؤمنين ، هم في كل عصر يعيشون يرمون بالتهم وبالأكاذيب دعاة الإسلام ، رموا نبي الله

موسى قبل نبينا عليهما الصلاة والسلام بالزنا فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ، ورموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرضه ، وهم أصحاب الإفك في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهم هم في كل زمان ومكان بهذا الدور يقومون ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سيوجدون ، فقاتلهم الله أنى يؤفكون).هـ. قال مالك بن دينار: الصدق أن لا يكذب اللسان ، والصديقية أن لا يكذب القلب. وقال: كذب اللسان أن يقول ما لم يقل ، وأن يقول ولا يفعل ، وكذب القلب أن يعقد فلا يفعل. فنسأل الله أن يحيينا صادقين ، ويميتنا صادقين ، ويبعثنا يوم القيامة صادقين!)

حنانيـــــك قلبـــــي العزيـــــز الأبـــــي ... ورفقـــــاً بنفســـــك يـــــا كـــــوكبي

نهايـــــــة درب النفـــــــاق أتـــــــتْ ... فـــــودّع ســـــراب الخـــــؤون الغبـــــي

وخـــــلِّ الـــــدموع ، كفانـــــا بُكـــــا ... وســـــلّ الضـــــمير الكســـــير الأبـــــي

ترفـــــقْ مـــــلأت يراعـــــي أســـــىً ... ففوجئـــــتُ بـــــالموقف المرعـــــب

وأخـــــفِ الهمـــــوم ، وكـــــن صـــــامداً ... وكـــــن جـــــاهراً كالصـــــدى الصـــــيب

عـــــلام التـــــردي؟ وفـــــيم الجـــــوى؟ ... وفـــــيم الركـــــون إلـــــى الغيهـــــب؟

ســـــراب الحيـــــاة إلـــــى غايـــــة ... أغـــــرك زيـــــف الفنـــــا المُجْـــــدب؟

أأعجبـــــك الزخـــــرف المنتهـــــي؟ ... أتغـــــرَم يـــــا قلـــــب بـــــالتورب؟

وحتـــــى متـــــى الـــــدمع منهمـــــرٌ؟ ... بفـــــيض علـــــى الخـــــد كالمئثـــــب؟

حياتـــــك هـــــذي طواهـــــا الـــــردى ... ودنيـــــاك كـــــالطين فـــــي المـــــذنب

أتغـــــرق فـــــي بحـــــر زينتهـــــا ... وتوغـــــل فـــــي طيفهـــــا المِحـــــرب؟

أتـــــزرع فـــــي التيـــــه لحـــــن الهـــــوى ... وتتـــــرك نـــــور المضـــــا الطيـــــب؟

طريقـــــك وُديانـــــه أقفـــــرتْ ... ولـــــم يبـــــق فيـــــه ســـــوى الأعـــــرُب

وجمـــــع بأهوائـــــه قـــــد غـــــوى ... وشـــــمس الحقيقـــــة لـــــم تغـــــرب

خـــــؤون يبيـــــد أريـــــج الوفـــــا ... يخـــــال المحاريـــــب كالملعـــــب

يخبـــــئ فـــــي الغـــــي إفلاســـــه ... يـــــروغ ويخـــــدع كالثعلـــــب

ويلـــــدغ ، لدغتـــــه كـــــالردى ... فيـــــردي ســـــنا الأكبُـــــد النحـــــب

نهايـــــة هـــــذا الطريـــــق إذن ... خـــــداعُ الهـــــوى وعُـــــوا الأذؤب

وموعـــــد كـــــل غريـــــب هنـــــا ... ومحضـــــن كـــــل فتـــــىً أنجـــــب

وآخـــــرُ خلـــــف الثـــــرى لاهـــــثٌ ... دنـــــئ الســـــريرة والمـــــذهب

أســـــير الـــــدراهم ، لـــــيس ســـــوى ... وتحـــــت ســـــراديبها يختبـــــي

بنـــــاء الحيـــــاة لـــــه مطمـــــحٌ ... ويـــــنفخ فـــــي الأمـــــل المُوعـــــب

ويخـــــرب آخـــــرة تزدهـــــي ... وأمســـــى يخـــــالف هـــــدي النبـــــي

وأخـــــرج أنثـــــاه مِـــــن بيتهـــــا ... لكـــــي تمـــــلأ الجيـــــب بالمكســـــب

فتخـــــرج فـــــي الصـــــبح ملتاعـــــة ... معـــــاذ كواعبنـــــا الثقـــــب!

ومـــــن كـــــل زينتهـــــا أخـــــذتْ ... لتطـــــرب بـــــالنظر المُعجـــــب

أزالـــــت حجابـــــاً ، ودكـــــتْ حيـــــا ... بوجـــــهٍ عـــــن النـــــاس لـــــم يُحجـــــب

وطالـــــت مـــــع الليـــــل أحلامهـــــا ... تفكـــــر فـــــي الأســـــمر الأهيـــــب

يمينـــــاً تبـــــرأ منهـــــا الهُـــــدى ... وخشـــــمّها كـــــل ذي مخلـــــب

قـــــد اتبعـــــت فســـــق مَـــــن فســـــقوا ... وعُهـــــر الخنـــــا وغِنـــــا المطـــــرب

وضـــــلت عـــــن الـــــدرب حـــــين غـــــوتْ ... وإن الضـــــلال علـــــى أضـــــرُب

فلـــــم تـــــدر بعـــــدُ طريـــــق الهُـــــدى ... وتـــــدري الســـــبيل إلـــــى المَشـــــرب

وتعـــــرف درب العشـــــيق الـــــذي ... يُـــــداعبها بـــــالهوى الأجـــــرب

وتقرنـــــه بضـــــجيع الخنـــــا ... ولـــــم تـــــكُ تهـــــوى ، ولـــــم تعجـــــب

نهايـــــة هـــــذا الطريـــــق العمـــــى ... وإلماحـــــة المُغـــــرم الأخطـــــب

وآخـــــر كـــــان يجـــــاري الهُـــــدى ... وكـــــان الصـــــدوقَ ، فلـــــم يكـــــذب

أحـــب الطريـــق ، وســـار بـــه ... فكـــان كغصـــن بـــه مُرطـــب

ولـــم يـــكُ يشـــكو تكاليفـــه ... ولـــم يـــكُ يبكـــي ، ولـــم يصـــخب

ويســـتعذب الصـــعب رغـــم الشـــقا ... ويحيـــا علـــى جرحـــه المُثعـــب

ويظهـــر حـــب رجـــال الهُـــدى ... بوجـــهٍ بـــه النـــورُ لـــم ينضـــب

ولكـــن تحـــوّل صـــاحبنا ... وبـــاع الهُـــدى فـــي الرخـــا المُصـــحِب

تبلـــد حَســـاً ، وثـــمّ نُهـــيً ... عليـــه أيـــا مقتلـــي سَـــرّبي

نهايـــة هـــذا الطريـــق لـــه ... جمـــال الـــدنا وحنـــو الأب

وآخـــر ســـاعدُ مَـــن أجرمـــوا ... فقـــبّح مـــن رجـــل أعضـــب

تظـــاهر بـــالحق بـــين الـــورى ... وصـــابرَ فـــي الموقـــف الأصـــعب

عطيبـــاً تـــأرجح عبـــر المَـــدى ... وأمســـى مـــن السُـــوقة الغُيـــب

وكنـــتُ أظـــن بخلـــي الوفـــا ... وإن حـــل كـــربٌ ترفـــق بـــي

وخابـــت ظنـــوني ، فلـــم أكتـــرث ... وزعمـــي خبـــا فـــي وفـــا القطـــرب

فأنهيـــت كـــل الـــذي بيننـــا ... وأفصـــحتُ فـــي الخلـــق عـــن مطلبـــي

نهايـــة هـــذا الطريـــق لهـــا ... عـــذابٌ ، فيـــا عزمتـــي جرِّبـــي

ويـــا همتـــى: جـــابهي ، واصـــمدي ... ولا تـــكُ يـــا قلـــبُ كالأرنـــب

وقلهـــا: أريـــد صـــديقَ العطـــا ... شـــجاعاً لـــه صـــولة الأعقـــب

أريـــد خلـــيلاً نقـــي الإخـــا ... زكـــي الطويـــة والمَنقـــب

كـــريم المُحيـــا ، رطيـــب الوفـــا ... يـــذر الشـــذى بالعطـــا المخصـــب

ولـــيس الخـــذول لأصـــحابه ... وإن ذهـــب النـــاس ، لـــم يـــذهب

يـــذود عـــن الحـــق ، يحمـــى الهُـــدى ... ويَهـــدي الفـــؤاد إلـــى الأصـــوب

ويُسعد روحي بدفع العِدا ... مُريح اللقا ، ليس بالمُتعب

له طلعتان كشمس الصبا ... تبدّت لنا في الفضا الأرحب

فأولاهما صبحُ كل لقا ... وأخرى تناغم في المَغرب

وإشراقها مثل إدبارها ... وإغداقها ليس بالمُلهب

تخط نهاية درب الشقا ... وتبسم للثائر المُغضب

نهاية كل شعاع بها ... خيوط البداية للأعذب

رسمتُ النهاية معتذراً ... ولازلت يخدعني صاحبي

وأبحِر في أبحُر خبثتْ ... يغص بمجدافي مَركبي

وداعاً طريق الأسى والجوى ... ويا ملتقى الجوقة الغيب

ولا لن أعود لما قد مضى ... وسوف أجلى هوى خِنزب

مرار النهاية أردى دمي ... ونورُ البداية غرَّد بي

وحلق فوقي أريج الهنا ... برغم العنا في الدجى الصيهب

وناغى اليقينُ على زورقي ... فيا موجة الملتقى أوبي

ويا نفخة الشعر خلّ العنا ... وذري التعابير ، أو هذبي

ومُجّي القوافيْ على صفحتي ... كذا سهّلي الوزن ، أو صعبي

وهاتي البحور وأنغامها ... وهاتي الرويَّ لكي تطربي

وهاتي من النحو ما يرتجى ... ليُدرى المبنيْ مِن المُعرب

وحتى نزخرف ألفاظنا ... وما ليس ندريه فليُعرب

وهاتي من الصرف نبع المُنى ... قطوفَ القواعد ، لا تعجبي

عزفتُ نهاية مُر الضنا ... وبان الصديق مِن الغطرب

وبـــــــاء النفـــــــاقُ بإفلاســـــــه وبـــــان العُقـــــاب مِـــــن الديـــــدب

قـــــد انتصـــــر الحـــــق ، فلتفرحـــــي وقـــــومي اقشـــــعى جوقـــــة الطحلـــــب

بهـــــذي النهايـــــة ، فاستبشـــــري وصـــــبي الضـــــياء علـــــى غيهبـــــي

دعـــــي اليـــــأس ، إنـــــا ســـــمونا معـــــاً وعـــــن ذكـــــر ماضـــــيك فلتضـــــربي

معـــــاذ الحنـــــان ، أيـــــا فتنتـــــي متـــــى رحـــــل الشـــــعر اليعربـــــي؟

أخـــــذتُ علـــــى عـــــاتقي قولـــــه ســـــأنظم فـــــي دوحـــــه الخلـــــب

قـــــريض العقيـــــدة أنـــــت الســـــنا وأنـــــت المنـــــارة فـــــي السبســـــب

وأنـــــت مـــــدى الـــــدهر قيثـــــارتي وأنـــــت دوا الأكبُـــــد النحـــــب

تبخـــــرَ مثـــــل الهَـــــزار هـــــوىً وكـــــم أســـــر اللحـــــظ مِـــــن هَـــــوزب!

تخفـــــفُ وقـــــعَ الخطـــــوب علـــــى فـــــؤادٍ يتـــــوق إلـــــى الأصـــــوب

وتغلـــــبُ شـــــوق محـــــب الصـــــبا ومَـــــن يلقـــــه شـــــامخاً يُغلـــــب

وتشـــــدو حنينـــــاً علـــــى بســـــمتي فتتحفنـــــي بـــــالرؤى الهُيـــــب

وعطـــــرُ أســـــاريرها فـــــائحٌ يزغـــــردُ للأمـــــل الصـــــيب

يخـــــط النهايـــــة ، لا يرعـــــوي لتهويلـــــة الشـــــامت المُـــــذنب

ويُشـــــهد رب الســـــما أنـــــه سيكشـــــف زيـــــف العميـــــل الغبـــــي

وداعاً أبا بكر

(لقد كانت فتنة – لا يعلم إلا الله مداها – يوم مات أبو بكر - رضي الله تعالى عنه وهز النفاق ذيله ، وأشهرت العمالة سيفها في وجه الحقيقة. يقول الأستاذ أبو عبدالعزيز سعود الزمانان في رسالته: (المختصر الأنيق في فضائل أبي بكر الصديق) ما مختصره: (الذي دفعني للكلام عن لأبي بكر – رضي الله عنه –: 1– لقول النبي – صلى الله عليه وسلم - : إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته رواه البخاري. - 2 – كما ثبت عن عمر – رضي الله عنه – قال : أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (حسنه الألباني). - 3 - معرفة فضائله من أسباب محبته ، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم - : المرء مع من أحب (مسلم) . - 4 – روى الإمام أحمد عن مسروق – من أجل تابعي الكوفة -: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة. وقال أيضاً : ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه كلهم أجمعين وسلم ، والكف عن الذي شجر بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو واحداً منهم ، فهو مبتدع رافضي ، حبهم سنة والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة ، وخير هذه الأمة بعد نبيها - صلى الله عليه وآله وسلم - أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم ، خلفاء راشدون مهديون (طبقات الحنابلة). - 5- السلف كانوا يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر ، كما يعلمونهم السورة من القرآن (ذكره ابن الجوزي في فضائل عمر). 6- لأن النبي دعا الأمة للاقتداء به ، كما يرويه حذيفة بن اليمان أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر . - 7 – وجوب الذب عن عرض أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإذا ظهر مبتدع زنديق وتعرض على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأن الطعن في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو الطعن في رسول الله. - 8 – وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة – رضي الله عنهم – نصيب من الأجر والثواب ، وما نحن فيه إلى يوم القيامة من إيمان وإسلام وقرآن ونشر علم وحفظ السنة والانتصار على الكفار وعلو كلمة الله، فإنما هو ببركة أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم -. - 9 – لأن الصحابة أكمل هذه الأمة عقلاً وعلماً وفقهاً وديناً ، ورحم الله الإمام الشافعي لما قال: هم فوقنا في كل فقه وعلم ودين وهدى ، وفي كل سبب ينال به علم وهدى ، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا).هـ. ونحن نقول للأستاذ أبي عبد العزيز سعود: ونحن كتبنا عن الصديق من نفس المشربية ولذات الأسباب. وهذا عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيستقي لها ويقوم بأمرها. فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا الذي يأتيها هو أبو بكر الصديق ، وهو خليفة. فقال عمر: أنت هو لعمري. وهو أول خليفة في الإسلام ، وأول أمير أرسل على الحج ، حج بالناس سنة تسع هجرية ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سمى مصحف القرآن مصحفاً ، وكان يفتي الناس في زمان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أبو بكر وعمر. وعن حذيفة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (اقتدوا باللذَين من بعدي أبي بكر وعمر). رواه الترمذي. وعن ابن عمر: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال لأبي بكر: (أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار). رواه الترمذي. وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه عليه وسلم (ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر) فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول اللّه. (من أنفق

زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة ، دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد ، دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام ، دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة. قال أبو بكر: هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم). صحيح الجامع الصغير. وعن عمرو بن العاص: أن النبي عليه السلام بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ فقال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. فقلت ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب. فعد رجالاً. رواه البخاري ومسلم. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة) فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنك لست تصنع ذلك خيلاء) رواه البخاري. وعن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في امرئ إلا ودخل الجنة). رواه مسلم. وعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير. فتحركت الصخرة فقال النبي عليه السلام: (اهدأ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد). رواه مسلم. (لم يكن نبي إلا وله خليل من أمته ، وإن خليلي أبو بكر بن أبي قحافة ، وإن الله اتخذ صاحبكم خليلاً ، ألا وإن الأمم قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، وإني أنهاكم عن ذلك ، اللهم هل بلغت؟ (ثلاث مرات) ثم قال: اللهم اشهد ، (ثلاث مرات) وأغمي عليه هنيهة ، ثم قال: (الله الله فيما ملكت أيمانكم). صحيح الترغيب والترهيب. قال الأستاذ محمد أبو عجيلة أحمد عبد الله متحدثاً عن الصديق ما نصه: (هو أبو بكر الصديق، الذي كان يُلقَّب بعتيق الله ثم لُقب بالصدِّيق. رجل عظيم القدر ، رفيع الشأن ، شديد الحياء ، كثير الورع ، حازم ، رحيم ، تاجر ، كريم ، شريف ، غني بماله وجاهه وأخلاقه ، لم يشرب الخمر قط ؛ لأنه سليم الفطرة ، سليم العقل ، ولم يعبد صنمًا قط ؛ بل يكثر التبرم منها ، ولم يُؤثَر عنه كذبة قط ، نصر الرسولَ يوم خذله الناس ، وآمن به يوم كفر به الناس ، وصدَّقه يوم كذَّبه الناس ، أثنى عليه - جل وعلا - في كتابه فقال: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا). شهِد له ربُّ العالمين بالصُّحبة ، وبشَّره بالسَّكينة ، وحلاَّه بثاني اثنين ؛ قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: مَن يكون أفضل ثاني اثنين الله ثالثهما؟! وقال - عليه الصلاة والسلام -: (ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مال أبي بكر) ، فبكى أبو بكر - رضي الله عنه - وقال: هل أنا ومالي إلاَّ لك يا رسول الله؟!).هـ. من أجل ذلك ودعت أبا بكر. رضي الله تعالى عنه! وواجب على كل شاعر مسلم أن يحتوي ديوانه على ذكر أبي بكر!)

مـــــات الخليفـــــة ، والـــــدنيا تعزينـــــا ... والـــــدمع أدمـــــي جراحـــــاً فـــــي مآقينـــــا

والشـــــرك أنشـــــب أظفـــــاراً بـــــدولتنا ... والفســـــق أحـــــدث فـــــي الـــــدنيا أفانينـــــا

والظلـــــم أشـــــهر ســـــيف الجـــــور مشـــــتهياً ... وأد الحنيفـــــــة والأسْـــــــد العرانينـــــــا

والعـــــزل مـــــد ذراع الهـــــزل فـــــي دمهـــــا ... والحقـــــد أظهـــــر أوغـــــاداً شـــــياطينا

الله أكبـــــــر للإســـــــلام ســـــــادته ... أبشـــرْ بسُـــحق أيـــا كفـــراً يؤَذْينـــا

بـــاض النفـــاق ، وشـــرع الله ماحقـــه ... والجـــور أزبـــد ، والمـــولى منجينـــا

يـــا ثـــانيَ اثنـــين ، أنـــت اليـــوم فارســـنا ... نبكيـــك دمعـــاً ، وأنـــت اليـــوم تبكينـــا

مـــا مـــت بـــل دُفنـــتْ فـــي التيـــه أمتنـــا ... والحـــزنُ صـــعب ، ودمـــع الكـــرب يـــدمينا

إنـــي رأيـــت الـــدنا خـــارت ســـرائرُها ... مـــن فـــرط موتـــك يـــا أغلـــى أمانينـــا

مـــات الرســـول ، فقلنـــا: أنـــت ســـلوتنا ... واليـــوم مـــت فمـــن فـــيكم يواســـينا؟

والعـــينُ دامعـــة ، والقلـــبُ فـــي كمـــدٍ ... والـــنفسُ باكيـــة بلـــوى أعادينـــا

صـــديق أُمتنـــا فـــي قبـــره أبـــداً ... فـــالله يأجرنـــا ، والله يُرضـــينا

إنـــا لمَـــا قـــد جـــرى نيلـــت شـــهامتنا ... نبكيـــك شـــعراً ، وقـــد ذابـــت قوافينـــا

للهـــم فـــارض عـــن الصـــديق قائـــدنا ... وارحـــم إلـــه الـــورى قومـــاً مســـاكينا

الوحدة العربية: (6986). الإثنين جمادى الآخرة 1416هـ. الموافق 11 نوفمبر لسنة1995م

ضحية الغرور

(إنها بداية محزنة منطقية ، تلك التي ينتهي إليها كل مخلوق يرفعه محبوه فوق حقيقته ، فيأخذه الغرور. ويستمر في عدوانه على الآخرين بدون حق فيُصبح ضحية لغروره ، ويعيش ظلاماً بطاشاً. روى ابن المبارك – رحمه الله - عن رياح بن عبيدة ، قال: كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ، فقال عمر: مهلاً يا رياح! إنه بلغني أن الرجل يُظلم بالمظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم حتى يستوفي حقه ، ويكون للظالم الفضل عليه! عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ تعالى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَر َ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ). رواه البخاري. يقول الدكتور عمر بن عبد الله المقبل معرّضاً بالظلم والظالمين ما نصه: (الظلم ذلك الأمر الذي يبغضه الله ورسوله! يا له من ردع رهيب ، وزجر مخيف ؛ عن هذه الشعبة المقيتة من شعب الطغيان: الظلم! إنه الداء الذي أبدأ القرآن فيه وأعاد ، حتى كرره في مئات المواضع ، وما ذاك إلا لعظيم أثره ، وقبيح عاقبته! إن وضع الشيء في غير موضعه هو المعنى الجامع لهذا المعنى القبيح ، فيدخل تحت هذا المعنى ما شاء الله من الصور والمعاني. وهو معنى اتفقت الشرائع والفطر على مقته وخسته ، لا مع بني الإنسان فحسب بل حتى مع الحيوان. لنتأمل هذه القصة التي حدّث بها النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:عُذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً ، فدخلت فيها النار قال: فقال والله أعلم: لا أنتِ أطعمتِها ولا سقيتِها حين حبستها ولا أنتِ أرسلتِها ، فأكلتْ من خشاش الأرض. يا الله! أي عظمة هذه! امرأة مكلّفة تدخل النار المحرقة بسبب ظلم هرةٍ صغيرة؟! نعم! هذا هو الدين العظيم الذي كفل حقوق الحيوانات ، فضلاً عن الآدمي).هـ. وتحت عنوان (الغرور وعواقبه) يقول الأستاذ جابر عبدالله ما نصه: (عندما أنزل الله القرآن الكريم قال عنه إنه أحسن الحديث ، وفيه هداية ونور منه سبحانه ، يهدي به من يشاء من ظلمات الضلال الذي ينتج عن فجور النفس وانغماسها في شهواتها وملذاتها الكثيرة ، وما تطرق القرآن إلى أمر إلا لحكمة بالغة سواء كان الأمر خيراً أو شراً. فنرى قصة أصحاب الجنة الذين أقسموا أن لا يدخلنها عليهم مسكين ونرى الغرور ونتائجه في قصة من قال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً. إن الكلمات التي نستخدمها إما أن تقودنا للفلاح أو للهلاك ، بضع كلمات قالها إبليس في تفاخر وغرور فأخرجته من رحمة الله إلى عقابه وسخطه ، وبعض تلك الكلمات جعلته من أصحاب الدرك الأسفل والعياذ بالله. فكم من الكلمات نقولها نحن البشر ولا ندرك حجم الخطيئة التي نقترفها في حق ذواتنا أولاً ثم في حق الآخرين من حولنا. إن الغرور في معناه هو الخطيئة أو الانخداع النفسي في أمر ليس فيه شيء من الصحة ، وهو غفلةٌ في يقظة ، حيث إن الإنسان يصيبه الغرور وهو يقظ ، ولكنه لا يدرك ذلك لأن نفسه منعت عنه وعي العقل وغمسته في شهوة ولذة ، وأصبح طول الأمل في الحياة هو المنحى الذي يسلكه ، وزخارف الدنيا هي كل ما يتمناه ويحلم به. فعل وقول يجعلاننا نرى أنفسنا فوق الآخرين ، وتفاخر بنسبٍ أو مالٍ أو ولدٍ أو شكلٍ أو عرقٍ أو منصبٍ يغمسنا في ضلال لا ندرك مساره ودوائره السوداء ، إن الغرور الذي يصيب البشر في نواحي حياتهم يجعلهم ينتهجون المقارنة كأسلوب تقييم نفسي ، فيرون أنهم أفضل من الآخرين في ما سبق ذكره. هذه الطريق تقود البشر إلى الطبقية والعرقية والعنصرية والتفرقة بين الأعراق ، بل إن الغرور يقود البشر إلى الجريمة ، ولعلنا نذكر الجريمة الأولى على الأرض سببها كان المقارنة والغرور ، وكانت العين التي تقارن هي عين النفس لا عين البصيرة ، رجل غرته نفسه فقتل أخاه في لحظة ظناً منه أنه هو الأفضل. الغرور أمر قاتل ، فلا ينشأ في قوم إلا وأهلكهم ، ولا ينتشر في دار إلا وأفسدها ، ولا ينتهجه إنسان إلا وخرّب خلقه وأعمى بصيرته ، ومنع عنه الوعي الروحي. الرجل والمرأة هما قطبا الإنسانية على وجه الأرض ، ولولا التقبل والرضى والتواضع لفسدت الحياة بينهما).هـ. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا

متاع! فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ، ثم طرح في النار. رواه مسلم. قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه ، قيل له: وكيف يلعن نفسه؟ قال: يقول: {أَلاَ لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} وهو ظالم. فرحتُ أحذر ضحية غروره بهذه القصيدة التي أدعوه فيها للتوبة! فلربما حانت منيته ولات ساعة مندم!)

رَفعوا عليك سماتِ نور العبقرية

فرأيت نفسكِ في سماء الألمعية

ومضيت في الدنيا كما البُهم الغوية

وسعيت نحو الموت يا هذا الضحية

لعبت بك الأوهام والأيدي الخفية

فهويت كالصفصاف مكبوت الطوية

فخدعتهم فوراً بدعوى سامرية

قلت: اصبروا حتى أرى هذي القضية

هم صدقوك لأنهم خشبٌ خوية

رفعوك فوق حقيقة النفس الغبية

لو كان عندهمُ الهُدى والمنطقية

أو كان عندهمُ اليواقيت الجلية

أو كان عندهمُ التحقق والروية

أو كان عندهمُ المصابيحُ السوية

ما مسهم زيفُ الأباطيل العتية

ولما اصطلوا جهراً بنيران الأذية

لكنهم ذهلوا بتريق المعية

وطغـــــــــى الغـــــــــرور كمـــــــــا رصـــــــــاص البندقيـــــــــة

وســـــــــرى هشـــــــــيم الـــــــــوهم فـــــــــي الفطـــــــــر النقيـــــــــة

ومضـــــــــى دخـــــــــان الغـــــــــدر يذهـــــــــب بالبقيـــــــــة

وجـــــــــرى لهيـــــــــبُ الغـــــــــبن فـــــــــوق الشـاعريـــــــــة

ثـــــــــم ادعـــــــــى المغـــــــــرور بعـــــــــض العاطفيـــــــــة

وتعلـــــــــل المغمـــــــــور فـــــــــي حـــــــــب الـشهيـــــــــة

أن الحيـــــــــاة تعـفـنـــــــــت بالجـاهـليـــــــــة

ســـــــــكنت نضارتـــــــــها السراديـــــــــب الدعيـــــــــة

خادعـــــــــت كـــــــــل الخلـــــــــق بالفتـــــــــوى البهيـــــــــة

إن الـــــــــذي يهـــــــــذي بـــــــــدرب اللولبيـــــــــة

ويطـــــــــل مـــــــــن عليائـــــــــه مـــــــــن مشـربـيـــــــــة

ويصافـــــــــح الشيطـــــــــان عبـــــــــر النرجسـيـــــــــة

حتـــــــــام يسحقـــــــــه لظـــــــــى الـنـفـــــــــس الدنيـــــــــة

ويـــــــــذوق مـــــــــن نـــــــــار الغـــــــــرور الفاعليـــــــــة

ويحطـــــــــم المغـــــــــرور ظـــــــــل العسجـديـــــــــة

وتـــذيبـــــــــه الأوهـــــــــام تفقـــــــــده الهـويـــــــــة

ولســـــــــوف تـــــــــذروه الملمـــــــــات القـويـــــــــة

الوحدة العربية: (6964). 22من جمادى الأولى 1416هـ. الموافق 16 من أكتوبر لسنة1995م.

نغرق ولكن لماذا؟

(إن كان ولا بد من إراقة ماء الوجه وبذل الكرامة والسؤدد ـ فليكن ذلك كله في سبيل قيمة سامية خالدة باقية ـ ينتفع بها عند الله فِي موقف الخمسين ألف سنة. وأهدي هذه القصيدة لشاعر بائس أخذ يفترض في أصحابه ومعارفه أنهم على درجة من الوفاء لا توصف وعلى درجة عالية من الإيجابية في التفاعل مع قوارع العمر ورَيْب المنون. إن مثل هذا الشاعر كانت مصيبته عاتية عندما وجدهم تفرقوا وتناثروا يمنة ويسرة عند أول صدمة من صدمات ما يعيش. قد انعكس ذلك عليه انعكاس المفاجآت والكوارث نزلت برجل لم يعمل لها عشر معشار ما يحتاط به العاقل الحصيف لمثل هذا. والرضا بالقدر خيره وشره حتمية عقدية شرعية ، وشرط من شروط الإيمان بالله ، وركن من أركان الإيمان بالله تعالى. ونرضى والحمد لله ونسلم بقدر الله. ولكن السمة التي قد اتسم بها ذلك الشاعر كانت اللوم العنيف للأصحاب والتحذير من الخذلان وأهله. والأمواج المتلاطمة تصنع البحارة الشجعان. وإذا كان من قدر المرء أن يعاني فلا مفر من المقدور! وأن يعاني المرء في سبيل قيمة سامية ، أفضل له من أن يعاني فى سبيل دنايا ورذائل لا قيمة فيها أبداً. روى مسلم والترمذي وأحمد في باب القدر: عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسَلَّم: (إنّ اللَّه قدّر مقادير الخلائِقِ قبل أنْ يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنةٍ قال: عرشه على الماء). والقضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل ، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله. والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأمور أربعة: أولها: أن اللَّه سبحانه قد علم ما كان وما يكون ، وعلم أحوال عباده ، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، كما قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وقال: (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا). وثانيها: كتابته سبحانه لكل ما قدره وقضاه ، كما قال سبحانه: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ). وثالثها: الإيمان بمشيئته النافذة ؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، كما قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ). وقال عزّ وجل: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). وقال سبحانه: (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ). ورابعها: خلقه سبحانه لجميع الموجودات لا خالق غيره ولا رب سواه ، كما قال سبحانه: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ). فالإيمان بالقدر يشمل هذه الأمور الأربعة عند أهل السنّة والجماعة خلافاً لمن أنكر بعض ذلك من أهل البدع. وفي باب وجوب العمل وعدم التواكل. روى البخاري في باب تفسير القرآن ، ومسلم في باب القدر ، والترمذي في باب تفسير القرآن: عن علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسَلَّم: ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النّارِ ومقعده من الجَنَّةِ . قالوا: يا رسول اللَّه! أفلا نتكل على كتابِنا وندع العمل؟! قال: اعملوا فكلٌّ ميسّر لما خلِق له ؛ أمّا من كان من أهل السّعادةِ فسيُيَسّر لِعمل أهل السّعادة ، وأمّا من كان من أهل الشّقاوةِ ، فسيُيَسّر لِعمل أهل الشّقاوة ثمّ قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى). قال البغوي: قال الخطابي: قولهم: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل: مطالبة منهم بأمر يوجب تعطيل العبودية. وذلك أن إخبار النبي صَلَّى اللَّه عليه وسَلَّم عن سابق الكتاب إخبار غيب علم اللَّه سبحانه وتعالى فيهم وهو حجة عليهم ، فرام القوم أن يتخذوه حجة لأنفسهم في ترك العمل ، فأعلمهم النبي صَلَّى اللَّه عليه وسَلَّم أن هاهنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر: باطن: هو العلة الموجبة في حكم الربوبية ، وظاهر: هو السمة اللازمة في حق العبودية ، وهي أمارة

مخيلة غير مفيدة حقيقة العلم ، وذلك ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم ورجاؤهم بالظاهر البادي لهم والخوف والرجاء مدرجتا العبودية ليستكملوا بذلك صفة الإيمان ، ويبين لهم أن كلاً ميسر لما خلق له ، وأن عمله في العاجل دليل مصيره في الآجل).هـ. ونعود للذي لم يحسن اختيار الصحب!)

يـــا صـــاح تحـــدوك الفـــرصْ ... فـــاقطف تغاريـــد الهَـــبَصْ

جفـــفْ دمـــوع المشـــتكى ... كُـــفّ ادعـــاءاتِ الـــرخص

وامشـــى الهُـــوَينى واصـــطبر ... مـــا أنـــت بـــالمرء الشـــكِص

كســـرْ قـــوارير الهـــوى ... واهجـــر أهـــازيجَ العقـــص

الـــدربُ عـــاتٍ والمُنـــى ... واليـــومَ كـــل الصـــحب لـــص!

كـــم فـــي دروب الحـــب مـــن ... غـــبن يُـــرى! كـــم مـــن قصـــص!

فـــيم التحلـــي بالوفـــا ... والحـــب عنـــد الخـــدن شـــص؟

إن الـــدعاوى جمـــة ... والقلـــب مـــن صـــخر وجَـــص

والعـــيش صـــعبٌ فـــي النـــوى ... كـــم فـــي دروبـــى مـــن شـــبص؟

والصـــدق فـــي الحـــب انتهـــى ... كـــالطير أضـــناه القفـــص

كـــم ذا يعـــاني عاشـــقٌ! ... فـــي العشـــق يـــا كـــم مـــن غصَـــص!

مـــن أجـــل ذا أقصـــر وتـــبْ ... هـــا أنـــت تحـــدوك الفـــرص

الوحدة العربية: (7022). الإثنين 3 من شعبان 1416هـ. الموافق 25 من ديسمبر لسنة1995 م

دروب الضياع

(قال الصحابي الجليل عتبة بن سفيان - رضى الله عنه – لمعلم أولاده: (يا عبد الصمد ، ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعينيك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت. علمهم كتاب الله ، ولاتُملهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم فيه فيهجروه ، وروّهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يكملوه ، فإن ازدحام الكلام من السمع مشغلة في الفهم. وعلّمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء ، وهددهم في أدبهم دوني ، وكن لهم الطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك في بري ، وإياك ثم إياك أن تتكل على عذر مني ، فقد اتكلتُ على كفاية منك). صحابي تربى في مدرسة النبوة ، ومن القرون المفضلة الثلاثة الأولى ، ومع كل هذا يلتمس المعلم الذي يعلم أولاده. فهل فعل ذلك الجفاة المتعالمون من أهل زماننا لأولادهم؟ ضاع الشباب اليوم لعدم التربية والتأديب ولإهمال الدين. إن الدرب الموصلة إلى الخير واضحة مبينة ، والعاقل الذكي العبقري من سلكها ، والدروب الملتوية كثيرة وعلى رأس كل منها إبليس يدعو. ألا إنها دروب الضياع ويشفق المرء على كل من عصفت به دروب الضياع . فضاع وضاعت معه آدميته. ويا لخيبة الضائعين والمتسكعين من القالين لشرع الله تعالى! وإنها للكارثة ، وإنها للقاضية ، وإنها للفاصلة. أن هناك إمامهم الأكبر إمام الكبر والشر والحرب والدمار. إبليس عليه لعائن الله تعالى والملائكة المكرمين والناس أجمعين ، فهذا الإمام يتربص بالمؤمنين ويستعمل ضدهم كل ما يملك من جنوده وإغوائه. علمنا ربنا جل وعلا فقال: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ). وقال تعالى: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا). ثم هو يوم القيامة ينبئك النبأ المخزي والعياذ بالله تعالى. حيث يقول ربنا تعالى: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). وفي الحديث: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم). فأين تذهبون؟ قال تعالى: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). وقال تعالى: (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ). وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ). فلنكن من هؤلاء الذين قال الله فيهم: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا). والذين قال الله فيهم: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ). وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا). وقوله: (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). ونعود لأهل الضياع الذين يؤثرون الضياع على الهداية!)

تســـــــــير لموتهـــــــــا ثلـــــــــةٌ وتمعِـــــــن فـــــــي أســـــــى العلـــــــة

ولا ترقـــــــــــــى لمَكرُمـــــــــــــةٍ وتحيـــــــا فـــــــي لظـــــــى الغفلـــــــة

تعـــــــاني فـــــــي تقهقرهـــــــا ... لهـــــــا الأوهـــــــام كالحُلـــــــة

صـــــــــداقاتٌ ، وغانيـــــــــة ... وكـــــــأسٌ تمتـــــــع الخلـــــــة

وأحـــــــــــلامٌ مُدللـــــــــــة ... تقضـــــــي العمـــــــر فـــــــي ذلـــــــة

لهـــــــا فـــــــي التيـــــــه تجربـــــــة ... بهـــــــا التهويـــــــل كالظلـــــــة

وآمـــــــــــالٌ مُعذبـــــــــــة ... تعبـــــــي التيـــــــه فـــــــي الســـــــلة

وتســـــــعى نحـــــــو مأتمهـــــــا ... وباتـــــــت للـــــــورى مُثلـــــــه

وطاقـــــــــــاتٌ مســـــــــــربلة ... وتحبـــــــو مثلمـــــــا الطفلـــــــة

ولا تـــــــــــدري رســـــــــــالتها ... ولـــــــم تعـــــــرف لهـــــــا مِلـــــــة

رأت فـــــــي العُهـــــــر بُغيتهـــــــا ... وفيـــــــه حياتهـــــــا ســـــــهلة

وتحمـــــــل فـــــــي ترائبهـــــــا ... بقايـــــــا الحُمـــــــق كالأبلـــــــه

تـــــــداولها الـــــــذين غـــــــووا ... وبـــــــئس الجهـــــــل مـــــــن عُملـــــــة!

فلـــــــم تـــــــدرك رســـــــالتها ... وغاصـــــــت فـــــــي دجـــــــى الشـــــــلة

وتركـــــــل مَـــــــن يناوئهـــــــا ... وقـــــــد تنـــــــزاح مـــــــن ركلـــــــة

تعـــــــادي مَـــــــن يصـــــــارحها ... وتهجـــــــو الخيـــــــر والقِبلـــــــة

وتنشـــــــد فـــــــي الـــــــدنا دعـــــــة ... وتبعـــــــث روحهـــــــا عبلـــــــة

وتلهـــــــث نحـــــــو أغنيـــــــةٍ ... تـــــــدنس لحنهـــــــا نهلـــــــة

وأرض فـــــــي يـــــــد الأعـــــــدا ... فأعطـــــــت للعِـــــــدا مُهلـــــــة

وطالـــــــت مُهلـــــــة البلـــــــوى ... وعـــــــانى الطـــــــين مِـــــــن بلـــــــه

ودينٌ فـــــــي دجـــــــى القرطـــــــا ... س مأســـــــورٌ بـــــــلا علـــــــة

يعـــــــــــاني وأد قاتلـــــــــــه ... وأودت بالهُـــــــــــدى القِتلـــــــــــة

وعـــــــانى الخيـــــــر مشـــــــتكياً وطمّـــــــتْ بالهُـــــــدى الثقلـــــــة

ولـــــــيس النـــــــور منطفئـــــــاً سينصـــــــر ربنـــــــا القِلـــــــة

وإن كـــــــره الألـــــــى فســـــــقوا ســـــــيُظهر ربنـــــــا المِلـــــــة

علـــــــى أيـــــــدي الألـــــــى صـــــــبروا ونعـــــــم القـــــــوم مِـــــــن ثلـــــــة!

وهـــــــذا جـــــــدّ مأملنـــــــا وذا نبـــــــتٌ لـــــــه غلـــــــة

يعـــــــيش المـــــــرء مـــــــا اســـــــتهدى لـــــــه الإيمـــــــان كالحُلـــــــة

يُجمّلـــــــه ، ويرفعـــــــه فـــــــلا ينقـــــــاد للغفلـــــــة

الوحدة العربية: (6985). 16من جمادى الآخرة 1416هـ. الموافق 9 من نوفمبر لعام1995 م

حوار مع قلمي

(قضيتُ مع الأستاذ محمود عبد الحافظ يعقوب ، ابن بورسعيد أياماً سعيدة هنا في غربتي. وبالتحديد في مدرسة أم القرى الخاصة. وألفيتُ الأستاذ محمود خير الزملاء والمعارف. فلما كتب لي نصيحة تأخذ شكل الشعر وليست منه ولكن يكفي معناها الجميل الذي رأيت أن أجعلها في التصدير للقصيدة وبقلمه هو كما صاغها عن رجل شاب وهرم على الإيقاع بين الناس ، فرُحتُ أصوغها شعراً لأدخل السرور عليه ، وقبل أن أذكر القصيدة أضع هنا خاطرة الأستاذ / محمود عبد الحافظ. وأشكر للأستاذ / محمود ، مشاعره. وأنا أذكرها كما هي بقلمه هو:

لا تـــــــركن إلـــــــى القـــــــول ... إن الفعـــــــــل بتـــــــــار

واركـــــــن إلـــــــى العقـــــــل ... إن الـــــــبعض ثرثـــــــار

وابعـــــــد عـــــــن اللمـــــــم ... والهـــــــج بـــــــذكر الله

ولا تلـــــــومن فـــــــي قـــــــول ... إن بعـــــــض الظـــــــن قتـــــــال

والآن لنتابع هذه المعارضة الشعرية ، أو صياغة ما كتبه الأستاذ شعراً لتلك الخاطرة اليعقوبية.)

لا تـــركننّ إلـــى الأقـــوال كـــنْ فطنـــا ... لمَـــا يُـــرادُ ، ودعْ مَـــن للهُـــرا ركنـــا

ففعلـــه مـــا لـــهُ فـــي الأمـــر مِـــن أثـــر ... والقـــول أبتـــرُ يبغـــي الكيـــد والوَهَنـــا

ولا تعـــر ســـمعَك المِقـــدامَ مَـــن هزلـــوا ... مِـــن كـــل ثرثـــارةٍ يُعـــدد المِننـــا

ولا عليـــك مِـــن المرتـــاب ، دعـــهُ يمـــتْ ... واضـــرعْ لربـــك ، أد الفـــرض والسُـــننا

هـــبْ أنهـــم لفســـاد الـــودّ مـــا عمـــدوا ... فهـــل تضـــر ســـمومُ الجوقـــة الفطِنـــا؟

هـــي الحقيقـــة ، فاعلمهـــا بـــلا غـــبش ... وناقـــلُ القـــول يُزْكِـــى بيننـــا الشـــجنا

(محمـــودُ) صـــدّقْ يراعـــي! كـــاد يَســـحَرُني ... هـــذا الـــدعيُ ويُزجـــي الحـــرص والخننـــا

يريـــد نـــاراً تـــرى فـــي النـــاس لافحـــة ... ويـــنفخ الســـم والأحقـــاد والإحنـــا

ويُهلـــك القـــومَ لا يبغـــي تـــراحُمهم ... يُـــردي الكـــريم وذا الأخـــلاق والحَسَـــنا

ويعشـــقُ الشـــر والأوغـــادَ والخبثـــا ... وينســـج الزيـــف والبهتـــان والإحنـــا

يفـــرّق الكـــل بالإيقـــاع بيـــنهمُ ... ويـــزرع الســـوء والشـــحناء والفتنـــا

ويـــدفن الغـــل فـــي فحـــوى بشاشـــتهم ... ويغـــرس الغـــش والبغضـــاء والـــدخنا

ويمتطـــي صـــهوة التخـــذيل مُغتبطـــاً ... ومِـــن دناوتـــه يســـتعذب الـــدِمَنا

ويطلـــب اليـــوم منـــا أن نصـــدقه ... والصـــدقُ فـــي ظنـــه قـــد بـــات ممتهنـــا

أمانـــة فـــي يـــد الجُهـــال قـــد وضـــعتْ ... واللهُ يعلـــم مـــا يبـــدو ومـــا بطنـــا

مِـــن كـــل مرتـــزق بالمـــال مُشـــتغلٍ ... والمـــالُ أمســـى لـــهُ فـــي ذي الـــدنا وثنـــا

حتـــى يُحصّـــل دينـــاراً يلـــوذ بـــه ... بـــاع العقيـــدة والتوحيـــد والوطنـــا

يقـــدمون ، لنـــا فـــي دارنـــا مـــلأ ... ويحملـــون لمـــن يهـــدي الـــورى الكفنـــا

يزاحمـــون عِبـــاد الله مـــذ ظهـــروا ... ويمـــلأون عُبـــاب البحـــر والســـفنا

لا يرعـــوون لمَـــن بـــالحق يرشـــدهم ... بـــل أعرضـــوا ، واستســـاغوا التيـــه والعفنـــا

ومَـــن يُضـــللْ نجـــدْه اليـــوم صـــاحبَهم ... وقـــد تفـــانوْا ، وأمســـى الملتقـــى مرنـــا

ومَـــن يُبـــيّن للـــدنيا حقيقـــتهم ... ولـــيس يخفـــي لهـــم ســـراً ولا علنـــا

هـــو الخـــؤونُ ، وبطـــن الأرض مســـكنهُ ... وقـــد يكـــون لـــه جـــوفُ الفنـــا ســـكنا

مِـــن الحـــرام نـــراهم طـــاب مـــأكلهم ... إن الحـــرام يُبيـــد الـــروحَ والبـــدنا

وكـــم بنـــوا فـــي حضـــيض الأرض مِـــن جـــذُر ... وشـــيّدوا للخـــراب الـــدورَ والمُـــدنا!

وكـــم علـــى باطـــل قـــد شـــاب أكبـــرهم! ... وأصـــبح الـــزور فـــي دنيـــا الـــورى مِهنـــا

وكـــم علـــى ربهـــم تجـــرأوا زمـــرا! ... وكـــم أقـــاموا علـــى عِصـــيانه زمنـــا!

وغـــرّهم حلمُـــه ، فـــازداد بـــاطلهم ... ومَـــدّ فـــي كـــل قلـــب خاســـر فننـــا

للهـــم فاثـــأرْ لنـــا مـــن جوقـــةٍ ظلمـــتْ ... ودمّـــر اللهُ فـــيهم بـــاطلاً أسِـــنا

الورقة الأخيرة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين. وبعدُ فها نحن قد وصلنا الآن للصفحة الأخيرة! وأخيراً ، وليس آخر أقول: إن لنا مع الشعر محطات وطرقاً. وأما هذا الديوان الذي كان من قدر الله – تعالى – أن أسميه نهاية الطريق ، فلا يعني هذا نهاية طريق الشعر ، كما لا يعني طريق النهاية بل هى بداية طريق الشعر ، وإنما كانت نهاية الطريق التي قصدتها هي نهاية التمادي في إحسان النية والقصد والتوجه مع النفاق وأهله ، وفتح الباب للخائنين ، ولذا فهي بداية طريق آخر مع الصدق والصادقين. جعلنا الله من الصادقين المخلصين ، ووقانا شر النفاق وأهل النفاق ، وأشكر من قلبي كل من شارك فى إخراج هذا الديوان. وأشكر من راجعوه ودققوه ونقحوه! وعلى رأسهم الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم محمد سالم النوبي! ولله تعالى الحمد أولاً وآخراً ، وسلام على الأنبياء والمرسلين ، والحمد كل الحمد لله رب العالمين. والله سبحانه وتعالى يقول الحق ، وهو عز وجل يهدي السبيل.

أحمد على سليمان عبد الرحيم
في يوم 1\2\1996م

ترجمة قصيرة للشاعر

الشاعر / أحمد على سليمان عبد الرحيم .
ولد فى جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد (تقاطع شارعي روس وأسوان ببورسعيد – حي المناخ) في يوم 10/15 / 1963م.
حصل على ليسانس الأداب - قسم اللغة الإنجليزية – جامعة المنصورة دفعة مايو سنة 1985م
وذلك بعد رحلة مع العلم والثقافة والأدب:
بدأت منذ الطفولة ، حرص عليها والد الشاعر. حيث عهد به إلى الأستاذ: ربيع محمد إسماعيل في كفر سليمان البحري – محافظة دمياط (سنوات الهجرة التي اضطر إليها أهل مدن القناة: بورسعيد والإسماعيلية والسويس). فعلمه الثقافات المختلفة والعلوم المتنوعة ، ومن قبله عهد به إلى الشيخ الشحات محمد الشيخ (كفر سليمان البحري – محافظة دمياط) ، فعلمه كتاب الله القرآن الحكيم ، إلى جوار أساسيات الكتابة العربية والتذوق الإنشائي ، ثم استقى الشاعر علوم العربية من نحو وعروض وبيان وبديع ومعاني وأسلوبية بعد ذلك من خلال الكتب والمراجع.
والحمد لله – تبارك – وتعالى - للشاعر اهتمام بالغ بالأدب الجاد البناء: نثره وشعره ونقده. كما أن له صفحة يومية بجريدة الوحدة العربية عنوانها: (دوحة الوحدة الشعرية) وله دواوين شعرية وكتب في مجال النقد الأدبي من بينها:
1 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
2 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
3 – سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
5 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
6 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
7 – قراءة أسلوبية فى شعر حسان بن ثابت الأنصاري.
8 – قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي.
9 – قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية.

وعسى الله أن ينفع بما نقول ونكتب.

ابتهال

اللهم إني إليك أشكو

يا رب ، يا من لا يضيع أجر المحسنين ، يا من نطمع أن يغفر لنا خطايانا يوم الدين ، يا من لا يمله الدعاء ، ولا تنقص خزائنه من العطاء ، ولا يزعجه النداء ، ولا يخيب فيه الرجاء ، ولا يخلو من عمله أرض ولا سماء ، يا من يعز من يشاء ويذل من يشاء ، يا من بيده الخير وهو على شيئ قدير. يا من هو الواحد الأحد ، وهو الفرد الصمد ، وهو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، يا مقيل العثرات ويا غافر الزلات ، يا من هو القريب لمن دعاه. اللهم فرّج همي ، وأعطني سؤلي ، ويسر لي أمري ، ونوّر لي بصيرتي ، واضرب عليّ سرادقات فضلك وشآبيب رحمتك ويواقيت عافيتك ، وأدخلني في حفظ عنايتك ، واجعلني في عز وسلامتك وكرامتك ، وغناك ويسرك وسعتك وسترك ، وخفي لطفك وكنفك وعهدك وعياذك من كل ذي شر ، وانصرني فإنك خير الناصرين ، واغفر لي فإنك خير الغافرين ، وارحمني فإنك خير الراحمين ، واهدني ونجني من القوم الظالمين ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. وارزقني السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، إنك على كل شئ قدير. اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الحي القيوم أن تنصرني على من عاداني وترفع عني ما نزل ، وتحسن عاقبتي في الأمور كلها وتجيرني من سوء القضاء وشماتة الأعداء ، وتشفيني شفاء عاجلاً ، وتفرج عني فرجاً قريباً يا أرحم الراحمين ، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، يا عُدة العبد الضعيف ، يا ملجأ البائس اللهيف ، يا لطيف ، جُد علي وارحمني ، وفرج عني وأنقذني ، فقد اشتد الكرب وعظم الخطب وقل الاصطبار يا جبار السماوات والأرض ، يا حي يا قيوم ،إنني ضعيف فقوني ، وذليل فأعزني يا أرحم الراحمين. اللهم كن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤولين ، يا خير المعطين. اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته ، واستهداك فهديته ، واستغفرك فغفرت له ، واسترضاك فرضيته. باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. أعذني اللهم وأولادي وأحبابي وأصحابي ومن أحاطت به شفقة قلبي من كيد الشيطان ، وتقلب الأعيان ، وعثرات اللسان ، وحسد الأهل والجيران وممن جد واجتهد ، وحشد فعقد ، ورمى فقصد ، بفضل الله الرحمن الرحيم: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ، وبفضل ألف ألف ألف لا حول ولاقوة إلا بالله. ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب. اللهم إني أستعينك على طواغيت الدنيا إنسهم وجنهم ، فكن لي عليهم ظهيراً ونصيراً. اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت إنك لما تشاء قدير. أقسمت عليك باسمك الأعظم الذي إذا سئلت به أجبت ، وإذا استنصرت به نصرت ، وإذا دعيت به لبيت ، وإذا دعيت به لبيت ، بأنك أنت الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الواحد الأحد الفرد الصمد أن لا تجعل لأي طاغوت عليّ ولا على شعري من سبيل!

لماذا الشعر العمودي؟

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد. فالحقيقة المُرة التي أشفق على الشعراء عامة والشعراء المؤمنين الموحدين بصفة خاصة هي ذوبان كل من الفريقين في الانخراط في الرواية والقصة بدلاً من الشعر! وهنا تكون الطامة الكبرى! حيث إن أغلب القراء اليوم يفضلون القصة والرواية على الشعر! خاصة القصص التي تجاري واقعهم! وإذا كان ذلك كذلك فإننا في المستقبل القريب يمكن ألا نرى للشعر العربي وجوداً حياً! بل يبقى أثراً بعد عين ، ويضمحل وتدخل دواوينه متاحف اللغة ومكتباتها ، ويُصبح من التراث الذي كبّرنا عليه أربعاً وصلينا عليه صلاة لا ركوع لها! ولنستمع إلى الأديب والشاعر السوري الكبير نوري الجراح حيث يقول تحت عنوان: (الشعر حصان المستقبل ـ لماذا يهرب الشعراء العرب إلى الرواية؟) ما نصه: (بالشعر نستقبل وبالشعر نودّع ، فالشعر لغة الأعماق ، ولا بديل من الشعر معبّراً عن الجوهر الإنساني ، مهما سمت الفنونُ وتعددت اللغات. لكن الشعر والشاعر وقارئ الشعر ، اليوم ، في مأزق. لا خلاف بيننا على حقيقة أن هناك في الثقافة العربية شعرية جديدة تبلورت ملامحها في الآثار البديعة التي ظهرت في الربع الأخير من القرن العشرين وصولاً إلى اللحظة الحاضرة ، وقد حفلت بأسماء وتجارب مغامرة ركّزت لها حضوراً لافتاً في ديوان الشعر العربي. على أن هذه الشعرية دخلت في طور من القلق الشديد في العقدين الأخيرين. ولعلها تشهد ، اليوم ، مع بعض أبرز تجاربها ، نوعاً مقلقاً من النمطية المستجدّة ، بعد عقود من الشغف بالتجريب والتجديد. ولا شك عندي أن البحث في أسباب ذلك سيبقى متعذراً قبل ظهور حركة نقدية جديدة لا تقدّس المنجز ولا تتعالى عليه. ولو كنت سأحتكم إلى قراءتي الشخصية لحال الشعر العربي في العقد الأخير ، فإنني أرى أن ما يظهر في مدوّنات شعراء من جغرافيات وأجيال مختلفة ، من آثار شعرية إنما يشترك في عدم اكتراثه بأهمية تجديد أسئلته ، فهو غالباً ما يراوح في الحدود ، ولم يعد يتجرّأ عليها. وما يقلقني شخصياً إزاء شعراء أقدّر تجاربهم هو شعوري بأن نصوصهم ابتعدت عن فكرة اللغز ، وباتت تضرب في أرض المعلوم ، وكأنها اطمأنّت إلى عاداتها ، وقد آنست عادياتها ، وباتت تشكك على نحو وغيره بضرورة الميتافيزيقا للغة الشعر ، فلم يعد أصحابها يعتقدون بأهمية أن ينعكس هذا البعد في الشعر. ويمكن أن نلمس ذلك من خلال موقف الذات الشعرية من أسئلتها ، وطبيعة تشاكلها مع هذه الأسئلة. ولعل نصوصا كثيرة باتت ، اليوم ، تفتقر إلى موقف فلسفي من اللغة والوجود. عندي أنّ شعراً كهذا لن يشفع له ارتباطه بأزياء العصر ، مهما بدت لغته برّاقة ومغرية. ولكم ذهبت رياح الزمن وأعاصيره بأسماء وأعمال كانت تبدو مقيمة في عصرها كالطود الراسخ ، وقد حجزت لنفسها مقعد الخلود. فما بالك بكتابة تنشد الشعر على قلق ولكن نادراً ما تطاله؟ وأخشى ما يخشاه المولع بالشعر ، وأنا واحد من هؤلاء ، وأعتبر نفسي قارئاً مواظباً ، أن يكون سرّ الشعر قد افتضح تماماً ، بحيث تحول إلى شيء ممكن لأيّ أحد في أيّ وقت بعيداً عن معيار الموهبة والثقافة العميقة التي يتطلبها ظهور شاعر. ففي ظل غياب حملة المصابيح من النقاد ، وعدم وجود أيّ نوع من القراءة النقدية العميقة والذكية للشعر ، إلى جانب غموض الاتفاق بين الشعراء على المعيار الذي يصنع القيمة الشعرية ، وارتباك تصورات جلّ الشعراء الموهوبين بإزاء صنيعهم الشعري ، بل وأحياناً إزاء الوعي ببنية القصيدة ومقوّماتها وإمكاناتها الجمالية ، وتخبّط المواهب الشعرية الطالعة في ظل عتمة القراءة ، في وضع غريب كهذا تبدو كل كتابة لها شكل الشعر شعراً ، ولا يمكن بعد ذلك أن يجادل شاعرٌ شاعراً في قصيدته ، فالشعر هو *الحرية القصوى* و*كلنا شعراء* ، نجلس سواسية في الصفوف ، فلا أحد يفضل أحداً. ولا عجب بعد ذلك أن تكون الفوضى سيدة الموقف ، فمدينة الشعر العربي هي اليوم بلا أسوار ولا أبواب! أوَليست هذه

صورة كئيبة؟ نعم ، إنما أرجو أن لا يتبادر إلى ذهن أحد من الشعراء وقرائهم أنني أفكر بطريقة تحاول أن تحدّ من حرية الشاعر ، أو من جموح المغامرة الشعرية ، فهذان ، بداهة ، هما ديدن الشاعر والشعر ، لا سيما في العصور الحديثة ، ولا أجادل فيهما ، لكن حديثي ، هنا ، هو بصدد حال شعرية عربية متخبّطة ، أتمنى أن أكون مخطئاً إذ أصفها بأنها حال تحفل بالكتابة ويندر فيها الشعر حتى بالمفهوم المتعارف عليه بين شعراء اليوم. إلى جانب غموض المعيار من طبع الشعر ، ما لم أكن مبالغاً ، ومن بداهات أفعاله ، أنه يحطم الحواجز ويكسر الجدران المتعالية ، لكن نهر الشعر لا يجري إلا لأن له ضفافاً تحيط بتدفقه واندفاعاته. وهذه الضفاف تبدو اليوم ضبابية ، غامضة وملتبسة ، خصوصاً مع شيوع ذلك التسليم شبه الكلي من قبل الشعراء ، بالنثر وسيطاً نهائياً لتوليد الشعرية ، وشيوع تلك القداسة في الانتماء إلى ما بات *عقيدة* اسمها قصيدة النثر ، بعيداً عن كل شكّ. وعليه فإنني ضد الشائع الساري من صور نمطية للشعر تؤطره في صيغ وأشكال مقدسة قديمة أو حديثة ، بينما هو، في اللغة العربية ، بمثابة *صفّ كلام* يفتقر إلى لغز الشعر. ولقد راجت قبل فترة مقولة عن موت الشعر ، وانقضاء زمنه ومجيء *زمن الرواية*. هل يمكن حقاً للشعر المشتق اسمه من الشعور أن يموت؟ هل يمكن تصوّر شيء كهذا؟ أعني هل هناك قوة كبرى تستطيع طرد الشعور من خلايا الإنسان ، بينما هو يتخلل كل ذرة من نسيج الكائن الإنساني؟ إذن لا يمكن طرد الشعر من مركز العالم؟ إن كل ما قيل ويقال عن انقضاء زمن الشعر وموته هو عبارة عن أوهام هي أضغاث أحلام. ولعلها ثمرة قراءة قاصرة لتجليات حضور الشعر في الحياة العامة ، من دون إدراك مبصر للتحولات التي أصابت مختلف أشكال التعبير الإنساني أدبياً وفنياً وقرّبتها من لغة الشعر. لقد تحول الشعر إلى خيوط تظهر في سجادة الفنون والإبداعات المكتوبة والمسموعة والمنظورة كلّها ، فأعاد الشعر خلق الثقافة الحديثة بأسرها على شاكلة جديدة. فالرواية لم تعد مجرد حكاية طويلة ، والقصة لم تعد مجرد قصة قصيرة ، والمسرحية جنحت أكثر نحو الشعر ، وكذا السينما واللوحة التشكيلية وفنون النحت والتصوير ، وحتى الإعلان عن البضائع ، فالواقع ليس الواقع في هذه الأعمال ، ولكنه شيء آخر تماماً لا يغري ولا يحضر في الذائقة من دون شعريته. أما الشعر في قصيدة وكتاب فبات أيضاً شيئاً جديداً أكثر شطحاً ومغامرة في لغته وأخيلته وإيقاعاته ومراميه ، وكذا في مجمل تطلعات شاعره وقد تجلت في كلام مكتوب. وبالتالي بات الشعر أبعد ما يكون عن الوظائف التي حملت له عبر أزمنة لم يكن فيها مبلّغا صوت الجماعة أبلغ من الشعر. فبات الشعر اليوم أكثر قرباً من مجراه القديم ومن اسمه الخالد في الشعور والذاكرات. والشعر ضرورة الشاعر ، بعد أن كان اختياراً. فلربما ، ما لم أكن مخطئاً ، أدرك شعراء ، في الآونة الأخيرة ، أن الشعر لم يعد ضرورة لهم ، وأن دروب الشعر باتت أكثر وعورة مما توقعوا ، وأن تجديد الشغف بالكتابة عبر فن الرواية من شأنه أن يفتح لهم في التعبير عن الذات ومشاغلها طرقاً أسلس ، وأكثر جدوى في ظل مجتمعات تشهد اضطراباً عظيماً. والآن ، دعونا ننتظر ما يمكن أن يحققه هؤلاء الشعراء في دنيا الرواية مما لم يسعفهم تحقيقه في دنيا الشعر. في ظني أن الرواية في ظل التطورات التكنولوجية الهائلة لن تبقى أبداً على حالها ، بل إنها تبدو لي مهددة بالزوال كجنس أدبي حكائي له مواصفات محددة ، فالزمن الذي أعطاها المجد آخذ في الانقضاء والزمن الملتي- ميدي الزاحف سيسلبها إيّاه. وهنا سيتفتت جسد الرواية ويتوزع على أشكال تعبير جديدة. في الزمن المعاصر المتسارع لن يكون بالإمكان الجلوس إلى مئات الصفحات بالطريقة المتواصلة ولا حتى المتقطعة نفسها التي عرفتها قراءة الرواية. سيميل هؤلاء القراء أكثر إلى من ينتخب لهم صفحات ، بل وشذرات من الرواية عبر الآيباد والموبايل ، وشاشة التلفزيون والحائط الإلكتروني. أيضاً ستفعل الأفلام فعلها بصورة أكبر ، فيعيش القارئ

الرواية في ساعة ، وأحياناً أقلّ. ولمن له شغف بالكلمات وليس لديه وقت كاف للتمتع بالروايات في نص مسهب ، سيتفرج على الفيلم مقروناً بشذرات وسطور من الرواية بصيغ مبتكرة ، جذابة ، ومشبعة بالجماليات. فلا وقت ، ولا حاجة لما هو أكثر. فهل يقودنا هذا إلى الاعتقاد بأن كثرة من الروائيين ستختفي ولن يبقى منهم سوى أولئك الذين يمتلكون في كتابة الرواية حدس الشعراء ليمكنهم أن يبتكروا صيغاً جديدة للرواية أكثر ملاءمة واستعدادا للتعايش مع إمكانات الملتي- ميديا. هل يقودنا ما سلف إلى القول هذه المرة بموت الرواية كما عرفناها على الأقل؟ وإنّ تحولاً ثوريا سيطرأ على شكل الرواية لغة وعمارة وشخصيات ووظائف. ستلعب الصور وطرائق تجسيد الحلمي والإشاري والوامض دوراً في تحقيق الكثافة عبر توظيف جديد للكلمات والصور ، وستتدخل عناصر جديدة كلية في تشكيل البنية الروائية المقبلة وقد تبدت بعض ملامحها منذ الآن في النصوص التي تمزج بين الرسوم المتحركة والصور والأصوات والموسيقى مع الكلمات في أعمال طليعية بولندية وأميركية ويابانية وغيرها. إنني أظن أن الرواية لن تبقى رواية بالمفهوم الكلاسيكي. وحتى الأعمال العظيمة لديستويفسكي وفوكنر وبروست وغيرهم ، وهي من الآن باتت أعمالاً مملة. وقراؤها يتضاءلون يوماً بعد آخر ، ولا بد لمن يريد أن يروّج لها أن يخضعها لتحولات جديدة ، مستفيداً من إمكانات الملتي-ميديا ، وإلا فإن مصيرها - لا مراء - هو متحف الذاكرة. أما الشعر ، البعيد عن السيولة التي يتصف بها السرد ، وعن الميوعة التعبيرية ، الشعر التجريبيّ ، ملحمياً ومستقبلياً ، وغنائياً ، ويومياً ، فلسوف تكون لديه حظوة أكبر ، بل وقدرة أعظم على التكيف مع زمن الإنسان المقبل. الكثافة ، والإيماض ، والشعبية التي تتمتع بها صوره ، وقدرته على الحركة السريعة ، وعلى التجلي إيقاعاً وصوتيات في مرونة تجاري الإيقاعات الجديدة للإنسان الجديد في المدينة الحديثة ، فهو ما يمنح الشعر ميزات أكبر وحيوية أعظم إن في الحضور كعنصر مكون في الفنون والإبداعات وأشكال التعبير المختلفة ، أو في أبنيته وتشكيلاته وأخيلته وقاموسه اللغوي الماثلة في بنية مرنة هي القصيدة بالشعر نستقبل كل مدهش ومفاجئ ، ونذهب عميقاً في الوجدان. بالشعر نرتاد الآفاق ونقتحم المجهول ، فالشعر جناح المخيلة وحصان المستقبل).هـ. وأعتقد أن الأستاذ الشاعر نوري الجراح كان قد وضّح الصورة وجلّى غوامضها من الخطر المحدق بالشعر العربي الأصيل هذه الأيام! وانتقالاً من خوفنا وخوف الأديب الشاعر نوري الجراح على الشعر العربي المعاصر ، نحاول ألا نستمر مع الشجون والمخاوف والهواجس والتوقعات المريبة المخيفة تلك ، إلى صورة أكثر تفاؤلية ، تعطينا الأمل والاستبشار والاطمئنان على مستقبل الشعر العربي المعاصر في مواجهة التحديات التي تعتوره وتحول دون تقدمه واستمراره وسيلة من وسائل التعبير وتشخيص الواقع المعاش المعاصر! فهذا هو الأستاذ الأديب والشاعر والناقد المغربي المعروف صلاح بوسريف يقول تحت عنوان: (أنا متفائل بمستقبل الشعر) ما نصه: (حقيقة لم يعد ممكناً التغاضي عن التجارب الشعرية المعاصرة من المحيط إلى الخليج! أنا متفائل بمستقبل الشعر)! ونسأل الأديب والشاعر صلاح بوسريف عن السر وراء تفاؤله واستبشاره! والشاعر والناقد المغربي صلاح بوسريف لمن لا يعرفه ، يعتبر من بين الأصوات التي تصنع الحراك الثقافي في المغرب. فهو شاعر وعضو مؤسس بيت الشعر في المغرب وكاتب عام سابق لاتحاد كتاب المغرب فرع الدار البيضاء. وقد أغنى المكتبة الشعرية والأدبية بعدد كبير من الدواوين نذكر منها: *فاكهة الليل* ، *على إثر سماء* ، *شجرة النوم* ، *نتوءات زرقاء* ، *حامل المرآة* ، *شهوات العاشق* ، *شرفة يتيمة*. وله أيضاً في مجال النقد والتنظير: *رهانات الحداثة* ، *أفق لأشكال محتملة* ، *نداء الشعر* ، *فخاخ المعنى* ، *قراءات في الشعر المغربي المعاصر* ، *مضايق الكتابة* ، *مقدمات لما بعد القصيدة* ، *الكتابي

والشفاهي في الشعر المغربي المعاصر*. وحتى نتابه إجابة السؤال الذي سألناه له: ما سر التفاؤل والاستبشار بمستقبل الشعر العربي المعاصر ، فلنستمع إلى الأستاذ محمد نجيم وبمناسبة صدور كتاب صلاح بوسريف الجديد: *نداء الشعر* حيث أجرى هذا الحوار مع صلاح بوسريف. فابتدأ قائلاً: كيف ترون الشعر العربي اليوم؟ وهل تتفق معي أن ضوء القصيدة بدأ يخفت؟ وما الذي تراه ممكناً لاستعادة الشعر مكانته التي كان عليها من قبل؟ فأجاب بوسريف قائلاً: لا يمكن النظر إلى الشِّعر بهذه البساطة ، فكثيراً ، ما أقرأ ، أو أسمع مثل هذا الحُكم على الشِّعر بـ *التدهور* أو *التراجع* ، وهو تراجع ، غالباً ما يُقاس بالقراءة ، أو بالمبيعات ، وليس بتلقي الشِّعر. فأنا هنا أميز بين مستويين ؛ مستوى السوق ، الذي تحكمت فيه مواقف الناشرين ، من جهة ، وهي في أغلبها ترفض التعامل مع الشُّعراء ، في الوقت الذي يقبل فيه هؤلاء نشر ما يُكتب من دراسات عن الشِّعر ، وهذا موقف غريب ، ويطرح أكثر من سؤال ، ومستوى المدرسة أو الجامعة ، وأعني البرامج التعليمية ، في المدارس العربية ، التي ما زالت تعيش على إيقاع الماضي ، وترفض الشعر الحديث ، والمعاصر بشكل خاص ، أو تكتفي في هذا الشِّعر ، بنماذج تعود إلى الخمسينيات والستينيات ولا تتجاوزهما ، من جهة ثانية. ومستوى الإعلام ، من جهة ثالثة ، الذي لا يُتيح ، بدوره للشِّعر أي مكان ، وحتى عندما ظهرت برامج من هذا القبيل ، ابْتَذَلَتِ الشِّعر ، وعادت به إلى ما قبل التاريخ. هناك قصد في تهميش الحداثة ، وفي ابتذال الشِّعر ، (والحداثة هنا حداثة الموضوعات والأفكار بالطبع! وليست حداثة هدم عمود الشعر وقولبته!) وهذا كان مما جعل تداول الشِّعر ، يعرف تراجعاً بعكس تَلَقِّيهِ الذي يحظى بقبولٍ واسعٍ ، وهذا ما يمكن ملاحظته في المواقع الشِّعرية الكثيرة على شبكة الويب ، وعدد الذين يقبلون عليها. الخَلل ليس في الشِّعر ، بل في آليات التعامُل معه. فسأله نجم: هناك من يذهب إلى أن الشِّعر لم يعد يقرأه غير الشُّعراء ، فيما بينهم ، وكأنهم يتبادلون رسائل خاصة؟ فأجاب: مهم جداً أن يقرأ الشُّعراء بعضهم ، هذا أمر طبيعي. فأنا أقرأ كل ما يقع في يدي من شعر ، لأنني أريد ، دائماً ، أن أختبر تجربتي ، في ضوء تجارب الآخرين ، بما في ذلك تجارب الشبان الجدد. لكن ما لا ننتبه له ، هو أنَّ الشعر له قاعدة من القراء ، لم تعد هي قاعدة المستمعين ، الذين تعودوا على الشعر الشفاهي ، وعلى النموذج التقليدي الذي تتحكم في هذه البنية ، وهو عكس الشعر الكتابي ، الذي يحتاج لقراءة متأملة ، صامتة ، أو ما أسميه بالوعي الكتابي ، في مقابل الوعي الشفاهي. هذه المسافة بين هذين النوعين من الوعي ، هو ما لم نتعلمه بعد في التعامُل مع الشِّعر ، وهو ما لم تَعِهِ المدرسة ، وكذلك الإعلام. الشِّعر ، اليوم ، يحتاج لقارئٍ متأمل ، وليس لقارئ، يعاني من عطب في حواسه ، أو يكتفي بالسماع ، دون وعي المكتوب. وسأل نجم: ماذا عن الشِّعر المغربي ، وكيف تنظر إلى أفقه ومستقبله ، ومن هي أهم الأصوات التي قام عليها هذا الشعر؟ فأجاب: الشعر المغربي ، اليوم ، يعرف انتقالاً ، أولياً ، في حجم المساحة الشعرية التي اتسعت بشكل كبير ، وأصبح للصوت النسائي فيها حضور لافت ، كما عرف تراكماً ، كمياً ، في عدد الدواوين والنصوص الشعرية التي تنشر في المجلات والملاحق والصفحات الثقافية. لهذا ، طبعاً ، انعكاس على طبيعة التجارب. ثمة كثير من الكتابات ، لا داعي لها ، لأنها لا تشي بأي أفق أو مستقبل ، وهي مجرد ظاهرة إعلامية ، لا غير ، وثمة تجارب ، أصحابها يشتغلون في هدوء على تجاربهم ، ويراهنون على المستقبل ، وهؤلاء هُم الذين يعطون الشِّعر المغربي خصوصيته ، ويجعلون منه استثناءً ، في التجربة الشِّعرية العربية ، رغم ما يعانيه هذا الشعر من إهمال إعلامي ، خصوصاً في المشرق العربي. إن أهم ما أنتجته الشِّعرية المغربية المعاصرة ، هو ما حدث بداية من الثمانينيات ، حين تَخَلَّصَ هذا الشِّعر من الخطاب السياسي الذي أكل من تجربتيْ الستينيات والسبعينيات الشيء الكثير. للأسف ، لم يترك شعراء

هذين الجيلين أي تأثير على الشعر المغربي ، ما جعل من الشعراء الذين جاؤوا بعدهم يذهبون إلى أراضٍ لم تكن متاحةً من قبل. وسأله نجم: من هي أبرز الأصوات والتجارب الشعرية المغربية الشابة ، وكيف تقيم أعمالها؟ فأجاب: كما أشرتُ ، هناك تجارب لها أهميتها ، بين هؤلاء الشبان ، وبعض هؤلاء لهم مواقعهم في الشِّعر المغربي المعاصر ، وحتى في الشِّعر العربي ، ويعملون على تجاربهم ، حيث يمكنك أن تلمس فيها بحثاً ، وانشغالاً جادين ، وهم ليسو مشغولين بالإعلام ، لكن عدداً من هؤلاء ، يعانون خللاً في فهم العلاقة بالشِّعر ، وما يتطلبه من بحث وعمل ذائبين. فحين لا يختبر هؤلاء تجاربهم ، أو لا يتأملونها ، في ضوء ما يجري حولهم ، فهذا يجعلهم يعيدون كتابة نفس الشيء بنفس اللغة ، وبنفس الرؤية. إذا كانت اللغة مهمة في الكتابة ، فهي ليست كل الشِّعر. الشِّعر تجربة تحتاج لمعرفة لا يمكن حصرها في الكتابة بالنثر ، أو بلغة هي نفسها التي تقرأها عند هؤلاء دون وجود فرق. لستُ في حاجة لذكر الأسماء لكنني أثق في تجارب شبان لهم ما يكفي من الوعي بأهمية الشِّعر ، وما تقتضيه المسؤولية الشِّعرية من حرص على الكتابة ، بالنظر إلى مستقبل هذا الشعر وليس لماضيه. وسأله نجم: في رأيك ، هل يواكب النقد التجارب الشعرية الموجودة حالياً في المغرب ، وكيف تقيم أعمالها؟ فأجاب: للأسف لا يوجد عندنا نقاد للشِّعر. الذين اشتغلوا على الشِّعر كانوا شُعراء. أغلب الذين يكتبون اليوم في الشِّعر ، جاؤوا من الجامعة ، أعني أنهم لم يخرجوا من الإطار الأكاديمي الذي غالباً ما يهتم بالنظرية ، أكثر من اهتمامه بالنص ، وهو على أيٍّ نقد لا يخدم الشِّعر ، ويعاني من عطب في الإحساس بقيمة النص. هناك نقاد لهم خبرة بالنصوص ، لكنهم يشكلون حالات محصورة ، قياساً بهذا النقد الجامعي ، أو النقد الصحفي الذي لعب دوراً كبيراً في إفساد الشِّعر في المغرب ، خصوصاً في جرائد الأحزاب السياسية. وسأله نجم: في عملك الشِّعري *شُرفَة يتيمة* ، بجزأيه ، يتقاطع السيرذاتي مع اليومي ، لماذا الحرص على الجمع بين هذين الزوجين في الديوان ، الذي هو نص واحد ، ممتد على مساحة الكتاب كاملةً؟ فأجاب: منذ أكثر من عقد من الزمن ، وأنا أشتغل على مفهوم *الكتابة*. في هذا المفهوم ، حاولتُ أن أعمل على *العمل الشِّعري* ، وأعني *الكتاب* ، تحديداً. الأعمال الصادرة لي ، كانت في أغلبها عَملاً واحداً ، وليس نصوصاً متفرقةً ، كُتِبَت في ظروف مختلفة. في مفهوم الكتابة ، عملتُ على الاشتغال على الصفحة الشِّعرية ، لم يعد الشفاهي ، هو المهيمن في النص ، كما لم يعد المكتوب ، هو الدال الوحيد للنص ، فالبياض ، والفراغات ، وأشكال التوزيع الخطي ، واختلاف الخطوط ، وتنوعها ، صارت كلها دَوَال ، لها أهميتها في النص. في هذا العمل ، بجزئيه ، يبدو الوعي الكتابي أكثر حضوراً ، قياساً بالوعي الشفاهي الذي تراجع ، أو لم يعد مُهَيْمِناً ، كما يجري في الشِّعر العربي المعاصر الذي لم يتخلص بعد من هيمنة الشفاهي ، أو لم يعِ الكتابة ، كانتقال ، أو كقلبٍ معرفي جديد ، في فهم الشِّعر وقراءته. في هذا السياق ، طبعاً ، عملتُ على الجمع بين السيرذاتي ، الذي هو استعادة ، واسترجاع ، ليس بما يحمله الاسترجاع من تفاصيل ، بل بالتركيز على لحظات لها أهميتُها في السياق الشِّعري ، وبين اليومي ، الذي هو الإطار المرجعي لهذه اللحظات ، أي لما هو سيرذاتي. أتاح لي السرد الشِّعري ، أن أبتعد عن كثير من التفاصيل الزائدة ، التي استغرقت كثير من الكتابات السيرذاتية ، التي جاءت من خارج الشِّعر. لا يمكن استبعاد اليومي ، كما أن هذا العمل ، تقاطعت فيه كثير من اللحظات ، وربما كان اليومي ، هو أحد مكونات النص التي لا يمكن قراءتُه ، دون الوعي بأهميته. في الآونة الأخيرة ، فقد المغرب بعض رموزه الفكرية ، وعرف المشهد تراجعاً للمثقفين ، الذين فضلوا الانسحاب ، في ظل هذه الضبابية التي تَلُفُّ الواقع الثقافي في المغرب ، بما في ذلك الصراعات والتطاحُنات ، بين المثقفين والكتاب ، ووزارة الثقافة ، كيف تنظرون إلى ما يجري؟ كان لرحيل بعض المفكرين المغاربة ، من مثل محمد عابد الجابري ، وعبد الكبير

الخطيبي ، تأثير واضح في المشهد الفكري ، وهو خسارة ، ليس للثقافة المغربية ، بل للثقافة العربية عموماً. لكن هذا لا يعني انحسار مجال التفكير أو الإبداع. مجال الفكر لا يمكن حصره في مشروع دون آخر ثمة دائماً أفكار ومشاريع ، ما دام الواقع متحركاً ، ومادامت الأسئلة مفتوحة ومستمرة. فما قام به الجابري كان لحظة أساسية فارقة في قراءة التراث ، وكان نقلةً كبيرة في المعرفة بالتراث ، أو في فتح طرقٍ جديدة للقراءة ، لم تكن متاحةً من قبل. ما يجري اليوم في الساحة الثقافية في المغرب ، هو انعكاس لطبيعة التحولات التي يعرفها المغرب ، في مختلف المجالات. صحيح أن الكثير من المثقفين صمتوا ، أو تراجعوا إلى الوراء ، وهي نفس وضعية الجمعيات التي كانت تلعب دور المحرك الثقافي ، في سنوات الستينيات والسبعينيات ، وهذا ، للأسف ، كان له تأثيره على ما يجري اليوم بين بعض المثقفين ووزارة الثقافة. فاختيار عدد من المثقفين للسلطة ، وانسياقهم وراء خُدعة التناوب السياسي ، دون وعي المسافة التي تفرض على المثقف أن يبقى بمعزل عن السياسي ، هو ما جعل هؤلاء يبقون صامتين إزاء ما يجري ، فهم اليوم يكتفون بتبرير مواقعهم ، ومواقفهم. ومن الطبيعي أن يحدث مثل هذا الانشقاق ، وهو من ضروررات الانتقال الذي يحدث اليوم في المغرب. أما بخصوص وزارة الثقافة ، فهي اليوم تتغذى على هؤلاء ، وهم الذين يعطونها مبرر وجودها وعملها ، في مواجهة من اختاروا أن يبقوا بعيدين عن هذا النوع من الولاءات. لعل في ما جرى في معرض الكتاب ، في السنة الماضية ، وما يجري في المعرض الحالي ، ما يكفي لفضح صمت هؤلاء ، وخصوصاً اتحاد كتاب المغرب الذي يعيش انهياراً تاماً ، وهو ، بالأسف ، من المتواطئين مع وزارة الثقافة ، رغم ما يتعرض له من احتقار من طرف وزير الثقافة ، الذي هو عضوٌ في هذه المؤسسة. وسأله نجم: ما هي أبرز الأصوات الشّعرية العربية اليوم؟ فأجاب: لا أريد أن أُكرر خطأ أدونيس ، حين اختزل الشّعر العربي المعاصر ، في أربعة أسماء. هذا النوع من الحكم ، هو عودة إلى مفهوم الطبقات الذي كرَّسَه النقد القديم ، وهو منطق المفاضلة ، كما عرفناه عند الأصمعي وابن سلام وغيرهما. أرى أنَّ هناك شعراء يكتبون اليوم بطريقة مختلفة عن شعراء الستينيات والسبعينيات. هناك اليوم نوع من الوعي الكتابي ، الذي أتاح للشّعر مساحة جديدة ، ونقل المعرفة الشّعرية إلى مجال أوسع ، وهؤلاء لا يمكن حصرهم في جيل دون غيره. الشّعر العربي اليوم ، يوجد بتنوعه ، وبوفرته ، وبمقترحاته التي لم تعد تنحصر في جغرافية دون غيرها ، أو في شاعر دون آخر. ثمة خصوصيات هي ما يمكن الحديث عنه هنا. وسأله نجم: هل أنت مطلع على التجارب الشعرية الإماراتية ، وكيف تقيم هذه التجربة؟ فأجاب ما يحدث في الإمارات من تجارب شعرية ، لم يعد ممكناً التغاضي عنه ، فهي لها أهميتها في القراءة ، وفي الحديث عن الشعر العربي. للأسف لا يزال النقد العربي محكوماً في رُؤيته ، بما سمَّيْتُه بالمركزيات القاتلة. ما زلنا نختصر الثقافةَ ، كما نختصر الشعر ، في بيروت والقاهرة ، وننظر إلى باقي الأمكنة كأطراف ، أو هوامش ، وهذه رؤية لم تعد تصمد أمام الواقع. ما يحدث في الخليج العربي ، وما يحدث في الإمارات من تجارب شعرية ، لم يعد ممكناً التغاضي عنه ، فهي لها أهميتها في القراءة ، وفي الحديث عن الشعر العربي. اختزال الشعر في مكانين ، دون غيرهما ، هو خطأ في الرؤية ، وفي القراءة ، وهذا أمر ينبغي التخلص منه ، وتوسيع أفق القراءة والرؤية ، لنتمكن من معرفة حقيقة ما يجري في المشهد الشعري العربي ، دون اختزال ، أو تضليل. هذا ما يجعلني حريصاً على المعرفة! هذا ما يجري في الإمارات ، وسرَّني كثيراً ما بدأ يصلنا من قراءات في هذه التجارب ، التي كان آخرها ، ما كتبه الدكتور المقالح. وسأله نجم: كيف ترى مستقبل الشّعر في الوطن العربي ، وهل من أصوات ، في رأيك ، ستصنع هذا المستقبل؟ فأجاب: أنا متفائل بمستقبل الشّعر. رغم انحسار مساحة القُرَّاء اليوم ، فالشّعر العربي يعرف انتقالاً هادئاً ،

في معرفته ، وفي لغته ، وفي مقترحاته ، التي عرفت تنوعاً كبيراً ، وعرفت تَوَسُّعاتٍ حتى في مفهومات الشِّعر ، التي لم تبق مفهوماً مُغلقاً أو شاملاً. انتفت المعايير ، وأصبح النص هو من يخلق معاييره إبان لحظة الكتابة. لا شيء سابق عن لحظة الكتابة. كما أن الشِّعر شرع في وعي الكتابة ، وفي توسيع دَوَآلِه. لم يعد الوزن مشكلة في الشِّعر ، فهو أحد دوال الشِّعر ، وليس دَالَّهُ الأكبر كما في القصيدة التي كانت تحتكم في فهمها للشِّعر للوعي الشفاهي ، وهو ما بينتُه في كتابي *حداثة الكتابة في الشعر العربي المعاصر*. (وبالطبع نحن لا نوافق الأستاذ على النيل من الوزن العروضي للشعر لسواد عيون الحداثة والحداثيين ، إذ الوزن والقافية والوحدة الموضوعية والترابط بين الأبيات وسمو الفكرة وشرعيتها وأصالتها بديهيات مسلمات وشروط وقواعد تعطينا وصف النص بأنه شعر! وما لم يكن ذلك كذلك فلا شعر هنالك ولا شعراء!) وسأله نجم: في ظل الهجوم الكاسح للفضائيات والإنترنت ، ومخالب العولمة ، أي دور بقي للشاعر؟ فأجاب: للشاعر أراضيه التي لا يمكن استبدالُها بغيرها من الأراضي. فالشِّعر عرف كيف يستفيد من الفضائيات ومن الإنترنت ، ومن هذا الامتداد الكاسح للعولمة. وكما أشرتُ من قبل ، فهذه الإمكانات الحديثة أتاحت للشِّعر أن يصل إلى أمكنة لم يكن وصلها من قبل ، ومواقع الشِّعر اليوم لا حصر لها ، وهي بلغات مختلفة. فالتقنية لم تزاحم الشِّعر ، بل ساعدت في انتشاره ، وفي توسيع مجال تداوُله ، وترجمته. ما نتحدث عنه من انحسار للشِّعر ، في مقابل غيره ، ليس صحيحاً ، حتى في مستوى النشر. فعدد الدواوين الشِّعرية التي تُنْشَر سنوياً ، في العالم العربي يفوق كثيراً ما يُنشر في غيره من الأجناس الأخرى. وأنا هنا أتحدث عن النشر الورقي ، دون أن أذهب إلى النشر الإلكتروني الذي يعرف بدوره انتشاراً واسعاً. علينا أن ننتبه للحكم على الأشياء ، إذا لم نكن نملك ما يكفي من المعطيات. وسأله نجم: في قصائد بعض شعراء الحداثة الشِّعرية *نَشُمُّ* رائحة نصوص رائدة لسان جون بيرس ، بول فاليري ، رامبو ، أندري بروتون ، وأسماء غربية أخرى ، كيف تفسرون هذه الظاهرة؟ فأجاب: لا أُسَمِّي هذا ظاهرةً. فالشِّعر ، دائماً ، كان أرضَ لِقاءٍ مع غيره من الثقافات والمعارف. فحين يذهبُ الشَّاعر إلى هؤلاء الذين ذكرتَهُم ، فهو لا يذهب إليهم ليستعير منهم لُغَتَهم ، أو طريقتهم في الكتابة ، بقدر ما يسعى ، لاختبار تجارب هؤلاء ، وقدرتها على التجاوب مع تجربته هو ، في سياقها الجمالي والمعرفي. الشِّعر اليوم لم يعد إلهاماً ، أو كتابةً دون بحث ومعرفة. الشَّاعر اليوم ، أمام تجارب وثقافات ، وتراكمات معرفية كبيرة ليس هي نفس ما كان يجري قبل هذا التاريخ ، حيث كان الشَّاعر يكتفي بما في يده. هذا الذهاب صوب الآخر ، لا أعني بالضرورة الأوربي ، بل الياباني والصيني والهندي ، وغيرها من ثقافات الشرق الأقصى والأدنى. لم يعد الأمر اليوم اختزالاً للمعرفة في ثقافة دون غيرها ، كما أن الشعر يقتضي في وضعه الراهن الانفتاح على التشكيل والمعمار ، وعلى تعبيرات الجسد ، في الرقص الكوريجرافي ، وغيرها من الفنون التي هي من ضرورات المعرفة الجمالية التي لم يعد ممكناً النظر إلى الشِّعر دون الالتفات إليها. حين نُغَيِّر رؤيتنا للشِّعر ، ونُغير طريقة قراءتنا له ، ونخرج من منظور القراءة المدرسية البسيطة ، سنكتشف غنى الشِّعر وعمقه ، كما سنكتشف معنى حضور تجارب الشُّعراء غير العرب في الشِّعر العربي ، وكيف يُدِير الشِّعر الحوار مع هذه النصوص والتجارب ، ويتجاوزُها ، في نفس الوقت. وسأله نجم: كيف ترون الوضع الثقافي الراهن في المغرب؟ فأجاب: سبق أن تحدثتُ في هذا الموضوع ، وكتاباتي الأخيرة ، في الصحف العربية والمغربية ، وفي بعض المواقع ، كانت تسير في هذا السياق. ولأختصر المسافة أكثر ، فالثقافة المغربية اليوم ، تعرف انتقالاً من هيمنة السياسي ، وأجيال الحركة الوطنية ، الذين كانوا يهيمنون على كل شيء ، إلى أجيال جديدة ، نقلت الأسئلة من السياق السياسي المباشر الذي كان مُهيمناً على الثقافي ، إلى الثقافي الذي أعاد صياغة

المعرفة السياسية من منظور ثقافي ، وليس العكس. هذا التحول هو ما يتبدى اليوم في المشهد الثقافي المغربي ، وهو ما جعل الذين يَجِنُّونَ لهذا الماضي القريب يرتبكون ، وهو ما دفع أغلبهم للانخراط في مؤسسات السلطة ، والكتابة عندهم أصبحت نوعاً من تأكيد الحضور ليس أكثر. في ضوء ما أشرتُ إليه يمكن تفسير انهيار مؤسسات مثل اتحاد كتاب المغرب ، وبيت الشعر ، والمآزق التي أفضى إليها تسيير مثقف من هذا الجيل لوزارة الثقافة المغربية ، وهو ما وقع فيه من كان قبله ، من نفس الجيل. وسأله نجم: يُقال إن الرواية سحبت البساط من تحت أقدام الشعر. هل توافق على هذا الرأي؟ فأجاب: هذا رأي كما أشرتَ ، لكن الواقع يشير إلى أمور أخرى. ففيما أشرتُ إليه في جواب سابق ما يجيب عن هذا السؤال. وأَوَدُّ هنا أن أضيف أن الشِّعر ليس كتابة عابرةً ، مثلما يحدث في الرواية اليوم. أغلب الروايات التي تُنشر تنتهي بمجرد قراءتها ، فهي مُسْتَنْفَذة ، لأنها بدون مستقبل ، وهذا يعود إلى موضوعاتها وأفكارها ، وإلى افتقادها للقدرة على الاختراق. أما الشِّعر ، فيختلف عن الزاوية ، وهو تأجيل ، لأنه يصبو إلى المستقبل ، ولا يرهن نفسه بالعابر ، مثلما نجد في الرواية ، ليس عندنا نحن فقط ، بل في العالم. يمكن للشِّعر أن ينحني قليلاً ، أمام هبَّات أجناس كتابية أخرى ، لكنه ، دائماً ، يعيد تجديد نفسه. في الشِّعر جُرأَةٌ لا نجدها في الفكر ولا في الرواية ، وهذا ما دفع كثير من الفلاسفة الكبار مثل هايدغر ، أن يتعاملوا مع الشُّعراء ، في صياغة بعض تصوراتهم ، بعكس أفلاطون الذي سعى لقتل الشِّعر ، لأنه لم يكن قادراً على جُرأَة الشُّعراء ، في فضح الأشياء ، بلغة ، ربما ، لم يفهمها أفلاطون جيداً ، فاعتبرها انحرافاً وفساداً).هـ. وطبعاً نحن مبهورون أمام هذه الفلسفة النورانية الدقيقة في تشخيص واقع الشعر العربي المعاصر! فلقد أجاد الأستاذ الأديب الشاعر المغربي صلاح بوسريف الوصف والتشخيص معاً! ليس هذا فقط ، بل رسم طرق العلاج للنهوض بالشعر العربي الأصيل من وهدته السحيقة اليوم ، ليواكب العصر وليستمر في المضي قدماً ، منفلتاً من عوامل الاندثار ومهاوي الضياع وطرائق الأفول! متحدياً كل العقابيل والعراقيل التي تحول دون تقدمه للأمام ، لا يبالي بالمخذلين ولا بالبُله! وتجربة الشعر الحداثي أو شعر التفعيلة أو الشعر الجديد أراها تجربة فاشلة! وليست تسميتنا لشعرها تعني أن ما كتبوه يُعَد شِعراً! لا ، بل هكذا يسمون عزيفهم وتخريفهم! ونحن نثبتها هنا من باب التنزل للخصم عن مراده ومجاراته فيما يزعم فقط! فهم لما عجزوا عن صياغة الشعر في قالبه من وزن وقافية ووحدة موضوعية وفكرة سامية طيبة منطقية عمدوا إلى ذلك الهراء الذي يسمونه بالشعر الحر أو تفعيلة الشعر أو شعر التفعيلة أو الشعر الجديد أو الشعر الحداثي! طبعاً فرق كبير بين قصيدة يكتبها شاعر في ساعات وأحياناً أيام وليال ووالله العظيم أحياناً شهراً بأسره فضلاً عن سنة كاملة ، ومُدّع للشعر يكتب مقطوعة هرائية في دقائقَ معدودة ، ثم يدّعي أنها شعر عربي! إن الشعر العربي الأصيل يرفض أي قصيدة ما لم تكن على شرطه وقواعده وأصوله! وأحيل إلى مراجع في هذا الخصوص منها: (جناية الشعر الحر على اللغة العربية للعقيلان – لماذا اللغة العربية للنحوي – الحداثة من منظور إيماني للنحوي – اللاشعر المتفلت للنحوي) وذلك حتى يدرك أصحاب الهراء الحداثي أنه ليس شعراً بالمرة! ولا يزال أصحاب هذا الاتجاه يدافعون عن هرائهم وينشرون باطلهم زاعمين له أنه شعر! وكتبت مجلة دعوة الحق مقالاً ينال من الشعر العربي الأصيل ، سوف أورده هنا كاملاً للأمانة العلمية وليتبين للقراء الأعزاء مدى ضحالة المقال وما حواه من مغالطات ومؤاخذات وطوام! ولسوف أفند ما جاء في المقال تفنيداً في عشر وقفات نقدية (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب)! أولاً: العنوان يسمي الشعر العربي الأصيل بالشعر ذي الشطرين! وتلك تسمية مستهجنة خبيثة ماكرة ، لأنها تشي بالاستهزاء من شعر العرب بوزنه وقافيته وشكله! وإذا لفظنا الشكل فيكون قد

سبقه بالضرورة لفظ المضمون! وثانياً: عبّرت المقالة عن فريقين من الشعراء بهذا اللفظ: (الشعراء المحافظين & الشعراء المجدّدين) وهذه تسمية مستهجنة خبيثة ماكرة كذلك! لأنها تصف أصحاب الفريقين بالشعراء مسوية بينهما في التسمية! أما الفريق الأول فهو فريق الشعراء المحافظين (وزادت المبلة طيناً فأسمتهم التقليديين الجامدين) أي يحافظون على بنية الشعر العربي من وزن وقافية ووحدة ومضمون وموضوع! فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا شعراء! أما المجدّدون الحداثيون الذين انفلتوا من الوزن والقافية والوحدة والقالب والمضمون والموضوع فليسوا بشعراء أبداً! ولربما قبلنا التحديث في الموضوعات والمضامين ، لكن لا نقبل العبث واللعب بالوزن والقافية والوحدة الموضوعية مطلقاً! وثالثاً: تصف المقالة الصراع بين التيارين بأنه صراع صوري شكلي بسيط! وهذه ثافية الأثافي لأنه صراع جوهري بين شعراء حقيقيين ومدعين للشعر! ورابعاً: تزيد المبلة طيناً عندما تشبه ذلك الصراع بين الفريقين على أنه يشبه الصراع الذي كان بين البحتري وأبي تمام في القرن الثالث الهجري! إن أبا تمام شاعر جهبذ وكذلك البحتري شاعر جهبذ لا يقل عن أبي تمام! وكلاهما لم يناد بالتجديد في القالب من رفض مثلاً للوزن والقافية! وهذان ديواناهما بين أيدينا اليوم! لا توجد في أي من قصائد كل ديوان فرية ما يسمى بالشعر الحداثي وما هو بالشعر ولكن تلك تسمية أصحابه له كما أسلفنا! وخامساً: تعرّض المقالة بالشاعر صالح جودت وبالشاعر الجواهري! إننا إذا استثنينا موضوعات كل منهما والأفكار والمحتويات والموضوعات الشعرية ، فيُشكر لكل منهما المحافظة على قالب وهيئة وماهية وكُنه الشعر العربي الأصيل! نقول ذلك من باب الإنصاف للرجلين ومن حذا حذوهما! وسادساً: دلست المقالة على الشاعر صالح جودت فنسبت إليه تسميته الشعر العربي بأنه الشعر ذو الشطرين! وهذا كذب محض على الرجل حيث سمّى الشعر العربي: بالشعر العربي الأصيل وليس الشعر ذو الشطرين! وثامناً: أشعار بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي ومحمد الفيتوري لم يكتب لها النجاح ، لأنها ليست بأشعار أصلاً ما دامت لم تلتزم الوزن والقافية والوحدة والفكرة والمضمون والقالب! قد تسمى بالنثر الحداثي أو بالخواطر ، ولكنها لا تسمى شعراً لأنها ليست على شرط الشعر! وكذلك لا تسمى نثراً عربياً أصيلاً ، لأنها ليست على شرط النثر! ولكن تسمية أصحابها لها زوراً وبهتاناً شعراً حراً أو حداثياً تعتبر تسمية مستهجنة سخيفة ممقوتة! ولستُ وحدي الذي أقول بهذا القول ، أو أذهب هذا المذهب ، أو أتجه هذا الاتجاه! بل سبقني إليه عباقرة جهابذة فطاحل كفوْا مثلي الرد بالدليل والبرهان! والقول بأن ما يسمى بالشعر الحداثي الذي كتبه هؤلاء وأشباههم قد كتب له النجاح والذيوع والانتشار والقبول لدى الجماهير ، يعتبر محض افتراء وبهتان وكذب وتدليس! وانتشاره بين الناس بأحلى وأغلى وأرقى وأجمل الطبعات ، وفرضها على الأبناء في الكتب المدرسية فرضاً تعسفياً ، وترجمتها إلى لغات العالم لا يجعل شيئاً من ذلك شعراً ، ولا تعطي هذه الأشياءُ مجتمعة وصف الشعر ، لأنها كما أسلفنا ليست على شرط وقواعد الشعر العربي! وأخْذ أصحابها للجوائز التقديرية الثمينة والنياشين والميداليات الذهبية ، وتكريمهم في المؤتمرات والندوات والمهرجانات ، لا يعطي أصحابها وصف الشعراء ، كما لا يعطي ما كتبوه وصف الشعر! وتاسعاً: دعت المقالة المغرضة إلى محاولة التقريب والتوفيق بين الشعر ذي الشطرين كما سمت والشعر الحداثي! وهي محاولة يائسة فاشلة ولا شك! وأصحابها يحاولون من تسعين سنة ولم يفلحوا! فلم يزل هراؤهم وعزيفهم الحداثي يراوح خارج تخوم دائرة الشعر العربي! فليَعتبر المحدثون المعاصرون بما وصل إليه أسلافهم ويسَلّموا للشعر العربي الأصيل بالانتصار في التحدي وكسب الجولة إلى الأبد! وليكفوا عن محاولاتهم البغيضة المريضة تلك في التقريب والتوفيق لأن الشعر العربي الأصيل لن يتنازل عن مكانته الرفيعة

ليحاكي الهراء والعزيف! والله أسأل أن يخيب جميع مساعيهم. وعاشراً وأخيراً: دعت المقالة إلى السمو بالموضوعات والأفكار من كلا الفريقين ، ولنتغاضى عن القالب والوزن والقافية ، ولنجعل الناس تستفيد من أفكارنا وموضوعاتنا التي تعالج واقعهم وتحل مشكلاتهم بالشعر أياً كان نوعه وأياً كان قالبه! وهذه دعوى خبيثة ومنتنة لأنها كلمة حق أريد بها باطل! فما الحق وما الباطل؟ أما الحق فإفادة الناس بالشعر ومعالجة واقعهم ومشكلاته من خلال الأشعار والقصائد! وأما الباطل فجعْل ذلك على حساب القالب والوزن والقافية! عملاً بالمبدأ الميكيافيللي الحقير: (الغاية تبرر الوسيلة)! والأصل أن الغاية لا تبرر الوسيلة لأن الغايات لها أحكام الوسائل! فالغاية الحميدة لا بد وأن تكون الوسيلة المؤدية إليها وسيلة حميدة! وإن كان هذا مبدأ أصولياً وقاعدة فقهية ، ولكننا نطبقها هنا في الفصل بيننا وبين المغرضين ، فنقول بأن الفكرة الطيبة لا بد وأن تصاغ في قصيدة طيبة موافقة للوزن والقافية والوحدة الموضوعية! وأسأل لماذا الهجوم على القالب والوزن والقافية؟ أليس يمكننا السمو بالموضوعات والأفكار ومعالجة مشكلات الواقع المعاش بشعر عربي أصيل ملتزم للوزن والقافية والعمود والقالب والوحدة والمضمون والموضوع؟! وكنتُ قد وعدتُ بإيراد المقالة وها أنذا أفعل: إن العنوان ذاته غاية في الغرابة والعجب وهو: (حول مستقبل الشعر ذي الشطرين أمام الشعر الجديد) وكان في (مجلة دعوة الحق - العددان 179 و180) وجاء فيه ما نصه: (إن حركات التجديد تقابل دوماً بالإنكار ، ويعتبر ما تدعو إليه بدعة وخروجاً عن المألوف الذي يقبله الناس! فأصبح من الصعب التفريط فيه بعد أن تشبعت به أفكارهم. وتعلقت به قلوبهم ، وهذا الموقف من الحركات التجديدية يخلق صراعاً حاداً بين الطرفين: القديم والجديد ، يؤدي عادة إلى ظهور ثالث يميل إلى الاعتدال ، ويحاول التوفيق بين المتناقضين ذلك ما تثبته مسيرة البشرية في كل الواجهات التي تحتمل ظهور مثل هذه الحالة. غير أن هذه العملية لا تمر بسهولة ولا بسرعة ، فبقدر تشبث أصحاب القديم (المحافظين) بمبادئهم وأفكارهم وقيمهم ، وبقدر إخلاص أصحاب الجديد (المجددين) لجديدهم ، ووعيهم ، بمقوماته ، وتكامله وعمقه وجديته وقيمته ، بقدر كل ذلك يشتد الصراع بين الطرفين. وإذا كانت الحياة الفكرية من بين أهم الميادين الحيوية التي تشهد مثل هذا الصراع على الدوام ، فإنه يغنيها بدون شك ، لأنه دليل حيويتها وتفاعلها ، إذ بدون هذا الصراع تغرق في الخمول والجمود والكسل مما يؤدي بها إلى التقهقر والتأخر ، لانعدام ملامح التجديد والابتكار ، وهو كسل فكري تتفشى آثاره السلبية في حياة الأمة فتهددها بخطر الجمود وشبح الانحطاط ، ومن ثم فإن هذا الصراع ، يعتبر في الواقع مظهرا من مظاهر صحة الحياة الفكرية ، يؤدي إلى نشاطها وحركتها ، إذ تظهر المؤلفات العديدة التي تعتمد المنطق والتفكير العميق ، بعيدا عن العواطف والحماس التقليدي ، لأن الموقف موقف دفاع عن مقومات ومبادئ ، وبالتالي دفاع عن الشخصية ، فيعود المحافظون إلى قديمهم يراجعونه ويعيدون فيه النظر لإبراز مظاهر الجودة والأصالة فيه ومحاولة إغنائه وتطويره ليساير العصر ، ويبتعد عن الجمود ، وبقد ما توفرت ذلك المظاهر فيه ، وقابليته للتطور ، يكتسب صفة الخلود ليصبح من الآثار الإنسانية الخالدة الرفيعة ، التي تعتبر جزءاً من ماضيه الجيد الذي يدفع صاحبه لبناء مستقبل أمجد يتناسب مع ذلك الماضي أو يفوقه ، وتلك هي مهمة التراثيين ومسؤوليتهم تجاه التراث من جهة ، وتجاه أمتهم من جهة أخرى. ومثل تلك المهمة ، إن قام بها أصحابها على الوجه الأكمل ، تضع الطرف الثاني ، المجدد ، في موقف صعب ، ومن ثم يكون لزاماً عليه أن يعمق جذور قضيته ، ويضعها في إطار واضح أصيل يكسبها التقدير والاحترام ، وبالتالي يزيد من عدد الأنصار الذين يتجاوبون مع هذا الجديد ، غير أنه من الواجب أن نشير هنا ، إلى أن الجديد ، أي جديد ، لا ينزل فجأة من السماء. دون سابق إرهاص ، أي أنه ليس مقطوع الصلة بما هو كائن أو بما كان ، الذي

يعتبر الأساس المتين ، وإن كان خفياً أحياناً ، الذي يشيد عليه ذلك الجديد. وقد يبتعد ويختلف عنه فيما بعد! ولكن في البداية ـ لينجح الجديد ـ يجب إبراز تلك الروابط التي تربطه بالتراث الأصيل الذي ساهمت الأمة عبر الأجيال والقرون في بنائه بإخلاص ، ليكون ابناً شرعياً له ، وكلما وفق المجددون في إبراز ذلك ، لقيت دعوتهم مزيداً من التقبل والرضا ، فالنفس الإنسانية تأنف من الجمود ، وتميل إلى التجديد ، غير أنها نادراً ما تتقبل هذا الجديد بدون روية أو تفكير ، بل تحتاج إلى وقت كاف للتفكير والتمحيص قبل اتخاذ موقف. ويمكن القول ، بأن تشبث المحافظين بقديمهم دليل على شخصيتهم ، إذا كان هذا التشبث إيجابياً ، يقوم على الفكر والمنطق والتأمل العقلي ، ويعمد إلى التطوير والتجديد ، ولا يكتفي بالاجترار والترديد ، كما يمكن القول أن نجاح الدعوة إلى الجديد تتوقف على مدى جديته وعمقه من جهة ، وإلى وعي أصحاب الجديد وأصالة رؤياهم ووسائلهم وطرقهم في طرح قضاياهم من جهة أخرى. وقد عرف الشعر العربي هذا الصراع منذ القديم ، منذ القرن الثالث الهجري حين تبلور هذا الصراع في الخصومات التي ظهرت حول كل من أبي تمام والبحتري ، وانقسم النقاد والدارسون إلى محافظين يفضلون طريقة البحتري ، وآخرين مجددين يفضلون طريقة أبي تمام ، وقد كان هذا الصراع وما تلاه فيما بعد من أهم البواعث التي ساعدت على ازدهار الحركة الأدبية بصفة عامة والنقد بصفة خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث ظهرت أهم الكتب النقدية الناضجة عند العرب. ويعرف الشعر العربي في هذا القرن ـ القرن الحالي ـ هذا النوع من الصراع بين قديمه وجديده ، منذ أواخر الأربعينات ، وقد يكون الرجوع من جديد إلى إبراز جوانب من هذا الصراع شيئاً متجاوزاً ، لأن الكثير قد قيل فيه ، وأصبح الشعر الجديد الآن ظاهرة تفرض نفسها ، ولكن على كل حال ، فإن الصراع مازال قائماً ، ولاسيما أن بعض أعلام الشعر والنقد من الطرفين مازالوا يرددون بعض الآراء والأقوال في مناسبات عديدة ، مما يدل على أن الصراع لم ينته بعد ، فمازالت هناك كثير من التساؤلات التي تحتاج إلى مزيد من إبداء الرأي ، ومنها على سبيل المثال التساؤل عن واقع ومستقبل الشعر ذي الشطرين وآفاقه أمام حركة الشعر الجديد. وللإجابة عن ذلك يمكن أن نستعرض آراء بعض أعلام الشعر ذي الشطرين أنفسهم من المعاصرين ، ونكتفي برأي شاعرين كبيرين: أحدهما الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري. وثانيهما الشاعر المصري صالح جودت ، ومعلوم أنهما يمثلان قطبين كبيرين مخلصين للشعر ذي الشطرين. فالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري حين يتحدث عن الواقع والمستقبل يعلن أنه: «لا قمة في الشعر من بعدي» ، ففي ندوة عقدتها الإذاعة والتلفزيون في العراق ، ونشرت في مجلتها) عدد 176 ، السنة السابعة 15 شباط 1976 ، ص: 42 وما بعدها. يدلي شاعر العربية الجواهري برأيه بكل جرأة وحرية في الشعر ، ويقصد الشعر التقليدي ، فيرى بأن هناك تشويهاً للحرف العربي ، وأن هناك فراغاً لا يوجد من يسده الآن على الأقل ، أما عن المستقبل ، فهو يرى من خلال رؤيته للواقع ، أنه لا قمة في الشعر من بعده ، فهل معنى هذا أن هذا الشعر يعرف أزمة ، أو هو على الأقل مقبل عليها؟ يرى الجواهري أن الشاعر بدر شاكر السياب ، وهو من العراق أيضاً ، بدأ حياته الشعرية كما هو معروف ، على الطريق التقليدية الكلاسيكية ، ثم تحول إلى النهج الجديد ، يرى الجواهري أن هذا الشاعر كان هو المنتظر لأن يسد الفراغ... ولكن ، لم يسد أحد الفراغ الذي تركه السياب). ومن خلال ذلك نستنتج: أن الجواهري كأنه يتأسف على مستقبل هذا الشعر ، فهو لا يجد من بين الشعراء ، على المدى القريب على الأقل ، من يستطيع أن يواصل مسيرة هذا الشعر على مستوى جيد ليكون قادراً على الصمود والتحدي ، قد يكون هذا الرأي قابلاً للنقاش ، ولكنه على كل حال يمثل وجهة نظر معينة لصاحبها ذوق ودراية ، إلى جانب شاعريته الفذة التي يقدرها الجميع ، مما يجعله واحداً من أكبر شعرائنا المعاصرين على الطريقة

الكلاسيكية في الوطن العربي. لقد كان السياب في نظر الجواهري شاعراً يعد بالكثير ، غير أن تحوله إلى الطريقة الجديدة ، جعله من كبار رواد هذه الحركة في العالم العربي وهذا التحول ، جعل الشعر العمودي يفقد ، في نظر الجواهري ، شاعريته الفذة التي لم تعوض لحد الآن. ومع ذلك فإننا يمكن أن نتساءل هنا عن مدى شمولية هذه النظرة واتساعها؟ أليس هناك ، في باقي أجزاء الوطن العربي شعراء يمكن أن يكونوا في المستوى الفني المطلوب لسد هذا الفراغ؟ بالنسبة للسياب ، هل ترك هذا الفراغ بعد تحوله من الشعر العمودي ، أم بعد موته؟ من المعروف ، أن بدر شاكر السياب قد فرض نفسه سواء كشاعر عمودي في بداية حياته الشعرية أو على الطريقة الجديدة التي أصبح رائدا من روادها وما يزال تأثيره واضحاً في الأجيال التي تلقه من شعراء الموجة الجديدة. وأما الشاعر المصري صالح جودت فيعلن أن «المستقبل للشعر ذي الشطرين». ففي حوار مع الشاعر نشره الأستاذ عبد العال الحمامصي في كتاب «الهلال» ـ مارس 1976 م ـ بعنوان (هؤلاء يقولون: في السياسة والأدب) يقول بأن المستقبل للشعر ذي الشطرين بعد أن يعود الشعراء الجدد إلى الصواب بعد استكمال أدواتهم الشعرية بالسن والمطالعة ، «إن المستقبل للشعر العربي الأصيل بأوزانه التي أرساها الخليل ، مع التجديد فيها ـ كما فعل المهجريون والأندلسيون ـ في حدود إطار معين لا تسيب فيها ولا انحدار. ونلاحظ من خلال هذا القول ، أن الشاعر صالح جودت مطمئن على مستقبل هذا الشعر ، لأنه يرى أسماء شاعرة من جيل الشبان توسم فيها القدرة على حمل هذا الشعر والمضي به نحو أجيال قادمة ، ومن هذه الأسماء التي يرشحها المجد للمستقبل ـ على حد تعبيره ـ ممن لا يقربون الشعر الجديد: سعد درويش ، عبد المنعم الأنصاري ، الحساني عبد الله ، علي الباز ، فؤاد طمان ، يس الفيل ، وإبراهيم التلواني. ومعظم هؤلاء من بين الشعراء الذين ينشرون قصائدهم في (مجلة الهلال) التي كان صالح جودت رئيساً لتحريرها قبل التحاقه بالرفيق الأعلى ويسلم الروح لباريها على إثر مرض كان يعاوده بين الفينة والأخرى لم ينفع معه علاج. وصالح جودت في نظرته لمستقبل الشعر ذي الشطرين يختلف كما رأينا عن الجواهري في نظرته لهذا الشعر في المستقبل ، لأن صالح جودت يرى أن هذه الموجة الجديدة مرحلة من مراحل الشعر سيعود أصحابها إلى الشعر الأصيل بعد نضجهم ، ومن ثم فهو يحمل على أولئك الذين يتمادون في حركتهم دون أن يظهر منهم ما يدل على استعدادهم للعودة إلى الشعر ذي الشطرين ، والتخلي عن تلك المرحلة التي يعتبرها مجرد مرحلة من مراحل التمرن والتجربة. ويتجلى هذا الموقف واضحاً في قصيدته اليتيمة التي نظمها على تلك الطريقة الجديدة للمرّة الأولى والأخيرة ، كما يقول ، يهاجم فيها أصحاب هذه الطريقة بسلاحهم نفسه. وهذا الموقف المتشدد من الشعر الجديد ، وجدناه أيضاً عند كثير من الأدباء والنقاد ، مثل عباس محمود العقاد ، وعزيز أباظة وغيرهما ، وهو موقف يظهر من خلاله ما يقابل به الجديد عادة من عنف ، غير أن هذا العنف قد يقوي وقد يضعف ، بحسب هذا الجديد وممثليه من جهة ، وتغلغل القديم في النفوس تمكنه ومدى قدرة أصحابه وتساهلهم أو تشددهم من جهة أخرى. ولو حاولنا المقارنة بين رأيي كل من الجواهري وصالح جودت ، لوجدنا أنهما يتفقان في نقط التي مؤداها أن الشعر ذا الشطرين هو الشكل الأصيل للتعبير في نظرهما ، وقد أخلصا له في عملهما الشعري ، كما أخلصا له في موقفهما ضد الشعر الجديد الذي خرج عن هذا الشكل ، غير أن صالح جودت قد اتسم موقفه كما رأينا بنوع من الشدة والعنف ، وهو واثق من العودة إلى مسار الشعر العربي المتعارف عليه منذ القديم بعد المراس ونضج التجربة. وقد يكون من الصعب الاتفاق مع الشاعر صالح جودت لأول وهلة ذلك أن كثيراً من التجارب على الطريقة الجديدة قد فرضت نفسها ، وأثبتت نضجها عند كثير من شعراء هذه الحركة أمثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور واحمد عبد

المعطي حجازي ومحمد الفيتوري ، وغيرهم من الشعراء العديدين الذين تصدر لهم الدواوين والمجموعات المتوالية ، التي أثبتت نفسها واحتل البعض منها في ديوان الشعر العربي الحديث منزلة لا تقل أهمية عن عيون الشعر العربي التقليدي وروائعه. وإذا كانت هناك تجارب ناضجة وأصيلة على الشكلين ، أفلا يكون هذا الصراع حول الشكل المناسب للتعبير مجرد مظهر خارجي شكلي لا يصل إلى عمل القضية التي تتصل بالمضمون قبل الشكل؟ مما قد يدفع إلى طرح سؤال قد يكون الخوض فيه من الأمور البسيطة أو الثانوية ، وهو: هل نريد المضمون الجيد أم الشكل الجيد؟ مع العلم أن المضمون الجيد لا يمكن أن يطرح إلا في شكل جيد ، والشكل هنا لا يمكن أن يقتصر على هذا البناء الهندسي للقصيدة ، فهو يشمل الكلمة وتوظيفها والصورة والرمز وما يحمله من إيحاء ، إلى غير ذلك. غير أنه في الوقت الذي نجد فيه شعراء الحركة الجديدة ينظرون إلى البناء القديم بتقاليده وأصوله على أنه يحد من حرية الشاعر ورغبته في الوصول إلى غايته المقصودة ، نراهم يغرقون في ضبابية وغموض يجعلان من العمل الشعري لغزاً معقداً في كثير من الأحيان تتشابك فيه الرموز والأساطير التي يستلهمها الشاعر ، فيصعب فهم التجربة إلا بعد جهد من طرف الشاعر في وضع الهوامش لقصيدته ، ومن طرف القارئ لربط ذلك بمسار القصيدة ، وهذا يجعل القصيدة الشعرية الجديدة غالباً لا تتجاوب مع أكبر عدد ممكن من القراء ، مع أن هذا على شعرائنا الجدد أن يعيدوا النظر في لغتهم ووسائل تعبيرهم ، حتى تكتسب تجاربهم ما يتوخاه القارئ من قيم في الشكل إلى جانب المضمون الإنساني الرفيع الذي يصل إليه القارئ من أقرب الطرق ـ ولا سيما في هذه الظروف التي تحتاج إلى السرعة والبعد عن اللف رغبة في كسب مزيد من الوقت ـ ولكن دون إغراق في السطحية والسذاجة في نفس الوقت. وبرغم ما لهذا الغموض من الأحيان ـ والغموض نجده أيضاً حتى في بعض شعرنا القديم ، عند أبي تمام والمتنبي مثلاً وعند غيرهما كذلك ـ حين يتميز بالأصالة كما يقول الدكتور عز الدين إسماعيل ، فإن هذه الظاهرة قد تصبح حاجزاً بين القراء والعمل الشعري ولا سيما بالنسبة لمن ألفوا قراءة الشعر القديم ، لأنهم يجدون صعوبة كبيرة في التجاوب مع الشعر الجديد وربما رفضوه من أجل هذه الصعوبة. وقد استأثرت هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الفنية في هذا الشعر الجديد باهتمام العديد من النقاد ، بل والشعراء أنفسهم من رواد هذه الحركة مثل الشاعرة نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) ، وما تزال تثار في كثير من الأحيان مثل تلك القضايا ولا سيما عند شعرائنا الشباب الذين يندفعون بدافع التقليد الحماسي في بعض الأحيان مما يجعل تجاربهم تقابل بنوع من عدم الاهتمام والصمت. وإذا كان الشعراء ينقسمون على أنفسهم إلى قدماء وجدد ، أو تقليديين ومتحررين ، فإنه ليس من المفروض أن ينقسم القراء والدارسون أيضاً ، فيقبل بعضهم على هذا النوع وبعضهم على غيره حسب الميول والأهواء ، ذلك أن القارئ أو الدارس ، سواء كانت الدراسات عادية أو أكاديمية ، مطالب برصد التيارات الفكرية المتنوعة ، ومسايرة الحركة الثقافية المتعددة الاتجاهات ، رائدة في ذلك ما يتوفر عليه العمل الفني من جودة وأصالة ، ومدى تعبيره عن قضايا الإنسان وهمومه تطلعاته وطموحه ورغبته في الحياة الأسعد والمجتمع الأفضل. والأديب الملتزم يدخل في حسابه ذلك كله ، لأنه لا يكتب لنفسه فقط ، وإلا لما أقدم على إذاعة ما يكتب ونشره في الناس ، فهو ينقل تجاربه للآخرين ، ومن ثم كان عليه أن يراعي الجانب الآخر ، المتلقي ، قارئاً عادياً أو دارساً ناقداً. ومن ثم فإنه بالنسبة للشعر ، لا يمكن القول بأن هذه القصيدة مثلاً رديئة لأنها تسير على طريقة القدماء ، أو لأنها تثور على طريقتهم وتتبع طريقة جديدة ، حسب نظرة كل فريق ، بل يجب أن ينظر إلى جودتها سواء من حيث المضامين التي تطرحها ، أو من حيث اللغة التي يصب فيها الشاعر تلك المضامين. بعيداً عن كل تحيز أو تعصب وهكذا ، فإن الجيد أو الرديء من الشعر يعتمد على مدى ثقافة الشاعر الفنية وصدق إحساساته وانفعالاته ومعانقته لقضايا إخوانه وأمته ، وقضايا الإنسان بصفة عامة ، ومدى قدرته على نقل كل ذلك في صورة واضحة بليغة إلى الآخرين).هـ.

لماذا شعري حزين؟! ولماذا لغة الضاد؟

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد. فلقد سُئلت غير مرة عن الحزن الكائن في شعري وتفضيلي للغة الضاد في أغلب كلامي وحديثي للناس! وهما قضيتان بهما عُرفت! ولنبدأ بقضية الحزن والجوى والأسى في الشعر! الحقيقة أن الشعر وليد المواقف والأحداث التي يمر بها الشاعر! وعموماً تتبعت الشعر العربي في مختلف عصوره فوجدت الشعر الذي تفرزه المحنة أدل على الواقع من الشعر الذي تفرزه السعادة! والقول بأن كل شعري حزين غير صحيح! ربما جُله وليس كله! وفرق كبير بينهما! حيث هناك في قصائدي صورة كبيرة من التفاؤل والاستبشار رسمها الإيمان والتوحيد وحسن الظن برب العالمين! وفي البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ فَقَالَ: أَقَدْ قَضَى؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا ؛ فَقَالَ: (أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ). إذن فالإسلام لا يقول: لا تتألَّم أو لا تُحِبَّ أو لا تحزن ، أعني أنَّ ذلك حكمٌ تشريعيٌّ يترتَّبُ عليه ثوابٌ أو عقابٌ لذاته ، ولكنَّه يقول: إذا تألَّمْتَ فلا تتكلَّم بما يسخط الله ، وإذا أحببْتَ فلا تتعدَّ حدود الله ، وإذا حزِنْتَ فلا تشقَّ الجيبَ ولا تلطم الخدَّ ولا تدعُ بدعوى الجاهلية. يذكر ابن القيِّم رحمه الله (أنَّ الحزنَ لم يأتِ في القرآن إلا منهياً عنه أو منفياً. فالمنهي عنه: كقوله تعالى: {وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا} وقوله: {وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} في غير موضع ، وقوله: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} والمنفي كقوله: {فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}. ثمَّ يُعلِّلُ ذلك بقولِهِ: (وسر ذلك: أنَّ الحزنَ موقف غير مسيِّر ، ولا مصلحة فيه للقلب ، وأحبُّ شيء إلى الشيطان: أن يَحزُنَ العبدَ ليقطعه عن سيره ويوقفه عن سلوكه ، قال الله تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث لأن ذلك يحزنه. فالحزن ليس بمطلوب ولا مقصود وليست فيه فائدة). (مدارج السالكين لابن القيم). وقد تابع في ذلك شيخَهُ ابنَ تيمية الذي يؤكِّد أنَّ الحزنَ لم يأمر الله به (بل قد نهى عنه في مواضع. وإن تعلق أمر الدين به كقوله تعالى: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) ، وقوله: (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) وقولِهِ: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) وقولِهِ: (ولا يحزنك قولهم) ، وقولِهِ: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم). وأمثالُ ذلك كثيرةٌ. وذلك أنه لا يجلب منفعةً ، ولا يدفع مضرَّةً ، ولا فائدة فيه. وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به.) (التحفة العراقيَّة).هـ. وأعتذر عن الإطالة في إيضاح هذه المسألة الخاصة بشعري لأنها فعلاً مهمة جداً! إنّ الشّعرَ مِنَ الفُنون العربيّة الأولى عند العرب ، وعند غير العرب ، فقد وجدتْ أشعار قديمة عند غير العرب كذاك! ووجد منه الحزين والسعيد! وما وسع الشعراء بالأمس ينبغي أن يسعني اليوم! وبما أننا نؤرّخ لشعر عربي ، فليكن الحديث عن شعر العرب! لقد برزَ هذا الفنُ الأصيل في التّاريخ الأدبيّ العربيّ منذُ قديمِ العصور إلى أنْ أصبحَ وثيقةً حقيقية يمكنُ مِن خلالها التعرّفُ على أوضاعِ العرب ، وثقافتِهم ، وأحوالهم ، وتاريخهم ؛ وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وموازينهم! إذ حاول العرب تمييز الشّعر عن غيره من أنواع الكلام المُختلف ، من خلال استخدامِ الوزن الشعريّ والقافية ، فأصبح الشّعر عندهم كلاماً موزوناً يعتمدُ على وجود قافيّةٍ مناسبة لأبياته ، نتيجةً لذلك ظهرتْ العديدُ مِنَ الكُتُبِ الشعريّة ، والثقافيّة العربيّة التي بَيّنت كيفيّة ضبط أوزان الشعر ، وقوافيه ، وأشكاله البلاغيّة التي ينبغي اتّباعها واعتمادها عند

الاستعارة ، والتّشبيه ، والكناية والمجاز وصنوف البديع والفصاحة والإبانة في الكتابة الشعريّة! وحريٌ بنا أن نقول بأن الشعر حقيقة كان ديوان العرب قبل الإسلام! فلما جاء الإسلام وبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – ودخلت جحافل القبائل العربية في هذا الدين صار الإسلام ذاته ديوان العرب! وإذا قطعنا بجمال الشعر العربي وعذوبته وطلاوته فلأن المعين الذي انطلق منه الشعر في مضمار الحياة هو اللغة العربية! والتي هي أيضاً جميلة وعذبة ونقية وأصيلة! ومن هنا ندلف إلى دفاعنا الثاني عن اللغة التي كتبت بها شعري وهي لغة الضاد اللغة العربية! وأمرها كما يصفها الأستاذ إحسان العقلة مبيناً أهميتها القصوى بقوله نصياً: (إنّ للّغة العربيّة أهميّةً كبيرةً في الثّقافة والتّراث والأدب العربيّ ؛ لأنّها تُعتَبر جزءاً من الحضارة العربيّة ، والآتيّ مجموعة النّقاط التي تُلخّص أهميّة اللّغة العربيّة: تعدُّ اللّغة العربيّة من اللّغات الإنسانيّة الساميّة ، والتي ما زالت مُحافظةً على تاريخها اللغويّ والنحويّ منذ قديم الزّمان. وتُعتبر اللّغة العربيّة لغة العديد من الشّعوب والقبائل ، مثل ثمود ، وعاد ، وغيرهم ، وساهم ذلك في انتشارها في الجزيرة العربيّة وبلاد الشّام. إنّ اللّغة العربيّة هي لغة الإسلام ، والقرآن الكريم ، والأحاديث النبويّة الشّريفة ، وساهم ذلك في تعزيز قيمتها ومكانتها عند العرب والمسلمين. ولقد ساهمت اللّغة العربيّة في نهوض العديد من الحضارات ، وخصوصاً الأوروبيّة ، ممّا أدّى إلى تشجيع الأوروبيّين لتعلُّمها وفهمها للتعرّف على حروفها وكلماتها. هذا ، وتتمتّعُ اللّغة العربيّة بخصوصيّةٍ لغويّةٍ تجعلها تتميّز عن اللّغات العالميّة الأُخرى ، والتي تظهر في بيانها ووضوح مفرداتها وكلماتها. وتَستخدَم العديد من الكلمات اللغويّة في اللّغات الساميّة كلماتٍ ذات أصل عربيّ ، ممّا ساهم في تعزيز التّقارب بين اللّغة العربيّة واللّغات العالميّة الأُخرى. ومن خصائص اللّغة العربيّة العذبة أنها تتميّز عن كافّة اللّغات العالميّة الأُخرى بمجموعةٍ من الخصائص وهي: الأصوات: من المُميّزات الأساسيّة للّغة العربيّة ؛ إذ يُعتَبر نظام النّطق فيها من أهمّ أنظمة الكلام اللغويّ ، فيُستخدَم اللّسان ، والحلق ، والحنجرة من أجل نطق الحروف والكلمات والجمل بناءً على أصواتها ، وتُقسَم الأصوات في اللّغة العربيّة إلى مجموعة من الأقسام ، مثل أصوات الإطباق ، وأصوات الحنجرة ، وغيرها. وأيضاً المُفردات: هي الكلمات التي تتكوّن منها اللّغة العربيّة ، ويُصنَّف المعجم اللغويّ الخاص فيها بأنّه من أكثر المعاجم اللغويّة الغنيّة بالمفردات والتّراكيب ؛ فيحتوي على أكثر من مليون كلمة. وتُعتبر المفردات الأصليّة في اللّغة العربيّة عبارةً عن جذور ثلاثيّة للكلمات الأُخرى ، فينتج الجذر اللغويّ الواحد العديد من الكلمات والمُفردات. اللّفظ: هي الطّريقة التي تُنطَق فيها كلمات اللّغة العربيّة ، وتُلفَظ الكلمات بالاعتماد على استخدام حركات لغويّة ، ويُطلق عليها مُسمّى التّشكيل. يتغيّر اللّفظ الخاصّ في كلّ كلمة بناءً على طبيعة تشكيلها ؛ أيّ الحركات المكتوبة على حروفها ، كما أنّ اللّفظ يشمل التّهجئة الخاصّة في الحروف ، والتي يتعلّمها كلّ شخص يُريد تعلّم العربيّة ؛ حتى يسهُل عليه فهمها ، والتّعامل مع كلماتها وجُملها بطريقةٍ صحيحة. الصّرف: هو الأسلوب المُرتبِط بالمُفردات ؛ إذ يعتمد على نظام جذور الكلمات التي تكون ثلاثيّةً في الغالب ، وقد تُصبح رباعيّةً في بعض الأحيان ، كما تتميّز اللّغة العربيّة عن الكثير من اللّغات الأُخرى بوجود صيغٍ للكلمات الخاصّة بها ، فمن المُمكن تحويل الكلمة المُفردة إلى مُثنّى ، أو جمع ، وغيرها من الطُّرق التي تستخدمها اللّغة العربيّة في تصنيف الكلمات. النّحو: هو أساس الجُملة في اللّغة العربيّة ، وتُقسم الجُملُ العربيّة إلى نوعين ، وهما: الجُملة الاسميّة ، والجُملة الفعليّة ، ولكل نوع من هذه الجُمل أُسس وقواعدُ نحويّة يجب استخدامها في كتابتها وصياغتها حتّى تُساهم في نقل الأفكار الخاصّة بها! وأيضاً يعتمد النّحو في اللّغة العربيّة على استخدام مجموعة من الأدوات التي تَربط بين الجُمل ، والعديد من الوسائل الأُخرى التي تُحافظ على سلامة مَبناها ؛ لذلك تُصنّف اللّغة العربيّة كواحدةٍ من اللّغات التي تَحتفظ

بنظامٍ نحويٍّ خاصّ بها ، ويُساعد في إعراب جُملها وبيان طُرق كتابتها. ولقد بدأ الاهتمام العالميّ باللّغة العربيّة يظهر منذ مُنتصف القرن العشرين للميلاد ، وتحديداً في عام 1948م ، وذلك عندما قرّرت مُنظّمة اليونسكو اعتماد اللّغة العربيّة كثالث لغةٍ رسميّة لها بعد اللّغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة ، وفي عام 1960م تمّ الاعتراف رسميّاً بدور اللّغة العربيّة في جعل المنشورات العالميّة أكثر تأثيراً ، وفي عام 1974م عُقِدَ المُؤتمر الأوّل لليونسكو في اللّغة العربيّة بناءً على مجموعةٍ من الاقتراحات التي تبنّتها العديد من الدّول العربيّة ، وأدّى ذلك إلى اعتماد اللّغة العربيّة كواحدة من اللّغات العالميّة التي تُستخدم في المُؤتمرات الدوليّة. وهناك ولا شك تحدّيات تواجه اللّغة العربيّة ، ومن شأنها أن تُؤدّي إلى وضع العديد من العوائق أمام التقدّم الذي تشهده ، ومن أهمّ هذه التّحديات: عدم اهتمام مُعظم مجالات البحث العلميّ في استخدام اللّغة العربيّة كلغةٍ خاصّة في الأبحاث الأكاديميّة والعلميّة ، ممّا أدّى إلى عرقلة تطوّرها بشكل جيّد. تأثير اللّغات الغربيّة على اللّسان العربيّ ، وخصوصاً مع انتشار اللّهجات بين العرب ، والتي أدّت إلى استبدال العديد من الكلمات العربيّة بأُخرى ذات أصول غير عربيّة. قلّة اهتمام التّكنولوجيا الحديثة في اللّغة العربيّة! والتي اعتمدت على بناء تطبيقاتها وبرامجها على اللّغة الإنجليزيّة واللّغات العالميّة الأُخرى ، ممّا أدى إلى قلّة التّفكير في ترجمة هذه التّكنولوجيا إلى اللّغة العربيّة. الاعتماد في بناء الفضاء الرقميّ الإلكترونيّ في الإنترنت على الأرقام واللّغة اللاتينيّة التي أصبحت المُصمّم الرئيسيّ للعديد من الصّفحات الإلكترونيّة ، والتي لم تُستخدَم في اللّغة العربيّة ، مع أنّه من المُمكن استخدام الحروف العربيّة في الكتابة الرقميّة).هـ. والحقيقة التي يجب التسليم بها أن اللغة العربية لغة فتية صامدة مجاهدة! حيث تعددت المحاولات في حربها وحرب أهلها وحرب التعامل بها والكتابة والتحدث بها! ومع كل هذه المحاولات الماكرة الخبيثة إلا أن الله تعالى يحفظها ويحفظ شعرها وأدبياتها ونثرها! إذ إنها لغة الذكر الحكيم ولغة سنة النبي الكريم – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم! فهل يُتصور أن يحفظ الله كتابه وسنة نبيه دون أن يحفظ اللغة التي هي وعاء الوحيين؟! بالطبع لا! وظني واعتقادي أن الله تعالى يحفظ هذه اللغة الفذة وشعرها ونثرها وأهلها المؤمنين الموحدين! وتزيد الموضوع وضوحاً الأستاذة راندا عبد الحميد فتقول ما نصه: (تعد اللغة العربية من أسمى اللغات وأجملها ، ويكفي أنها لغة القرآن الكريم كما أنها لغة بلادنا ، وهي تتميز بالسهولة في نطقها كما أن لديها الكثير من المعاني القوية الثمينة ، ويوجد الكثير من البلاد الغير عربية يود أن يتعلمها وذلك نظرًا لقيمتها ومكانتها ، كما أنها من اللغات العريقة ، كما أنها لغة فضفاضة واسعة المدى والبيان ، وقد كان العرب قديماً يتفاخرون بأنهم يستطيعون نظم الشعر وضرب الأمثال والبلاغة والنثر ، إنه ليمكننا القول بأن اللغة العربية من أقدم اللغات. كما أن أصولها ترجع إلى الأصول الشامية ، كما أن أصل أقدم نصوص عربية يعود إلى القرن الثالث ، وهي عبارة عن نصوص شعرية جاهلية ، تتميز بأسلوبها الراقي وبلاغة لغتها ، وقد تطورت نتيجة تعدد الحضارات وتعدد اللهجات الخاصة بها ، وأيضًا إقامة الأسواق المختلفة ومثال ذلك سوق عكاظ ، والأسواق هي من أبرز العوامل التي تسببت في ظهور اللغة العربية. وعن أهميتها ومكانتها فهي تعتبر من أهم ميزات الإنسان الطبيعية والاجتماعية كما أنها من إحدى مكونات المجتمع الرئيسية وهي أيضًا من أهم عوامل البناء بمختلف الثقافات والحضارات ، كما أنها حظيت بما لا تحظى اللغات الأخرى ، ويظهر ذلك في أنها لغة القرآن الكريم ، كما أنها سميت بلغة القرآن والسنة ، كما أنها تمتد إلى العلاقة الوطيدة بينها وبين الثقافة والهوية التي تخص الشعوب ، كما أن التاريخ العلمي يتميز باحتوائه على الكثير من المؤلفات العلمية وذلك بمختلف المجالات ، وعن أهمية اللغة العربية في حياتنا يمكن القول أن لها الكثير من الأهمية في المجتمع ، وحيث إن من خلالها يمكن الآتي:- أنها وسيلة لفهم

القرآن والسنة: إن اللغة العربية مرتبطة بالقرآن الكريم كما أنها محفوظة بحفظه ، وهي أيضًا لغة القرآن والسنة التي يتطلب فهم معانيها فهم دقيق ، وهذا هو سبب بقائها وانتشارها. وإقامة الحجة على الناس: أن القصص والعبر الموجودة في القرآن الكريم مكتوبة باللغة العربية ، لذلك لا يوجد أي حجة للناس يوم القيامة من غير المؤمنين على أن يبرر عدم إيمانه ، ولذلك لأن اللغة العربية استطاعت أن تقيم الحجة على جميع الناس وبالتالي يتطلب العلم والفهم منا باللغة العربية. وأيضاً تعزيز تقدم الأمة: اللغة العربية تعتبر من أفصح اللغات بعبقريتها الفذة ، كما أن لديها القدرة المتجددة في أن تتكيف مع العلوم الأخرى وذلك كالهندسة والطب ، كما أنها قد وصلت إلى الإبداع في الكثير من مجالات الأدب ، حيث إن الكثير من العلماء قد تمكنوا في ابتكار طرق غير مسبوقة باللغة العربية. وهناك علاقة وثيقة بين اللغة العربية والثقافة: اللغة العربية مازالت لغة العلم ولغة الثقافة كما أنها وسيلة للتواصل ووسيلة للتعليم وذلك منذ القدم ، ومثال على ذلك أن الجامعات السورية قد تبنت اللغة العربية وذلك في جميع كلياتها المختلفة. تصنع قيمة للفرد: اللغة العربية تعطي قيمة للفرد. كما أن الشافعي يرى أنه كلما تقدم الفرد في دراسة النحو والتوسع فيه كان طبعه أكثر رقياً وتحضراً ، كما أن ابن تيمية رأى أن دراسة اللغة العربية تجعل الفرد فذاً يؤثر على الدين والخلق والعقل ، وهذه عن أهمية اللغة العربية في حياتنا. وأهمية اللغة العربية في التعليم لا يمكن أن ينكرها بصير:- أما عن أهمية اللغة العربية في التعليم فيمكن القول أن أهميتها تكمن في الآتي:- تنشر منهجاً من مناهج القرآن الكريم كما أنها تنشر الفضيلة بين أوساط الناس المختلفة ، كما أنه يتم نشر لغة قد اصطفاها الله عز وجل عن باقي اللغات. تعمل على المساهمة في حفظ القرآن الكريم وتفهم معانيه كما أنها تساهم في فهم وتعلم الأحاديث النبوية الشريفة. تعمل على نشر الثقافة الشرعية والعلوم الإسلامية ، كما أنها تنشر الخير حيث أن فهم الإسلام مرتبط بفهم اللغة العربية. تعمل على فهم الدين الإسلامي ، كما أنه تنبع أهمية دراستها من كونها أنها لغة القرآن الكريم ، كما أن دراستها تعمل على فهم النصوص الشرعية ، لذا يجب أن يكون موضع اهتمام المسئولين بالدول الإسلامية هو تعلم اللغة العربية. ومعلم اللغة العربية يؤجر ، حيث إن كل علم يرتبط باللغة العربية أو السنة هو علم محمود كما أن معلمه ومعلمته مأجوران ، وهذه عن أهمية اللغة العربية في التعليم. كما أن عن أهمية اللغة العربية في المجتمع أهمية كبيرة ، فهي يكفى أنها لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومن يدخل في الإسلام يجب عليه أن يتفهم اللغة العربية ويجب عليه أيضًا أن يتفهم معانيها المختلفة ، كما أنها من اللغات الرائعة في الشعر وإلقائه ، كما أنك ترى الكثير من الأشعار الجميلة تكون باللغة العربية ، كما أن اللغة العربية تحتوي على الكثير من المفردات والمعاني المختلفة ، وبذلك فهي تعتمد على الكلمات البسيطة التي تطرب لها الأذن عند سماعها. كما أنها من اللغات التي أثرت في لغات العالم المختلفة حيث أن الكثير قد أخذ منها العديد من الكلمات والمصطلحات المختلفة ، وهى لغة قديمة جدًا ، وهى الآن قد أصبحت من أشهر لغات العالم ، كما أنها تعتبر من أهم مداخل العالم العربي حيث أنه أي فرد يريد أن يتعرف على المعالم الحضارية الموجودة ببلادنا عليه أولًا أن يتعلم اللغة العربية بإتقان ، كما أنها تعمل على تقدم المجتمع حيث أنها من اللغات العبقرية ، وهذه نبذة عن أهمية اللغة العربية في المجتمع. ويمكن القول أن تعلم اللغة العربية من أجمل الأشياء التي يمكن للفرد أن يحصل عليها ، فيكفى أنها تحتوي على العديد من المحتويات المختلفة التي تجعلنا أكثر وعي وثقافة كما أنها تعمل على تحضرنا ورقينا ، والأعظم من كل هذا أنها لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، كما أنها تحتوي على الكثير من القواعد النحوية المختلفة التي تجعل اللغة أكثر وضوح وفهم. فعندما تتملك من فهم هذه اللغة فيكون لديك حصيلة كبيرة من المعلومات المختلفة ومن الثقافة والوعي كما أنها اللغة

الوحيدة التي أخذ منها الكثير من مصطلحاتها ومن معانيها المختلفة حول العالم ، كما أن أجمل الأشعار التي نسمعها كانت باللغة العربية وكانت تحتوي على الكثير من المعاني الثمينة في قيمتها ، كما أنه من يريد أن يدخل في الإسلام عليه أولًا أن يتعلم اللغة العربية بإتقان وفهم حتى يستطيع فهم الإسلام وفهم ما ينص عليه ديننا. لذا يمكن القول أن تعلم اللغة العربية يفيدنا كثيرًا ، ويجب أن نعلم لغتنا هذه لأطفالنا ونغرس فيهم حب اللغة العربية ونوضح لهم أهمية اللغة العربية في حياتنا وكيف كانوا الشعوب يودون استخدامها وكيف أنها لغة العباقرة ، وكما أوضحنا أعلاه أنها لغة قرآننا الكريم ولغة الأحاديث النبوية الشريفة التي يجب أن يتم فهمها جيدًا ، ونود أن تحصلوا على الفهم الصحيح للغة العربية).هـ. وأشكر للدكتورة رندا غيرتها على اللغة العربية وشعرها وأهلها ، كما أشكر للأستاذ إحسان العقلة غيرته على اللغة العربية كذلك شعراً ونثراً! وتعتبر اللغة العربية من أهم اللغات في العالم وأكثرها انتشاراً ، وترجع أهميتها تحديداً في كونها لغة مقدسة فهي لغة القرآن الكريم وهي اللغة التي تقوم بها سائر العبادات ، وهي أيضاً لغة رئيسية لدى جميع المساجد ، والعديد من الكنائس النصرانية في الوطن العربي ، وكتبت بها كتب سلف الأمة المسلمة! وكتب بها الكثير من الأفكار اليهودية في العصور الوسطى ، وقد أثرت اللغة بشكل أو بآخر على الكثير من اللغات الأخرى في الدول كثير من الدول كالتركية والفارسية والكردية والأمازيغية والأندونيسية والماليزية والألبانية. واللغة العربية هي اللغة الرسمية في جميع دول الوطن العربي وفي تشاد وأريتيريا ، وهي ضمن اللغات الرسمية المسجلة في منظمة الأمم المتحدة. وتعود أصول اللغة العربية إلى العصر العباسي ، حيث إنه يقال بأن يعرب بن قحطان كان أول من تكلم اللغة العربية ، ولكن يرى البعض الآخر أنها أقدم من ذلك بكثير فهي لغة آدم عليه السلام في الجنة. ولقد تأثرت بعلماء أقدمين وآخرين معاصرين في لغة الضاد اللغة العربية. وأذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر: ابن فارس: الذي هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، توفي في عام 1004 م ، عالم وإمام اللغة العربية ، هو أول من أطلق مصطلح فقه اللغة ، وأول من أطلق على نشأة اللغة العربية ، له العديد من المؤلفات في اللغة والأدب والبلاغة كانت أشهرها معجم مقاييس اللغة ، اختلاف النحويين ، والاتباع والمزاوجة! وأذكر جيداً أنني انتفعتُ كثيرا بمراجعه تلك وكانت سبباً في إثراء شعري! وابن جني: الذي هو أبو الفتح عثمان بن جني ، ولد في عام 322هـ عالم نحوي تعلم على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش. له أكثر من خمسين كتاباً من أشهرها كتاب الخصائص عن بنية اللغة وفقهها ، وكتاب سر صناعة الإعراب. ولقد نبغ ابن جني في الأدب في بداية حياته ، (322 - 392 هـ) ، وقرأ الأدب في صباه على أبي علي الفارسي ، وتوثقت الصلات بينهما ، حتى نبغ ابن جني وصار أستاذه يسأله في بعض المسائل ، ويرجع إلى رأيه فيها ، وعلى الرغم أن ابن جني كان يتبع المذهب البصري في اللغة ، إلا أنه كان كثير النقل عن أناس ليسوا بصريين في النحو واللغة وقد يرى في النحو ما هو بغدادي أو كوفي ، فيثبته. والتقى ابن جني بالمتنبي في حلب عند سيف الدولة الحمداني ، كما التقاه في شيراز عند عضد الدولة ، وكان المتنبي يحترمه ويقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس ، وكان المتنبي إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: سلوا صاحبنا أبا الفتح! ويعد ابن جني أول من قام بشرح أشعار ديوان المتنبي وقد شرحه شرحين الشرح الكبير والشرح الصغير ، وكان ابن جني دقيق الملاحظة في معاني اللغة ودلالات الألفاظ ، وأودع علمه كتاباً يعد من أعمدة كتب اللغة وهو الخصائص ، تناول فيه أغلب قضايا اللغة المتعلقة بأصل الألفاظ واستعمالاتها المختلفة ، وأصبح هذا الكتاب نواة لعلم يسمى فقه اللغة. وكانت كتبه سبباً في استقامة لغة شعري لتوافق القواعد جداً! وإسماعيل بن حماد الجوهري: الذي هو العالم اللغوي

الذي توفي في عام 393 هـ ، وهو مؤلف معجم (تاج اللغة) و(صحاح العربية) ، ويُذكر أنه حاول الطيران عبر جناحين صنعهما من الخشب وسقط شهيداً للعلم آنذاك. وهذا يعني أن العباس بن فرناس لم يكن وحده شهيد هذه المسألة! وأيضا مجد الدين الفيروزآبادي: الذي هو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي ، ولد في عام 1329م ، اشتهر بتأليفه كتاب القاموس المحيط وسفر السعادة ، واللامع المعلم العجاب ، والجامع بين المحكم والعباب. وهو صاحب المفردات العجيبة والألفاظ الغريبة ، وكم ساعدني رجوعي له في إثراء القوافي وتعددها وتنوعها! وكذلك الخليل ابن أحمد الفراهيدي: وهو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، ولد في عام 718 وتوفي في عام 786 م ، إمام اللغة العربية وهو أول من وضع علم العروض ، واشتهر بتأليف كتاب معجم العين الذي يعد أول معجم قائم على الترتيب الصوتي. أخذ نغمات علم العروض من الموسيقى وكان عارفاً بها ، وطرأت بباله فكرة وضع علم العروض عندما كان يسير بسوق الصفارين (مبيضي النحاس) فكان لصوت دقدقة مطارقهم على نغم مميز ، ومنهُ طرأت بباله فكرة العروض التي يعتمد عليها الشعر العربي ، فكان يذهب إلى بيته ويتدلى إلى البئر ويبدأ بإصدار الأصوات بنغمات مختلفة ليستطيع تحديد النغم المناسب لكل قصيدة! وعكف على قراءة أشعار العرب ودرس الإيقاع والنُظُم ، ثم قام بترتيب هذه الأشعار حسب أنغامها وجمع كل مجموعة متشابهة ووضعها معاً ، فتمكن من ضبط أوزان خمسة عشر بحرًا! وكم أمتعني الرجوع إليه في عصب الشعر العربي علم العروض! وأيضاً ابن سيده: وهو علي بن إسماعيل ، ولد في عام 1007 وتوفي في 1065 وكان إماماً في القراءات ورواية اللغة ، واشتهر بتأليف كتاب (معاجم أندلسية) وكتاب المحكم والمحيط الأعظم ، وكتاب المخصص. والعلامة ابن منظور الأفريقي: وهو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي ، ولد في عام 1232 م ، عالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية ، ومن أشهر أعماله (معجم لسان العرب) ، قام باختصار وتلخيص العديد من كتب الأدب الطويلة مثل مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ومختصر الأغاني في الأخبار والتهاني للأصفهاني ومختصر مفردات ابن البيطار. والعلامة سيبويه: وهو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، ولد في عام 765 م ، وتوفي في عام 796 م ، وهو عالم نحوي كان أول من بسط علم النحو ، من أهم مؤلفاته كتاب سيبويه في النحو. وهو إمام النحاة ، وكان قد تلقى النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر ، وحضر إلى بغداد وتحدى الكسائي ، وكان وقتها من أجل علماء اللغة والنحو ، ورغم أنه مات شاباً في الـ 32 من عمره ، إلا أنه ترك وراءه ميراثاً لغوياً عظيماً ، وأشهر مؤلفاته بل من أشهر مؤلفات اللغة على الإطلاق كتاب (الكتاب) ، وقال عنه إن كل من كتب في النحو أطلق على ما كتبه كتاباً فإن هذا هو الكتاب. بدأ سيبويه حياته بتلقي علوم الفقه والحديث ، حتى أخطأ في إعراب كلمة في حديث للرسول صلى الله عليه وسلم : (ليس من أصحابي أحد إلا لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدَّرداء ، فقال سيبويه ليس أبو الدرداء على أنه اسم ليس المرفوع ، فخطأه شيخه حَمَّاد بن سلمة البصري وقال إنه منصوب على الاستثناء ، فأقسم سيبويه أن يتعلم النحو حتى لا يخطئه أحد بعد ذلك ، ولم يصدق سيبويه في قسمه فقط ، بل أصبح أبا النحو كما أطلق عليه العلماء! وابن خروف: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن خروف الاشبيلي ، ولد في عام1130 م وتوفي 1212 م ، اشتهر بمهارته في التدقيق اللغوي ، وشارك في علم الأصول ، من أشهر مؤلفاته كتاب شرح لكتاب سيبويه ، وقام بتدريس علم النحو العربي في الكثير من البلاد. وأبو الأسود الدؤلي (النحوي) هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني ، (16 ق.هـ. -69 هـ) ، وكان مشهوراً بالفصاحة ، وأجمع المؤرخون واللغويون على أن أبا الأسود الدؤلي

أول من وضع علم النحو ، فقال محمد بن سلام الجمحي: أبو الأسود هو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف ، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم ، فأخذ ذلك عنه يحيى بن يَعْمَر. وقال أبُو عَلِي القَالِي صاحب كتاب الأمالي: حدثنا أبو إسحاق الزجاج ، حدثنا أبو العباس المبرد ، قال: أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود على أنه أول من وضع علم النحو. وتذكر الروايات المختلفة أن أبا الأسود ذهب ذات مرة إلى الإمام علي بن أبي طالب ، وقد دون بعض الملاحظات التوضيحية في اللغة ، كالفرق بين التعجب والاستفهام في جملة ما أجمل السماء ، فاستحسن الإمام علي مجهوده وطلب منه أن يكمله ، وقال له انح هذا النحو ، أي استمر على هذا المنهج ، ومن هنا جاءت تسمية علم التراكيب العربية بالنحو. وأيضاً الجاحظ (الناقد الأدبي) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي الكناني البصري الملقب بالجاحظ بسبب جحوظ عينيه ، 159)هـ255 هـ) ، يعتبر مؤسس علم النقد الأدبي رغم أن هناك من سبقوه ، ولكنها كانت محاولات غير مكتملة ، لكن الجاحظ كان أول من انتهج منهجا نقدياً خالصاً ، وأسلوباً بحثياً أقل ما يقال فيه إنه منهج بحث علمي منضبط ودقيق ، يبدأ بالشك ليعرض على النقد ، ويمر بالاستقراء على طريق التعميم والشمول بشكل عقلاني بحت. وكذلك الأصمعي (الأديب) وهو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي (121 هـ 216 هـ) أشهر رواة الشعر العربي على الإطلاق. بل وحافظ أداب العرب ممن سبقوه وأحدد أئمة اللغة ، وكان يجمع كل ما يقع تحت يديه من كلام العرب ويلفظه ، ليس هذا فحسب بل كان يتفكر فيه ويوازن بينه ، ولم يكن من نقاد عصره ومؤرخي الأدب من يستطيع أن يغلبه بالحجة ، وكان عالماً أيضاً بفنون النحو ما سهل عليه مهمته الأدبية. ولا أنسى العلامة المبرد (النحوي العملاق) ، وهو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الملقب بـ المبرد ، (210 هـ ، 286 هـ)، وهو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد ، عاش في العصر العباسي ، وكان واحداً من العلماء الذين تشعبت معارفهم ، وتنوعت ثقافاتهم لتشمل العديد من العلوم والفنون ، وإن غلبت عليه العلوم البلاغية والنقدية والنحوية ، فإن ذلك ربما كان يرجع إلى غيرته الشديدة على قوميته الإسلامية العربية ولغتها وآدابها في عصر انفتحت فيه الحضارة العربية على كل العلوم والثقافات ، وظهرت فيه ألوان من العلوم والفنون لم تألفها العرب من قبل. تلقى العلم في البصرة على يد عدد كبير من أعلام عصره في اللغة والأدب ، وعلى رأسهم المازني الذي كان يراه المبرد أعلم الناس بالنحو بعد سيبويه ، وبعد وفاة المازني صار المبرد زعيم النحويين بلا منازع وإمام عصره في الأدب واللغة من بعد شيخه ، واختصه كثير من أعيان البلاد لتأديب أبنائهم. وبالرغم من أنه عاصر تسعة من الخلفاء العباسيين إلا أنه لم يتصل إلا بواحد منهم هو المتوكل. وقال عنه ياقوت الحموي: كان إمام العربية ، وشيخ أهل النحو ببغداد ، وإليه انتهى علماؤها بعد الجرمي والمازني ، ورغم غزارة مؤلفات المبرد لم يصل منها إلى عصرنا سوى القليل ، بسبب الحروب التي ضربت بغداد على يد التتار ، وتدميرهم لكل مظاهر الحضارة بما فيها الكتب والمؤلفات ، ولعل أعظم ما ترك المبرد كان كتاب الكامل في اللغة والأدب. وكذلك الإمام العظيم الزمخشري (البلاغي الجهبذ) ، وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، (467 هـ ، 538 هـ) ، اشتهر في عصره ، ومدحه الشعراء والأدباء ، وطلب العلماء أن يعطيهم الإجازة في رواية كتبه ، وهو إمام كبير في الحديث ، والتفسير ، والنحو ، والبلاغة. وصاحب مؤلفات عظيمة في كل ذلك ، ولكنه كان طريقه إلى كل هذه العلوم هي اللغة ، ومن يستعرض كتابه في التفسير بعنوان: الكشاف يجده منصباً على بلاغة القرآن وتراكيبه اللغوية ، وكذلك له كتاب المفصل في النحو، وأهم كتبه هو معجمه (أساس البلاغة) ، وهو من أعظم قواميس اللغة العربية. وأيضاً ابن مالك (النحوي الصرفي العبقري) ، وهو محمد

بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ، المعروف بـ ابن مالك ، (600 هـ -672 هـ) ، وهو عالم لغوي كبير ، وأعظم نحوي في القرن السابع الهجري ، ولد في الأندلس ، وهاجر إلى الشام ، واستقر بدمشق ، ووضع مؤلفات كثيرة ، أشهرها الألفية ، التي عرفت باسم: ألفية ابن مالك ، وقد كُتب الله لها القبول والانتشار ، حتى صارت أشهر مؤلفات النحو العربي في العصر الحديث على الإطلاق ، وكل من يدخل هذا المجال لا يستغنى عن حفظها أو على الأقل دراستها ، وإلا أصبح ينقصه الكثير ، وقد شرحت الألفية شروحا كثيرة ، أشهرها شرح ابن عقيل. والإمام عبد القاهر (البلاغي الفطحل) ، وهو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (400 هـ ، 471هـ) ، ويعتبر المؤسس الفعلي لعلم البلاغة بمفهومها الحديث ، ويعد كتاباه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال ، وقد ألفهما الجرجاني لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر ، وقد قيل عنه: كان ورعًا قانعًا، عالمًا ، ذا نسك ودين كما ألف العديد من الكتب ، وله رسالة في إعجاز القرآن بعنوان الرسالة الشافية في إعجاز القرآن ، وهي من أفضل ما كُتِب في الإعجاز. وترجع أهمية الجرجاني الأعظم من ذلك إلى نظرية النظم ، وهي أول وآخر نظرية نقد أدبي عربية بالمفهوم الحديث ، وقد هدم فيها آراء من سبقوه من أن الكلام (شعر أو نثر) حسن بلفظه أو بمعناه ، وأقام الجرجاني مبدأ لا يزال قائماً حتى الآن وهو أن حسن الكلام يأتي من حسن تجاور الكلمات المنتقاة حسب معانيها ، وقد اكتشفت نظريات كثيرة في العصر الحديث بعد 1000 عام من وفاة الجرجاني تقول بنفس رأيه! ويشهد عليّ ربي سبحانه وتعالى أنني انتفعت بعلم هؤلاء انتفاعاً لا حدود له! ومن يدري؟ لعل التاريخ يذكر لي أنني كتبت ديوان: (السليمانيات) ليكون شاهداً على العصر الذي عشتُ فيه! ولتعلم الأجيال اللاحقة عليّ في المستقبل أنني لم أقف مكتوف اليدين مكمم الفم واجم اللسان على ما يحدث في عصري من سلبيات وإيجابيات! بل كنت متفاعلاً أقول للمحسن: أحسنت وبارك الله فيك! وأقول للمسيء أسأت وحاسبك الله بعدله ، بعد أن أقدم له النصيحة والوعظ ثم هو يعْرض عنهما! ويوم أن سُمح لي بالخطابة أو الكتابة أو التدريس لم أكتم الناس أو الطلاب علماً علمته عن الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وعن الإسلام ذلك الدين الوحيد الحق! ومرة أخيرة: ليس هناك دين حق إلا دين الإسلام ، وهو دين الأنبياء والمرسلين أجمعين! والإسلام هو الدين الوحيد الحق لأنه من عند الله! (إن الدين عند الله الإسلام) ومهما اتخذ الناس أدياناً باطلة أخرى من اختراع بعضهم ، فلا ينتفعون بها في الآخرة: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)! وإنما الأديان الأخرى هي من صنع الإنسان ولذلك فهي أديان باطلة! ولا أبالغ إن قلتُ بأن رحلتي مع اللغة العربية وشعرها بدأت منذ عام 1978م وأنا في الصف التاسع أساسي (الثالث الإعدادي بلغة أهل مصر)! منذ كنتُ أعد كلمات الصباح وأضمنها أشعار العرب! واستمرت إلى وقت تحرير هذا النص وإخراج هذا الديوان! وأعتذر عن طول التقديم! والله سبحانه وتعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل!

جميع الحقوق محفوظة

ألا وإن جميع حقوق الطبع والتوزيع والنشر والتأليف وإعادة الطبع محفوظة للمؤلف ، ولا يجوز بتاتًا طبعُ أو اقتباسُ أو إعادة طبع كل أو حتى جزء من قصائد هذا الديوان أو تخزينه في أي نظام لتخزين المعلومات واسترجاعها واستبقائها ، أو نقله على أية هيئة أو وسيلة سواء كانت إلكترونية أو كمبيوترية (حاسوبية) أو حتى أشرطة ممغنطة صوتية أو مرئية أو صوتية مرئية في الوقت ذاته أو ميكانيكية أو استنساخًا أو تسجيلًا أو الترجمة لأي لغة من لغات العالم المعروفة ، أو تحويله إلى أعمال إذاعية أو مرئية أو نشره في صورة صحفية أو في صورة مقتطفات في جريدة يومية أو مجلة من أي نوع كان ويكون وسيكون ، أو ما شابه ذلك من طرق النشر والطبع والتأليف ، إلا بإذن خطي من المؤلف ما دام حيًّا يرزق ، أو من ورثته بعد وفاته. وإنما عمدنا إلى هذا لحماية النص الأدبي من التحريف والسطو والتبديل ونحو ذلك مما لا ينبغي لأي أحد إلا بالاستئذان! وإلا فإنه ليس وراء التأليف في الانتصار للقيم والأخلاق والمبادئ في هذا الزمان كبير طائل! نقول ذلك لمن يتوهم أن المؤلفين المحترمين الذين يدافعون عن حياض الأخلاق وبيضة القيم رابحون بتآليفهم المختلفة! والحقيقة أنْ لا! وهذا لا نخترعه من عنديات أنفسنا ، بل هو كلام شبه مستقرأ من خلال اللقاءات المتعددة مع مؤلفين كرام أصبحوا غارمين مذ بدأوا التأليف ، وبالأحرى مذ دخلوا عالم النشر والتوزيع! ذلك العالم الذي يبتلع المؤلف ابتلاعاً! ولا يكاد يتركه إلا وقد خسر كل شيئ إلا النص الذي صاغه بدمه! ونظل نستثني ونقول: إلا من رحم الله من الناشرين الذين يعبدون الله وحده لا شريك له! ولا يؤلهون درهماً ولا ديناراً! وأشهد لقد كنتُ ضحية الناشرين الطماعين الذين لا يؤدون الأمانات إلى أهلها! إن انعدام الأمانة في مجتمعاتنا المعاصرة صار سمتاً عاماً لم ينجُ من الاتسام به إلا قليل الناس ممن عصم الله تعالى! تحت عنوان: (الخلق المفقود: الأمانة) يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني ما نصه: (للأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين ، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها ، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أعمالها ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من إضاعتها والتهاون بها ، وأشار إلى أن في إضاعتها انحلال أمر المسلمين ، وهو حديث توسيد الأمر لغير أهله وسوف يأتي بإذن الله عز وجل . ولي عمر رضي الله عنه القضاء على عهد أبي بكر رضي الله عنه ، وبعد سنة من توليه القضاء جاء إلى أبي بكر وقدم استقالته ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: "أمن ثقل المسؤولية يا عمر؟" قال: لا ، ولكن لي سنة في قضاء المسلمين ولم يأت إلي أحد. أتدرون لماذا يا عباد الله ، لم يأت إلى القاضي أحد خلال سنة كاملة؟ لأنه مجتمع مؤمن ، يحترم بعضه بعضاً ، يؤدي كل واحد منهم حقوق الآخرين ، ولا يبخس منها شيئاً ، مجتمع طاهر نقي تقي ، كل يخشى ربه ، ويخاف خالقه ، مجتمع أسلم بكامله لله عز وجل ، أوكل أمره إلى الله ، مجتمع لا يعتدي فيه أحد على أحد ، كل فرد منه يعرف ماله وما عليه ، لأجل ذلك استقال عمر رضي الله عنه من القضاء ، سنة كاملة لا يأتيه شخصان يختصمان ، زمن فاضل ، وأناس فضلاء. أما اليوم ومع كثرة القضاة ، إلا أن المحاكم لا زالت بحاجة ماسة وملحة إلى أضعافٍ مضاعفة من قضاة اليوم. لقد غصت أروقة المحاكم بالمتخاصمين ، والمشتكين ، حتى بلغت القضايا آلافاً مؤلفة في سنة واحدة ، وعمر رضي الله عنه لم تأته قضية واحدة في عام كامل ، فشتان بين الفريقين ، فريق اتبع الهدى ، وفريق عصى وضل وغوى ، فكانت النتيجة ما نراه من قطيعة بين الناس وتدابر وتهاجر ، بل سرى ذلكم الأمر حتى وصل بين أفراد الأسرة الواحدة ، أتدرون لماذا؟ بسبب أوساخ الناس ، ألا وهي الأموال ، كل ما تراه اليوم من مشاكل

ومحن ، وقطيعة وفتن ، يصب في الغالب في قالب المال ، الذي من أجله يحب الناس ويبغضون ، ويقربون ويبعدون . أروقة المحاكم تغص بآلاف القضايا الأخلاقية ، وغير الأخلاقية ، بسبب البعد عن الله عز وجل ، وبسبب خيانة الأمانة).هـ. وأسأل الله تعالى أن يأتي اليوم الذي ينتصر فيه الحق ويسود الخير وتهيمن الأمانة على جميع أفراد المجتمع! وساعتئذ ننشر ونطبع ونربح جميعاً! والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – نهاية الطريق

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ، تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
إهـــ	ـــــــــ	ـــــ	ـــداء	9
مـــ	ـــوضـــوع الـــغـــ	ـــــ	ـــلاف	11
الافـتـ	ـــتـــاحـــ	ـيـ	ـــة	13
اســـ	ـــتـــهـــ	ـــــ	ـــلال	15
1	زفراتُ العذراء الخجلى بين الغموض والبيان	الوافر	الحرابُ	23
2	السمعة الدامية في دياجير التيه	الوافر	عزوفِ	24
3	من ركام ظلمات القرن العشرين	المتقارب	النداءْ	25
4	الياسَمينة	الرمل	زينة	26
5	دموع الذكرى	الوافر	حياتي	29
6	متشاعر أمام بريق المال	الخفيف	مريضُ	31
7	الجميل الكئيب	البسيط	السفلُ	32
8	ضريبة التصابي	الكامل	الأفراحِ	33
9	تغريدة في هجير الضياع	الكامل	الأسفل	34
10	مصرع الحسد	البسيط	ينفعلُ	35
11	كسوف الشمس	الكامل	الأسيفْ	36
12	دعوة إلى التأمل	الرمل	ابتهلِ	37

13	المساء الضرير	الهزج	السامي	40
14	اليراعُ الثائر	الطويل	وأسرهِ	41
15	زورقُ العدم	المتقارب	احتدمْ	43
16	المغرورة	الرمل	بارقة	44
17	ركام الضياع	الكامل	قسوتهْ	46
18	الحمامة الغريبة	الطويل	التجملِ	47
19	مرارة الذكرى	الكامل	الرياحْ	48
20	من وحي الطفولة	الرمل	الرجولة	50
21	مهلاً يا ابن سلول!	الكامل	مغْلمُ	51
22	سنبلة وقنبلة ومكحلة	الرمل	الحوقلة	53
23	الدمية	الرمل	الجدهْ	55
24	في رثاء الشعر	المتقارب	الكالحة	57
25	سراب الهاوية	المتقارب	الهاوية	60
26	ملاح في بحر الظلمات	الرمل	السرابْ	63
27	اليتيم	الرمل	تعتذر	65
28	آهة في صدري	الوافر	عنادي	67
29	في رثاء أريج الطفولة	الطويل	زاخرا	69
30	حي المعلم جازه التبجيل! (معارَضة لقم للمعلم)	الكامل	رسولا	70
31	يوسف أعرض عن هذا!	الوافر	التيهِ	185

32	النسر والوجه الآخر	الكامل	البطلْ	188
33	حسابي مع هازل	الكامل	السخيفْ	191
34	العنبة الطافية (عن المسيح أو المسيخ الدجال)	المتدارك	تعلو	195
35	غابة يرسمها القريض	الهزج	الهاوية	200
36	يا صاح فيم اعتذاري؟	الهزج	النرجسيْ	203
37	سبيكة من هواء	الرمل	عريكة	209
38	غيضٌ من فيض	الهزج	الخفض	211
39	فقاقيع الطلح	الوافر	يتأرجحُ	214
40	أنين النخيل	البسيط	محنِ	217
41	جحا واليراع الذهبي	الوافر	الحِرابْ	219
42	قراصنة القلوب	الرمل	الخطايا	223
43	صدى الأمواج	الكامل	الفرُشْ	225
44	الليث الجريح	الكامل	البشرْ	228
45	إصلاح الذات قبل الذوات	الكامل	النوخذة	230
46	دعوة للتعقل	الوافر	أحدا	232
47	البحر الطويل والليل الطويل	الطويل	قريحتي	233
48	مستنقع الرماد	الكامل	بعزمهم	235
49	نائمٌ لا يفيق	المتقارب	السائمة	236
50	الدوامة	الوافر	الذكرياتُ	239

51	المرتزقة في بحر الظلمات	الوافر	الهوان	240
52	تحية للشاعر / أبى عاصم القارئ	الوافر	الهزيمة	242
53	(نهاية الطريق)	المتقارب	كوكبي	244
54	وداعاً أبا بكر! (في تأبين الصديق أبي بكر)	البسيط	مآقينا	256
55	ضحية الغرور	الكامل	العبقرية	259
56	نغرق ولكن لماذا؟	الكامل	الهبَصْ	262
57	دروب الضياع	الوافر	العلة	264
58	حوار مع قلمي	البسيط	ركنا	267
الـــــو	رقـــــــــــــــــــــــــة الأخـ	ـــيـــ	ـــــــرة	269
ترجمـــة	قـــــصـــــيـــــــــــــــرة	للشـــ	ـــاعـــر	271
ابـــــ	ـــــتـــــــــــــــهـــــــــــ	ـــــــ	ـــــال	272
لمـــاذا	الـــــشـــــــــعر الـــعـــــمـــــــ	ـــــــ	ـــــودي؟	285
لمـــاذا	شـــعـــري حزيـــــن؟ ولماذا اللغة العربيـــة	لغـــــة	الضـــاد؟	292
جميـــ	ـــــــيـــــع الـحـــــقـــــــــوق	مـحـفـ	ـــوظـــة	293
فـــــ	ـــــــــهـــــــــــــرســـــــ	ـــــــ	ـــــت	295

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه ديوان: (نهاية الطريق)

تنويهٌ هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر

باسم ديوان (السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية
(إدارة الإيداع القانوني)
16004 / 2006 في يوم 6 – 8 – 2006م
بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية
800 ، 811

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

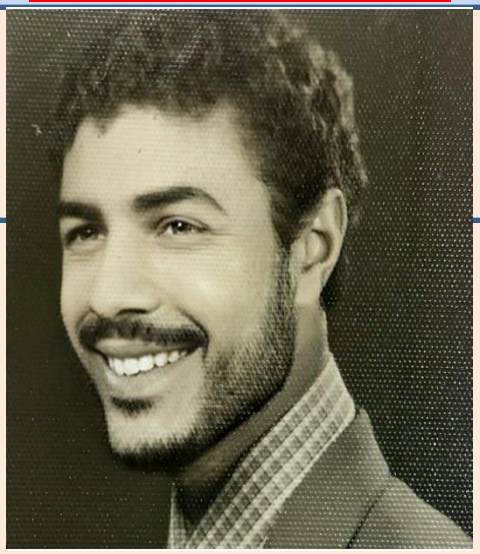

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله – سبحانه وتعالى وعز وجل ـ!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض!

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –

37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)
40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)

74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)
80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 &2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية

25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق
34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح

64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان

103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!